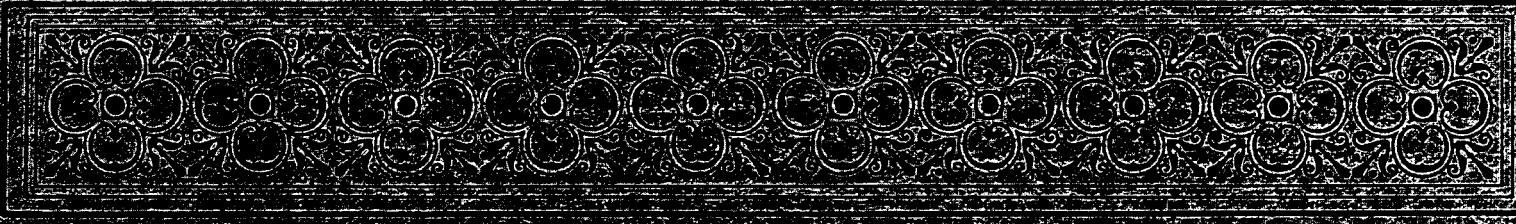


PLATE

II



٩٤٣٠٥٦٥
٤٣٩٧
٢٨

عبد الرحمن بن محمد
رئيس الوزراء السوري السابق

عبد الرحمن بن محمد
عبد الرحمن بن محمد

عبد

الدار المجددة للنشر
الطبعة الأولى: ١٩٨٠

الحمد لله

الى ارواح شهدائنا الأبرار، الذين ضحوا بحياتهم في سبيل أممتهم
وبلادهم، طيب الله مثواهم وسقى القيت ثراهم ويسر لنا اليسر على
هذهم.

حسن الختام

مفتي الديار المقدسة والقدس الشريف

مفتي الديار

للإمامة والقيادة

١٢ شارع قطر رعية - بيروت - لبنان
ص ١١/٨ - هاتف: ٣٦٨٠٠٠ - ٣٦٨٠٠١

الطبعة الأولى
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

فطره

ملوك

لما كان الأخ الكريم الأستاذ فوزت الملوك يعلم ما بقي ما بقي وبين الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من صداقة مؤثرة المرى ، واني اعرف عنه بحكم هذه الصداقة ما لا يعرفه غيري ، فقد اقترح علي وهو من محبيه وانصاره المعجيين به أن اصنع حياة الفقيه الكبير كتابا يكون نبراسا يهتدي به أبناء وطنه وسفرا يطالعون فيه مريز كفاحه ونضحياته في سبيل أمته وبلاده خصوصاً وقد مضى على وفاته أربعة وثلاثون عاما كاد الناس ينسون فيها صادق جهاده وعظيم شخصيته .

على أن الأستاذ الملوك لم يقترح علي القيام بهذا الواجب الا بعد ان يش من حشهم عليه وكان يرى أنهم أولى به كما علمت منه .

وفي الحق أن الزعيم الخالد كان أخي بالروح ، وزعمي في العمل الوطني ، وامامي الذي كنت أفتدي به في أداء الأمانة وتبليغ الرسالة ، فقد صحبته عشرين عاما وقتت خلالها على سيره وسيرته وحتى على سيرته .

نعم وقتت على سيره المليء بالجرية والنشاط سعيا وراء حرية بلاده التي علا صوته في الدفاع عنها وركب الاخطار في سبيلها ، وعلى سيرته العطرة التي امتازت بحكام الاخلاق وحيد الصفات والتي كان فيها رسول فضائل وداعية اصلاح ، وعلى سيرته النقية الطاهرة التي ترفعت عن الدنيا وانطوت على حب الخير لجميع الناس .

لذلك كم كان يسعدني بل ويشرفني أن اقوم بهذا العمل الوطني والواجب الأخوي عن حياة صديق حميم وزعيم كبير حافلة بجلائل الأعمال وعظيم

الدمر الى بحره، وكان يعتقد أنها على موعد مع المستقبل، وأنها مصممة على انجاز هذا الموعد رغم طول الشقة ووعورة الطريق. فصمم على القيام بواجبه نحوها، وعلى التجرد للالتزامات التي فرضتها عليه عقيدته فيها، فبذل ككل زعيم خلص اطماعه، ونذر هذه العقيدة نفسه، ولم يتخذ العمل في سبيلها تجارة أو لها).

وإذا كان هناك من يكيد له، ويسعى وراء تنكيس اعلامه، ويتأمر حقداء وحسداء على حياته، فإن المؤرخين الذين يكتبون سير عطاء الرجال هم وحدهم الذين يعرفون ما يكتبون عن الزعيم الخالد وأبي الأحرار المجاهد. نعم هؤلاء المؤرخون الذين يصفون الشهيد ويقولون عنه كيف كان زعيم شعب ومؤسس نهضة، وكثل فكرة، ورسول وحدة، ومقدد أمل. وكيف كان حقاً ابن قبيلة ومعلم جيله، ورحم الله من تمثله وهو يدخل الجنة وقال:

أقبل على الخلد مضفورا لك الفار واهنسا فانت احاديث واخبار
نم في الفسريخ أبا الأحرار في دعة تاريخك الضمخ للأجيال أسفار
طيب الله مثواه، وسقى الغيث ثراه، ويسر طله الأمة من يسر على خطاه.

هذا ولا يعني وأنا أختتم كلمتي هذه الا أن أقدم خلاص شكرني وامتناني الى السادة الأفاضل الأستاذ احمد فؤاد القضماني نقيب المحامين السابق، والأستاذ فوزت الملوك النائب السابق، والأستاذ نصوح باييل صاحب الأيام، وتيسر ظيان صاحب الجزيرة، والأستاذ رفيع حمدان صاحب مكتبة الشبي، والسيد سهام النرجان الوطني الصامت. على ما امدوني به في اعداد هذا الكتاب من معلومات وأبدوا من ملاحظات وقدموا من معونات.

والحمد لله أولاً وآخراً

حسن الحكيم

دمشق الأحد ١٥ شبان ١٣٩٤ / ١ أيلول ١٩٧٤

التفصيلات لولا أن تاريخه الضمخ يحتاج الى كتاب ضخم وهذا يحتاج الى الكثير من البحث والاستقصاء وجمع المعلومات الأمر الذي لم تعد صحي تقوى على احتماله خصوصاً وقد بلغت الثامنة والثمانين من العمر وأصبحت على شفا حفرة من القبر. بيد أن هذا لم يمنعني من وضع صفحة على الأقل من حياة فريد الوطن والعروبة بصحائف معدودة معها كلنفي الأمر وهذا ما فعلت وقد ضمنت هذه الصحائف:

موجز ترجمة حياة الزعيم.
ما كان يتحل به من صفات الرعاية.
منازج من مقالاته وخطبه وكلماته.
وصف الاستقبال الرائع الذي استقبله به الشعب السوري يوم عودته وانخراؤه الى الوطن بعد طول اغتراب.

موقف الزعيم من مشروع معاهدة ١٩٣٦ وذيولته وخلافه مع رجال الحكم بسببها. حادث اغتياله ومركب تشييع جثمانه وما قيل في حقله ثابته.

مرافعات اخوانه واصدقائه في محاكمة قتلته.

عماذا كان خصومه يتهمون به.

مقالاتي في جريدة الأيام الغراء في بعض سني ذكراه، بتمجيده، واطرائي فيها واسع علمه، وفصيح بيانه، وصالح كفاحه وجهاده، وما كان يتحل به من مناقب ومواهب، وحكمة وفضائل، وما تحمل في سبيل حرية بلاده من أذى واضطهاد، من نفي وسجن واغتراب، وما الى ذلك من عبقريه فذة وصفات نبيلة جعلت منه علماً من أعلام الأمة العربية ولا أكون مبالغاً إذا قلت انه يصعب على البلاد وألم الحق أن تنجب في مدى عشرات السنين شخصية مثل شخصيته.

ويسموني بهذه المناسبة أن أكرر هنا ما كنت كتبت عنه في الجزء الأول من مذكراتي:

(كان زعيماً يعمل للأجيال القادمة، لا سياسياً يعمل للانتخابات القادمة، وكان كبير الثقة بأهله، كبير الايمان بابعاضها اللامع الذي لا يتطلع

الشهيد

كان الشهيد رحمه الله

متمكناً من اللغة العربية تمكناً عزَّ على الشبيه والتضير في ذلك الزمان، حتى بين من كان مختصاً فيها ومنصرفاً إليها...
فلقد كان يخطب بها... ولعله كان أخطب الناس بها، وكان وهو يخطب آية من آيات البلاغة والسحر.

ظافر القاسمي

في كتابه (وثائق جديدة عن الثورة السورية)

وتتابعت الحفلات للزعيم... وأخذ يلقي في كل يوم خطاباً أو خطباً... جديدة الموضع... جديدة الألفاظ... حسبه وهو يتحدث... كانه يقرأ من كتاب.

أما في خطبه... فحسبه يجب من بحر لا ساحل له... التي أربعين خطاباً في واحد وعشرين يوماً متتابعات... فلم يخص عليه المحصون فيها كلها لجنة واحدة...
ولم يحددوا فكرة واحدة معادة...
ولا رأياً مكرراً

كان ذلك آية الله في خلقه

ولله في خلقه شؤون

فسيحان الذي علم بالقلم... علم الإنسان ما لم يعلم

الفتن

الغرفة للخدمة

بنية من حجارة الزمير

نبذة عن حياة المرحوم

هو ابن المرحوم السيد صالح الشهيندر، وعائلة الشهيندر عائلة عريقة مشهورة في سورية والعراق.

ولد تقديسه الله بوسع رحته في دمشق في ٢٢ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ / ٦ تشرين الثاني ١٨٧٩ م، وتلقى علومه الابتدائية في مدارس الحكومة فيها، ثم دخل الجامعة الأميركية في بيروت ونال عام ١٩٠١ شهادتها العلمية، وكان الخطيب السنوي للجمعية العلمية العربية، فالتقى في قاعة المدرسة خطاباً في (التقليد الاجتماعي والديني) حمل فيه على الجمرد بأنواعه جملة شعراء، وعاد إلى دمشق فانضم عضواً عاملاً إلى الحلقة الإصلاحية التي كان على رأسها العلامة الكبير المرحوم الشيخ طاهر الجزائري، وبناء على حدوث حوادث وتطورات علمية واجتماعية وسياسية آتت في البلاد، اقتيد المرحوم على أثرها إلى المحاكم بتهمة أنه أحد الذين اشتركوا في تأليف رسالة موضوعها (الفقه والتصوف) وبأنه أحد الذين كتبوا في المقطم في موضوع (خلافة السلطان عبد الحميد الثاني) ولكن صغر سنه انقذه يومئذ من السجن وربما من الموت.

وفي عام ١٩٠٢ عاد إلى الجامعة الأميركية وعكف على دراسة الطب مدة أربع سنوات، كان الأول في صفه في كل منها، وفي ختام هذه المدة أي في عام ١٩٠٦ نال شهادة ممتازة في الطب لم ينالها أحد قبله، وكان خطيب السنة أيضاً، فالتقى خطاباً علمياً صرفاً موضوعه (التساهل) حمل فيه على التعصب جملة عمالته لحملته على (التقليد) حتى أن الشهابيين الكريين عبد الوهاب الانكليزي وشكري العسلي قصداً خصيصاً إلى بيروت لسماع هذه الخطبة وقد أغرورقت أعينها بالدموع لتأثرهما بها، وللامتيازات التي نالها المرحوم من الجامعة وقد عينته

بعد معركة مسيلون التي اعقبت انذار الجنرال غورو واضطر الى مغادرة البلاد الى القاهرة، وعندما عاد الى دمشق في تموز ١٩٢١ اخذ في تنظيم الأعمال السياسية لمقاومة الاحتلال الفرنسي، ثم انتهاز فرصة زيارة المستر كراين لدمشق في أول نيسان عام ١٩٢٢ فأحدث بالاتفاق مع صديقيه الحميين حسان الحكيم وسعيد حيدر وغيرها من كرام الوطنين الحادثة المعروفة باسم (حادثة المستر كراين أو أول صرخة في البلاد ضد المستعمر الغاصب) والتي انتهت بالحكم عليهما وعلى بعض اخوانها بالاعتقال مددا تراوح بين الخمس سنوات والعشرين سنة وكانت العشرين من نصيب الدكتور الطليح والى نفهم بعد صدور الحكم الى بيت الدين ثم الى جزيرة أرواد حيث قضوا فيها وفي دمشق نحو تسعة عشر شهرا، ولما أعيدت حريتهم اليهم في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٣ شذ الرحوم الرجال الى أوروبا وأميركا، وقد اتيح له في هذه الرحلة ما لم يتيح لغيره من حادثة كبار الرجال في القضية العربية وهم الذين لا يعرفون بزعيم غيره لسورية، حتى ان حزب المحافظين في لندن دعاه الى حفلة في الوردست مستر ضمت كبار وزراء الائكيز وهناك التقى خطابا كان له اثره الطيب وصداه البعيد وقد نشرته الصحف الانجليزية في حينه، وكيف لا يكون لخطابه مثل هذا الأثر وهو سيد خطباء الشرق.

وفي تموز ١٩٢٤ عاد الرحوم الى دمشق، حيث ألف حزب الشعب وتولى تنظيم البلاد سياسيا، وما ان علم بما يعاني جبل الدروز من اعمال حاكمة الكابتن كاربييه حتى رأى في ذلك فرصة للقيام بثورة ضد العدو الغاصب، فاتفق في منزله سرا ويعزل عن الأحزاب الرسمية وغيرها مع ذوي الحل والعقد من زعماء وقادة الجبل على التعاون في العمل لانقاذ البلاد وتحريرها، وقد انصرف هؤلاء الزعماء الى اعداد معدات الثورة كما انصرف الدكتور الى تهيئة أسبابها بالتعاون مع صديقيه المذكورين وسائر اخوانه دون أن يحيط احدا علما بتحالفه مع زعماء الجبل خشية تسرب ذلك الى الفرنسيين.

وما أن اندلعت نار الثورة في الواحد والعشرين من شهر تموز ١٩٢٥ في الجبل حتى لقي وصديقه نداء الوطن والنحاحها، وقد بقي المرحوم ملازما لحركات الثورة في الجبل والغوطة الى ان ارغمت قوات العدو الكبيرة المجاهدين على

الجامعة آنذاك أستاذًا وطنيا لتلاميذها.

وفي عام ١٩٠٨ عاد الى دمشق واتصل بالرحوم الشيخ عبد الحميد الزهرراوي وبأحرار الترك إثر حدوث الانقلاب الشماني في تموز تلك السنة، وكان عاملا كبيرا في تأسيس الجمعيات العربية الحرة في دمشق، ولكن ما إن تبين له ان في برنامج الاتحاديين محاولة لتبريك العناصر حتى هب مع من هب من أحرار العرب بالرد عن حقوق العرب القومية، وكان لسان هؤلاء الأحرار المرحوم شكري العسلي صاحب الموقف الممتازة في مجلس النواب العثماني عام ١٩١١. ولما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى اراد العرب تناسي الماضي والتعاون مع الترك، ولكن الاتحاديين لم يقدروا ولم هذا الموقف النبيل فعمدوا الى سياسة البطش والتكيد بأحرارهم وكادت تعلق مشقة المرحوم لولا فواره من دمشق الى العراق ومنه الى الهند فمصر، وفي مصر أدى رحمه الله للقضية العربية خدمات تجل عن الوصف وحارب تصرفات جمال باشا السفاح وزير البحرية وقائد الجيش العثماني الرابع بحارة شديدة وبنتيجة مساعيه مع ستة من اخوانه السوريين قطعت بريطانيا لهم - بعدما قطعت للحسين بن علي من عهود - عهدا أطلق عليه (عهد السبعة) وهو يقضي بأن كل بلاد عربية يفتحها الجيش العربي تبقى عربية مستقلة، وقد نشر، الكولونيل لورنس المشهور هذا العهد في جريدة التايمز اللندنية عقب دخول الجيش العربي سورية.

وفي المرحوم وأخوانه كما وفي جميع العرب بتلك العهود ظنا منهم بأنها صادرة عن أمة تحترم كلامها، فهبوا جميعا لمساعدتها وتسهيل مهمتها، ولم يدري في خلد هم أن الانجليز سيحترون هذه العهود قصاصة ورق وانها خدعة لكسب الانصار فقط.

عاد المرحوم في نيسان عام ١٩١٩ الى دمشق وهيا مع اخوانه في مختلف الأحزاب الحملة الكاثية لإظهار البلاد امام اللجنة الاستثنائية الاميركية بالظهور الذي تشده من حرية صحفية واستقلال تام، ومنذ ذلك الحين انعقدت أوامر الصداقة بينه وبين المستر كراين رئيس اللجنة المذكورة.

وعندما تألفت في شهر ايار (مايو) سنة ١٩٢٠ وزارة السيد هاشم الأتاسي التي سميت ب (وزارة المفاخ) عهد الى المرحوم بوزارة الخارجية فيها، ولكن

والرعية، بناء الدولة وأصلح أنواع الحكم في العالم العربي . الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة، وغير ذلك من القضايا الهامة . وكان كتابه الثاني في السياسة الدولية مؤلفه دلز ل بورنس وقد نقله الزعيم الى العربية عندما كان في حجيرة في سجن أرواد ابي في سجن داخل السجن حجز فيه بسبب هتافه للحرية، وأسماء سلسلة السجون (حلقة الزنزان) وكان يوده رحمه الله ان يكمل هذه السلسلة بحلقات أخرى هي حلقات الابداء والاضطهاد والاستعباد والارهاب والاغلال .

هذا غيض من فيض من حياة الزعيم الخالد المغفور له الدكتور شهيدنا، اما ما كان يتحل به من علم واسع وعبقريته فذة ورجولة كاملة وغير ذلك من الصفات الممتازة التي يتحل بها عادة عظماء الرجال فقد أشار اليها صديقه الحميم السيد حسن الحكيم في المقالات التي نشرتها له جريدة الأيام الغراء بمناسبة ذكره السنوية :

أغلق الله على التقيد العالي شأنيب رحمة واسكنه فسيح جناته وجزاه عن أمته وبلاذ خير جزاء .

هذه هو الزعيم

سئل الرئيس لكونل رئيس الولايات المتحدة عن الفرق بين الزعيم والسياسي فقال: الزعيم هو الذي يعمل للأجيال القادمة، أما السياسي فهو الذي يعمل للانتخابات القادمة .

وعليه ما هي الصفات التي تستلزمها الزعامة والتي يجب ان تتوفر في الزعيم وتساعد على أداء رسالته يا ترى؟ والجواب في نظر المشتغلين في المسائل العامة هو:

أن يكون الزعيم صاحب وطنية صادقة وعقيدة راسخة وإخلاص لا حد له، يتمسك بعقيدته الوطنية تمسكاً بعقيدته الدينية المقدسة، وينذر نفسه لخدمة أمته وبلاذ ويقوم بالالتزامات التي يفرضها عليه الواجب، ويستطيع التصحية في سبيلها دون أن يرمي من وراء ذلك إلى أي مصلح ذاتي أو أن

الخروج منها والالتجاء الى المعاقل المنيع في الأزرق والصفاء والحياة، وذلك بعد معارك حامية وقائع تشبه لها الولدان، تكبد العدو فيها الفدح الحسان، وللم يترك مجال للحركات في الجبل والنفوطة غادر المرحوم مع سلطان باشا الأطرش قائد الثورة العام وبعض المجاهدين الجبل في أوائل شهر تشرين الأول ١٩٢٦ الى الأزرق، وفي تشرين الثاني ١٩٢٦ ذهب الى العراق وبعد مدة قصدا الى مصر واستقر فيها يعمل للقضية العربية بالتعاون مع اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ما استطاع للعمل سبيلا .

وبما ان السلطة الفرنسية كانت حكمت عليه وعلى صديقيه وغيرهم من الوطنيين بالاعدام بسبب اشتراكهم في الثورة فقد بقي وياهم يعبدن عن الوطن مدة اثني عشر عاماً، وعندما أعيدت اليهم حررتهم وعادوا الى البلاد يوم ١٤ أيار (مايو) ١٩٣٧ زحفت دمشق شيا وشيانا نساء وأطفالا لاستقباله مع أخوانه ذلك الاستقبال الرائع الذي قل ان شهدت البلاد مثله وأقامت له الزينات في كل حي من أحيائها تقديرا لجهاده وتضحياته في سبيل أمته وبلاده، وهناك ثابر المرحوم على خدمة وطنه بما عرف عنه من همة ونشاط الى ان امتدت اليه في ٦ تموز ١٩٤٠ تلك اليد الغادرة الأثيمة بالاعتقال وهو يقوم في عيادته بعمله الانساني المعتاد، وبذلك خسرت البلاد تلك الشخصية الفذة التي امتازت بعملها ووطنيتها وجهادها وسياستها، وهذا نرى من الانصاف ان نشير الى أنه كان يلقي رحمه الله في جميع حركاته تعظيما ومشاركة من حرمه الصغرى المرحومة السيدة سارة العظم التي تحملت معه كل ما تحمل من ضروب الأذى والاضطهاد والتي كنا نسميها ام السوريين اجزل الله ثوابها وعرضها الجنة .

ومن آثاره رحمه الله تلك المقالات القيمة - في القومية العربية والأدب والاجتماع - التي كان ينشرها في الصحف والمجلات المصرية وتلك الخطب الوطنية العديدة الرائعة التي كان يلقيها في الاجتماعات والاحتفالات بالاضافة الى مؤلفه القيم « القضايا الاجتماعية الكبرى » و « سلسلة السجون » الذي ترجمه في مثقله في أرواد والكتاب الأول مجموعة مقالات كتبها الزعيم في مجلة الفتى تناول فيها بعض القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي كالدين، والفن، والثالث المراء والرجل، مصير الاسرة الشرقية، الدولة والحكومة وكان كتابه الثاني المراء والرجل، مصير الاسرة الشرقية، الدولة والحكومة

النبيل والشرف.

أن يكون شديد النضال في سبيل ما يعتقد انه حق فلا تركه انتقادات مناهضيه ولا مقاومة معارضية، لا يثني عزيمه فشل ولا خيبة أمل ولا يجامر نفسه بأس أو قنوط، بذل في تضاله الصعاب ويقتحم العقبات ويتابع سيره إلى الأمام دون أن تذبذب له قناة ودون ان يقف في منتصف الطريق أو يرجع إلى الوراء وشعاره دائماً إما الموت وإما النجاح. وأن يكون فوق كل ذلك متصلياً في رأيه متى كان قانعاً بصحته وقادراً على الدفاع عنه وجذب الجمهور اليه.

هذه هي الصفات التي تحلى بها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وهي صفات حاكي بها زعماء عظاماً سبقوه: سعد زغلول والمهاجما غاندي.

يتخذ العمل لهما ولهما.

أن يكون عبقر يا فذا متفوقا على سائر مواطنيه بنوعه وسمو أخلاقه وتفكيره السليم وحنه القوية وعقليته الجبارة ورجولته المستكملة وقدرته الخطافية التي يستهوي بها النفوس بسحر بيانه، وما الى ذلك من صفات عالية تجعل الجمهور ينظر إليه وكأنه فوق البشر ومن طينة غير طينته.

أن يكون قابضاً على عنق القضية التي آمن بها وأخلص لها، ومسيطراً دائماً على الحركة فيها، لا يغمر في معالجتها شيئاً ويظهر شيئاً آخر إذ يعمل هذه الصراحة وحدها يثبت إخلاصه لمبدئه وثباته في أداء رسالته، ويضمن ثقة الناس به وتأيدهم له.

ان يذلل في سبيل غايته النبيلة المجردة كل عزيز وغال وكل ما يملك من قوة وعزم وحزم، وأن يستسهل فيها كل صعب ويتحمل كل اضطهاد، ولا حرم من الثابتين على ولائه القائلين بقوله ومكن خصومه من تدبير الحملات ضده.

أن يأخذ بنظر الاعتبار النزعة الروحية الطاهرة والتقاليد المقدسة في سواد الشعب فيحافظ عليها ويتبعد عن كل ما يؤذيها.

أن يكون واقعياً بعيداً عن الأفكار الخيالية والأحلام المجنحة، لا يهتم إلا بالوقائع الملموسة والحقائق المجولة.

أن لا يسبق الناس كثيراً ولا يقصر عنهم كثيراً خشية أن يقطع أراضر الصداقة معهم.

أن لا يتزل في أفكاره تنزلاً مفرطاً لاسترضاء النوعاء واستجلاب الادهاء خشية أن يعرض نفسه لاستحقاق أهل الحل والعقد. على أن هذا لا يمنع من أن يكبح جراح نفسه تحبباً لإحداث هوة بينه وبين سواد الشعب.

أن يكون وفوراً رزينا بعيد النظر عظيم الجراة نافذ الكلمة متجافياً عن بواعث الاثرة كثير الاعتزاز بلغته كبير الثقة بأمنه كبير الإيمان بباضيها المجيد وتراثها العظيم.

يأبى الكذب والمخادعة والتدجيل والمداينة وكل ما يخرج عن قواعد

الفصل العشرون

مع آتيل السهمبند والفكرية

سنة الفار الشهبندر الفارسية

يتندر عليّ أن أبت في هذا الكتاب جميع المقالات التي نشرها الزعيم في المصحف والمجلات، والخطب التي ألقاها في شتى المناسبات لا سيما الخطب التي كان يوجهها يوماً في الجفلات النكزية الكثيرة التي كانت تقام له ولاخوانه بدمشق بعد عودتهم إليها، فقد اكتفيت بإثبات بعض تلك المقالات القيمة والخطابات الساحرة مضافاً إليها بعض كلماته التي تنطق بإيمانه بدينه الحق، وما تنطوي عليه جوانحه من وطنية صادقة وإخلاص أكيد، والجدير بالذكر أن للزعيم الكبير ثمانية عشر مقالا كان نشرها في مجلة المقتطف التي كانت تصدر في مصر لصاحبها الدكتور يعقوب صروف عن (القضايا الاجتماعية الكبرى - في العالم العربي) ومواضيعها: المدنيّة، المرأة والرجل، مصير الأسرة الشرقية، الأسرة الشيوعية، الدولة والحكومة والرعية، بناء الدولة، معرض المذاهب السياسية، النهضة التركية الكمالية، وأصلح أشكال الحكم في العالم العربي، حاجتنا للتجانس، الوطنية، عوامل التجانس، العوامل المعنوية، وحدة الأمم، الرعاية وصفات الزعيم، الثورة، الدين والثقافة الحاضرة، أصل الشعور الديني، الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة.

وقد جمعها رحمه الله اختيراً في كتاب أسماه بهذا الاسم، كما أشرت الى ذلك في ترجمة حياة الزعيم.

صفحة تلويح - برية الثورة العربية

خاضت الدولة العثمانية غمار الحرب في شهر نوفمبر من سنة ١٩١٤ الكولونيل لورنس فامر اللورد كننغر بعثة الحدود الانكليزية، التي أمت شبة جزيرة سيناء في سنة ١٩١٣ ودرستها درسا حريا بحيلة البحث عن عاداتها، أن تسافر على جناح السرعة الى مصر ليستعان بمعلوماتها في ردّ ما يحتمل من غارات الترك على مصر. غير أن الجنرال (مكسول) أبرق من القاهرة يقول ان لا حاجة الى هذه البعثة فأجابه اللورد انها على طريقها الى مصر. ويذكر القراء أن لورنس هو من أعضائها فلما بلغ القاهرة انضم الى قسم الخرائط الحربية في دائرة الاستخبارات فظهرت مبراته. وكان عارفا ببعض المقاطعات في سورية والعراق ومطلعا على جغرافيتها أكثر من الضباط العثمانيين أنفسهم لأن اشتغاله بالجغريات في تلك الأصقاع زوده بالملاحظات القيمة.

وكانت الوظيفة التي شغلها في مصر ضابطا رئيسا - كابتن - في الاستخبارات العامة لدى المقر العام. فكان عليه أن يقدم التقارير الدورية للأركان الحربية عن مواقع الفرق والقطع المنتشرة في الجيش العثماني. وكان يجمع المعلومات من الجواسيس والأسرى، ومسح أنه كان من أنفع الضباط البريطانيين وخدماته من أثمن الخدمات إلا أنه لم يكن مقبولا عند رؤسائه كثيرا ولا مرغوبا فيه خصوصا عند من جاء منهم أخيرا من انكلترا. لأن هؤلاء الضباط الانكليز مثل أكثر الضباط في الأمم الأخرى لا يعتقدون أن الرجال الملكيين أثبتوا لورنس قادرون على البحث في الموضوعات العسكرية. وحدث شيء من الاضطراب مثلا لما قاطع لورنس قائدين اثنين من القواديجان عن تنقل بعض الجيش العثمانية فقال لها بلهجة جافة

المدينة، كما أشار الى ذلك الكولونيل (بوكان)، عملاً باتفاق سابق، قام على الرشوة. ولكن لورنس قال ان البريطاني (الرشوة) سيكون هنا عديم الجدوى وسيشجع العدو لأن القائد التركي خليل باشا هو من أقرباء أنور باشا وتزائن الدولة العثمانية مفتوحة أمامه فلا موجب لقلقه على المال. ومن الغريب أن القواد البريطانيين في العراق لم تسرههم هذه الفكرة وقال اثنان منهم للكاتبين لورنس إن مهمته غير شريفة ولا تليق بالجندي الباسل.

وما هو حري بالتدوين أن الجيش البريطاني الذي أغار على العراق كان تحت تصرف حكومة الهند ومع أن اللورد كيشنر - وهو القائد العام للقوى البريطانية - ذكر في أوائل الحرب زعيمين اثنين من زعماء الجمعيات السرية العراقية في أحداث تورد في الجيش العماني وإخراج الترك من العراق إلا أنه فُت في ساعده ولم يتوقف، ذلك لأن الحكومة الهندية كانت تخشى العرب لأنهم إذا غردوا لم تستطع فيما بعد إخضاعهم لسلطانها لأنهم يصرون حيتثا على استقلالهم ويدافعون عنه وهكذا فالمساعدة التي كان كيشنر مستعداً لتقديمها منعت والتمرد في الجيش العماني لم يحدث بل بالعكس سبق جيش لجب من الهند ليعمل منفرداً من غير مساعدة العرب فكانت النتيجة، كما قال المستر جريفز هلاكاً. وكان الهند والآنجليز في نظر العرب كالترك فاتحين غير مرغوب فيهم وكانوا هدفاً لغارات تشنها القبائل المحلية.

ولاح للمستر جريفز أن السبب الحقيقي الذي دعا لورنس الى قبول هذه المهمة هو السفر إلى العراق ليرى هل يسمح الموقف بتعاون البريطانيين والقبائل العربية على الفرات تعاوناً قائماً على خطة وطنية عربية. وهذه القبائل عرفها لورنس منذ عهد «كرشميش» وحفرياتها وكان يترجو أن يتصل بقبيلة (الرولا) وشيوخها (النوري الشمعان) في شمال بادية الشام لملء يقطع بالاشتراك معها خطوط المواصلات على الترك، وذلك بإقفال باب النقل على الهرشن الغارة على مفرزات المؤونة إلى أن يصبح الجيش التركي الذي يحاصر الكوت محصوراً هو نفسه. وكان في طاقة الكوت أن يقاوم الترك إلى أن يتمكن لورنس من تجهيزاته، لو تسرت طائرات أخرى ثمان تصب المؤونة على المدينة من عل، ولكنه وجد ذلك عبثاً لأن اغتصاب

« شرثرة وكلام فارغ، ان هذه الجيوش لا تستطيع قطع هذه المسافة في ضمني الزمن الذي قدرناه لها. فالطرق سيئة وليس ثمة تقالات محلية وعلاوة على ذلك فالضباط الذي يقودهم رجل كسلان». وللتبين يعرفون دقة الإنكليز وأدبهم في المعاملات الرسمية يقدرون سوء وقع هذا الكلام خصوصاً لصدوره من مرؤوس إلى رئيس. وما لوحظ عليه أسلوبه في الكتابة ففي النسخة الرابعة عشرة من كتاب المعلومات عن الجيش التركي يقول لورنس: «إن الجنرال عبد... قائد الفرقة... هو نصف إسرائيلي ومصاب بمرض السل وهو ضابط قدير وأخصائي في المدفعية إلا أنه خيبت سافل يقبل الرشوة» وكانت مثل هذه الملاحظات الشخصية غير مرغوب فيها، لأن الرأي السائد في الجيش البريطاني أن ضباط الخصم هم أهل شرف ويستحقون الاحرام.

وكانت القاهرة في سنة ١٩١٥ طافحة بالأمرء العسكريين من رتبة جنرال ولواء من غير عمل يعملونه سوى ارسال الرسائل للفضولية التي لا حاجة إليها والوقوف عثرة في طريق الأفراد القلائل الحاملين، حتى أصبحت الحالة مهينة من المهازل. هنا يظهر لورنس الضباط مكثراً عن نابه وراء ستار في فندق (سافوي) مع زميل شبيه به يعدان بصوت خافت «واحد، اثنين...» الى آخره وهو عدد من كانوا يجرون من القواد القادمين لخصوم مؤقر عقد لهم خاصة وأكد بعضهم أن لورنس عد في ذلك اليوم خمسة وستين جنراً منهم!

ومن المسائل التي تمم الشرقين معرفتها وتدل على أن الاشاعات القديمة عن تناول بعض الضباط العثمانيين الرشوة في ميدان الحرب من الاعداء لتسليم البلاد العثمانية هي اشاعات تركز على شيء من الحقيقة، حتى في أزمان متأخرة كالحرب العالمية، هو أن وزارة الحربية البريطانية اتبعت الكاتبين لورنس في أوائل سنة ١٩١٦ لهمة سرية خطيرة وهي الاتصال بالسلطة التركية التي كانت تحاصر الجزائر (توتزند) في كوت العمارة في العراق واستمالتها بالرشوة فلقد الحصار عن الجيوش البريطانية. والظاهر ان هذه الاظلة تعلمها الانكليز من سابقة حدثت في ارضروم، فان الروس احتلوا هذه

الأركان حرب قال لي: «كفى يا دكتور والله لأنتم من لدنهم ولم إخوانه من هؤلاء الاتحاديين السفاحين ما يروى الظمأ» وقد برّ يمينه والتحق بالجيش العربي فوصل ميناء الوجه في أوائل سنة ١٩١٧ وحارب في الثورة العربية حرب الرجال كما حارب زملاؤه مولود مخلص ورأس سرمدست ونوري السعيد وغيرهم من أبطال الضباط السوريين والعراقيين.

وقد سرتنا على هذه الحطة في تنوير أذهان الأسرى من العرب حتى تمكنا من اكتساب العدد المديد منهم وحلهم على التطوع في الجيش العربي الذي، ولكن جهونا كانت كلما أوشكت ان تثر اصابتها صدمة عتيفة من رجال العسكرية البريطانية كادت تذهب بها. فكان كل تنسجيع يأتي من الكتيب العربي في فندق سافوي يقابله الكولونيل (سمسن) في المسكر في المعادي بالقاهرة ووضعت العراقيل ومع ذلك فقد كان نجاحنا في سوق الأفراد للانخراط في الجيش في الوجه ورايح والعقبة باهرا بالرغم من كل هذه المغامرات لان معظم الأسرى ايقنوا أن مظالم السفاح احمد جلال باشا ومن شجعه على السياسة التي سلكها في بلاد العرب لا يجوز السكوت عنها الا اذا كانت الأمة العربية قد استكانت للظلم، استكانتها لاذل أنواع الاستعمار. وانفذناك الآتية الماخوذة عما كتبه المستر روبرت جريفز تحيط للثام عن سر هذا التناقض في السياسة البريطانية.

كانت الأحوال بعد عودة لورنس من العراق واستسلام الجبرال تونزند في كوت العمارة لتنتقل من سيء الى أسوأ، أما المندوب السامي البريطاني الذي قطع للشريف حسين عهدا باسم وزارة الخارجية البريطانية فقد وقع في حيص بيص، ذلك لأن القائد العام للقوى البريطانية في مصر لم يكن يتلقى أوامره الا من وزارة الحربية فقط ولم يكن مؤمنا بالثورة العربية ولا يظهر له ان يبدل المال والرجال والسلاح في سبيلها، وكانت القاعدة التي تقس عليها الا يكون هناك «معرض صغير» عربي الى جانب «المرض الكبير» البريطاني منعنا من تحويل الانظار والجهود الى الميادين التي ليس لها قيمة كبيرة في نظره، وحصرها في الميدان الأكبر على جهة فلسطين. وربما كره هذا القائد ان يتدخل المندوب السامي وهو رجل ملكي في الشؤون العسكرية

العراق كما يقول المستر جريفز من غير مساعدة العرب وجعله جزءا من الامبراطورية البريطانية كان «سياسة ثابتة لا تتزلزل». ويكاد الانكليز يفضلون اخلاء البلاد للترك على الاعتراف للعرب بأنهم قوة سياسية. وانتهى الأمر بأن خابت آمال لورنس فلم يعمل ما جاء لتدبيره.

تناقض السياسة ومن المسائل التي استعصت علينا كثيرا في ابان الثورة العربية ولم نفهمها تعليلا مقبولا ما كنا نراه من البريطانيين في شأن نهضتنا القومية من التشجيع والتبسيط في آن واحد، حتى خلنا ان ذلك سياسة مقصودة الى غاية غايمة لا يعلمها الا الراسخون في العلم. وانني اضرب على ذلك مثلا ما جرى لي بنفسى فاني لم أغادر سورية حتى صار من قواعد ايجان وايجان اخواني ان نحارب احمد جلال باشا السفاح واعوانه بكل جراحة من جوارحنا فلما اتصلت بمسكر الأسرى العرب في المعادي بالقرب من القاهرة اتخذت على عاتقي أن أثبت فيهم روح القومية بما كنت أقرأ عليهم من الدروس خصوصا اخبار الجرائم التي اجترمت في بلادهم والشائعات التي نصبت لرعيائهم وكانت غايي أن أجمع منهم نواة لتأليف جيش نظامي يكون عدة للبلاد في نهضتها وسندا لها في محنتها، حتى اني تمكنت بهذه الطريقة من اقناع قائد باسل هو جعفر باشا العسكري: فقد كان ضابطا في الجيش العماني وابل بلاء حسنا في عاربة الانكليز وقد انتدبه أنور باشا لتنظيم القبائل السنوسية في الصحراء الليبية فسافر في غواصة المانية ونظم هذه القبائل حتى تمكن من اقلاق الانكليز على حدود الاسكندرية ولكنهم قبضوا عليه أخيرا وسجنوه في قلعة (محمد علي) حيث حاول الفرار في إحدى الليالي بأن تدلى على حبل من النافذة فانصدم به فسقط على الأرض فكسرت ساقه ثم نقل الى المستشفى في المعادي فاتيحت لي مقابلته لأول مرة فرايته متحمسا للاتحاديين من غير أن يدري ماذا كانوا يعملون في البلاد ما اضطرني الى اطلاعه على الوقائع مطولا وقدمت له نسخة من «جريدة الشرق» وفيها أسماء الشهداء الذين اعدموا في الرتل الثاني في بيروت ودمشق في اليوم السادس من مايو (أيار) سنة ١٩١٦ فأظهر دهشة عظيمة ولا وصل الى اسم صديقه الشهيد العربي سليم بك الجزائري وهو من كبار الضباط

الأجوبة الجادة النتيجة المطلوبة، وفقر الخلاص من لورانس وذلك ببقائه من دائرة الاستخبارات إلى المكتب العربي.

وفي أوائل أكتوبر من سنة ١٩١٦ سافر لورنس إلى جدة حيث التقى بسمو الأمير عبد الله ومن هناك طلب الأمير فيصل فالتقى به - لأول مرة - في وادي الصغراء على طريق المدينة وهناك ما كتبه عنه في كتابه «ثورة في الصحراء».

«وعلى الجانب الأبعد من ساحة الدار الداخلية... وقف شيخ أبيض ينتظري بلهفة وشرق. ولما وقعت عيني عليه شعرت بالرضيم الذي يستطيع ترويح الثورة العربية بأكليل الظفر. وظهر لي، وهو بكسائه الطريبي الأبيض وكوفيته المقودة بقال ذهبي قزمي لامع، طويلاً جداً كالعمود ونحيفاً للغاية وكانت عيانه الدائبان وحليته السوداء ووجهه الشاحب أشبه بالقناع مسدولاً على جسمه اللبنة انتباهاً ساكناً عجيباً وكان متكئاً ويداه على خنجره. فسألني: هل أحيت مكاننا هنا في وادي الصغراء؟ فأجبته: «نعم، ولكنك بعيد عن دمشق الشام».

وكان مع الأمير فيصل نحو ثمانية آلاف مقاتل منهم ثمانمائة من (الحنابلة)، فالتقى عليهم لورنس نظرة وحادث الأمير في الشؤون الحربية ووعده بارسال السلاح والعتاد والمال، ثم ودعه وسافر إلى الخرطوم حيث اجتمع بوزنجت باشا المندوب السامي البريطاني الجديد فقص عليه من أخبار الثورة العربية ما فرحه، وهو رجل من المؤمنين بهذه الثورة كما يقول لورنس.

وصل لورنس إلى القاهرة فتداول مع زملائه في الشؤون المستجدة ظهور خطته واحتمال هجوم الترك على مكة، ودارت المسألة حول ارسال لواء من الجنود الحلفاء إلى تلك الاصفاع، فانكشفت الرغبة في هذه الدائرة عن صريح السياسة الفرنسية وزال القناع لأن الكولونل برونون أصر كثيراً على تنفيذ هذه الخطة، وكان قد قدم السورس بدفعية ورشاشات وخيالة ومشاة وكلهم من الجنود المسلمين الجزائريين بقيادة ضباط فرنسيين وكانت الغاية من مجيئهم اغراء البريطانيين. وكادت تتم الخطة، فيتخذ قراراً بارسال جنود بريطانيين مع حلفائهم الفرنسيين وعلى رأسهم برونون إلى ميناء رايغ، ولكن لورنس حال دون ذلك فقدم تقريراً شديداً للمهجة إلى المقر العام قال فيه ان

وهكذا نرى فيصلاً واقعاً على أبواب المدينة ينتظر بلهفة وعلح المدافع وضربها من المعاد الذي وعد به وهو خالي الوفاض. أما النجدة المصرية التي جاءته إلى رايغ فلم يستجد بعد وصولها شيء يستحق الذكر، ولا ح للناس أن الثورة العربية ماتت في المهدي ورأى كثير من ضباط أركان الحربية البريطانية في القاهرة في جميع ذلك سخرة بالندوب السامي وفتحوا فرجاً، بأن يجردوا الحسنيين نفسه عاجلاً على مشقة الاتحاديين. وهم كجنود بسطاء كانوا يشعرون في نظريهم إلى الترك بعطف الزميل على الزميل فلم يكن في مقدورهم أن يروا الفاجعة والعار في المسلك الذي سلكوه. وزاد في اللين بله أن البعثة الفرنسية العسكرية كانت تدس الدسائس على الحسنيين بن علي في جدة ومكة فتعرض عليه وهو في ضيق وفي ضجر تحطفا حربية لو قت جعلت القضية العربية مهزلة في جميع أنظار المسلمين ولقضت عليها قضاء مبرماً.

أما لورنس فقد اشتد عليه كابوس الأمراء العسكريين ورأى ان انكشاف صحبته للثورة العربية والزامه جانبها سيحده عن المقام الذي يخدمها منه، فعزم على الابتعاد وطلب راحة عشرة أيام ولكن طلبه هذا رد فشرع في خطة عملية مبتكرة وهي أن يجعل نفسه مكروها لدى هيئة أركان الحرب وثقبلاً عليهم فأخذ يقرص الضباط، اللذين هم أعلى منه مرتبة، بقرارص التصلحيات البسيطة في النحو والجغرافيا والمعادات الشرقية وما إلى ذلك من الملاحظات التي تظهر جهلهم. فمن ذلك أن رئيس الأركان حرب طلبه إلى الهاتف (التلفون) وسأله أين موقع الفرقة الحادية والأربعين التركية الآن؟ فأجابه «أنها في المحل الفلاني بجانب مدينة حلب وهي مؤلفة من ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ وهؤلاء تازلون بالقرية الفلانية والقرية الفلانية والقرية الفلانية» فسأله الضابط: «هل هذه القرى مبنية على الخريطة؟» لورنس: «نعم» الضابط: «هل ينتمونها على قائمة التفتلات بعد؟» لورنس: «كلا». الضابط: «ولماذا؟» لورنس: «لأن الأفضل أن تبقى في رأيي: أن أنكسر من مراجعة هذه المعلومات». الضابط: «نعم، ولكن لا يمكنك أن ترسل رأسك إلى مدينة الاسماعيلية في كل حين» لورنس: «أخفى من صميم الفؤاد لو أنكسر» وهنا قطع المخابرات. وقد انتهت هذه

جميعا خاضعين للقيادة العامة عن محبة وخير، وقد رتبوا سلاحهم ترتيبا كافيا وان لم هم بزيته، واعتبرا بأباليهم اعتناء مناسباً، ولم يكونوا خطرين اذا ما حاربوا وهم جمهور مجتمع، والواقع ان قيمتهم الحربية تتناقص بازدياد عددهم، فورمة او (بلوك) من الجند التركي المدرّب تغلب الف عرب في المراء، في حين ان ثلاثة أو أربعة من العرب اذا اقاموا في آكامهم استطاعوا إيقاف العدد الزايف من الترك نسبة.

وكان بين الضباط البريطانيين، الذين لازموا فصلا لتقديم المشورة الحربية، التحول بعد القائد (فيكري)، وقد حدث بين هذا الرجل المشائم، وبين لورنس الفاعل بالنجاح اختلاف شديد، فظهر تحيز لورنس للعرب بجلاء في البحث الذي دار بينهما عن تقدم العرب الى ميناء (الوجه)، حتى قال جريز لم يكن هذا الاختلاف بين ضابطين بريطانيين اثنين قد اختلفا في الرأي بل بين مستشار بريطاني حربي من جهة، وعربي أشقر اللون من جهة أخرى، ومع أن هذا التحول في شخصية لورنس لم يكن قد تحلى له بعد الا انه كان يجري في عروقه.

وقد أحدث احتلال (الوجه) انقلابا فكريا في البريطانيين في مصر، فادركوا قيمة الثورة العربية، وعرف القائد البريطاني العام ان الجنود الترك الذين يجاربون العرب يربون على الجنود الذين يجاربونه، فوعده بالعائد والسلاح والمال. وكان من الزم الضروريات للعرب مدافع الجبل لأن مدافع الترك كانت تفضل مدافعهم كثيرا، ولكن الجيش البريطاني لم يكن في حوزته منها ما يستغني عنه أما صاحبنا الكولونل الفرنسي فكان عنده في السريس تلك المدافع الجبلية التي أشربا اليها سابقا وهي من أرقى الأنواع الا انه اشترط لارسالها الى الحجاز تسير حلة من الحلفاء لتحول دون تقدم العرب الى الشمال كما تقدم. ومن حسن الحظ ان أقبل هذا الكولونل فصل حمله رجل آخر، أدرك ضرورة السماح بهذه المدافع للعرب. فكان لها تأثير شديد في المعارك. على أن بقاء هذه المدافع مرمية في السريس سنة كاملة لفت أنظار كل ضابط غربي مر من تلك الجهة الى المداء الذي أضمره الفرنسيون للثورة العربية.

القبائل العربية قادرة على الدفاع عن الآكام بين المدينة ورايح اذا هي تحفت بالمدافع والنصائح ولكنها على التحقيق تنفض الى خيامها اذا علمت بزول الأجانب بلاد العرب. وما قاله عن الكولونل الفرنسي أن له غايات خاصة في طلبه نزول الأجانب الى البر لا تتعلق بالخطط الحربية، وانه رجل بدس الدسائس على الشريف وعلى الانكليز في آن واحد وقدم البيته على هذه التهم. اما القائد البريطاني العام فقد سر كثيرا بهذا التقرير لأنه يتفق مع غايته من الابتعاد عن «المعارض الضعيفة» الجانية التي أشربا اليها. وانتهت المسألة في مصلحة العرب بارسال سلاح ومال وضباط الى الجيش في رايح وتعيين لورنس مستشارا حريا للأمر فيصل. وكانت غاية بركون من الحملة أن يحول الفرنسيون والانكليز دون تقدم العرب الى الشمال وما قاله (مقي) أصبحت مكة في حوز حريز من حملات الترك فلا يجوز تشجيع العرب على الاستمرار في الحرب، وهي حرب في طاقة الحلفاء أن يديروها وأولى من العرب بما لا يقاس) وقد استكشف لورنس الحملة. وحدث ان الكولونل الفرنسي كان يجشى ان الثورة العربية اذا امتدت الى دمشق فحلب فالوصل استطاع العرب انقاذ هذه المدن من الترك واحتفاظها لأنفسهم بعد الحرب وهي مدن كما يقول حريصة فرنسا أن تفسها الى امبراطوريتها الاستعمارية. ومن الغريب أن يبقى لورنس حتى تلك الساعة جاهلا اتفاق سيكس - بيكو الذي ينص على وضع هذه المدن في منطقة النفوذ الفرنسي. وعلى كل حال فالكولونل الفرنسي لا سمح بعزم فيصل ولورنس على السير في خطة الهجوم على ميناء (الوجه) لم يدخر وسعا في تشييط عزيمتها وأقسم بشرفه العسكري ان مثل هذه الهجوم انتحار، ولكن لورنس ضرب بكلامه عرض الحائط لاعتقاده أن الفرصة سانحة الآن وان (الوجه) هي الخطوة الأولى.

لا استعرض لورنس المجاهدين العرب في ميناء (بنيج) وعددهم نحو ستة آلاف في رأس سنة ١٩١٧، ذكر عنهم أمورا تنطبق كثيرا على ما شاهدناه في الثورة السورية فمن ذلك قوله انهم كلما ابتعدوا عن منازلهم ازدادوا نظاما ودرية، وكانت كل جماعة منهم تعمل مستقلة، على قاعدة القبائل، ولكنهم كانوا

ملاحظات
لورانس

واستأثر تعجبهم كثيرا.

وفي شهر شباط من سنة ١٩١٧ تعرّف بيدوي من « الحريطات » من عودة فخذ اسمه « أبو تايه » وهذا البدوي هو المرحوم الشيخ عودة وقد قص علي أبو تايه المجاهدون القمصن العجيبة عن أعماله وبطولاته وأجمعوا على أنه اشتهر في قومه بالتوفيق أو « حسن الطالع » حتى قالوا انه على قلته في المال والرجال ماقط غزا الا وعاد رايحا يتعثر بأثواب الكسب. وقال عنه لورنس انه اعظم مقاتل في شمال الجزيرة العربية ويعقد أواصر الصداقة معه، صار اكساب القبائل النازلة بين العقبة ومعان قاب قوسين أو أدنى.

ومند ما اجتمع لورنس وعودة لأول مرة تخايبا، لأن لورنس كان معجبا منذ حداثة سنه بالفروسية وهذه الفروسية هي ما نقلهممهم الصليبيون من بلاد العرب الى الغرب في القرون الوسطى، وهي تبتت في الصحراء عادة، ولا تزال ماثلة للناظرين بين البدو في الجزيرة وتبعد ذكر عترة وجيلة وعيون ليل وحروب الجاهلية. ويدلنا على اعجاب لورنس بالفروسية انه قال وهو لا يزال تلميذا في اكسفورد ان الدنيا بلغت اجلها في سنة ١٥٠٠ فقد لغمها البارود وهدمها الطليح الرخيص.

وجرى ذات يوم ان الناس وهم في حفرة الأمير فيصل ينتظرون طعام العشاء اذ سمعوا طقطقة خارج الخيمة، فخرجوا فاذا هم بعودة يكسر اسنانه الصناعية بحجر ثقيل، فسألوه ما الداعي الى ذلك فقال انه نسي أن هذه الاسنان الصناعية قد عملها له أحد جمال باشا السفاح وانه يكره أن يأكل زاد فيصل بأسنان جال. وبقي عودة بسبب تكسير الاسنان شهريين كاملين على السوائل من غير مضغ الى أن عمل له « الحلقاء » أسنانا جديدة انكليزية بواسطة طبيب خاص أرسل هذه الغاية من مصر.

وأقيمت في سنة ١٩٢٠ حفلة تعارف في شرق الأردن حضرها الأعيان المحليون والسير هريرت صموئيل المدرب البريطاني في فلسطين، فالتفت السير هريرت الى الشيخ عودة وقال له « هل أنت مسرور باطل الذي آلت اليه الامراطورية العثمانية، والا تظن أن عهد مسلم مديد قد ذر قرنه على الشرق؟ » فأجابه عودة بشدة واندفاع « أي مسلم ما دام الفرنسيون في سورية

وبينا كانت أخبار الانتصار في الوجه لا تزال تدور على الألسنة، زار الكولونيل الفرنسي لورنس في القاهرة ليهنته، وما قاله ان هذه الانتصارات حققت له ظنه في مقدرة لورنس الحربية وقوت امه بالحصول على المساعدة لتوسيع دائرة النجاح، وهو يرجو ان يحل العقبة بقوة انكليزية - فرنسية يؤيدها الاسطول. ولكن لورنس قال ان هذه الخطة يحكم عليها بالفشل فالعقبة وان كان في الامكان احتلالها الا ان جبال الحجب من ورائها تكون حصينا حصينا للترك يحتلونها فيمنعون اختراقها. وخير ما يعمل ان يتترك البدو ليقصموها من الوراء من غير مساعدة بحرية.

كانت غاية الكولونيل الفرنسي وضع هذه القوة الفرنسية الانكليزية حائللا دون تقدم العرب الى الشام، لتخور قواهم في الجزيرة العربية في الحرب على أبواب المدينة. أما لورنس فهذه دمشق وما وراءها. وكان كل منها عالما بما يتويبه الاخر ولكنه لا يستطيع الافصاح. وأخيرا قال الكولونيل بشيء من التهور انه ذاهب الى الوجه للقاء فيصل ولكن لورنس سبقه ليوضح دسائسه. وأول ما عمله الغضايط الفرنسي ان أهدي الأمير فيصل ستة مدافع من الجنس (الارتوماتيك)، بيد أن الأمير ذكره بالمدافع الجبلية الموجودة في السويس وأصر على طلبها، فصرفه الكولونيل عنها بقوله ان لا فائدة من المدافع في الجزيرة العربية، وعلى العرب ان يتسلقوا كما يتسلق الماعز لتدمير السكة الحديدية الحجازية. فامتعض فيصل من كلمة « ماعز » وسأله هل جُرب في حياته التسلق كالاعز من قبل؟. ولا ذكر الكولونيل العقبة واحتلالها اجابه الأمير ان من الشطط تكليف انكلترا مثل تلك الحساتر الجسيمة لتحقيق هذا الاحتلال. وكان لورنس جالسا في الغرفة ففضح ضحكة صفراوية قمل من الكولونيل وجلته على تكليف الأمير بصراحة ان يطلب الى الانكليز ان يرسلوا له على أقل تقدير السيارات المصفحة الموجودة في السويس، ففضح لورنس ثانية وقال ان هذه السيارات على طريقها الى الوجه الآن. وعاد لورنس الى القاهرة وصرف نظر القائد البريطاني العام عن الخجلة الى العقبة وبين له غايات الكولونيل من « مناورة ». وبعد أيام عاد الى الوجه حيث أخذ يعوّذ نفسه الاخيشيان وشطف العيش، فكان يشي حافيا على صخور المرحان المسنة وعلى الرمال المحرقة، مما لفت نظر البدو

فيستد بع الحس ابن

رأى صديق لي، في الاسكندرية في مساء الجمعة الواقع في اليوم الثامن من ايلول (سبتمبر) الماضي، والجزع آخذ مي مأخذه للنبا المفاجيء الذي انتشر في الثغر يعني فيصل بن الحسين، فانخذ يعزيني قائلا هون عليك فالراحل سيعرف الناس فضله بعد عاته ، ولكن كلامه هذا وما فيه من الاشارة الى الدعايات الباطلة التي كانت تثار على الراحل العظيم زاد في جزعي وفي آلي، لانني اعتقد انها طعنة في صميم الرجل ألا يعرف الناس فضله إلا بعد عاته ، وأن الطموح المبني فقط على التقدير بعد الموت هو طموح مقعد وأن صاحبه عي في القول، كل في العمل، تنقصه الكياسة والحكمة والنجاعة . ولكن فيصلا لم يكن من هذا النوع من الرجال فقد شق طريقه الى المجد في صخر من العداوات الجنسية والدعايات الوهمية والعقبات الاستعمارية، حتى رأى نفسه على قمة قضية سيكون لها في تاريخ العالم الحديث أخطر الآثار، وما زال يعلو وينسط حتى أصبح الذين كانوا يلاون الصحف بتسويد صحيفته يجثرون أطول المقالات في التثني بياض جبينه الناصع .

هذا هو فيصل بن الحسين الذي نغاه الناعون بسكينة قليلة في مدينة (برن) من سويسرا في الصباح المبكر من ذلك اليوم المشؤوم . فكان لبيتهم هذا صدى يتراجع أنيه بين شواطئ المحيطين - المحيط الهندي والمحيط الاطلسي - ذلك لأن في تلك الأصغاع الترابية الأطراف اما متعينة تنظر اليه وإلى الأفاذ من أمثاله (نظر العروقي الى الساحل) وليس في قصدي أن أتناول بالبحث حياته الواسعة فأحصوها في بضغ صفحات لأنه من الظلم الفاحش الذي تابه الطباع الحرة أن يحصر المرء الأسد المصمور في السجن

والاكتل في العراق واليهود في فلسطين؟ « وكان الترحمان بينهما الورنس، فكان يقل الكلام بنفس الروح التي دفعت عودة الى الكلام، لأن الحلية من غدر الحلفاء بالعرب كانت متشابهة في القلبن وناطقة باللسانين . ويشهد حل هذا الغدر جميع الذين اشتروا في الثورة العربية من طنوا أن للحلفاء عهدا مؤولة ينفذونها، وإيمان لا يجثون بها .

عبد الرحمن الشهبندر

مجلة الفتى

١٩٣١ ابريل

مع احد الموظفين السابقين في إحدى الدول العربية على وثائق انكليزية سرية تشير الى هذا الأمر وتشرح زيارة سمو الأمير عبد الله الى القاهرة قبل الحرب ، والأسباب الداعية الى هذه الزيارة وما جرى فيها من الأحاديث . فهل كان في الامكان يا ترى ظهور هذا الطموح على مساح السياسة العملية لولا تلك النزعة الطورانية المنيئة التي ظهرت في الترك من بعد الانقلاب في سنة ١٩٠٨ . ولو لم يجد هذا الطموح من اضطهاد الترك للقومية العربية منها وحافزاً لما استطاع ان يجد الانتصار الكافئ لبروزه الى حيز الوجود، وقد ذكر الحسين بن علي، في المنشور الذي أعلن فيه الثورة العربية في حزيران (يونيه) من سنة ١٩١٦، ان في مقدمة الأسباب التي حملته على الانتفاض المئات الغالية التي نضيتها جمال باشا في سورية .

تم لا أعلنت الحرب العالمية عدتها الاتحاديون فرصة سانحة لتطيق مهامهم السياسية ، فكشروا عن أنيابهم وماجونا مهاجمة عنيفة في عقر دارنا، مهدوا لها السبيل بالدعايات التي تجوز على أهل العقائد الوهمية . حيثئذ اتخذ الطموح في البيت الهاشمي وجهة قومية صريحة لا موارد فيها . فطموح البيت الهاشمي والنظام الاتحادية تحلل لنا الجو الذي نشأ فيه الملك الراحل . وقد تجلت على أتم مظاهرها يوم قابلت الملك الفقيد في بيت المرحوم عطا باشا البكري في دمشق الشام في صيف ١٩١٥ . ويجب أن تكون هذه المقابلة قد قتت عقيب أول رسالة دارت بين الحسين بن علي وبين السير هنري مكماهون للاتفاق بين بريطانيا والعرب وتاريخها شهر تموز - يوليو سنة ١٩١٥ . ودار الحديث بيننا حول القضية العربية ومطالب الاتحاديين والعلاج الثاني من تلك الأوصاب . وقد بدت لجميع من اختلوا به من العاملين روح الثورة على وجهه . ولكن الضغط يومئذ كان يتطلب منتهي الحذر في التكلمين ولستمعين ولأن أقل بادرة تبدر من المرء تكفي لجره الى المشقة ، وقد أثار الى هذه الاجتماعات في خطاب القاه في دمشق بعد عودته من مؤتمر الصلح بقوله (قام والذي بهذه الثورة بعد أن أتيت الى سورية وواجهت بعض الرجال ، وعلمت من محيبي الى دمشق ان الأفكار السورية بأجمعها متجهة نحو الاستقلال) . هذه نبذة مختصرة تدلنا كيف نشأت في نفسه الميول الثورية وتدرجت تدريجاً عملياً . فلنستاهل كيف

الضيق ، وإنما أريد أن أكتب عنه من الشذرات ما يلقي نورا على دحيته خصوصاً ما عرفته منها بنفسي . والآثار الصحيحة ولر كانت قليلة ومبعثرة تدل المقيين على البناء الشامخ الذي يشدونه بين الانتفاض .

تفسر لنا البيئة التي نشأ فيها معظم خصاله خير تفسير . فالبدوة التي قضى في أحضانها شطراً من صغره تعمل لنا البساطة التي لازمه من خندق الثورة حتى عرش الملك، والتي كانت مثار الإعجاب به . لأن بساطة العظيم ضرب من العظمة لا تتضمنه من احتقار الدنيا ، والذين تنقصهم العظمة الحقة يعللونها عادة في الأهبة والبدئية ، فقد ولد الملك الراحل في مكة في سنة ١٨٨٣ ، وفي نحو السادسة من عمره أرسل الى قرية (رحاب) بالقرب من (الطائف) حيث قضى ست سنوات يتخلق بأخلاق البدو من شغل عيش ومواجهة طبيعة ومقارعة الانسان ، وفي الثانية عشرة من عمره سافر الى (الاستانة) مع والده ، فاقبل هناك بالطلقات العظيمة التركية وتلقى العلوم على أساتذة خصوصيين . وظل فيها الى أن رأى بعينه الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ ، والحلمة الشواء المفرضة التي حملها بعض فتيان الترك على المواطنين العرب في العهد الحميدي ، ومن أهم ما نعي به ان نحيط بالروح التي كانت متجلية في البيت الذي ترعرع فيه لأن الانماط التي ينطق بها الأبناء في أحاديثهم البتية متى كانت صادرة عن عقيدة في النفس تترك أثرها في الأبناء معها كانت طباعهم . وقد أتيح لي في الأشهر التي أعقبت الانقلاب العثماني أن أطلع بصورة خاصة على نزعة رب البيت الهاشمي الشريف حسين بن علي وولد الفقيد . فقد كنت في الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في سوريا ، وكان معنا من الأعضاء المرحوم عبد الرحمن باشا اليوسفي أمير الحج ، فلما جاءنا الخبر من المركز العام في سلاطيك بأن البنية متجهة الى نقل الشريف حسين باشا من مجلس الشورى في الاستانة الى مكة ليكون شريفاً على الحجاز، حمل الباشا اليوسفي عليه حملة منكورة فذكر طموحه الذي لا حد له ، وما قاله إني لأخشى إذا صار اليه الأمر ان يسلم الحجاز عن المملكة العثمانية وتصاب خلافة آل عثمان في الصميم . ودلت الحوادث التي أعقبت هذا الكلام على شيء من هذا الطموح ، فقد عثرت

وبرقة أبر خدمة، إلى أن وقع أسيراً بيد الإنكليز على حدود السلوم فسجن في قلعة (محمد علي) في القاهرة حيث حاول الفرار من النافذة لأجل العودة إلى اللتال، إلا أنه سقط فكسر بعض أطرافه فنقل إلى مستشفى الأسرى في (المعادي). هناك أتيح لي أن أراه فأطلعه على جرائم أحد باشا وزبانيته وكيف شق النخبة المنتخبة من الرجال في اليوم السادس من مايو (أيار) سنة ١٩١٦. فتحول جعفر باشا هذه الأنباء فجأة، وأقسم بشرفه العسكري أن يتقم لإخوانه الشهداء وفي مقدمتهم سليم بك الجزائري، وقد بر يمينه. وبعد حين كان بين القواد البارزين في الجيش العربي الشمالي. ففي هذا الجبر الشخصي البسيط ما يكمل أفواه الذين قالوا إن الجيش العربي مجموعة أفراد من المرتزقة.

وفي هذا الجيش، وما لا بد فيه من الاختبارات المتبعة، والحاجات الشديدة إلى المزايا العامة تكاملت خصمال الراحل الكريم وانجلى نواحيه فكان القائد البارز الذي لم يفكر أحد في منافسته تفكيراً جدياً، وإن حدثت شبه حادثة من هذا النوع فلا يؤبه لها، ويرجع إلى هذا الجيش الفضل الأكبر في تخفيف الظالم الاتحادية في سورية، وإخراج طائفة الاتحاديين من تلك الانحاء وتطهيرها من زبانيته وعماله. لا جرم أنه لما دخل الشام استقبله أهل البلاد استقبال المغنم وعذره منحة من السباه جادت به عليهم لتحقيق أمانتهم القومية والانتقال بهم من ضيق الترح إلى بحيرة الفرح.

ولما عقد مؤتمر السلام في (فرساي) انتدبه والده ليمثل الحجاز فيه فمادر سورية في أوائل سنة ١٩١٩ والتقى هناك بأعظم الرجال، وظهرت لهم مواهبه إذ كان يدافع عن حقوق العرب ويطالب باليهود التي قطعها الخلفاء لوالده، وقد سئل يومئذ عن رجال السياسة والأثر الذي تركه في نفسه فقال أنهم مثل الصور البراقة المعلقة في الدهاليز يجب ألا ترمى إلا من بعيد، وكان الدكتور ولسن وعقيلته يكران من النظر إليه كثيراً ما قال الدكتور إن طلعت تنبه طلعة المسبح.

ولما عاد إلى سورية استقبل استقبالاً فخماً لم تعهد الشام مثله منذ زيارة الامبراطور غليوم، وكان مما فعله أن نشر بياناً في الصحف قال فيه أن مبدا الاستقلال قد تقرّر، وأن لجنة دولية لاستفتاء الأهالي في مصيرهم ستقيم

استطاع أن يتجنّب نفسه من طائفة الاتحاديين أحد جمال باشا ويثمل أخطر أدوار الثورة، ولا سيما بعدما جاءت التقارير الرسمية السرية من نصري باشا حاكم (المدينة) وفيها إيقاظ الحكومة من غفلتها وتنبهها إلى الطوارئ الخطيرة المترقمة من الحجاز؟

وفي الجواب عن هذا السؤال ما يدل على ناحية أخرى من نواحي الفقيه وهي قدرته السياسية وحكمته وغازاة حيلته، فقد اتفق مع والده على أن يحجى إلى دمشق بهمة، فظهرها تقديم جيش من متطوعة الحجاز لیساعدة الجيش العشائي الرابع في هجومه الثاني على مصر، وباطلها درس الأحوال في سوريا عن كتب والأطلاع على خطط الحكومة الاتحادية نحو العرب، والاتصال بالعمالين من أبناء البلاد. فلما اشتدت الظالم الاتحادية وأصبحت لا تطيقها الأنفس الآبية ابتكر طريقة للنجاة من أيدي الطغاة، فاقترح على جمال باشا أن يرسل وفدا لاستقبال الجيش الحجازي وأن يكون هو - فيصل - على رأسه قبل الطائفة اقتراحه، فلما بلغ الوفد المدينة واتصل فيصل بالجيش الذي أوفده والده إليها أشار على الأعضاء الترك أن يعودوا إلى جمال باشا ليتفقوا معه على طريقة نقل الجنود إلى سورية، واتخذ هو هذه الفترة فأرسل إلى دمشق رجالاً من السوريين لينتفروا من بقي فيها من أبناء عمه الحجازيين وأصدقائهم من الوطنيين. أما أنا فكنت وصديقي المرحوم توفيق الحلبي قد سبقنا إلى معرفة الخطر الداهم فتجونا بأنفسنا بطريق البادية إلى العراق، وبقينا حيناً في مصر قبلما أعلنت الثورة العربية في مكة والمدينة.

أخذ الملك الراحل على عاتقه قيادة جيش الثورة الشمالي فصار على ساحل البحر الأحمر وخادر (المدينة) محصورة يحيط بها أنواء الملك علي والأمير عبدالله. وما زال يسير موقفاً بين القبائل والمدن حتى دخل دمشق الشام في اليوم الأول من شهر أكتوبر - تشرين الأول - سنة ١٩١٨ وسجكون تاريخ هذا الجيش بداية تنظيم النهضة تنظيمياً عملياً حديثاً لأن نخبة منتخبة كانت من قادة هذا اللواء. فمهمهم جعفر باشا المسكري مثلاً فإن رواية إنفصامه إلى الجيش العربي الفاتح يجوز أن تتخذ نموذجاً للبراعت التي كانت تدفع بعض العمالين إلى التطوع، فقد خدم جعفر باشا الدولة العثمانية في طرابلس الغرب

مدينتين حرتين ، وسحب الجيوش الفرنسية من سورية الى كيليكيا فاقاد انقضى الأمر استعلاء هذه الجيوش مرة ثانية فلا يكون ذلك إلا يطلب رئيس الدولة السورية واتفاق مع الفرض السامي ، اما المستشارون الفتيون فيوضعون تحت تصرف الحكومة السورية ومنها يتسلمون وظائفهم ويستمدون قوتهم التنفيذية بموجب عقود فحدث بينهم وبين الحكومة خلاف فقد أصر العقيد على ان يحل ذلك في مجلس الوزراء السوري لا في فرنسا كما أصر المسيو كليمينسو . وتكون دمشق عاصمة البلاد وحلب مقر المندوب السامي واللغة العربية لغة البلاد الرسمية .

لقد أوردنا هذه الخلاصة لبيان الأسباب التي حلت الأمر فيصلا على قبول هذا الاتفاق وإمضائه بالحروف الأولى من اسمه كما أمضاه المسيو كليمينسو وكيف كان راضيا به ، لكن دعاية شنيعة بثت عليه عندعودته ، فتراجع من غير نظام لأنه كان لا يزال حديث عهد بالشؤون السياسية والحملات المديدة ، بالرغم من جميع تلك الاختبارات البالغة التي مرت عليه ، ولرأه وقف موقفًا ثابتًا ودافع عن آرائه بحل الطريقة المديدة الحاققة التي سلكها في العراق فيما بعد لوجد من المعتدلين أنصارا يؤيدونه ويقفون في وجه مناهضيه . ولا يدري أحد ما عسى ان يكون التدرج في ديار الشام لو تم هذا الاتفاق وبقي فيصل السياسي الممتاز ملكا على سوريا . وما لا شك فيه مطلقا أنه كان في نفسه راضيا عن هذا الاتفاق ولم يظهر لي ذلك منه في إبان وزارتنا فقط بل في بغداد أيضا في سنة ١٩٢٦ فقد ذكره لي بشيء من الأسف الصريح ، وزاد أسفه للحالة المذكرة التي وصلت اليها سورية . وما قاله المسيو كليمينسو لفصل عند البحث في هذا الاتفاق : «ان هذا الشعر الشائب الذي تراه في شاربى وفودي قد أبيض من معاناة السياسة في هذه البلاد ، وأنا لست استعماريا ولا أعتقد بالاستعمار . ورائي أعرض عليك معاهدة لن تحدد سياسيا فرنسا مسؤولا من بعدي يعرض مثلها ، ففكر في الأمر مليا وأنا انتظر جوابك » .

وفي عقيدتي أن هذه الحادثة وإضرابها ، من الحوادث التي جرت في سورية ، فتقت ذهن النابغة الكبير وأيقظت مواهبه ودلته على الطريقة التي يستعين بها

البلاد ، وفي شهر أكتوبر (تشرين الأول) من تلك السنة تلقى دعوة من الحكومة البريطانية للبحث معه في الشؤون السياسية التي استجدت وذلك لأن الانجليز والفرنسيين كانوا قد اتفقوا في منتصف شهر سبتمبر - أيلول السابق على ان تتسحب بريطانيا بجيوشها من المنطقة الشرقية وتبقى الجيوش الفرنسية حيث هي في المنطقة الغربية ، وعين الجنرال غورنيل مندوبا ساميا على لبنان وسورية ، والسير هربرت صموئيل على فلسطين . فركب العقيد نسافة بريطانية أقلته الى اوربا فتأخرت على الطريق لمطل طرأ عليها ، قبل إنه مقفل بقصد التأخير . حتى اذا وصل الى لندن يكون كل شيء من اتفاهم قد تم بين الحليفين . وكذلك كان الأمر لأن الدلائل دلت على أن الفرنسيين والانجليز وجدوا طريقة لا تقسم الاسلاب فلم يبق أمامهم إلا تبليغ المهربين القرارات المتخذة بحقهم ، ويؤيد ذلك ما ذكره لي المستر تشارلس كراين رئيس اللجنة الاميركية التي آتت سورية في صيف سنة ١٩١٩ لاستفتاء أهلها في تقرير مصيرهم بقوله : «إننا لا نخرجنا من اوروبا في مهمتنا كنا كلنا آمال كبار فلما عدنا اليها كانت نفوسنا طالعة بالحبية ، ذلك لأننا رأينا سورية قد بيعت في أثناء غيبتنا بيع السلع . . . بيعت بأبار الموصل» . وهذه الصيغة تمت في مؤتمر أبلول (سبتمبر) المذكور الذي قرر ان تكون الموصل في منطقة الانتداب البريطاني . وقد باعها حكومة المسيو كليمينسو من غير ان تنتبه الى الثروة التي تفيض من أحشائها ، فكان من نتيجة الغبن الذي أصابها تلك الحملة القاسية التي نزلت بالمسيو كليمينسو ورجاله .

أفهم الانكليز فيصلا بصورة صريحة ان فرنسا أصبحت الآن صاحبة الشأن في سورية ، فعليه ان يتفق معها مباشرة وأنهم لا يجزمون ان يكونوا وسطاء خير . فسافر الى باريس حيث اجتمع بالمسيو كليمينسو ودخل معه في مباحثات بسط له فيها حرص الأمة السورية على وحدتها واستقلالها فكان من نتيجة هذه المباحثات وضع أسس الاتفاق (في ٦ يناير سنة ١٩٢٠) الذي أطلق عليه اسم (اتفاق كليمينسو - فيصل) وخلاصة هذا الاتفاق الوحدة الشاملة للمعربين وجبل الدروز . وجعل بيروت والاسكندرية

الشؤون من غير ان يعرق في التفاصيل ويرتلك بالشؤون العرضية الثانوية مشغولا بها عن الأمور الجوهرية الأولية . فقد كنا ذات يوم في مجلس الوزراء نعالج مشاكلنا مع الفرنسيين كالمادة ، ونسعى بكل ما أوتينا لدفع كارتهم عن البلاد ، ولم يكن في الأفق السياسي حدث جديد يدعو الى الاضطراب فدخل علينا الملك وعليه علائم الاضطراب والقلق كأنه يتوقع بلاء ثم قال : إني لأخشى ان تسير أمور الدولة من الآن فصاعدا في الوعر وان تتكومت المقبات أمامنا . فقلنا ما الذي حدث ؟ فقال : ان الفرنسيين عقدوا اليوم أسس اتفاق مع الترك وستفرضون لمعالجة القضية السورية لأن اتفاقهم مع الترك يعني توفير جيوشهم في الشمال لمحاربنا في الجنوب . وقد صدق ظنه وجاءت النتائج طبق ما توقع لأن الجنرال غورو حلالا حصل على هذه الراحة في الحدود الشمالية تنمر وكثر عن نابه . ولو أوقف الملك الخالد حزما على قدر فطنته وبعد نظره لتمكن من استقلال ضعف الفرنسيين لصلحة سورية عندما كان يعصرهم الترك عصرنا يقطع الأنفاس في جهات أورفه وماددين وعيتاب .

ولما تنفس الفرنسيون الصعداء من بعد هذه الراحة أسرعوا فأرسلوا إنذارهم المدهائي المشهور الذي قدموه يوم عيد جمهوريتهم ، ومن البواشع الكبرى التي حملتهم على هذا الطيش السياسي وما جر لسمعتهم الأدبية من ضرر . اعتقادهم ان فيصلا عامل انكليزي وأن وجوده في الشرق على رأس حكومة سورية هو إخفاق لسياستهم وانتصار للسياسة البريطانية ولكن الشيء الذي لم يروه ورأيته بعيننا ولم يلمسوه ولسناه بأيدنا أنه من بعد عودته من أوروبا في المرة الثانية وخيبته من حلفائه السابقين كان أقرب الى الكولونيل كورس والكولونيل طولا عملي فرنسا في دمشق منه الى الكولونيل إيستن مثل بريطانيا . وكانت النقمة في نفسه وفي نفس كل واحد منا على انكلترا لإنكارها عودها العريجة في ساعة الشدة أضعاف ما كانت على فرنسا والذي فات الفرنسيين ان فيصلا هو وطني أولا وسياسي ثانيا وقد أوضح هذا المعنى إضاحا يتم على ما في قلبه يوم قال لمحرر جريدة (الأنفوماسون) بتاريخ ١٢ شباط - فبراير سنة ١٩١٩ (يجب ألا تكون الإعانات التي نتناولها من انكلترا للمحاربة الى جانبها وإلى جانبكم حجة

لتأييد مذهبه ، والثابغة مثل الدليل الحائق يحتاج الى شيء من التمرين العملي قبل أن يصير رائد القوم .

لا جرم أن يقول أبناء سورية عن فيصل بن الحسين إنه درس في الاستانة وتقرن في الشام وطلق في العراق .

وفي هذه الأثناء ارتأى بعض الوطنيين ان يواجهوا فرنسا بالأمر الواقع فاشاروا عليه ان يعلن استقلال البلاد تحت لوائه ويتأييد صولجانه فوافقهم على ذلك ، وفي اليوم السابع من آذار (مارس) سنة ١٩٢٠ اتخذ المؤتمر السوري قرارا بإعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية وقليل الأمير فيصل عليها . فاحتفلت الأمة في اليوم التالي في دار البلدية بدمشق احتفالا عظيما بإعلان هذا القرار وبمبايعة جلالاته ، وإن أس لا أس وقفته على الدكة يضافح المايهين من (أهل الحل والعقد) واحدا واحدا ، ولولا كسوة الملك البراقة على جسمه النحيل وهو امام العرش ، لم تكن هيئته يومئذ لتختلف كثيرا عن هيئته لا رآه الكولونيل لورانس لأول مرة في (وادي الصفراء) على طريق المدينة فقال عنه متنبئا : «وعلى الجانب الأبعد من ساحة الدار الداخلية .. وقف شبح أبيض ينتظري بلهفة وشرق ، ولما وقعت عيني عليه شعرت بأنه الرجل الذي قدمت الجزيرة العربية في طلبه - شعرت بالزعيم الذي يستطيع ترويع الثورة العربية بإكليل الظفر ، وظهري وهو بكسائه الحريري الأبيض وكوقته المعقودة بعقال ذهبي قزمي لامع ، طويلا جدا كالعمود ونحيفا للغاية ، وكانت عيناه الدابئتان ولحيته السوداء ووجهه الشاحب أشبه بالفتاح مسدولا على جسمه المثنى انتهاها ساكنا عجيبا . وكان متكئنا ويداها على خنجره فسألني : هل أحببت مكاننا هنا في وادي الصفراء ؟ فأجبته نعم . إلا أنه بعيد عن دمشق الشام» .

وفي اليوم الأول من مايو (أيار) سنة ١٩٢٠ دعيت للاشتراك في الوزارة الأتاسية فقبلت وزارة الخارجية فيها ، فأتيت لي أن أرى جلالاته يعمل في أعصب الأوقات وقد كان على اتصال تام بملائق الدولة الخارجية الأختلة في النمو ، وأذكر هنا حادثة تدل على ما تحل به من الموهبة السياسية وكيف كان سباقا الى رؤية الخطر المدهم ومحيطا بالقواعد الأساسية التي تسير بموجبها

يوسف بك العظمة وزير الحربية ، فقد توترت العلاقات بينها قليلا في أواخر عهد الحكومة العربية . لأن يوسف بك كان يتوسل بالشدة والمليكة كعادته كان يتوسل بالكياسة خصوصا بعدما تلقى من بعض الأمراء العسكريين احصاء بالبنادق والمدافع والعتاد في الجيش العربي دهشنا جميعا للتقص الذي يدل عليه . فبقينا مدة مشغولين بإصلاح ذات البين ، لنحول دون استقالة وزير الحربية ، لأن استقالته في تلك الأيام العصيبة تدل الأعداء على عورتنا وموضع الضمف منا .

وأخيرا قضى الأمر ووقعت الحرب - إن صح أن تدعى حرباً - بين طلول جيشنا المروح وبين آلاف مؤلفة من الجنود البيض والسود التي جمعها غزوه مثل أعظم دولة عربية لسحق أحدث دولة سلمية . وعندما خرفوا الجبهة حيث استشهد البطل يوسف بك العظمة في الصف الأول طوعا واختياراً ، وقتل القومندان اربابوس الأسرى العرب من فرقة مزروق بك التيجي في (ميسلون) ، دخلوا دمشق الشام في عصر الأحد الواقع في السادس والعشرين من شهر تموز - يوليو - سنة ١٩٢٠ ، أما الملك فكان في اليوم السابق قد غادر دمشق على سيارته إلى قرية قريبة تدعى الكسوة ونحن تبناه إليها في القطار ولم يتخلف من الوزراء إلا واحد أو إثنان ، وعندما قاربت الشمس أن تغيب هب نسيم عليل يجعل رائحة الشيع والقيوم فأعاد ذكريات الثورة العربية الكبرى في نفس الملك ، وكان مستندا إلى الأحجار السود فقام ونزل إلى خندق في الأرض طيحي وصار يتعرن على بنديقه كانه جندي بسيط يستعد للطراريء . ولما أظلم الليل قمنا إلى المركبات التي ألقينا وكانت واقفة في المحطة ، فتناولنا عشاءنا من خبز وكعك ونفاح معقن . منظر غريب ملك ورجاله وحاشيته يبيتون على الطوى وهم على أميال من عاصمة ملكهم وعاصمة البلدان العربية ، أين تلك المهرجانات أين تلك الأعياد أين تلك الإحتفالات ، أين رمضان بباليه والبلاط بدعويه ، أين تلك الأهازيج والزغاريد للمفاتيح العظيم منقذ سورية ؟ ومن حسن حظ الملك أنه (ديمقراطي) حتى بين (الديمقراطيين) تستوي في نظره الومائد والأحجار وقطع اللحم وكسر الخبز والركوب في السيارة والمشى على الأقدام ، وقد تعود في الثورة شطف العيش والبيت على الطوى لادراك آمال وتحقيق

تخذ على لتصويري بصورة داعية انكليزي . . . يمكنكم ان تصورها على رؤوس الأشهاد بأنني لا أعمل أبدا لا للانكليز ولا لفرنسا بل للعرب وللعرب فقط .

وكان الملك شديد التأثر بكل ما عليه مسحة من الوطنية او يطن أنه من عقيدة الوطنيين الصميمة ، إلى أن حلت الكوارث أخذة بعضها برقاب بعض فتمرن على التفريق في الوطنيات بين الأصلي والمقلد والصحيح والباطل والنافع والضار ، حتى إذ صار ملكا على العراق كان ثمرقائصة ، فمن جروس تلك الأيام العملية ان الجزائر اللني أبلغه برسالة تاريخها ٢٧ نيسان - أبريل - سنة ١٩٢٠ باسم الخلفاء أنهم اجتمعوا في (سان ريكو) وقرروا إعطاء الفرنسيين الوصاية على سورية والاكتيز الوصاية على العراق باعتبارها دولتين مستقلتين وطلب فيها إلى الراحل الكريم بالخارج المجيء إلى أوروبا ليتمكن من بسط قضيته وقضية البلاد وخصوصا حقوق ملكيته لأنها لا تنقر إلا في مؤتمر الصلح ، وكانت الفوضى بين الخلفاء تفسح مجالاً كبيراً لظهور كياسته ومقدرته السياسية لو لى الطلب من غير تردد ، لكن دعابة بثت عليه في المؤتمر السوري حالت دون إقامه على السفر في الوقت الموفق ومضمون هذه الدعاية ان الملك مسافر لتنفيذ معاهدة سرية بينه وبين فرنسا .

وليس في الملك الراحل قابلية الاستبداد الاوتوقراطي بل ميزته هي الكياسة والسياسة وحسن التخرج ، ولولا الميزة ما استطاع العراق ان يسير إلى الأمام بجمل هذه السهولة ، والواجب ألا يغرب عن بالنا ان البطولة في الرجال هي صفة نسبية تتعلق بالزمان والمكان ، فلو أحلنا الملك الراحل محل موسوليني أو أحلنا موسوليني عمله لكانت النتيجة هلاكاً محتماً . فقيصل بطل في البيئة التي تتطلب مرونة ولباقة ودهاء وغاندي بطل في البيئة التي تتطلب اندثاراً وروحاً وفداء . ولو كان غاندي في سوريا أو مصر أو في العراق وأراد أن ينجي هذه البلاد بطريقته الروحية من صلاة واعتكاف واندثار وعدم المقاومة الايجابية لباء بالاحقاق المريع . والدليل على بعد الفقيه يومئذ عن الاوتوقراطية الموقف اللين الذي وقفه امام هجمات المرحوم

السابقة سوى ثلاث ساعات وأنه جاء على متن الطائرة الى القاهرة من غير راحة، فركب القطار الى الاسكندرية وأنه يستقل الطائرة ايضا الى اوربا بعيد الفجر. فخنق هذا الحديث شيئا من قلقي ودرجوت ان يكون فيه التعليل الكافي للتعصب البادي على حياه والشحوب الظاهر في لونه . وفي الخلاصة الآية للحديث الذي جرى بيننا، وهو يا للأسف، آخر أحداثنا ما يدل ايضا على شيء من التدرج الحثوي في الفقد وعلى قابليته للأخذ بما تحليه التجارب وتقتضيه سياسة الدولة .

جرى ذكر الفتنة الاثورية الأخيرة وكيف أدكى نازها الدين يسوءهم من المجاورين، ان يسير العراق الى الامام وكيف بقيت الدول الاستعمارية حتى الستين الأخيرة تعتمد على الاقليات الدينية والنمرات المذهبية لاثارة الفتن فقال : «ان مسألة تدعى المسألة الاثورية لم تعد من مسائل العراق» . قلت أريد ان أحصل على جواب أطمن اليه عما ذاع عن مظالم الجيش العراقي، فطماني بما لا يدع شكاً في نفسي حتى اذا حدث شيء من هذا القبل يكون قد جرى على رغبه ، وتقالييد العرب في هذا الشأن لا تزال مقدسة مرجحة الجانب . أما الذين حلوا السلاح وهددوا سلامة الأمة فقال انهم لا قوا جزاءهم ، ثم رأيت من واجبي أن أزيد الموقف وأظهر شعوري وشعور اخواني بما يدعم جلالته فقلت «ولئن جاز لأهل البسطة السياسية والنوسع الاقتصادي ان يتوسلوا بجل هذه الوسائل الجناحية - من تحريك الاقليات الدينية - لتحقيق غايتهم المادية، فمن دواعي الحزن والأسى ان نرضى ببعض تلك الاقليات ان تكون مطايا المنافع الاستعمارية الحثيرة ، ومن عادة اوربا ان تعترف بالامر الواقع متى كانت هناك قوة تدعمه ، وان جواب مصطفي كمال باشا للورد كرز في مؤتمر لوزان عن الاقلية اليونانية في الأناضول معروف لدى جلاتكم . ولنا عبرة بالغة من سيرة الملك امان الله فهو مصطلح ويحدد وطافح بالاخلاص . ولكنه بدأ عمله معكوسا فبدلاً من ان يبدأ بالقوة ليبشر الاصلاح باشر الاصلاح من غير قوة فاضنق إحقاق مريها .» هنا استوقفني الملك العظيم قائلاً: ويكاد كل عضو في وجهه ينطق، كن مطمئنا فسترى جيشنا في العام المقبل مؤلفاً من أربع . . (وذكر

أحلام .

كانت في تلك الأيام ثورة في العراق شغلت بال الانكليز وداثهم على ان ادارتهم العسكرية القاسية في تلك الربوع محفوفة بالأخطار، فقرر ان يستفيدوا من الموهب العظيمة التي يتحل بها من أخرجته فرنسا من أحن البلاد اليه (بالعيد والنار) فعرضوا عليه فاتح العراق ، وكان الفصل الأكبر للمستشركة (الخاتون) أو الس (جرتوبل) في توجيه أنظار الانكليز اليه فساو الى القطر الشقيق ونزل على الرحب والسعة بين أهله واخوانه . وإذا أردت أن أوجز سلوكه في بلاد الرافدين باعتباره ملكاً عربياً سياسياً فابغا فأرجزه بالجملة الآتية : (لقد اتخذ فيصل على عاتقه في بغداد أن يخدم القضية الوطنية جمعه قطع الجبل بين الوطنين والبريطانيين الى أن يصير العراق قادراً على الدفاع عن نفسه) . وقد نجح في هذه اللحظة نجاحاً اثار الاعجاب ، ونظرة واحدة الى العراق وما حوله من الاقطار الشقيقة تكفي لجعل أبعد الناس شكاً أقرهم الى الاجان . ولم يكن يفصل بين الملوك الذين يلتفتون الى اكتناز المال او يعنون بجمع الثروة ، فلما زرت العراق في سنة ١٩٢٦ علمت من المصادر الخاصة ان راتبه وأظنه يبلغ يومئذ خمسة وسبعين الف روبية في الشهر يوزع نحو نصفه على المحتاجين من أهل وغرباء . ولا ذهب يوسف بك الى الجهة للشهادة في سبيل الوطن استودع الملك فيصل ابنه الصغيرة فقام بخدمتها ولحمانيه بشؤونها الى ان استقلت في معيشتها . وكان ممتازا بين الملوك الشرقيين وبقابليته للنجدد الصحيح والأخذ بمقتضيات النظريات الثابتة ، وقد نشر قليل وفاته حديثاً عن المرأة طريفاً تناقلته الصحف، وكان مثار اعجاب الاحصائيين من النقاد الاجتماعيين .

وفي مساء الجمعة الواقع في أول الشهر المنصرم (سبتمبر) تناولت بطاقة الاجتماع الأخير

من القنصلية العراقية في الاسكندرية تقول ان صاحب الجلالة الهاشمية قادم في قطار الليل من القاهرة متكرراً وهو في طريقه الى اوربا ويريد مقابلتك . فلما اجتمعنا رأيت وجهه شاحباً وجسمه هازلاً فسادوني القلق عليه لكن نوري باشا السعيد وزير خارجية العراق أخبرني ان جلالة لم يتم في الليلة

الرحمة والتجربة

(هذه صفحة من مذكرات الزعيم السوري المروف الدكتور عبد الرحمن شهبندر وقد تضمنت ذكرياته عن مسألة الوحدة والتجزئة في القطر السوري أيام كان من أركان الحكومة الفيصلية . ويبدو أن ما كتب في هذه الصفحات هو للتاريخ وحده وليس لنا رأي فيه).

كان الفرنسيون في سنة ١٩٢٠ مشتبكين مع الترك في حرب عبوس ، فأرادوا ان يستخروا السكة الحديدية من (رياق) الى حدود (الأناضول) لنقل جنودهم وأعادهم ، وكانت هذه السكة في منطقتنا ونحت تصرف الحكومة الوطنية بدمشق وقد اشتدت حاجتهم اليها باشتداد الضغط الذي أتاخ على صدورهم من المجاهدين الترك ، فقلنا في أنفسنا فرصة سانحة لسر غور الفرنسيين ومعرفة ذمتهم ومدى الاستعداد الذي في نفوسهم لتحقيق المهود التي قطعوها لسورية . ففتاح جلالة الملك الكولونيل (طولا) مرافقة - وهو من ضباط الارتباط الفرنسيين - بالموضوع فسافر هذا الى بيروت ، ومن ثم عاد بعد بضعة أيام يحمل نسختين من صورة اتفاق ، الواحدة ليوقعها جلالاته والأخرى لتوقعها الحكومة . وبعد أخذ ورد طال أمدها أدخلنا التعديلات التي لا بد منها لضمانة حقوق البلاد . وانني لا تخفوني صورة من هذا الاتفاق ، ولكن خلاصته هي أننا نسمح بإمرار الدخائر والراد وبعض رجال الجيش بشروط معينة .

(الأول) الاعتراف الصريح من الحكومة الفرنسية باستقلال سورية استقلالاً تاماً .

كلمة لم تبق في بالي وهو على أتم نظام وأحسن عتاد وأهل لتحقيق الغاية الكبرى التي وضعناها نصب عيوننا . وقد سرني هذا الجواب منه كثيراً لأنه دلني على ان هذه الاختيارات المديدة الأليمة أفتتحت ان القوة ولو لم تستعمل هي شرط - في أكثر الأحيان جوهرية - لنجاح السياسة والكياسة ثم ذكر فلسطين فقال إنها قلب البلدان العربيّة وموضع حرمتها وجلالها وذكر سورية بتألف شديد ثم بدت على وجهه ابتسامة شرحت لي ما في أعماق نفسه وقال : «لقد أعطتنا فرنسا بما أقدمت عليه في الفترة الاثورية فرصة لفتح القضية السورية على مصراعها، ويسمع العالم في الشهر الحاضر حجة العراق في الدفاع عن مصالحه ومصالحها المشتركة، فها قطران يتسم الواحد منها الآخر» . فقلت بل العراق من غير سورية قصر بلا باب وسوريا من غير العراق باب بلا قصر .

ولا انصف الليل قمتا وتضافنا وكلنا أمل ، ولم يدركني خلدي ان تلك الجلسة كانت آخر جلسائنا وختام جلساته في الشرق .

وما لا شك فيه مطلقاً أن إطفاء الفتنة الاثورية بهذه السرعة وهذا الحرم زاده مقاما في أعين أهل العراق وسائر البلدان العربية وقوى الروابط بينه وبين رعيته فلما نزل به القضاء المبرم كان بالغا ذروة المجد فلا عجب ان تصعق، البلاد لعنه المفاجيء وأن يعد فقده كارثة عربية قومية من الطبقة الأولى .

إن آخر جملة نطق بها وهو يجود بنفسه على فراش الموت قوله : «أنا مرتاح . قمت بواجبي . خدمت الأمة بكل قواي ، لسير الشعب بعدي بقوة واتحاد» أما نحن فلسنا مرتاحين لأننا دفنا في اللحد، الذي توارى فيه، حلماً ذهبياً عظيماً عشنا على أمل تحقيقه كل هذه السنين الطوال .

عبد الرحمن الشهبندر
مجلة المقتطف اكتوبر ١٩٣٣

المرحوم يوسف بك العظمة . فانه لما كان وكيلًا للحكومة الوطنية في بيروت زار الجنرال غورو فقاما يتمشيان في قاعة القصر وكان على مائدة الجنرال كتاب بقلم المسور روبر دي كاي أستاذ الاستعمار في مدرسة العلوم السياسية في باريس - وهو اليوم وكيل فرنسة الرسمي في عصبة الأمم عن بلاد الانتداب في الشرق فأطرى الجنرال الكتاب إطرأ عجيبا وأشار على يوسف بك ان يتصفح ، فلما قلبه المرحوم وجد علامة بالأجر على إحدى صفحاته فقرأ تلك الصفحة بإتمام نظر فإذا هي خطة عملية قائمة على تنفيذ بعض القواعد السياسية في شمال افريقيا ، منها تشجيع الماديات المحلية والتقاليد القبلية والأخذ بانصر اللغة البربرية في وجه اللغة العربية - والخلاصة هي خطة (الظهور البربري) المعلوم .

وأكد لي هذه البرادر بصورة رسمية ما صرحت به الوزارة الفرنسية في أرائل سنة ١٩٢٠ على لسان رئيسها المسور (ميليران) من القول إنها إنما جاءت سورية للأخذ بانصر الشعوب (بصورة الجمع) الناطقة باللغة العربية في الأراضي السورية ومساعدتها على الاستقلال .

لا جرم أننا بعد هذا البيان الرسمي وما يتبعه من الملاحظات الدقيقة فورنا ان نجعل وحدة البلاد شرطاً جوهرياً لاستقلالها . لأنه من الميث أن نضمن اللييت الذي يعيش فيه أبناء الوطن راحة وهناء وهو مقسوم على نفسه .

هذه هي خلاصة الشروط التي اشترطناها ، ولكي كنت قائماً في نفسي برفضها ، لأنني عرفت من الأخبار التي ترامت إلي أن المسور روبر دي كاي مسافر الى فرنسا لانتفاع أولي الأمر بضرورة تجهيز جيش لاحتضار سورية ، حتى انه سيلجح الوزارة الفرنسية ما يشبه الانذار بقوله إما ان ترسلوا جيشاً يقبذ الموقف ولما أن تعفوا الجنرال من هذه الخدمة بتانا .

وزاد في اقتناعي ما وصل الينا يومئذ من ان الترك بلغوا في مقاديرتهم التمهيدية مع الفرنسيين ما يشبه الاتفاق، بما يجتف المعبه عن كاهل الجيش المحتمل في الشمال ويعطيه الحرية في التنقل والارتكاز .

(الثاني) الاعتراف بوحدة الشعب السوري والمملكة التي يقيم بها .
(الثالث) ان تأخذ حصتنا من المكس التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر (حيفا) .

وبلغت هذه الخصة يومئذ زهاء خمسين الف جنيه مشاهرة . وموارد المكس لا تزال منذ الاحتلال الى اليوم في قبضة الفرنسيين لا يعرف أحد بالعبط طريقة التصرف فيها . ولكن الاحصاءات عن السنة الماضية دلت على ان جيش الاحتلال وموظفي الفرضية والداثين الاوربيين وجاهلين من الفرنسيين يأخذون ثلاثة أرباعها . فقد كان دخل ما يدعى (المصالح المشتركة) لسنة ١٩٣٢ - وأهمه موارد المكس - ثمانية ملايين وستمائة الف ليرة سورية ، أو نحو مليوني جنيه استرليني بالسعر الحاضر ، وصرف منها على الجيش المحتل أربعة ملايين ونصف مليون وعلى موظفي الفرضية ثلاثمائة وخمسون الفا ، وذهب منها الى الديون العامة - التي حل بنا عقابها ونحنا من مظمة الترك مقترفوها - مليون وثلاثمائة وخمسون الفا ، وبسد عجز موازنة السمكة الحديدية بتسعمائة الف ، وما بقي وهو مليون وخمسمائة الف وزع على الدويلات السورية .

وما قلنا في جربنا عن حصتنا هذه يومئذ : إنكم تمنعون لأننا لا نعاملكم معاملة الخليف في السماح لكم باستخدام سكاننا الطيدية لمحاربة جيراننا ، مع أننا أحق بهذا المنعجب ، لأنكم بملككم هذا لا تخوموننا فقط حق الخليف بل تخوموننا حقاً صريحاً من مواردنا تم الاتفاق عليه في المؤتمرات المشتركة التي عقدناها .

والذي أريد أن ألفت اليه نظر القراء خاصة هو النص المتعلق بالوحدة السورية وهو ما يقيم البلاد ويقدمها في الأوتة الحاضرة ، فقد شعرنا حتى في تلك الأيام البعيدة ان الفرنسيين عازمون على تطبيق مناهج تجرئي في البلاد ، وهو مناهج على ما أرى من أعظم الأسباب التي زرعت بذور الانتباه في قلب أبناء البلاد وولدت سوء الظن حتى في نفوس من تربوا على طريقة القرون الوسطى .

وكان من البرادر التي دلت على هذا الاتجاه ما قصه علي وزير الحربية

قوى متكافئة بحيث اذا حدثت لها كارثة من أهل البلاد تقف هذه القوى الواحدة في وجه الأخرى وتبقى يدها ميزان الأريحية فتتزل هذه الكتلة او ترفع تلك عند الحاجة بأقل ضغط . فقد جيشت في سنة ١٩٢٦ جيشا من المنطوعة الشركس من (القنيطرة) والأرمن الذين نزلوا ضيوفا بسورية والاسماعيلية في (حماه) وحاربت هم المجاهدين السوريين فقاموا بوظيفتهم بكل جراءة .

وزاد يومئذ في خوفنا من التجزئة ما عرفناه من ان تحريك العمرة الطائفية - إذا اراده أصحاب السلطة - ليس مميتا فقط في متعلقة بسيطة كجبال العلويين بين أهل السنة والنجارية مثلا بل هو ممتسر أيضا في جزيرة أروبية راقية كالبرلندة بين أهالي (بلفاست) البروتستانت وأهالي (بلنن) الكاثوليك .

ولا شك أن فيلسوف القرنين الاجتماعيين (أوغست كونت) كان وإهما يوم ظن ان البشر قد جازوا العصرين التمهيديين الباليين - العصر الخرافي والعصر الكلاسي - إلى العصر الثالث وهو عصر التحرر المبني على الملاحظات والتجارب والاستقراء فوضع القواعد الكلية ، لأن دول البسطة السياسية والتوسع الاقتصادي لا تأتي في القرن العشرين أن تستعين حتى بالوسائل التي استعان بها شيوخ القبائل في الغابات لتأييد سلطانهم قبل عصر التاريخ ، ومن دواعي الأسف أن خدمة النظريات (القروسطية) كثيرون في كل مكان وهذا ليس بالمعجب لأن العقول في سواد الناس لا تتحرر ، وأما المعجب كل المعجب أن تتزل الدول المنظمة فيها يدعي (عصر النور) الى الأخذ بهذه النظريات العتيقة والاحتجاج بها لعرقلة التحول العقلي المنشود .

وكم تساءلنا في أنفسنا في تلك الأيام المضطربة التي لم يبدأ لنا فيها بال : ماقول فرنسا لو احل الألمان بلادها مثلا فزاروا لأجل تخريب وحدتها ان يحتجوا ببعض الفوارق الجنسية واللغوية الموجودة بين عناصرها حتى هذه الساعة ، والتي ليس عندنا ما يضارعها فخلقوا على أنقاضها دويلات صغيرة في (بريتاني) و (دوزنكوك) و (البرنية الشرقية) وبلاد (الباسك) وجزيرة

وقد صحت هذه العقيدة لأن الجنرال أرسل الى الملك رسالة يرفض فيها الشروط المروضة ويقول إنه يكفي بالتصريح الأول الذي صرح به (ميليران) عن استقلال الشعوب (كذا) الناطقة بالربية في الأراضي السورية ، وأن حكومته لا تسمح له بتغيير شيء مما ورد في هذا التصريح . وليس من الممكن أن يكون الكولونيل (طولوا) متظفلا في كتابة ذلك الاتفاق الذي أنانا بنسختين منه حتى يصبح أن يرفضه الجنرال وإنما الذي حدث وغيره في نفس الجنرال هو ما تناوله من الأخبار المشجعة المتعلقة بسفر السيو (روبردي كاي) الى باريس من جهة ، ومن تقدم المفاوضات مع الترك من جهة أخرى ، وقد انتهت هذه المفاوضات في نهاية الامر بانسحاب الفرنسيين من (كيليكيا) بياتا وخروجهم من (كلس) و (عيتتاب) و (أورفه) وغيرها من المدن التي استسلم في الدفاع عنها الكماليون . فقد أذاع قلم المطبوعات في (بيروت) في اليوم العاشر من شهر حزيران - يونيه - سنة ١٩٢٠ البيان الغريب الآتي :

« إنه على إثر فوزنا في عيتتاب بعد كسرنا عصاة الترك شر كسرة - وهو فوز قد أتاح لنا ان نضمن المواصلات بين كلس وعيتتاب وأن نظهر المنظمة من عصاة النهائيين - بات ممكنا للحكومة الفرنسية ان تعقد المسألة التي يتمناها فريق من حزب الترك الوطني .

« ولا شك أن الحكومة الفرنسية تعقد شتانا على عودة الملائق الحسنة ، فقد كانت هذه الملائق من التقاليد المربية بين فرنسة وتركيا . ولاعادة هذه الملائق ولينع إهراق الدماء ولصيانة هذه المناطق الغنية من أهوال الحرب لم تتردد الحكومة الفرنسية في إقامة هذه الملائق بينها وبين مدبري الحركة الثورية . وقد عقد الاتفاق مباشرة مع مصطفى كمال زعيم هذه الحركة ، فوافقت الحكومة الفرنسية في ٣٠ أيار - مايو - على إيقاف القتال » الخ . وليس من المعذر على الباحث ان يعرف الأسباب التي حدثت بالفرنسيين الى الاصرار على مناهج التجزئة والتسكك به الى النهاية ، ذلك لأن هذه التجزئة قائمة على مبدأ له شأن عظيم في الأعمال الاقتصادية وهو (الحصول على الأثر بأقل جهد) يعني ان فرنسا تريد ان تؤلف من السوريين أنفسهم

فهم أهل لأن يصنقى الى حديثهم . وأما خيالات الظل الذين يرقصون على كل لحن يسمعونهُ، ويقولون بكل عقيدة يلفتونها من وراء الستار ، فهم أهل لأن يمزقوا ويروضوا في سلة المهملات .

عبد الرحمن شهبندر
مجلة الهلال جزء ٦

(كوريسكا)، وأخذوا بنصرها وتقوية شقة الخلاف بينها للقضاء على المنصر (الغالي) التغلب فيها ؟

ولا مشاحة في أن تملك الفرنسيين بنظرية التجزئة التي وضع تصميمها الميسو (دوبر دي كاي) على عهد الجبرال (غورو) قد أدى الى هذه الفكرة التي نراها في أبناء البلاد الماملين، والتي تنبأنا بحدوثها منذ شعرنا بتطبيقها . لا جرم أن الميسو (برنصو) لما أراد ان يعقد معاهدة مع الحكومة السورية الحاضرة على أساس هذه النظرية هب الوطنيون في شهر فبراير - شباط - الماضي فمقدوا مؤتمرا في حلب قرروا فيه اعتبار كل مفاوضة لا تقوم على أساس الوحدة لاغية .

وما نجب ملاحظته ان الاصرار على التجزئة نبه الأذهان حتى في الذين لا يفكرون تفكيراسياسيا، الى الأخطار التي تحق بالبلاد من جرائها . بل عمل رد فعل في الناس فجدد الدعوة - على عيار واسع - الى (الجامعة العربية) التي كانت أمنية الشعب قبل الحرب العالمية والتي ذهبت النخبة المنتخبة من السوريين الى مشائخ جبال باشا في سبلها ، وفرنسا هي أدرى الأمم بشأن هذا الاتجاه وقيمته السياسية في الشرق الأوسط . وان هذه الأمنية الغالية التي تزداد رسوخا في العاملين يوما تيوم هي التي حملت (المؤتمر السوري) الذي عقده في الشام على عهد الحكومة الوطنية على القرار الآتي، في مساء السابع من آذار سنة ١٩٢٠ وهو :

«ولما كانت الثورة العربية قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الترك وكانت الأسباب التي يستند اليها، في إعلان استقلال القطر السوري هي ذات الأسباب التي يستند اليها في استقلال القطر العراقي . وبما أن بين القطرين صلات روابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وجنسية تجعل كلا من القطرين لا يستغني عن الآخر . فنحن نطلب استقلال القطر العراقي مستقلا تاما على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي» .

وفي عن البيان ان الذين هياوا الأفكار لاتخاذ مثل هذا القرار التاريخي هم الذين صودروا وطوردوا وعذبوا وشقروا في سبيل عقيدتهم الوطنية . إذن

هل ديت أم للشربن الإستغير مجره

المجد الشرقي القديم هو مثل النسب الشريف الذي يتغنى به المعظمون، لا يجلب لأصحابه منفعة ولا يدفع عنهم ضرا ما لم يمهدهو بأسباب الحياة ويمهدهو بالعناصر التي تنميه وتبعث فيه روح الارتفاع . وكما يكون التحدث عن شرف الأرومة وطيب المجدد في الأسرة العظامية الخاملة التي فقدت كل شيء سوى التشديق بعظم الآباء وفخر الجدود ، سببا للسخرية والازدراء، كذلك الطغطنة بذكر المجدد الشرقي الرائع والبطولة الشرقية الخالدة، مع بقاء الشرقيين في ربة الذل، وأغلال الجمود، هو مدعاة الى الاستمزاز أيضا .

ثم إذا ذكرنا المجد الشرقي القديم فأبي جد نعي ؟ أنعي جد الحثين والفراعة والاشورين والبابليين والكلدانيين والفينيقيين ومن هذا جذورهم ، وكلها أم قد خلت، لها ما كتبت وعليها ما اكتسبت ؟ ولا أدل على زوالها من أن اللغات التي نطقت بها أصبحت حشو لقائف البردي ونحت انقراض الطابق أو رهن التحقيقات الأثرية . واللغة هي الصورة الملمع الدال على تفجر الحياة والأمة تكون حية على قدر حياة اللغة التي تنطق بها .

أم نعي جد البت وكوريا والصين ؟ وهذه أم بعيدة عنا ولم تتغير في نظري كثيرا عما كانت عليه منذ ألوف السنين . فإذا كان لها جد غابر فإنما هو بالنسبة الى ما كانت عليه الأمم الأخرى، والمجد الذي لا يجري مع الزمن هو مجد متراجع لأن دستور الحياة ان الذي لا ينمو يموت . ووفق ذلك فالطوارئ التي تطرأ على مدنياتها لا تؤثر في مجتمعا مباشرة .

يزالون يذبحون على الطريقة القديمة بالسيف وينحرون بالخناجر وهذه طريقة شائعة قليلة الجدوى لا تأنف مع الارتقاء الفنى الحاضر . لذلك أصبح جدهم مثل آلتهم عتيقا - وما لم يتعلموا على الطريقة الحديثة فيدكوا بفرقة واحدة قصرا ويلثم واحد سفينة ويقتلوا بقبلة واحدة ألفا . ما لم يتعلموا ان يستخدموا أحدث الآلات المتقنة التي تعطي أطيب محصول بأقل مجهود ، أنكرت عليهم أوروبا ، ليس حق المجد فقط بل حق الحياة .

ولكن الشرقيين أخذوا أخيرا يتعلمون بشراهة ، لأن سني الشدة التي عاشوا فيها ردها من الزمن نهبت قابليتهم ، حتى أن أئند المتعصين للعرب عن يقولون بالسلالة الآرية وحدها وأن من بعدها كذب النسابون ، ولكن يصيرون الحواجز الجنسية عالية لتلا تندنس السلالة الآرية بالاتصال بالسلالات الأخرى ولو كانت آرية شرقية - إن أئند المتعصين مثل هذه المسخافات البالية مرغمون على الاعتراف بأن المجد لم يعد وقفا على أبناء جلدتهم . وأن الشرقيين حتى الموزغولين منهم يستطيعون - اذا شئروا عن مساعد الجد - ان يساهموا في هذا المجد وحسنا ان تضرب على ذلك مثلا عمله اليابانيون في بداية القرن الحاضر وهم من صميم المنول وما عمله الزراء عقب الحرب المالية وهم من السلالة الطورانية . لبيّن ان السلالات الشرقية حتى التي لا تمثل أرقى النماذج ، أو التي لا تمت إلى الثقافات المشهورة بعرق جريق - في مقدورها ان تنازع الغربيين جدهم وأن تقل حديدتهم بالحديد الذي طبعته على غرارهم .

ما بذلك على الممجيّة التي كان عليها اليابانيون إلى عصر متأخر ان الذين كانوا يلبسون الرزد منهم على قيد الحياة ، ولم يفرض بعد جميع أفرادهم من الدماء الذين كان عليهم إذا مر الشريف من أمامهم ان يسجدوا له وإلا مرقهم حراسه من طبقة (الساموراي) شرعزق . وقد بقيت اليابان إلى سنة ١٨٦٩ - وهي سنة تغلب الميكادو على حكم الاقطاع وأمراة - تتخط في خزجلات القرون الوسطى وتتأزعاها أيدي الشقاق الداخلي والتأثرات للتدماة المسفوفة وتحكم فيها نفر من أهاليها لا يتجاهزون الخمسة في المائة . من لقنور من الأشراف ويطائنتهم (الساموراي) وهم المحاربون الذين

وفي الشرق أمم أخرى غير من ذكرنا إما أنها ليس لها مجد غابر فستعيده أو كان لها مجد ولكنه ليس من وضعها ولا مطبوعا بحاتها . فلم يبق وحالة هذه سوى مجد الثقافة العربية وهذا ما أظنكم تقصدون في السؤال الذي اقترحتوه ، وهو مجد تلك الثورة التي انبثقت في القرن السابع للميلاد وانتشرت ألويتها في أقل من قرن من المحيط إلى المحيط . فهذه الثقافة ثقافة حية ، تعيش في أجوائها وتفرح في أمواتها ويبتدي بأموالها . وكلما حاول أناس من المبشرين أو المستعمرين أو المتعصين أو الغدامين ان يطفئوا هذه الأنوار بالدمعة إلى العربية الدامية ، برأوا من حرص المتسكين بالنفصحي على الجامعة العربية ما يقف سدا متيعا في وجوههم ويرد كيدهم إلى نحورهم ، إن هذه الثقافة هي دوحة ربانة جذورها ثابتة في تربة القرون الوسطى واضعابها تمايل في سماء القرن العشرين .

ثم ما هو مقياس المجد يا ترى ؟ هل هو العلم والمعارف والأخلاق والخصارة وحدها وقد رأينا أهل سويسرة والبلاد السكندينية مثلا يتألون الشطر الأوفر منها وهم مع ذلك في هذا المجد دون الأمة الإيطالية التي لم تبلغ من أسباب الارتقاء شأوهم ؟ ويتجلى هذا التباين في تقدير المجليين بما لا طليان من المقام الدولي المحمود بالنسبة إليهم ، فلا يجلم أحد من السويسريين أو السكندينايغين ان يكون في تلك الهيئة الدولية التي تدعى (عصبة الأمم) سيدا نافذ الكلمة مثل زميله الإيطالي ، والسبب في ذلك ان المدينة الأوروبية ، لسوء الحظ اعتقدت بما تشتهر الأمم من مشرفيات جزر الرقاب أكثر عما تقبض على مشارط لبط الأوجاخ ، وما تحمل من بنادق لحرق القلوب أكثر عما ترفع من مصاحف لشرح الصدور ، وما تنصب من ألغام لاغراق المدرعات أكثر عما تنشيد من منائر لهداية السفن ، وما تنشر من غاز خائق أكثر عما تلمهم من وحي منش . ان الناس في المشارق والمغرب يسمنون الاصغاء إلى أبرز المقذوفات أكثر من همس الضمائر فاذا كان مقياس المجد عند الدول حتى في القرن العشرين لا يزال الحديد والناثر فالتسليح الوحيدة إلى المجد هي وبه للأسف اتفاق فن الذبيح على عيار واسع . ومن سوء حظ الشرقيين - أو من حسن حظهم - ان معظمهم لا

مثل الشروط الذي قطعته اليابان . فقد كانت سنة ١٨٦١ أمة (قروسطية) أو صورة هزلية وهيبة لأشد النظم الانقطاعية تطرفا فأصبحت بعد جيل واحد فقط على مستوى أرقى الدول الأوروبية وهي تفوق الروس الى مدى بعيد . وقد قضت قضاء مبرما على تلك الأسطورة الجغرافية التي تزعم أن آسيا لن تبلغ شأن أوروبا . بل ان اليابان أظهرت للملأ ان الارتقاء الذي تتدرج عليه أوروبا هو ارتقاء يعطيء وكأنه لا يزال في دور التجربة) .

وسم العالم العربي المتحفز للبهوض ان يعرف شأن الرجل البارز في تكوين الأمة وكيف ان فردا واحدا من أفراد اليابانيين يعود اليه الفضل الأكبر فيما بلغته أمة من المجد الطريف . وهذا الفرد هو البرنس (ايتو) المتوفى سنة ١٩٠٩ فقد كان الروح الملهمة والقوة المحركة التي دفعت باليابان الى الأمام . وتتصل نسبة بطيقة (الساموراي) التي ذكرناها وهي طيقة البجود، حراس الإشراف، وهو فرد من أفرادهم المعادين . وقد أدرك منافع المدنية الغربية من أوائل أمره ، واضطر الى معاداة بلاده والسفر الى انكلترا مع أربعة آخرين فرارا من الموت . وحسبه شرفا أن بلاده كانت كلما وقعت في ورطة أو شعرت بحاجة الى بعثة حكيمه تتطلب الحزم والعزم والبذل وبعد النظر ودقة التفتيب ، كان اليابانيون يشيرون اليه (اشارة غرقى الى الساحل) .

ومن المشهور ان (الشنتوية) هي عقيدة اليابانيين الدينية الاصلية قبل دخول الكونفوشيوسية الى بلادهم . وهي مزيج من عبادة أرواح السلف وتعظيم الملوك . ولا يجوز ان تعد دينا بالمعنى الذي نفهمه لأنها خلو من الفكرة الأخلاقية . ويحافظون عليها عاقلة القبائل البدوية في بلاد العرب على عاداتهم . فمن التقاليد اليابانية التي كان لها اثر ماض في تدرجهم الوطني الحديث عقيدة عملية تدعى (البرشيدو) والتيها يرجع الفضل الأعظم فيها لأطهاروه من بطولة خالدة في حريمهم مع الروس . وهي قائمة على شعور عميق بالآباء وبالواجب الذي يقتضيه الشرف . وتتطلع الى الفقر بدلا من الغنى ، وإلى التواضع بدلا من الكبرياء ، وإلى الكتمان بدلا من الثروة والتسلط ، وإلى البذل بدلا من الأثانية ، وترفع مصلحة الدولة فوق

يقومون بحراستهم .

لكن اليابان أصبحت بعد الحرب العالمية احدى الدول الخمس العظمى القابضة ناصية الدنيا بأجمعها . وهي التي حسب لها أكبر حساب في مؤتمر واشنطن البحري من بعد اميركا وانكلترا فقط . وأصبح عملوها يتراأسون في بعض الأحيان عصبة الأمم في جنيف أو يديرون لها ظهورهم مديرين اذا رأوا منها قلة اكتراث بمطالبهم التوسعية والغارات التي يتنون شنها على جوارهم . فما الذي حدث يا ترى ؟ وأي حديث عن الجان كما تسأل (جارافن) أو أية خرافة من الخرافات تفوق هذه الأعجوبة التي تمت في زماننا ؟

إن الذي حدث فحمل المتصمين للمدينة الغربية على تعديل نظرتهم في الشرق ان اليابان حاربت الصين في سنة ١٨٩٤ فقهرتها وهي لا تكاد تبلغ السمس من سكانها . اذا كان هذا البرهان ناقصا لأن الحرب وقعت بين شعيتين شرقيين موزولين لا يكسب الظاهر منها فيها إكليل المجد فهل يستطيع هؤلاء المتصمين أن يجروا اليابان منه من بعد إعلانها الحرب على روسيا في سنة ١٩٠٤ وما قدمت فيها من براهين قاطعة على أنها لا تفوق الصينيين الشرقيين فقط في جز الرقاب ويقر البطون وهدم المدن بل تفوق الأوروبيين أنفسهم ، كما هو ظاهر من المعارك الثلاث الآتية : (الأولى) - (لياو - يانغ) والأربعون ألفاً من القتل والجرحى الروس للذين ذهبوا فيها ، (الثانية) معركة (موكدن) والألوف المائة الروس الذين سقطوا في الميدان بعد انهزام قائدهم (كورونايكين) شر هزيمة (الثالثة) معركة (تسو شيا) البحرية وضمحلل الأسطول الروسي بتابا فما سلم منه من الغرق جره الأميرال (طوغري) بسلاسل الأسر . وكان هذا الانتصار الياباني أعظم انتصار بحري وقع منذ معركة نلسن في (الطرف الآخر) .

وليس في مقدور أمة شرقية ان تدلي بحجة أقوى من هذه الحجة أو (الحجج) على حقها في المجد . حتى ان كاتيا أوروبا اشتراكي النزعة يكره الحرب وما تجره من ويلات مثل (اتش . جي . رنر) اعترف لها بهذا المجد مرغبا بقوله ما خلاصته : ما رأينا قط في التاريخ أن أمة قطعت شوطا بعيدا

لاسترضاء العرب، وهم يتجاوزون نصف المملكة، حاولت تتركهم وان تعلمهم لغتهم العربية في عقر دارهم بكتب تركية . فكان ما كان من ابتداء ذلك التصديق المريع في بناء الدولة الى ان اتى احمد جمال باشا وأمراته من السفاحين بنصب المقاتل للنجبة المنتجة من أبناء العرب . وهذه أخطاء في الإدارة لا يتركها صيوان الأتمة. وقصارى القول إن أفراداً من هذه العصبية تأمروا على سلامة الدولة فساوقوها رغم أنها الى حرب سنة ١٩١٤ . وبدلنا على مقدار الشر الذي أصاب الترك منها قبول الخليفة محمد السادس وحكومته والمجلس الأعلى الذي عقده في ختامها معاهدة (سيفر) الثانية على الأسس الآتية :

١- تخفيض الدولة العثمانية من ٦١٣٥٠٠ ميل مربع و ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة في سنة ١٩١٤ الى ١٧٥٠٠٠ ميل و ٨٠٠٠٠٠٠ من السكان .
٢- ألا يبقى للترك في أوروبا غير القسطنطينية مع شقة رقيقة لحمايتها .
٣- السماح لليونان بالاستيلاء على الجهة الأوروبية من الدردنيل وادراجها باسم لجنة خاصة .

٤- السماح لليونان بالاستيلاء على أزمير وداخليتها الى ان يقر مجلس عصبة الأمم ضمها الى اليونان نهائياً .

٥- منح الأرمن استقلالهم وتأييد دولة في الأناضول منهم .

٦- ألا يكون لتركيا أسطول بحري أو جوي وان يخفض جيشها الى شرطة فقط .

٧- أن تعود الامتيازات الأجنبية الى سالف عزوها قبل النافها في أوقات الحرب .

٨- أن تؤدي تركيا غرامة باسم تعويضات وغيرها من الأعباء المالية والاقتصادية عما يجعلها في الرق الى الأبد .

وأضمت في تلك الغضون اكلترة وفرنسا وإيطاليا اتفاقاً لحماية مصالحهن الخاصة قسمن فيه ما بقي من تركيا الى مناطق نفوذ .

وقت الموافقة على معاهدة سيفر هذه في اليوم العاشر من اغسطس سنة ١٩٢٠ وضمت اسمها موضع التنفيذ منذ شغل اليونانيون في تلك السنة

مصلحة الفرد ، ونذكر ناز الحماسة في الأفئدة وتبعت على الشجاعة وتقابل المروت وجهها لوجه . وشعارها (النار ولا العار) وتتطلب تدريباً رياضياً وعقلياً دقيقاً . وتنمي روح الجندي ، وتوصي بالأقدام والأمانة والعزم وكبح جراح النفس ، وتدريب المسالين كما تدرب المحاربين ، وتربي النساء كما تربي الرجال .

هذه هي (البرشيدو) التي تتفق والشيء الكثير عما ورثناه من تقاليد (الفروسية) العربية منذ الأزمنة الخالية . وهي تقاليد لا ينقصها إلا تيميمتها والضرب على نغمتها حتى ترسخ في الأذهان .

هذه هي اليابان وهي لا تمثل أرقى السلالات الشرقية . وقد ضربناها مثلاً واحداً من ملايين على ما يمكن ان تبلغه أمة الشرق حتى شمرت عن ساعد الجبد وغيرت اتجاهها في فهم الدنيا فأهملت المباحث العقيمة التي لا توصل الى شيء وانصرفنا الى ملاحظة الشؤون العملية ودرستها درساً تجريبياً قابلاً للتطبيق . أما المثل الآخر فهو سلالة شرقية أيضاً قامت بأخطر الأدوار بعد الحرب العالمية . على أنها ليست لها ثقافة خاصة مطبوعة بطابعها القومي بل كانت ثقافتها في معظم النواحي عربية ، وهذه السلالة هي تركيا الطورانية الحديثة .

تركيا

ليس القراء بحاجة الى من يذكرهم بتركيا قبل الحرب ولا الى العصر الحميدي وجواسيسه وجهالته وزرقاته حتى صارت ادارته مثلاً شيزوفا في الفساد . ونحن الذين رأينا رؤية العين شواهد على أعماله تفصحك التكلل لا تزال على قيد الحياة . وفي العصر الحميدي كان الأجانب في المملكة يتمتعون بامتيازات أجنبية جعلتهم سادة البلاد مستقلين كل الاستقلال يفعلون ما يشاؤون ولا منازع لهم . ولكن بطش السلطان كان مطلقاً في الرعية لا حد له . وغاطة واحدة في الكلام أو في الطمع كافية لإلقاء صاحبها في غياهب السجن . ومع ذلك فمثل هذا السلطان كان يدعى من على سدة المنابر (سلطان البرين وخاقان البحرين ظل الله في الأرض) .

ثم جاء الدور الاتحادي فتبعت على دست الحكم عصبية من الأغرار جهنت أصول الإدارة الابتدائية ، وأنها بدلا من ان تصرف جهنها

مصالح بريطانيا وطمعها في الاستانة ومضائقها . وكان سرور إيطاليا عطيا أيضا ان تعقد في تلك السنة اتفاقا مع الترك أخرجها من الورطة التي ألقيها أطماعها فيها، واعتزف الكونت (سفرترزا) وزير خارجيتها بأن مصلحة إيطاليا الخاصة أن تجد لها في تركيا السلبية سوقا لتجارتها وبحالا لمشروعاتها . وقد تعهدت إيطاليا في هذا الاتفاق أن تزيد السلطان القومي التركي تأييدا تاما وأن تعيد الى قبضة يده تراقيا في اوروبا وأزمير في آسيا الصغرى ، وكذلك عقد الكماليون في تلك السنة اتفاقا مع البولنديك على أساس الاعتراف بحق المصير .

بقي اليونانيون يطرحون في الأناضول بتشجيع بريطانيا الى ان وصلوا الى (صقارية) و(كوك صو) كما ذكرنا فكثر عليهم الترك وحلوا عليهم تلك الحملات الصاعدة التي كان لها دوي هائل الى ان جرفهم جرفا وأرجعهم بقضهم وقضيضهم الى أحضان الملك قسطنطين في أقل من ثلاثة أسابيع . فلم يبق شك، من بعد تلك الدماء اليونانية المهرقة، في حق تركيا في المجد . ولا جرم ان الحلفاء في الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٢٢ دعوا انقرة للمفاوضة في عقد معاهدة على الأسس الآتية :

- ١ - اعادة تراقيا الشرقية الى الترك .
- ٢ - انسحاب الحلفاء من القسطنطينية .
- ٣ - ضمان حرية المضائق .
- ٤ - حماية الأقليات القومية والدينية .
- ٥ - دخول تركيا في عصبة الأمم وخير ذلك .

قال الاستاذ (فيليب برون) : (وهكذا نرى الترك بعد مرور أربع سنوات على هدنة (موزوراس) المزرية التي عقدها في اليوم الثلاثين من أكتوبر سنة ١٩١٨ قد خرجوا ظافرين في هدنة مودانيا) .

ولا عقد المؤتمر الرسمي في لوزان في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٢ لبحث هذه الأسس وإعادة السلم الى نصابه كان الكماليون قد استولوا على أهم المواقع الحربية وكانوا هم وحدهم - كما قال الاستاذ برون - مستعدين للحرب اذا اقتضت الحالة للدفاع عن القواعد الأساسية . لذلك وقف عصمت باشا

خط بورصة - عشاق على غير المندرس حيث ساعدتهم الايطاليون بجيوشهم عند الجناح الأيمن . ثم سقطت أدرنة وأُزيل الأسطول البريطاني قوة بحرية معها جيش يوناني في رودستو في تراقيا واندلرهم وآسيا الصغرى . وفي شهر يوليو من السنة التالية وهي سنة ١٩٢١ استولى اليونانيون بمعية اكلترا ايضا على آقيون قوة حصار وكوتاهية وأسكى شهر وواصلوا زحفهم الى بحر صقارية وكوك صو .

ولكن بطل تركيا الحديثة ومقد شرفها الحربي من العار الغازي مصطلقى كمال باشا كان قد اعلن في الثلاثين من يناير ١٩٢٠ ان حكومة انقرة هي وحدها الحكومة المسؤولة عن الشعب التركي . لا جرم أن الوطنيين الترك تنفيذا لميثاقهم الوطني المقدس أعلنوا أنهم لن يرضوا بمعاهدة سيفر ولن يخضعوا لشروطها . أما ما حدث من تقدم اليونانيين وحلفائهم فلم يفت في عضدهم ولم يصفى إحجامهم بحق الحياة . وزادهم لها أن يستعين اكلترة بشعب كالشعب اليوناني بقي خاضعا لتركيا مئات السنين لإرغام أنفسهم . وهذه خطية في السياسة تعد من الدرجة الأولى وإذا أراد شرقي ان يعرف كيف يستطيع الشرق ان يستعيد مجده فليقرأ بإنعام نظريات تاريخ الحرب التي استعرت في الأناضول بين الكمالين واليونان وكفى برهن الترك على أنهم أهل للمجد والاحترام بما أتوه من ضروب البطولة والاستماتة في الدفاع عن الأوطان . الى ان اضطرت أوروبا وعلى رأسها اكلترا الى الاعتراف بالأمر الواقع، وأخذت الدول ذات المصالح المتباينة تاتي الى الترك تحطبة ودهم . فمن ذلك ان الفرنسيين لا شعروا بموقفهم المخرج في سورية وحاجتهم الى الجند في احتضاعها اسرعوا فسحبوا من كيكيا جيوشهم التي ساقوها على الترك لانشاء الدولة الأرمنية . ومن ثم عقد لهم المسير فرانكلن بويون معاهدة انقرة في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢١ فتخلت بوجهها فرنسة عن كيكيا جميعا بعدما ذاقَت أكران العذاب . وعن حلفائها الأرمن وعن الدولة التي حملوا بها . بل لم تنس بيت شقة لا طردهم الكماليون من الأناضول طردا لا رجوع بعده . كانت بطولة الترك الوطنيين هذه هي التي فتحت عيون الفرنسيين الى رؤية مصالحهم الخاصة وإلى الاعتراف بأنها لا تتفق مع

في ضللك العربي

أول معرفتي بالبدو وصراحتهم كانت على عهد جمعية الاتحاد والترقي في صراخا لبدو

سورية في سنة ١٩٠٨ فان هذه الجمعية دعت الشيخ قواز شيخ قبائل بني صخر المشهورة بأسرها والقضارية في البادية الى الشرق الى عمان، أن ينخرط في سلكها عملا بالقاعدة التي اتبعتها من وضع كبار الرجال في صفوفها. وتذكرون - ولا بد - أن هذه الجمعية السرية كانت على عهد ظهورها تحرك بجزويتها أركان المملكة العثمانية التاسعة وتز بوقوفها عرش السلطان عبد الحميد القاهر، فلما دُعي الشيخ قواز الى الهيئة المركزية معصوب المينين ليقسم تحتها المنطقة على السيف والمصحف فيقول بحضور بعض الأمراء العسكريين وكبار رجال المملكة من أعضائها: « أقسم بالله وبدينه وبشر في أنني لا أفوق بين العناصر العثمانية » الى آخره وجد هذه اليمين طويته وثقلته على طبعه فانتقل المصاية عن عينيه بحدة وشدة وقال: « والله لا أقسم هذه اليمين أبداً لأن قلبي لا يطيقها. ولكنني أقول لكم: والله إن صدقتم صدقتا وإن بقتم بقتا » ومعنى البرق عند البدو اليوم هو كما عند أجدادهم في الجاهلية « الغدر ». وهكذا دل هذا البدوي الصريح بالشرط الذي اشترطه والتحفط الذي أبداه على بعد نظر وسلامة ذوق أكثر منا معاشر الحضر من العلماء ومتخرجي الجامعات، فأوجد لنفسه مخلصاً من مثل هذا القسم عندما غدر الاتحاديون بإخوانه وأبناء عمه.

وتحمد مثل هذه الصراحة ولو في مناقضة أعظم الآراء وأقدس العقائد. ولدتا الجواث على أن العداوة الصادقة خير من الصداقة الكاذبة، والأكثر الصريح خير من الايمان المنافق.

مندوبهم كالجبال الراسيات في الدفاع عن الميثاق القومي. وحاول اللورد كروزن بكل ما أوتيته من قوة سياسة - بالتهديد تارة وبلاستعطاف تارة أخرى - أن يجمله على اعادة الاميازات الأجنبية الى تركيا فلم يلاق غير الخيبة لأن تركيا الحديثة لا تسمح لها شرفها أن تحقر في عقر دارها - لقد قبل الوطنيون الترك ان يكون الأوروريون أسانديتهم ولكنهم لم يقبلوهم أن يكونوا أسيادهم. وقد سمحوا لهم أن يكونوا ضيوفهم ولكنهم لم يسمحوا لهم ان يملكوهم بيوتهم. وقد رضوا ان يستدينوا منهم ولكنهم أبوا أن يسجدوا لهم. وقد برهنوا لكل أمة تطلب الحياة على أن درهما واحدا من العمل خير من قطار من الثروة.

هؤلاء هم الترك الذين عشنا وإياهم قورنا متواليه. وكثيراً ما كنا نقفخر عليهم بلغتنا وثقافتنا وعلماؤنا وتفوق أبنائنا في نفس مدارسهم الحربية والملكية والفنية. ولئن سبقونا اليوم في مضمار العمل فقد برهنوا لضعفاء الايمان ما على ان في طاعتنا اذا بدلنا ان نستعيد مجدنا.

وانني أرى برادر مجد العالم العربي قد بدرت في غير قطر واحد من أقطاره. وإذا كان أحد من أبناء العربية في شك من المقام الرفيع الذي يشغله عالمهم في النشوء الدولي المقبل فليذكر أن الغرب يحسب حساب العرب منذ الآن قال الاستاذ (اوسكار برونيتش). يسيطر الاوروريون اليوم مباشرة او بالواسطة على ثلاثة أرباع الكرة الأرضية. ولكن خصمهم اللدود هو العرب وسكان آسيا الشرقية فقط.

مجلة الهلال ١٩٣٢

البادية إليها المسادة بحر من أرض باسنة ليس لها آخر وتختلف عن المحيط بتغير. وممشيتها

شكل سطحها. وهي تنبئ كل الشبه الصحراء الممتدة من هنا إلى السورين ومن يركب معها يعتقد الأمال كثيرا ويقطع الرجاء كثيرا. وربما كان السراب الذي يجلا النفس أملا عن بعد فلا يلبث أن يجف آخر ذرة من الرجاء عن كتب هو مثل من أمثال تغلبات الصحراء. فقد مرت في قيط سنة ١٩٢٦ في بادية بباد إلى الشرق من عمان فرايت عن بعد واديا جميلا فيه الخمائل ملققة حول قصر بديع فراهي المنظر فقلت لرفقائي: «هيا بنا إلى القصر؟» فإذا نحن في غابة موحشة لا تكاد نسمع فيها غير حفيف الشجر وكشيش الأفاقي وعراء الذئاب وفي الوسط قصر مهجور قديم تعجرون كل العجب لمن بناه في هذا المنقطع من الأرض اللهم إلا إذا كانت الأحوال الإقليمية قد تغيرت منذ بنائه إلى اليوم. تدل ضخامته والتمائل على بابه وصور الوحوش الملوثة على جدرانه والعيادون بالفوس والنشاب من حولها على أنه كان مسكن الملوك ونبوة الكبراء. وقد حاولنا أن نجد فيه قطرة من الماء نبل بها أنوارها فعبثا حاولنا، لأن آثار المياه فيه قد انطمت فلا بثر ولا مصنع ولا حوض، واسم هذا القصر «عمرة» وعُثر في دار الآثار العربية في القاهرة عن كتاب لأحد علماء الآثار من الأوربيين زاره فوصفه وصفا علميا دقيقا وشرح التماثيل التي على بابه.

وعلى بعد نحو عشرين ميلا من هذا القصر قصر آخر أفرع أجرد تكاد الشمس المحدرة من جوانبه تحرق جلدة الرأس والأرض المحيطة به بلقع لولا قبور إلى غربه يدل الرسم المطبوع فيها على قبائل اللوق المدفونين تحتها. وزاد في وحشة هذا القصر أن الطبقة الثانية منه وقد عمت آثار السلم الموصل إليها إلا قليلا - اتخذها البدو موقدا لموتاهم فنرى أرضها مفروشة باللحف البالية وعليها بقايا الخبث^(١) وهي كثيرة في تلك الأنحاء، ويظهر في أن بناءه من عمل الأمويين بالنظر إلى بعض الكتابات الكوفية القديمة المحفورة على أحجاره. وكانت الطبقة الأرضية منه اسطبلًا لخيولهم ربما أنوا بها للارتياح وأن أبناء ملوكهم على مستونها للتمرن على الفروسية والصفاحه

(١) كانوا أشلاء الموماء ويدعى هذا القصر قصر الخراثة ولعله (الخراثج) نسبة إلى صغار الأرانب.

وحدث لي في سنة ١٩١٤ عقيب إعلان الحرب العامة أن ذهبت إلى جبل الدين البدو الدروز في خدمة الحكومة عثمانية، وكان المرحوم يحيى بك الأطرش يورث قد عاد من منفاه. فدعاني لزيارته في قرية «عري» وفيها أنا على الطريق أبصرت بقعة بيوت من الشعر فقلت لرفقائي: «هيا بنا نشرب القهوة» فزأنا فرأينا نفرا من البدو بينهم شيخ طاعن في السن بلحية بيضاء أكسبه جلالا وأسائير في الجبهة دلت على ماض طافع بالجوارح فقلت: «من العم؟» فقال: «من بني الحسن»، ثم أخذنا تتجاذب أطراف الحديث، فسأته: «من هو السلطان الحاكم على المملكة في تلك الأيام» فقال: «الله يعلم هو السلطان عبد المجيد ﷺ» فاستمت فادرك من ابتسامي خطاه فأراد إصلاحه فقال: «لا... لا... الله يعلم هو سامي باشا؟» يريد المرحوم سامي باشا الفاروقي القائد الذي أخضع ثورة جبل الدروز في سنة ١٩٠٩. فقلت: «وأي مسكنه؟» فقال: «في الزنوبل» فقلت: «وأي؟» فأنشأ بيده إلى جهة الشمال وقال بصوت ناعم للدلالة على القرب: «من غاد... من غاد...» كان القسطنطينية على مرمى حجر.

ثم انتقلت إلى ذكر الدين كما هي عادي مع البدو لمعرفة تصوراتهم الروحية فقلت: «وما هو دين الشيخ؟» فقال: «وشن هي الأخيرة؟» فذكرت له الموت فالتفت فالتكين فالنسخ في الصور فالبعث فالإيزان فالصراط فالجنة أم النار. فالتفت في الأرض فالتفت في الأرض مليا ثم لحن بيده النحي مستكرا وقال: «لا والله ما في آخره» قلت: «اذن ماذا يصير بنا بعد الموت؟» فقال: «نصير قرابا!».

هذه خلاصة رأي الشيخ البدوي في السلطان والحكمة والأخرة. وفي وسعي أن أقول إنها تموج يطبق على تصورات البدو في السياسة والجغرافية والدين أجمالا إلا من اتصل منهم بالخير أو وصله دعوة دينية أو قومية جديدة.

وأرجو ألا تظنوا أن مثل هذا التناقض في العقيدة خاص بالبدو، بل هو عام يشمل جميع البشر إلى درجات متفاوتة، لكن البدوي ماء ضحاح، والخصري لجة عميقة. وأعرف مبشرا ورعا يؤمن بالتوراة وينظريه الشوء معا، وآخر مسلما قسا يدعو إلى الشيوعية.

النظر. وأما إذا ضفتهم فاكلت خبزهم وملحهم امتدت هذه الحماية إلى مسافة ثلاثة أيام فلو أصابك ضيم وأنت في ضمن هذه المضافة فهم ملزمون بالأخذ بتأصرك وإعادة ما سلب منك والتأثر لدمك لأن الأخوة التي عقدت بينهم بسبب الزاد هي أخوة مشدودة الأواصر وفيها تبعه الأخ نحو أخيه.

وزلت في سنة ١٩١٥ على ماء بالقرب من « دير الزور » يدعى « بقاب » فأمسك بيدي الشيخ صالح خويلد شيخ القافلة التي كنت فيها وأخذني إلى (ميرك) بجانب الماء فقال: « اسمع حديث هذا الميرك: فقد حدث منذ حين أن بدويا من قبيلة عزة » ضاف بدويا آخر من قبيلة تنزل بهذه الديار اسمها قبيلة « ابن جلد » وكان العمري راكبا فرسا شقراء من كرام الخيل، فطمع فيها المضيف الجلادي فلما أن غادره المضيف خرج إليه صاحب البيت فربط له على الطريق ثم طلب منه الفرس فعنفه العمري على بوقه. ولما رأى أن لا فائدة من التعنيف قال: « هاك خذها وموعدنا القاضي » وفي الربيع القادم حاكمه إلى ثلاثة من التعنيف قال: « هاك خذها وموعدنا القاضي » وفي الذي تحدثنا عنه وهم شيخ عزة وشيخ الرولا وابن مجيد فحكموا له بالاجماع أن يسترد فرسه، وأن يعاقب البائث على غدره بالانزعال عن القبيلة مدة خمس سنوات، فلا يختلط في خلالها بالمعشيرة، بل يعزل عنها بعيدا على مسافة معينة، ولا يتبادل مع أحد منها السلام، وأن تمنع المصاهرة أو المناسبة بينه وبين غيره منها باتا، وهذا العمري أشد من الحرمان البابوي الذي يصدر بحق الجرافقة من المائيكات.

وأما بيوت الشعر ورساطتها فحسبي أن أقول فيها لقد انغمسنا معاشر حرية الطفر في البلخ واللهر حتى صار بيتنا وبين المعيشة الأولى الساذجة هوة عميقة لا يستطيع اقتحامها، وعبدنا في مطالبنا الماعون ونفسنا في بيوتنا آلهة من الرياش وأصنامنا من الزخرف حتى كدنا ننسى روح الطبيعة وجالها الفنان... فبعد الترويب وقبل الشروق يزدان الأفق في الجراء بالوران تدرى بالقصور وأنوارها وفي الخلدس تتلألأ السهات بالكواكب فيبدو لك الجمال والجلال بما يصغر في عينيك الثريات المذهبة والمستضيئين بها. وأن أرضا من الرمل النقي الذي طهرته عين الشمس منذ آلاف السنين لأجل وأنظف من

وشطفت العيش كما ذكره المؤرخون.

وكان معنا في زيارة هذا القصر شيخ الخرشان من بني صخر، وهو الشيخ حديثة الحريشة، مثال العروبة في الصدف والشجاعة والكرم. فسألناه عن الماء: « توجد في هذا الوادي، » ثم سأل « هلوما بنا نبحت عنها » فجبنا في واد قاحل وعلى بعد نحو ميل من القصر وجدنا رباوة من الأرض كانها كتيب رمل فصددها وبش قمتهما بأصبعه ثم كس التراب بطرف يده حتى كون حوضا صغيرا بقدر راحة الكف فرشح إليه الماء وقال هذه: « هذه شمية بروي ماؤها قطعيا من النغم » - والشمية بالمرية القصصى الخوض من الماء أو غيره - وعندما ارتويتنا من ماء قراح لا عيب فيه إلا ما يثوبه من كدرات الرمل بالنظر إلى صغر الرعاء الذي هو فيه أعاد الشيخ التراب يده إلى ما كان عليه. فسألناه عن السبب فقال « لا تخفي الماء عن عيون الأعداء الذين يشنون الغارة على هذه الانحاء »

وهكذا ظهر لنا في ناحيتين متجاورتين من الصحراء كيف يتحول الرجاء قنوطا والقنوط رجاء.

ولا أدل على ارتباط الأقوام بالبيئة التي يعيشون فيها من ارتباط البدو بالصحراء. فمعيشتهم وعاداتهم وأخلاقهم وشرائعهم وعقائدهم بسيطة طبيعية جافة تتناسب مع الأبل والكلا وموارد الماء الشحيحة التي يردونها وتنطبق عليهم القواعد الاجتماعية التي تنطبق عادة على كل قوم يتبعثرون وهم قليلو العدد على سطح واسع مترامي الأطراف، والقلة في المادة إلى القلة في قواعد التعامل وأصول العلاقات.

ففي البداية تنمو روح الاعتماد على النفس والفروسية القائمة على أوضاع لا يجوز الخروج عنها. ويصفح الرائد التاكل حتى عن قاتل ابنه إذا احتنى « بالحرم ». وللبدو كرم صار مثالا في المشرق والمغرب. ومن عاداتهم أنهم إذا قالوا لك: « السلام عليك » فإنهم لا يقصدون بكلامهم مجرد التزيين والمسايرة، بل يقصدون أنك حقاً أصبحت بأمن من الشر لثوب السلام الذي اكتسبت به من تحييتهم، وأنت إذا مررت ببيت من الشعر فشربت من مائه صار لزاماً على أهله أن يحموك على مسافة بعد

رجل سردي من قبيلة القتال فقام الخادم يدير علينا فناجين القهوة فلما وصل الى السردي صب قهوته في الفنتجان ثم سفحها على الأرض كناية على احتقاره كأنه أراد أن يقول له انك لا تستحق ان تشرب قهوتنا لأنك من قوم يعرفون اخوانهم ولا يراعون ذمة الضيوف . لكن جرائم البدو في سبيل المال هي على كل حال جرائم ظاهرة وجرائم الخضر وبالألف جرائم مستتر: أفلا تقرأون كل يوم أنباء تلك الحرائق المصطنعة التي ترتكب في عواصم الحضارة لابتزاز الأموال من شركات التأمين فلا يلتفت الجناة فيها الى ما قد ينجم عنها من المآل الكارثية في الأموال والأرواح؟

ولدرس البيداء فائدة اجتماعية جزيلة وهي أنها تربك المجتمع في حالة درس البيداء بسيطة يسهل تحليلها خصوصاً لظهورها من عوامل الترويق فالبيداء مثلاً هي في حالة حرب مستمرة. فقد حدث لي في صيف سنة ١٩٢٦ أنني كنت نائماً على سطح في قصر خراب يدعى (المورق) وكان معي عدد من الأخوان المجاهدين منهم نزيه بك الزيد العظم ومعنا رجال من البدو بينهم الشيخ حديثة وابنه فافقنا قبيل الشمس على طلقات النار، ذلك لأن الشيخ عندما فتح عينيه وجد جماعة من البدو يقربون من القصر فلأفاهم بوابل من الرصاص فقابلوه بالبلل . ولما قمنا نحن عملاً عملهم ايضاً من غير تفكير وبقي تبادل العيارات النارية بيننا مستمرا حيناً من الزمن الى أن صاح واحد منهم « يا حديثة! يا حديثة! نحن ربك نحن صخور، حيثما تحول ضرب الرصاص الى عناق. ألا تعيد هذه الحادثة الى الحاضر ذكريات ديولات البلقان على عهد الدولة العثمانية وكيف كان الذي يتجاوز الحدود يقابل بالطلاق النار؟ بل إن هذا التوتر في الأعصاب لا يزال نجماً على حدود بعض الدول العظمى، فاقبل بادرة تقابل بالشدة المتناهية ولو كانت من طائفة طائر تطير على غير هدى».

وعند البدو قاعدة يبيحونها لانفسهم تسمى « الثيب » وهي أن يفاخروا بيتاً على الخيرة بكون به ليلاً فيمسحونه مسحاً من غير نظر الى صاحبه سواء أكان صديقاً أو عدواً فيأخذون جميع ما فيه « على بركة الله » حفظاً ونصيحة! عما يعيد الى الحاضر مهاجرة ايطالية لطرابلس الغرب في سنة ١٩١١ ومهاجرة المانيا للبلجيك في سنة ١٩١٤.

هذا السجاد المعجمي القاتم الذي ينقل الادراك من دار الى دار ومن جبل الى جبل، ولنظرة الى جوانب الخيمة تلعب بها الرياح أحب الى القلب من تلك الاسرار الغليظة التي تحكم ساكني القصور بالسجن المؤبد.

أنت في بيت الشعر ابن الطبيعة لأنك اقرب الناس اليهم وأشدهم اتصالاً بروحها الجذابة، وقد حلت رجلك من جميع القيود المصطنعة الثقيلة التي تشل حركات وتجعلك عبد الماديات البالية وأسير الآراء السخيفة.

ليس في الصحراء حاكم لتفصل في قضايا النوازل وارتفاع الواجبات وبرز الشرفات وعرض الجيطان وضيق المجاري وسد المناظر ومنع النور وحسن الهواء، لأن الناس جميعاً يتمتعون على السواء بهذه النعم الطبيعية الجزيلة - وليس هناك أجور عمال واعانة عاطلين، بل ليس هناك رسم خفر ودراتب موظفين لأن الجميع يعيشون على السواء عما تنبت الأرض من كلال وما تحمل من سائمة. وأما القاهي والقامر والحانات وغيرها فقد تركوها زينة لعواصم القرن العشرين. وعندهم أن بيتاً عملت من جبالك الشمر يعيش تحتها أناس لم يطلخصوا بعيب المدينة أو حطة أخلاقها أسمى وأشرف من قصور شيدت من قطع الصخر تعيش في أكنافها الجراثيم الاجتماعية القتالة. وإذا كان لا بد من التفاضل بين الانسانية والقصور، فخير أن يكون هناك بشر يعيشون في العراء من غير قصور من أن تكون هنالك قصور من غير بشر.

على أن للبدو عيوباً لا يسع الباحث انكارها فهم يحبون المال جبا جبا، وقد يرتكبون في سبيل الحصول عليه أفظع الجانيات. كما حصل للمرحوم سعد الدين بك الزيد العظم، وهو أحد الرجال الافئدة الذين أسسوا الثورة السورية وحضروا معنا مجالسها الأولى. فقد أراد الذهاب الى شرق الأردن مع رجل من « السردية » خاواه ليلته على الطريق وفيما هو نائم في حظيرة على الحدود قام اليه السردى وفتح رصاص البندقية في رأسه طمعا في ماله. وقد كان لهذه الحياة العظيمة رنة أسمى في مضارب البدو، وقد شهدت في صدها مشهداً بليها فأننا كنا نأزرن عند أي على حديثه ومعنا

وتخج وتزكي . فإذا كانت اجوبتك صحيحة قمت اليك وعانقتك عنق الأخ لأخيه وقد عففت عن النساء بيتانا، والمرأة عندنا صارت تغطي وجهها بالثياب لأمر ابن سعود الذي يسمى الوجهة عورة ومكتوبه يقول:

يا ولي العرش يا مدير الحباب^(١) ساعن باللي مضي بالجاهلية يسأله اني تسابسا لك ثم تساب من حرام البيض^(٢) لا يكتب علي لا بد من حطة رأسي تحت النصاب^(٣) ينشئون الغروش من ترب علي وقد سألناه عن الصلاة فقال: «أصلي على طريقة ابن حنبل» وسألناه عن ابن تيمية مؤسس الطريقة السلفية فلم يعرفه بل اعترض على قلة الخطباء عندهم وهم الفقهاء ولكنه قال: «والآن ابتدأنا يصير لنا خطباء ماهرون فإذا حضرننا معهم صلاة الجمعة لا تسمع إلا نهيمننا (بكلمتنا) وكنا من قبل لا يتزوج الحرامنا عبده أما اليوم فلا كبرية (تكبر) بيننا» ثم سأله: «ولو قلت لك انني نصراني فماذا تفعل؟» قال: «أخذك الى الشريح لاسمع حكمه فيك فلو أمر بقتلك قتلتك والا تركتك حرا طليقا».

انهى حديثه بقوله: (كانت البلاد غزوات من اوهلها الى آخرها لكنك اليوم لو ضاع منك بعر لبقى ملاك لك أربع سنين، ولو سقطت منك هذه النظارة التي بيدك في القفار لبقيت السنين الطوال في موضعها . كنت قبل التدين لا اعرف غير سورة الفاتحة أو لا اعرفها . اما اليوم فأقرأ الفاتحة (وقد قرأها مخلوطة قليلا) وأقرأ الصمدية وهي (الله أحد لا من يولد ولا هو يكفو احد) وأقرأ سورة الناس وهي (أعوذ برب الناس الخناس وعن الوسواس وعن الذي قرأ يقلرب الناس) ثم قرأ سورة العاديات بتحريف مدمش وزادات مستغربة فاعاد الى خاطري سورة تلاها علي بدوي (عسري) على حدود العراق سنة ١٩١٥ وزعم أنها من القرآن وهي (عفرت خدي برباك أعني ثوبك لا حول الا بك الله اكبر) .

(١) الرساح

(٢) النساء البيض

(٣) النصاب والأحجار والصرع هو كناية عن الموت

وقد يؤذي درس الدين في الصحراء الى بعض النتائج المهمة . فالروايات مثلا هي دعوة دينية اصلاحية جديدة بين قبائل البدو وقد انت بعض الثمرات ، لكن الانقصار فيها على الاصلاح الروحي لا يكفي لانتشارها ، بل لا بد من الاستعانة بأموال المشركن لادكاه نيرانها في الأفئدة هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فنجاة عدن تجري من تحتها الأنهار . لا حرم أن البدوي الرواهلي يقتحم النار لمحاربة من يعددهم مشركين من قراء الفواح على القبور والمستعنيين بالأولياء والصالحين للشفاعة عند الله ، فإذا فاز عليهم استباح أموالهم وإذا مات فأتوا بموت شهيدا في سبيل الله .

وانني أقرأ لكم من مذكراتي أخباراً قُرأت منذ حين خلاصتها على بعض جامعي اكسفورد وكامبريدج لما فيها من وصف المادية والانتقال من الكفر الى الايمان كما كان يحدث في عهد البريات، وداريخها - الازرق في ٢٧ أيلول - سبتمبر سنة ١٩٢٦ : اجتمعنا هذا الصباح بديلم بن علي الشراي وهو من مواليد المغيرة في وادي السرحان وعمره خمس وأربعون سنة قضى معظمها في الجوف وغزا حتى بلاد الشبل ووصل الى الكركيت ورأى البحر المحيط وغزا بني عطية وكاد يصل الى مدابن صالح . تدن - أو دخل في الوهاية - منذ عام واحد وقال عن نفسه كان حالي قبل التدين أسلب أخي اذا صادفته وما عرفت وجهه ولا أترك عليه الا ما يستر عورته وأزني بالرة في فراشها وأقلع بالبندقية النائم بجانب بعيره لأخذه منه . وعادتنا أنالمنع ، وهو الذي يدخل في حياتنا لا يقتل بالدموي وبالدم يقتل على أي حال . وما كنت أصيب الماء على بدني للتطهير أو لغيره أبدا بل كنت ختيرا نخوتنا . وما كنت أصلي بل أصرم دائما مثل أكثر الشرايين . والذين يقرأون ويكتبون منا هم اقل من واحد في ألف . واليوم أوصا وأغسل ثوبي كل يومين مرة . ومنذ ما تدينيت ما سلبت أحدا مسلما الا من كان مثل صاحب الدلول (وأشار الى بدوي بجانينا) وهو من السرحان . فهو لا يس لم دمة بل يقولون انهم يدخلون الجنة على ظهور الخيل . أما أنت فلو صادفك على الطريق الى «الجوف» لانتخت بعيرك وسألتك عن سفرك وهل انت عان يعني تقصد احدا وما هو دينك فإذا قلت الاسلام سألتك هل تعصي وتصدوم

حمدان بخر بعثرت الي بعينها يا عين شهبانة صل شف صفار
أي يا حمدان أنظر فقد نظرت الحبيبة إلي بعينها. وهذه العين كأنها عين
الشاهية أو الصغرة على كعب الصقار.

مثل البوارق يوم ترمى جيتها بروق الثريا حين طيحات الأمطار
أي أنك يوم تنظر جيتها تراه مثل البوارق وهي بروق الثريا حين
تطل معها الأمطار

ونورد ما مصها براطم جيتها حمر ثمرهن يفض يا زيد وصفار
أي نهزدها ما مسها قم الطفل فهي حمر وثمرها أبيض وحجمها صغير
صحفتين ما هي خطاة البدنيه سيحان من تحت الركب تقل جمار
أي هي سخيصة أو نجيفة ليست مصابة بعلة السمن ولها سيقان من
تحت الركب مثل الجمار

من طلعي ما شفت حسنها وزنها من النسام لليلقا لسونس لسنجار
ومن أمضي الماسي والدعها ما رواه لي كريم خطيب الخرشان عن عرار
ابن الضيم وكان من كبار الفرسان فانه غزا بلاد الفرات وفي أثناء غيابه خرب
السل بيته بالحريم والأولاد فلم يبق منهم اثرا فلما عاد من غزوه طلب من
رجال القبيلة ان يدلوه على المكان الذي كان فيه البيت ويجري فيه السل
المشروم فدلوه عليه فوقف مطرقا الى الأرض ثم أنشد:

يا دار ما أنت دار العام الأولى بقتينا الله ببوقك دار
أي يا دار أنت لست دار العام الأول لقد خنتنا خناك الله من دار

ذا مربوط المشهور وذا مركز الفتنا يا نقرة الخطار مابش نار
أي هذا هو مربوط حصاني وذا مركز الريح. ولكن يا حفرة الزوار ليس
فياك نار

ولذي التبع في الصعراء على ان الدين الجديد قد لا يقلع العادات
والعقائد والمعتقد القديمة جميعا، بل ربما كانت نتيجة ادخاله المرح
والاستلاف كما هي الحال في الاقطار المدنية فالاسلام لم يقض مثلا على
عادات المصريين في نصب المائم وسكن المقابر كما كانت الحال في عهد
الفراعة ولم يتغلب على عادة الفندوس في تحريم زواج الأرملة، والبدوي
الحر لا يتزوج بالاماء من خادمة او عبدة او عموكة، او بالمرأة الأخ بانية
العم اللح اجالا ورمي (المصخور) بعض العقائل بقولهم ان المطلقات في
بناتها لا تمسك المدة وضربوا على ذلك الأمثال.

اللغة والأدب ولا شيء يخلو للاسماح في البداية مثل اللغة فهي حية متحركة لها نبرات
تربل عنها وصمة الجمود أو النطق على وتيرة واحدة، وفيها أوزان خاصة غير
مالوفة كقولهم للبيت ذي العمودين (مدول) ولذي الثلاث (مثرل)
ولذي الاربعة (مرويع) وهلم جرا ولا أدري من أين أتت (مدويل) ولعل
ها علاقة بكلمة (دويل) الأفرنجية التي تعني المضاعف، ورأني بدوي اسمه
صقر من عربان نجد وكانت يبدي نظارة (زايس) فقال ما هذا لينظر، بوزن
اسم الآلة، وكان قد رامها لأول مرة وحذرني البغيبي الذي كنت نازلا بيته من
طفله الصغير فقال هذا ولد (خربان) يعني غيابه فقبل لي (مدنق) كانه مصاب
وسألت عن علي بن حديثة وعن سبب غيابه فقبل لي (مدنق) كانه مصاب
بحصى الدنج. ولا أثر لكلمة قم عند بني صخر بل يقولون (ائم) ولا شفاه
عندهم بل (براطم) والباسم هي البراطم الجيدة، ولم اسمعهم يستعملون
الشي بل يقتصرون على الفرد والجمع ويستعملون نون التانيث خصوصا في
الشعر وكذلك التثوين خاص بالشعر تقريبا للرنه الثنائية التي يكسبها
للكلام الموزون. وسقطت أحرف كثيرة في كلامهم منها حرف (بل) وفاء
(التقفية) ولكنهم يقولون بدلا منها فقا نحو جاء محمد فقا خالد. وعندني
أن هذه الفاء هي مختصر فقا اختصرت لكثرة الاستعمال وقد احسن النحاة
بسميتها فاه التقفية وسمعت لهم شعرا في التشبيب يدل على نفسيهم وعلى
البيئة التي يعيشون فيها والعادات التي نشأوا عليها وهو كلام موجه الى رفيق
اسمه حمدان الفت نظره الى محبوبة الشاعر:

والضحك واللبا، فصلها ومنزلها

في معارج اللغة العربية أن الضحك ضد البكاء وهذا تعريف ناقص لا يفيد كثيرا ولا اخال أهل اللغة اقتصروا على هذا التعريف الا لا في تحليل النفس عند الضحك من المشقة العقلية. والاصح أن يقال مثلاً: اذا طابت النفس وشعرت بما يثير الفراء والسخرية أو احست بالاستياء وهو ما تحصل عليه من الكفاية في المادة أو في المعنى فاضت هذه المشاعر على الوجه بتغير الملامح من ابراق الاسارير ولعان العيون وحدوث تبدل في عضلات السحنة خصوصاً عضلات الفم، واندفاع اصوات جلية وأخرى مبهمه تنشأ جميعها عن زفريات قصيرة من اهتزازات في أوتار الصوت وانسجة المنجورة والخلق. هذا هو الضحك من وجهه العقلية والجسدية وهو من الأساس عمل غريزي كالرضاع أو (الزواج) تنطبق عليه قواعد الغرائز اجمالاً فهو: أولاً: عام بين افراد البشر الا المرضى من بعض ذوي العاهات المعصية. ثانياً: انه فطري غير مكتسب بل يولد مع الطفل، وان اختلفت الأقوام في الاستمتاع منه، فالبعض مقل والبعض مكث، ولعل للتربية اليبثية والشؤون الاجتماعية والادوية علاوة على الخصائص الجنسية شأنًا في ذلك.

ثالثاً: انه ينبعث عن دافع يشعر به المرء ولا يكون تقليده الا ناقصاً لفقد الروح التي تشبهه.

رابعاً: انه في ابدان حدوثه يحول دون سائر الاعمال الجسدية والعقلية، فالرجل الذي يضحك مثل الطفل الذي يرضع يكون متفانيا في

أي أنا كالطير مقصص بين ريشه يراعي بعينه كل طير طار
انا كما هرش على السدار بارش يحن اذا مرت عليه بكار
أي أنا كالجمل المتيق البارك على الدار يحن إذا مرت عليه صغار الإبل
ثم سحب سيفه من غمده وأدخله في أحنائه وهو يقول:

يا قاعدا على الدال وأنت تشموها انت حمار ما وراك حمار
أي أيها القاعد على الدال وأنت تراه إنك لحمار ما بعدك حمار

وجمعت من رجال الخرشان كروبا الخليل ورجلا آخر اسمه البغلي وثلاثة آخرين وسألتهم لو عدتم الى عالم الذر في بطون امهاتكم وخبرتم قبل مجيئكم الى الدنيا، فأي حياة تحبون البدوية أم الحضرية؟ (فاجعوا من غير تردد على ان البداوة إذا كان وراءها كفايتها من الإبل والرعى هي خير من حياة يتنزه بها كما قالوا تضمن للمرء استقلاله وحرية في التنقل من غير أسر لأحد).

اما نحن يا من نعيش في أوج المدينة ونتمتع بهذا العمران المستفحل من قصور شاهقة وأشجار باسقة ونركب القطارات ونسبح في العليات ونستخدم السلوكي واللاسلكي والهاتف والراديو وسائر أنواع الكماليات، لو وضعنا في الكفة الواحدة هذه النفائس الرفهة وفي الكفة الأخرى الحرية المفقودة التي تعني بها كريم والبغلي واخوانها من بسطاء البدو أقلا يكون جوارنا من روح جواب عراب بن الضمير وعلى غطه (يا قاعدا على الدال وأنت تراه وصاربا على الضمير وأنت تمايه، أنك في الجهالة لا تجارى وفي العباوة مقطوع النظير).

مجلة الهلال ١٩٣٦

يتخلص المحجوب الحائز - وهو جدار من عضلات بين الصدر والبطن - تقلصا تشنجيا فجائيا يثير شهقات فجائية مع أصوات أخرى تتولد في الحنجرة والحنك. ويلاحظ المرء أبلغ أنواع البكاء عقيب خلو التزل من الميت عند الأمل والتكامل وبين الأيتام وأما الذين عضفهم الدهر بنابه بعد رخذ من العيش فان بكاءهم مثل في الشدة والاستمرار.

وعا يدل على ارتفاع اللغة العربية - وكانت لا تزال في نشأتها الأولى - ارتفاع لا تضارعا فيه اللغات الأخرى حتى التي صقلها العلم الحديث وزينتها الكليات الجامعة، ما نشاهده فيها من اختلاف الكلمات للدلالة على التغير الدقيق في المعنى الواحد فقد قال العرب لن رفع صوته بالبكاء نحب، ولن تردد البكاء في صورة من غير أن يظهر، نخط، وللمصبي اذا انقطع صوته من شدة البكاء، فحم، وللمرء اذا تبها للبكاء، أجهش، والشهيق عندهم تردد البكاء في الصدر، والتفويض ان يرد الانسان البكاء فلا تحييه العين.

وقالوا لن يكثر من البكاء بكاء كما قالوا في معرض الملح لن يكثر من الضحك ضحكا وفي معرض الدم ضحكة، والابتسام الضحك من غير صوت، والافتقار الضحك اللطيف الحسن. وقلدوا الصوت الطبيعي فقللوا قه لن اشتد في ضحكك لأن « قه » هي حكاية صوت الضاحك فاذا تكرر الله صار قهقهة. وقالوا كركر لن رفع صوته بالضحك، وحث الضحك لن وضع يده او ثوبه على فمه ليخفيه، وانتخ لن ضحك باستهزاء والفرقة حكاية الضحك المستغرب والطخطة أفصح أنواع القهقهة. و « إهاها » و « تنن تنن » و « قفن قفن » حكاية للضحك بحسب الأصوات الصادرة عنه. عا يذكرني ب « احم احم » في لغة اهل الشام للتلميح والاستهزاء. وتطبق قواعد الغريزة مع شيء من التعديل على البكاء اجمالا مع مراعاة التضاد بينه وبين الضحك طبعا. ويشعر بعض الناس ولا سيما السيدات باستنفاء وراحة عظيمة بعد البكاء في أحوال خاصة. ويلا المولود حجرة أمه النساء وعي قبل أن يفتر بالتسليم كانه عالم بما تحيي له الأيام. ومن الناس من لا يرى باكيا الا بكى ولا سمع شاكيا الا شكى:

عمله غير ملتفت الى غيره، وقد يبلغ من الشدة أن يتوقف الماشي عن مشيته أو يشل البدن والرجلين أو يفلج عواصر الجسم خصوصا في ضمفء الأعصاب. ومنهم من يستلقي على قفاه من شدة الضحك وأعرف رجلا أصيب بفتق في حاله عقيب نوبة من الضحك. خامسا: يصاحب العلامات الظاهرة الدالة عليه شعور بالسر والابتهاج. ويزداد المباحث الذي يدعو الى الضحك شدة كلما حاول المرء قمعه. لذلك عد الضحك من الاعمال غير الاختيارية التي قلما تسلمت عليها ارادة المرء.

سادسا: لا يتولد هذا الابتهاج في النفس بمجرد منه من المنبهات المادية الطبيعية، بل بواسطة ادراك او فهم لحالة طارئة ذات صبغة خاصة. فالضحك له مواضيع تدل على ادراك لشؤون واقعة ولو في الخيال ولا صدق فيه قول العرب (الضحك بلا سبب يدل على قلة الأدب).

سابعا: اذا رأى الانسان غيره ضاحكا بطريق العدوى لغير ما سبب، وهذا ما يدعى في علم النفس « بالعطف السلي » بين الأفراد. وهو عطف يفسر كثيرا من الأعمال الاندفاعية التي تنتقل بالعدوى بين الناس.

أما البكاء فهو اظهار كرامن الاسى ولواعج الانفعال يسكب الدموع مع تغير في الملامح وعضلات الوجه، هذا هو البكاء الصامت وقد يكون من أبلغ أنواع البكاء كما فعل مؤسس مجد العرب يوم رثى ابنه فقال:

« ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لحزونون ».

أما البكاء الناطق فيضاف فيه الى ما تقدم شهقات قصيرة عميقة وزفرات طويلة تكون الفتحة فيها بين الأوتار الصوتية مغلقة. وإذا طال أمد البكاء صار تنهدا يكاد يفض صاحبه به من شدته وفيه

جاره، وذلك فيمن كانت هذه المخازن فيهم مشبعة بهذه القوى مع ضعف شديد في قوة الإرادة التي تقوم بحراستها والاشراف عليها والجلولة دون تدخل بعضها في بعض. فقد يحدث لبعض النبات عند البلوغ مرض يدعى « الاختناق » فتغلب فيه الانفعالات على الإرادة تغلبا تحكميا حتى تصبح البنت فريسة للبكاء والضحك في لحظة واحدة. وربما فسرت هذه النظرية ما هو مشاهد عند بعض الاندفاعيين والثوريين من الانتقال السريع من طرف الى تقصصه، فكلم من صالح متورع متزهّد انقلب بين عشية وضحاها الى طالح اباحي لا يعرف شيئا من الحلال والحرام، والعكس بالعكس، حتى حرم بعض الفقهاء الحكم على مصير الفرد بعينه. واعرف رجلا كان حتى الحرب العامة عالما في الوطنية العربية فاصبح ركنا من أركان الاحتلال. ويدهي ان مثل هذا الانقلاب الرابع في المبادئ الأساسية يدل اجمالا على مجموعة عصبية خالية من الانسجام والتوازن. وهذا لا يعني أن بعض كبار الرجال لم يكونوا ثم يضحكوا على الأثر لانفعاليين متناقضين يحددان عقب التفكير العميق، بل ان هذا يؤيد ما ذهبنا اليه من تجاوز هذه المخازن وتناوبها حتى فيمن كانت الجوايز الانفصالية بين اعصابهم متينة وثخينة، وقوتهم الارادية توحزح الجبال. قال هيرودوتس في تاريخه إن (زركيز) ملك الفرس المشهور بالبه وتربيته لا كان في طريقه لغزو بلاد اليونان عرض جيشه اللجب هو يعبر (الدردنيل) فلما رأى البحر مغطى بسفنه وشطوط (أبديوس) مكثلة برجاله أعلن فرحه الشديد ولكنه ما لبث ان بكى بكاء مرفسا (ارتبانوس) عن سبب هذا التناقض الغريب فقال الملك : « نعم لأنني بعد الحساب شعرت بشفقة وحنان من الفكرة التي دلني على قصر حياة الانسان وبعد ذلك عندما رأيت ان من بين هذه الجماهير العظيمة لن يبقى فرد واحد على قيد الحياة بعد مرور مائة سنة ».

وقد يحل الضحك محل البكاء والعكس بالعكس. فالعصبية التي تقض المضاجع قد تولد في احوال خاصة نوبة من الضحك - « الصغراوي » - لا جرم أن العرب قالوا في أمثالهم « وشر المصاب ما يضحك » وانك لتقف في محطة السكة الحديدية على الرصيف الواحد فتجد قطارا مسافرا والدموع تنهمل من عين الوالدة من لوحة الفراق. وترى على الرصيف الآخر قطارا

ولكن بكت قبلي فذاكرني البكا بكاهها فقلت للفصل المتقدم ومنهم من تنشق جروحه ويحسب الدمعة يسكبها الناس كأنها يسكبونها على قبر محبوه لان العصبية جامعة شاملة:

فقلت انركوني فالأسي يميت الأسي وهذا جيما كله قبر سالك وذكر (توماس هوبس) الكاتب الانكليزي المشهور البواعث التي تثير فينا الغم والسخرية عما يؤدي الى الضحك فقال انها بالاجمال نكبة بسيطة تعيب غريزا فحملنا على الضحك، واننا نشعر حينئذ بلذة لاننا نحسب انفسنا ارقى من الذين اصيبوا بتلك النكبة لجليلهم وحققهم. اذن فالضحك عنده هو (المجد الفجائي) الذي يتخلله المرء في نفسه. ولكن الاستاذ (برجسون) نسب الى الضحك وظيفة اجتماعية مهمة غير اللذة، فقال اننا بالضحك والسخرية نقوم اعرجاج الذين نضحك عليهم. وهي طريقة كثيرة الانتشار عند الفرنسيين في بيرتهم ومدارسهم وجمعياتهم. والتكتيك للاصلاح طريقة مألوفة تسلكها الصحف اليوم خصوصا ذات الصور الغريبة منها.

غير انني ما زلت انظر الى الضحك انه ظفح، او فضان من قوة اندفاعية مخزونة في الدماغ متى بلغت حد الاشباع فاضت ولو لآل باعث. فيكون هذا الم باعث شبيها بالزر الكهربائي متى دار سالت الكهربائية بواسطة من مخزنها وجرحت في سبلها الطبيعية. وهذه القوة الاندفاعية مثل سائر القوى الكامنة في النفوس تريد وتنقص ويحوز الافراط فيها على حساب غيرها، بل قد تكون مفرودة كما يفقد بعض الناس قوة حيوية من قواهم الخلقية. والعوائد التي تنجم عنها للانسان هي فوائد صحية وعقلية من تنبه وسرعة تنفس واشتداد في الدورة الدموية وشعور بالكفاية والاستيلاء مع التسلي وتحويل النظر وتوقيف مجرى الافكار وهذا كله رياضة مادية معنوية. ويؤيد هذه النظرية ما يلوخ لي من أن غازن الانفعالات من حزن أو فرح أو بكاء أو ضحك أو زهد أو خلاعة مثلا هي في الدماغ متجاوزة او متصل بعضها ببعض، بحيث يحل الواحد منها محل الآخر أو يهيج الجار

الرجعي المزوج أما أصحاب التلين الدماغي فهم كالعصبيات من النساء تنهمل دموعهم لاقفل حادث.

وقدما أُنذر الحكماء من يضحكون كثيرا بأنهم سيكونون كثيرًا، كانوا عرّفوا أن كثرة الضحك تدل على الاستخفاف بما مضى وقلة الاكتراث لما هو آت. ومن عاش في الدنيا غير مبال فعليه أن يتحمل في آخر الأمر تبعاته، وإن يبكي بكاء مرا. على أن الطبيعة الإنسانية في حالة الصحة حريصة على الاستمتاع من الضحك كلما حانت الفرصة، بل هي تضحك وتسخر عن تغلب حالم المراساة والعطف والاشتراك في التألم معهم. وهذا لعمري لتخفيف إعباء هذه الحياة الحافلة بانواع الحزن والبلاء. ألا لو بكينا دائمًا وها ضحكنا أبدًا لارددنا شقاء على شقاء. ونحن إذا ما شعرنا بالفتور في العزبة والحمل في الأفكار فكثيرًا ما روحنا عن أنفسنا بحضور الروايات التمثيلية الغزلية واستأنسنا بمجالس أهل النكات والادب.

وكما يعرف الفرد بلهجته ونبرة صوته كذلك يعرف بشهيقه وزفيره في ضحكه أو بكائه، بل قد يكشف التبع الدقيق وتحليل الأصوات والانغام بالطرق العلمية الفنية بعض الميزات الخاصة في القهقهة والطنطنة والعويل والنحيب عند الجماعات والأقوام مما يساعد كثيرًا على تقسيم البشر وتوزيعهم واطهار العلاقات بينهم. ولا شك أن في ضحك بعض الأقوام الخشونة ما يقابله من النعومة في الأقوام الأخرى.

وذهب بعض العلماء إلى أن الضحك والبكاء من الغرائز الخاصة بالإنسان، ولكن المراقبة الدقيقة للفرد دلت على خلاف ذلك. فان الاستاذ (بركس) أثبت أن دغدغة البغام وهو الفرد الشمبازي على سبيل المزاح والمداينة تثير فيه علامات الضحك الابتدائي من تغيير في السحنة وظهور أصوات من الحلق متقطعة. ولاحظ الاستاذ (مكدوجال) مثل ذلك في فرد الجبون في أدغال (بورنيو).

وقد شاهدت ابتسامة لطيفة على وجه (العولة) وهي من فروع البغام في حديقة الحيوانات في القاهرة وذلك عندما اقترب منها الحارس وداعبها فكانت تأني بحركات غاية في التيه والدلال.

قادمًا والدموع تسيل على خد الوالدة الأخرى من فرح اللقاء، ولسان حالها يقول:

همج السرور عليّ حتى أنه من فرط ما قد سرتي أباكلي

ولا يستطيع مجلس مها بلغ من الحشمة والوقار أن يحول دون النكتة التي تؤدي إلى الضحك، فقد يضحك الناس مرغمين ولو في مجالس التعزية أو على الطريق إلى المشائق. وقد أخبرنا اللغات أن جبال باشا السفاح للأمر بشتق شهداء العرب في اليوم السادس من مايو سنة ١٩١٦ قسمهم إلى قافلتين: قافلة أرسلها إلى بيروت، وقافلة إلى دمشق. فكان في الأولى المرحوم جورج حداد الأديب الصحفي المعروف. فسئل لماذا كان نصيبه الساحل وهو يعيش في الداخل فقال: «لأن جبال باشا أراد التوازن وتطبيق العدل بين أهل الكتاب فارسلني إلى بيروت وأرسل زميلي توفيق سلوم إلى الشام» فادى هذا التكتيك الرهيب إلى الابتسام في تلك الساعة العصبية.

وروى لي بعض الأصدقاء أن قسيسًا في طرابلس الشام أصيب أحد أولاده بدمان السكرات فلبثًا إلى أحد أصدقائه من أهل الحشمة والكمال والدين ليساعده على انقذاً ابنه. فعقد الصديق مجلسًا من الأهل ودعا إليه الولد واحضر أمامه دلوين - جردين - فارغين وقال له واعطنا وموئنا والناس كلهم سكوت: «لو ملأنا واحدًا ماء وملأنا الآخر خمرًا واحضرنا حمارًا فمن أي الدلوين يشرب؟» فقال الولد من: «دلو الماء» فقال الراعظ: «ولماذا؟» فقال الولد: «لأنه حار» فانقلب السكوت المحشم إلى نوبة من القهقهة بعد هذا الجواب المعجيب.

وقد يعتري الإنسان بعض الأمراض فيضحك من غير ضحك ويكي من غير بكاء فيطن الناظر إلى وجهه أن العلامات الظاهرة تدل على هجة أو أسى، في حين أن المرض العضال هو السبب المباشر كما هو الحال في الضحك الكاذب في مرض الاستحالة العصبية الدماغية وهو مرض عائلي معروف، والضحكة الصغروية في المصابين بسم الستركنين أو بالكوكاز مشهورة في عالم الطب وتبدو الكتابة الظاهرية على بعض المصابين بالملح

يحرمون الصهباء على الناس في النهار ليحسوها في الليل وبالرجالين الذين يصيرون باسم الدين ليمتعوا بأسباب الدنيا. وبالشعوزين الذين يتخفون من تعصب العامة سلما للصعود على ظهر الخاصة :

ضحكنا فكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة أن يكونا

فاكل ابيكوريوس هو مثل شرب الخيام، وبكاء المري صادر عن فؤاد مكلوم ونفس عميقة حساسة ولا تزال الرواية العزلية والمأساة المفاجئة في المسارح والسنيما والكتب مثارا للاتفاعلات المفرجة والمحزنة في المشاهدين والقراء من سواد الناس . ويتسابق الكتاب المبرزون في إثارة هذه المواقف ولكن الرجل الكبير سيبقي أبدا متأثرا في الدرجة الأولى بالمواقف التاريخية العظمى ولا سيما تلك المواقف التي يفوز فيها المبدأ أو يستشهد في ساحتها البطل . ومن ذلك ما رواه الطبري في « تاريخ الرسل والملوك » عن الحروب التي أشعلها وقادها عبد الله بن الزبير وأظهر فيها من الشجاعة في انقاذ الخلافة الاسلامية من الامويين ما ظل حديثا يتناقله الخاصة والعامة من بعده الى ان تأملت عليه الحوادث فاجتمع بوالدته أساء بنت أبي بكر يستشيرها في الامر فدار بينهما حديث خطير معها حاول النقاد أن يعدلوه أو يجدفوا منه سيظل مضخة من مفاخر الاخلاق العربية المصميم وفيه الدلائل البارزة عن ما ورثته من الحزم والحزم عن أبيها حكيم العروبة وأول الخلفاء الراشدين .

قال عبد الله بن الزبير: خداني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي الا اليسير من ليس عنده من الدفيع اكثر من ساعة، والقوم - أي بنو أمية - يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك؟

أساء بنت أبي بكر: أنت والله يا بني أعلم بنفسك ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه اصحابك، ولا تكن من رقبك غلمان بني أمية فيتلعبوا بك، وإن قلت إنما أردت الدنيا فيفسد البعد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك . وإن قلت كنت على حق ومن أصحابي ضعفت فهذا ليس بفعل الأحرار ولا أهل الدين وكم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن .

والحمام اذا عاد الى عشه فوجد خاويا خاليا أو اذا فقد اليقه نأخ نواحا مؤثرا على نعمة تقارب لفظ (غور . غور . غور) وظهرت على وجهه امارات اللهمة والاسى . حتى صار ترجيع الحمام عند العرب مثالا شرودا في التوجع والحزن . واذا اشتد عليه الوجد ودامت الوحدة فقد هجر المكان الذي عاش فيه ردها من الزمن الى مكان آخر كان فيه من قبل مع الاحباب والاصدقاء .

ومن الادلة الوثيقة على الذهنية الاجتماعية العامة في الاقوام نوع الطريقة التي يسكنونها في تربية أطفالهم، فعندما كانت الفكرة المنتشرة بين الناس ان يكون المبرود متجلبا بجلباب الحاكم المطلق والقاهر الذي ينفذ مشيئته بكيفية لا ضابط لها ولا رابط، كان من المنوع على الصغير خاصة الضمك في مجالس الآباء والجودود لأن واجب الاحترام عندهم كان يقتضي ذلك، وكان المثل الأعلى المطبوع في ذهن الولد الناشئ أن يكون في تلك المجالس بشكل صنم مطرق الى الأرض . وكان موقف الرجل الصالح تجاه مبروده نسخة طبق الاصل عن موقف المحكوم الضعيف امام الحاكم المستبد . وللموقفين تأثير نافذ في طريقة التربية التي ينشأ عليها الاحداث في بيوتهم وفي مدارسهم .

وقد يلوح للناس تناقض شديد بين بعض الطرق الفلسفية المشهورة فيظن أنها لا تلتقي كما هو الحال مثلا بين المذاهب التي كان عليها (ابيكوريوس) و (عصر الخيام) و (أبو العلاء المعري) في حين يتلاشى معظم هذا التناقض عند التمهيج الدقيق والبحث في الاسس التي قامت عليها تلك المذاهب . فايفكوريوس قال : « لتأكل ولنشرب لاننا غدا نموت » وعمر الخيام قال : « لنشرب ولنطرب غافقين في الخمر الى الركب لان هذا كل ما نريعه من هذه الحياة المفاجئة » :

ارتشها فأتت من بعد حين في حفير تحت الثرى تنثيب
لست تدري من أين جئت الى الدنيا ومنها يوما الى أين تذهب
والمري بكى وأن واشتكى من هذا المجتمع الأهل بالناقنين الذين

الرأي العام والمجتمع

(ألفت في دار نقابة الموظفين)

من النظريات المشهورة التي وضعت لتعليل المجتمع وتفسير حوائده وأطواره النظرية الحيوية « البيولوجية » وهي اعتبار الجمعية البشرية جسماً حيوياً خلاياه مؤلفة من الأفراد وله وظائف معينة تقوم بها أعضاء خاصة تماثل الأعضاء في الحيوان فمن هذه الوظائف الفسيولوجية الرأي العام وهو كناية عن عقل اجتماعي مؤلف من عقول فردية .

وقد ذكر الأستاذ (دينلي) الرأي العام ونفوذه في النفوس فقال فيها قال عنه : « انه ضغط شديد ناشيء عن تأثير العقل الاجتماعي الشامل في الفرد بحيث يذهب بشخصيته الذاتية المفردة المنزوعة بمجرد ثقله . وهذا مصداق القول المأثور (أصوات الخلق أقدام الحق) فحق نطق الصوت وبدرت الإرادة تلاشت المخالفة بسرعة البرق امام هذه القدرة القاهرة » .

« وكل رجل سليم مقطوع على الرغبة في أن يقوم بقسطه من الخدمة في الحياة الاجتماعية المشتركة وان يشعر بأهليته لثناء اخوانه عليه ، وما من رجل يستطيع مقاومة الرأي العام الصريح ، بل غاية ما يبلغ انه اذا سخط عليه الرأي العام أن ينضم الى أمثاله من المغضوب عليهم فينال استحسانهم » .

وللرأي العام علينا فضل لا يحصى حسابنا ولا يستوعبه اصطلاحنا ، لأن اوضاعنا الخلقية وعاداتنا الاجتماعية قد اتخذت شكلها الثابت بعطرقه ، ونحن نجل الصديق مثلاً لأن الرأي العام يحقر الكذابين ، ونحب الصراحة لأن الرأي العام يكره المواربين ، ونستعظم الاستقامة لأن الرأي العام يستعمر الموجهين ، ونقدس الوطنية لأن الرأي العام يستقذر الخائنين .

عبد الله بن الزبير: ما ركبت الى الدنيا وما أحببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله أن يستحل حرمه ، فانظري يا اماء فاني مقتول من يرمي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لامر الله
أساء بنت أبي بكر . . . من قتل على باطل فقد قتل على حق ، اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النجيب والعظماء في هواجر المدينة ومكة وربه بأبيه وبني . اللهم قد سلمته لامرك فيه ورضيت لما قضيت فأثني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . انتهى

ولكن الحجاج كمعظم الطغاة لم يرجعه عند القدرة بل تنادى في الانتقام منه حتى انه سلخ جلده وحشاه تينا .

هذه هي المواقف المشرقة التي تؤثر في الرجل الكبير وتستند دمه المهطل لا بما تدل على اباء وشمم وعلى مبدأ يقتل صاحبه في سبيله بحرية واختيار وهو يتنادي « المنية ولا الدنيا والنار ولا العار » .

ثم في سورية زمن السلطان عبد الحميد الى اليوم ، ودل هذا التدرج على تغير في الذهنية مقياسه نوع الدعاية المنتشرة بين الاهلين .

فقد ابتدأنا حيث كان رجال الاصلاح منا امثال استاذنا المرحوم الشيخ طاهر الجزائري يرمون بالاحاد وبحب الحرية وعداء امير المؤمنين . ثم جاء دور الدستور فانقلبت الآية وصارت الدعاية الرائجة على الاعداء الاتهام بالتمصّب والاستمساك بالرجعي وبالاخلاص للسلطان المخلوع ، ثم هبت الفتنة المعنوية اثرها فتبان الاتحاد والترقي فصارت الدعوة با لفلان وبا لفلان . وجاءت الحرب العامة فجددت الدعوة الى الخلافة والجامعة الاسلامية ، ارضاء للالان وذهب فتبان العرب الى الشائخ بجهة الانتفاض على الخلافة ولكن الترك أنفسهم بعد ثمانى سنوات انفروا الخلافة وطردوا الخليفة وآل بيته ثم شقوا انصاره ؟ وفي نهاية الحرب العالمة أتيج لنا أن نؤلف حكومة عربية وطنية في دمشق فكان الرجل اذا أريد انجاهه وثأرة الحفاظ عليه ان يقال عنه انه مشترك ، وعقيب هذه الحرية التي نهبت الاذهان وهذا الاستقلال الذي احيا النفوس جرد الفرنسيون على سورية حملة بقيادة الجبال غورو واعلوا لها من الدعاية بالرخاء وغلاء ثمن الارضين وازالة الضرائب عن الكواهل ما عاد بالخفية على مشيرها عندما حق الحق وانكشف الصبح لذئ عيتين . لكن الجواسيس في دور الاحتلال اخذوا يتهمون الناس بجهنم للربية وانصارهم للاستقلال حتى خاف رئيس بلدية دمشق ان يدعو للغة العربية عربية فدعاها اللغة السورية ؟

لكن الاختبارات هي التي تعلم الامم كما تعلم التجارب أسئلة المدارس في المخابر . لا جرم أننا اليوم اذا أردنا ان نضمن الرجل في الصميم ان نقول عنه في حلقائنا الخاصة انه انتدائي يجاري السلطة المحتلة على وطنه وبنائه عمه . ومعنى ذلك انه يقاوم بلاده في مقومات حياتها . ولعمري أن الايمان القائم على المسائل الجارية والقضايا التي تتعلق بسلامة الأمة في أكملها وشربها وعقيدتها ولنفتها وحريتها هو ايمان الباليين الراشدين لا ايمان صبيان الازقة او المعاجز والمخرفين .

وربا عادت الدعاية الكاذبة على مشيرها بأفصح النتائج ، حتى اذا هم أرادوا ان ينظفوا بالصدق توقف الناس عن سماع حديثهم . فقد حدث في إبان الحرب العامة ان اشاع اللورد سالسبوري وهو ابن المركز ووزرت

وقصارى القول إن الرأي العام هو العامل الذي أوجد فينا هذا الوجدان الرقيق الفاصل بين الحق والباطل والذي حارت في تعليمه كتب الأوائل والأواخر ، وحيثما ارتفع الرأي العام أو انحط ارتفع الوجدان أو انحط أيضا . ولنضرب على ذلك مثلا من أهل جزائر (فيجي) في المحيط الهادي ، فانهطاط الرأي العام في مجتمعاتهم كاد يذهب بالوجدان في أفرادهم فهم يعدون السرقة نجاحا والغدر فخرا والقتل فلاحا ، وأول درس يلقونه أطفالهم أن يصنع هؤلاء أمهاتهم . وهم يقتلون الرضى والمعمدين ، وإذا مات أمير من أمراءهم دفنوا معه نسائه وعبيده وجواريه أحياء . وإذا أنزكوا الى البحر قارباً دشوه بذبح عدد من خدامهم . ورضى والد ولده فقال على قبره مادحا ومؤثرا : « انه ولد لو أغضفته نساؤه لقتلتهن ثم لأكلهن » . فنعى الولد ونعم الوالد ؟ وقطع (طائوا) احد امراءهم ذراع ابن عم له وشرب دمه ثم طبخ الذراع وأكلها في حفرة صاحبا وبعد ذلك أجهز عليه وقطعه اربا اربا . وألفتهم مثلهم بأخلاقهم وكأثم قدوا من أديم واحد . فمن الاقارب التي يطلقونها على هؤلاء الالهة قورهم : « القتال » « الزاني » « السارق » « اكل الدماغ » « باقر البطن » وغير ذلك من الأوصاف المستهجنة في مجتمعاتنا المستحسنة في مجتمعاتهم حتى كاد أحد السباح من النصارى يؤمن بتعريف (فولتر) لآية في الكتاب المقدس مشهورة يوم قال : « وخلق الله آدم على صورته » يجعل أبي البشر فاعلا لا مفعولا .

ومن دواعي الاسف أن تكون الدعاية ضرورية لاكتساب الرأي العام وان يحتاج الحق الناصح الى الاعلان والبصائع النفيسة الى العرض في الواجهة . ولكن ما العمل وسواد الناس في سبات عميق لا يتهفون من غير ايقاظ ولا يرون من غير نور ساطع .

وبالبلاء ان تحتاج الامم في بعض الحالات الى انواع الدعايات وشقي الاداعات حتى الكاذبة منها ، وذلك في المآزق المخرجة وللضرورة في الازمات ، وعندئذ أن أسرد الحقيقة ناصمة هو خير دعاية يقوم بها الرجل الحر الصادق . وكمكنا أن نعرف الدعاية بأنها طريقة اقناعية يجاوب بها الناس على قدر عقولهم ، فالبدوي الذي يرعى الابل يحتاج الى لغة في التفاهم غير اللغة المستعملة في المجالس العالية والمدارس الجامعة ، والدعاية الرائجة هي مقياس مضبوط لعقلية الامة . وقد رأيت بعيني ولست يبدي التدرج الذي

بجواب الملك الأخير عن هذا الاحتجاج بحذف بعض العبارات منه عما يجمل نهايته على النحو الآتي: «وعندئذ رفض صاحب الجلالة - ملك بروسيا - أن يقبل في حضرته سفير فرنسا مرة أخرى وأبلغ حاجبه أن يقول له إن صاحب الجلالة ليس عنده شيء ليلفقه السفير».

ولما انتشرت هذه العبارات الجافة في اليوم التالي في فرنسا ونادى باعة الصحف في شوارع باريس كيف رفض الملك البروسي مقابلة السفير الفرنسي، وكيف لم يتنازل إلى جوابه قام الفرنسيون وقعدوا وأصبحت عاصمتهم شعلة من نار مما أدى إلى الغاية التي توجهاها داهية الألمان، وجاءت طبق الحساب، فاعلنت الحرب وانتهت بظفر الألمان وإعلانها امبراطوريتهم في باريس. وقد دعا ليكنخت هذه الرسالة التي ادّاعها بسمارك بوقيا «جريمة لا تكاد تضارعها جريمة في التاريخ» لكن العتب ليس على بسمارك كما قال (اميل لدفيك) بل على العصر الذي عاش فيه بسمارك فقد كان المجتمع والحكومة يومئذ على شكل يسمح لمصايب مؤلفة من رجلين أو ثلاثة أن يعلنوا حربا من غير أن يستفوا الشعب أو يستندوا إلى إرادته.

وما يعني أن ألقت النظائر إليه أن الشأن في الانقلابات للمقيدة لا للحقيقة. فكلم حدثت في الدنيا مجازر بعدها اليوم في منتهى السخافة ونظم يقينا أنها لا تتفق والواقع، بل نعلم أن بعضها كان أفكا وترتورا. وبتح كثير من رجال السياسة الدعاية الكاذبة لاجتياز الازمات كما قلنا وللمرور على الجسور. لكن أجل هذه الدعايات محدودة وحيلها قصير وعندما يكشف الغبار وتزول الدخالة لا يصبح غير قول ابراهيم لنكلن رئيس الولايات المتحدة: «تستطيعون أن تخدعوا كل الناس بعض الزمن، وتستطيعون أن تخدعوا كل الناس بعض الناس كل الزمن، ولكنكم لن تستطيعوا أن تخدعوا كل الناس كل الزمن».

ومن الدعايات الكاذبة التي يثبها في الشرق حاة الاستعمار قولهم «عبي الرجل الأبيض» كان الله بعثهم لاصلاح الاخلاق وتطهير الاعراق كما بعث الرسل من قبلهم. وقولهم «حقوق الاقليات» ووجوب الدفاع عنها أكثر من الاقليات نفسها وقولهم «حماية الكنائس في الشرق» حتى اذا سئل زعيم

سالموري السياسي الانجليزي المشهور ان الألمان الجائهم الحاجة الى استخراج الدهن من جثث قتلاهم، فعابه الكونت مونتليج رئيس الوزارة الألمانية على هذه القرية عتابا مرا، وقال ان رجلا مثله نرى في احضان والده الكبير واطلع على الشؤون الخارجية لا يلقى به ان يتجاهل آداب امة في حوار اكثرنا وقت اليها بالنسب، وانها لأرفع من ان تهين جثث ابطال لها ماتوا في ساحة الشرف للدفاع عن مهد الآباء والجدود. وقد أتى هذا الرد صدمة عنيفة على جميع ذلك التنظيم الذي احكمته الابدى في الدعاية على ألمانيا.

ثم ان الخلفاء صرخوا جهود الجبارة لاقناع العالم بأن جريمة الحرب عاقلة بوقية ألمانيا وحدها، لكن المؤرخين والسياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين لم يقبلوا هذا الكلام على علالة ولا هذا الاطلاق من غير قيد. فدرسوا ونبروا وقسموا وقابلوا واستقروا واستتجوا فتبين لهم ان دولة الصرب لم تكن تجهل المؤامرة على الارشيدوق فرانس ولي عهد النمسا ولا السفارة الروسية في بلغراد تعزل عن المجرمين وان للمسور يونكاره في زيارته لبطرسبورج قبل الحرب من الأعمال والاقوال المروقة ما يجعله مؤآخذاً امام التاريخ وأن... وأن... عا لا يتسع له هذا المقام. ولكن ما لنا ولكل هذه المجادلات ونحن نعرف ان جريمة التسليح كانت عاقلة للجميع على السواء، وأن الجبرش والاساطيل كانت تنظم وتعمل على درجة متقابلة، والاتفاقات السرية الهجومية تعقد في الجباين ومضى كثرت المسدسات في أيدي المتخاصمين المتحيزين انطلقت منها النيران حتما.

ويحسن باسم ناشئة مثل انما في الشرق المتوسط ان تتروى كثيرا في تلقي الاخبار لأن الخصم قد يذيع خبرا مكذوبا لاثارة غضبنا ودفعنا الى العمل من غير روية ولا عقل. كما حدث بين الألمان والفرنسيين قبل حرب سنة ١٨٧٠ فكان سببا مباشرا لايقاد نازها وخلاصة ما جرى ان بسمارك كان يضمشر الشر لفرنسا وكان عالما بتفوق امته الحربي عليها ولكن ملك بروسيا يومئذ وهو ويلهم فوردريك كان مسئالا الى درجة التطرف فحدثت مسألة في السياسة الخارجية تتعلق بترشيح احد الاعواء البروسيين لمرش اسبانيا مما أثار غضب فرنسا فاحتجت لدى البلاط البروسي فاجابها الملك معتبرا لكنها عادت تغالي في الاحتجاج فانخذ بسمارك من عملها هذا فرصة للتلاعب

الاجرياء الذين لا يحفلون بالرأي العام الفطير، هم الادلاء الى الاصلاح، هم الحكماء هم الزعماء هم الذين يفتحون صدورهم لمجتمعات الغوغاء. هم الذين يقفون في وجه الناعمين وتابعهم، هم الذين يتقبلون بالجميع الى الامام ولو تحملوا في سبيل ذلك اذى القائلين مثلا بان الارض مسطحة أو هي قائمة على قرن الثور، فدوسوا بارجلكم العادات البالية وابذروا وراء ظهوركم العقائد السخيفة ولو تعرضتم للرأي العام الفطير مؤثقا لان الارتقاء هو التصادم بين الفرد والحق والاندماج الباطل، بين الاستقلال الشخصي الصحيح والمجاعة العامة الكاذبة.

مجلة الهلال ١٩٣٢

من زعمائهم ما بالكم تضطهدون رجال الاكليروس في بلادكم وتؤبدونهم في الخارج أجاب « هذه بضاعة برسم التصدير » وأما عصبة الامم وما أدراك ما عصبة الامم فهي ثالثة الاناثي ورمز السياسة الاوربية الحاضرة والسجل الشرعي الذي تدون فيه اعمال المستعمرين.

واسمعوا لي الآن وقد وصلت بكم الى هذا الحد أن أعرف الرأي العام بأن عقيدة شاملة تستولي على عقول الافراد فتسوقهم الى العمل المشترك، وعندي أن الفرق الجوهرى بين الرأي العام الفطير والرأي العام الصغير أن ذلك امروج كالمصاصة تقتلع الأشجار المثمرة من جذورها والبيرت العامة من أصولها، واما هذا لقوة حركية مضبوطة لها غاية ناعمة تثير الشوارع وتدير المصانع واذا اقتلعت شيئا فانما تقتلع الاشراك وتهدم صروح الفساد. ذاك يكون كالسيل العرم يخرف ما يقف في سبيله من خير أو شر، وهذا يكون كالفيضان الذي تكبح جماحه السدود فتوزعه الامة على مزارعها في وقت الفيض ويحسب الحاجة.

الرأي العام الناضج مقص اجتماعي في حديقه الامة تقص به كل فرع تحده نفسه بانتطاول على اخيه والطغيان على غيره.

الرأي العام الناضج سوط عيرك من غضب الافراد العقلاء ليضرب به من يخرج على الجماعة.

الرأي العام الناضج عرش عمول على الاكف ليجلس عليه خدمة الامة الامناء.

ولا يتم الرأي العام الناضج الا على أيدي الطبقة المختارة وبارشادها فهي قوة غائية لتتويز الشعب في الاقتصاد والسياسة والعلم والفن والدين، وأهم من ذلك كله أن تربي الامة اخلاقيا وتفهيمها ان مصيرها بيدها وأن آخرتها تتعلق بالرأي العام الصحيح الناضج الذي عليه عمور اعمالها.

وهنا أنا قد ظهرت أمامكم حتى الآن رجالا خاضعا لحكم المجتمع خانما لشوكته كائني عاجز لا أستطيع نقدا ولا اعتراضا، فاذا قامت في انفسكم هذه الفكرة عني فهي خطا مروع، لانني حتى الآن لم أظهر لكم كرامن نفسي النائرة على الباطل، ولا حرمي الحارقة للمستهترين من كبار الرجال. فانا اعتقد ان هؤلاء الشاذين النافرين الثاقبين في افكارهم وعاداتهم هم

لورا ستيفنسون تعلم العزف

لم تستطع الدعوة الى الاخوة البشرية - على ما فيها من نعمة عذبة جذابة - ولا المذهب الاشتراكي الحر - على ما فيه من قواعد معقولة مقبولة أن تعجبا معالم القومية الجنسية، أو يذهبا بالفوارق اللغوية الثقافية، فالعالم لا يزال مقسوما الى انكليز والمان وفرنسيين ويطليان وعرب واسبان وما الى ذلك من اقوام وشعوب، ناهيك بتلك الاضطهادات الجنسية الحادة القائمة مثلا على زعم النازيين الا ان كان بان دمهم لا يجوز أن يختلط بدم اليهود أبناء سام؟ وما نزال نقرأ في العلوم الاجتماعية والتاريخية شأن الثقافات الاغريقية والرومانية والعربية والجرمانية والانجلوسكسونية واللاتينية، وقد استجد اليوم شأن الثقافة التركية وقول المحمسين ها ان مدنيتهما هي الاولى، وان لغات العالم كله مشتقة من لغتها لأبها « لغة الشمس ».

لا غرو أننا نجد الشعوب النازلة بالعالم العربي، والتي شرعت بالرباط الثقافية الاجتماعية الاساسية التي تربط بعضها ببعض، تهب من رقلتها فتجد في هذه الروابط من عوامل التعاون والتضافر والاتحاد ما يعد فاتحة انقلاب سياسي خطير في تاريخ القرن العشرين.

وقد تجلّى هذا الشعور بعض التجلي بما فعله أبناء العرب لفلسطين، على ما فيه من نقص وابواء، فقد تضافروا في افريقيا وآسيا على مديد العروة لاخواتهم الفلسطينيين في جهادهم الوطني، فتتألف في العالم العربي للجان لتنظيم الاعانات المالية، ونشر الدعاية الفلسطينية، وغير ذلك مما كان له الاثر الطيب، وكان نداء ملوك العرب مسك الحتام تجلت فيه بوادر التنظيم السياسي من ناحية الملوك والأمراء العرب بتوسطهم، ومن ناحية الشعب الفلسطيني بتزوله طائفا مختارا على هذا التوسط.

ونظرة واحدة على المصور الجغرافي، تدل على المقام الرفيع الذي يتمتع به عالمنا العربي. فهو يقف جبهة واحدة منضمة متشابهة من خليج الاسكندرية في الطرف الشمالي للجانب الشرقي من البحر المتوسط الى مضيق جبل طارق في الغرب حيث يصل البحر المتوسط بالبحر الاطلسي فتشتمل هذه الجبهة سورية وفلسطين وسيناء وقناة السويس ومصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش والمغرب الأقصى. وحسبك من هذه الاقطار أن تذكر اسمها فقط لتعلم أنها أقطار تجمع بينها أوامر اللغة والمعتقد والتاريخ والنشء الكثير من لحمة النسب، وهي تعلم أن ماضيها متشابك ومستقبلها يدور حول مركز واحد. وقصارى القول إن هذه الأقطار لو أرادت أن توتسس امبراطورية أو أن تؤولف حللها ما كان الأعضاء الداخلون في هذه الامبراطورية أو هذا الحلف أبعد عن الروثام والنشابه من أعضاء « الامبراطورية البريطانية » أو ولايات « الولايات المتحدة » في أمريكا. أين هذه الجبهة المتشابهة المتحدة في الشق الجنوبي من البحر المتوسط من الجبهة المخروقة الممزقة المتناثرة في الشق الشمالي التي تتحدى من الأناضول وتنتهي بكجبل طارق فتشتمل الترك، وهم في وضعهم الحاضر مثل شجرة القرآن لا شقوقون ولا غريزون، وتشمل كذلك الصرب والألبان والكراتين والفينيسين والاطالين والفرنسين والاسبانيين.

ان هذه الجبهة العربية التي تستقل بالصفء الجنوبي من البحر المتوسط هي المر الطبيعي لكنوز آسيا وأفريقيا الى أوروبا. وهي نفسها تفيض بالخيرات والبركات، ففيها منابع الزيت ومنتجات القطن وحقول الجرب ورساتين الثمار وحدائق الأزهار، وهي ورثة الامبراطوريات القديمة وفي ظلها الموارف تم الاتصال بين الثقافات الحالية والمدنية الحاضرة. فاذا ما قدر لأهلها أن يحصلوا أولا على حريتهم الموضعية ثم على تعاونهم الشامل فان قسطاس السياسة العالمية يصبح بيدهم لأنهم يتحكمون حينئذ في حوض البحر المتوسط ومن تحكم فيه تحكم في العالم اجالا.

ونحن معاشر العرب مع اعترافنا بقصورنا وانهمالك كثير من أقطارنا في الشؤون الموضعية البحت وغفلة زعمائها عن قيمة هذا التعاون الخطير، نقول لقد صار للمروية كلمة صريحة في السياسة الدولية والقابضون على أزمة

وفي الحق أن هذه البادرة الأسببية، هيما معاشر العرب الاحتفاظ بها، وان حاولت أوروبا أن تقل من شأنها، وهي في الخطورة ثاني في الدرجة الثانية فقط عن البطولة التي أبدأها الفلسطينيون مع اخوانهم الذين أنروا لنجدتهم من سورية ومن العراق.

والآن نرى أوروبا تنقسم الى معسكرات، ونجد التناحش بين البلشفية والفاشيستية والديمقراطية بالغاشدة، وعصبة الأمم تحسر ما بقي لها من أثر ضئيل، والمغامرات تصبح قصاصات ورق، وآخر الدول التي تنفض عن نفسها الجبار المكس فوقها، دولة بلجيكا - فبعد هذا كله وبعد تسابق القابضين على زمام الممالك الى الاستعانة بالاقوام الناشئة، ماذا يحدث يا ترى لو هبت هذه الروح التي نجدتها في فلسطين اليوم كما وجدناها في العراق سنة ١٩٢٠ وفي سورية سنة ١٩٢٥ فعمت جميع بلدان العالم العربي، وظهرت البطولة الكامنة فيه كما ظهرت في نابلس والمخيل والقدس ويافا وجيفا وغزة وشر السبع وسائر تلك البقاع التي سيردد ذكرها الاحفاد كما يرددون ذكر المعارك « الرزعة » و « الغرطة » و « الحاضر » في سورية الشمالية.

ان هذا يعني أمرا واحدا وهو ان هذه البلدان ستسير في سبيل الحرية، شاء الذين يسخرونها للأغراض الخطيرة أم أبوا، فلا يخفي حين من الزمن الا وهي تتمتع باستقلالها الذاتي والأمم مثل الأفراد متى انتهت من مشاغلها المحلية وتدير امورها الداخلية انصرفت الى علائقها الخارجية ويبحث عن المنافع التي تصيبها من القوى المحيطة بها، فكما أن الأخ يبحث عن أخيه كذلك القطر الشقيق يبحث عن شقيقه، وهكذا تسير الأمور نحو التعاون المنتشرد بين بلدان هذا العالم.

فاستقلال العالم العربي استقلالا منفردا عمليا كما تبدو بوادره في هذه الأيام، ينتهي ان عاجلا أم آجلا الى نظام يشبه نظام عصبة أمم شرقية عربية مؤلفة من بلدانه، ويشهد التعاون الوثيق بينها على قدر الثمار التي تقتطفها من هذا النظام، ولا سيما متى أصبحت حوزتها الدولية مضمونة بحمايته ونحت رعايته من الصولات الاستعمارية التي يصورها الغرب للسيطرة السياسية والاقتصادية.

الفصل الثالث

من خطاب الشهابي

الممالك يتسابقون الى خطب ودها، فهي ذات نفوذ في لندن وباريز ورومه
ولن يكون اليوم بعيدا الذي يعترف لها فيه بشأها في حل المضلات المالية.
وهذا كله يتوقف على تنظيمها تنظيما جديدا، وتسليحها بجميع الوسائل التي
تجعل جانبها عزيزا وكرامتها موفورة.

الهلل نوفمبر ١٩٣٦

من خطبة الشَّهيد

الخطاب التاريخي الذي ألقى في حفلة افتتاح حزب الشعب في أوبر العباسية بدمشق يوم الجمعة في ١٤ ذي القعدة ١٣٤٣هـ/ ٥ حزيران ١٩٢٥ .

وكان من أعضاء مجلس إدارته كل من السادة فارس الخوري ولطفي الحفار وجبل مردم وتوفيق شامية وسعيد حيدر وحسن الحكيم وغيرهم كما أشرنا إلى ذلك في موجز ترجمة الزعيم .

من دواعي التفاؤل أن يرى المرء هذا الجمع المبارك ليحيي فيه أول كلمة وطنية انتظمت انتظاما علينا لخدمة البلاد وثأيدها في جهودها بعد احتلالها .

إن هذه الخطوة الجديدة في حياتنا السياسية هي خطوة واسعة لأن البلاد التي ليس فيها تنظيم يجمع كلمة أهل الشأن ، هي بلاد مشقة لا رأي لها ، ومن لا رأي له حريٌّ بأن يعمل ويلقى جانبا .

قد حل علينا كتاب الغرب حملة شعواء يقوِّطهم ، أن العرب - وهم على جانب عظيم من الذكاء وحسن النية - عاجزون عن التعاون والعمل المشترك لبلوغ هدف معين ، وربما توقع بعضهم جريا على هذه القاعدة ، أن يذب الخلاف إلى هذه الكتلة وهي في مهدها ، بيد أن علينا أن نبرهن لهم ، أن الحوادث قد علمتنا ، وأن الضغط الخارجي الذي تلاقيه أمتنا أقوى من أن يسمح باستمرار هذه النقيصة فيها .

يحتاج هذا العصر تيزات جمة أوضحها من الوجهة الاجتماعية تنظيم

السياسة المنحطة لا يخلو من الفضل الذي يصيب اتخاذ الشرف أساسا لتقسيم الأسلاب بين المصورين .

من منا يشك مثلا أن الاستمرار على الاستعداد للحرب بالمواصفات والطائرات والذبابات والغارات الخائفة سيؤدي حتما إلى الحرب ؟ هل بقي أحد من أهل الصحافة يؤيد تلك ابتداءه القائلة أن التسليح هو خير ضمان للسلم ؟ أليس شحذ المدى بأيدي المصناعات المتوحشة وغمس الخراب بالسوم البائبة برهانا على قرب وقوع الكارثة ؟ وأنه لأسهل على عصبية الأمم، وهي يحجزها الحاضر، أن تحول دون الخصام بين المتوحشين الضملاء من أجل أن تحقق الدماء بين الدين أخذوا أسمى آيات العلم والفن وسيلة لأهدافها .

يحل هذه القواعد التي كَتَبها العلم وأثبتها الاختبار أريد أن استرشد في تقرير مصير البلاد التي تغذينا بلبائها وعلى جبهاتنا وفي جبهات غوت .

قال لي الدكتور (لاد) وهو من الأساتذة المعروفين في نيويورك « أستم كمن يقطع الصخر الأصم في مقاومكم الحال الراهنة في بلادكم » ؟ « قلت له هلم بنا إلى المصور الجغرافي علنا نجد فيه ما يشغلنا » فقمتا إلى مكتبته الجملية وعلى أحد جدرانها مصور آسيا الصغرى وبلاد العرب فأثرت إلى سورية بسباني وقلت هنا باب الغرب إلى الشرق ، وباب الشرق إلى الغرب ، وسيكون هذا المر من الوجهة البرية عند الدول صاحبة الشأن أعظم من ترعة السويس من الوجهة البحرية . ثم ذكرت له أنني قضيت شهرين اثنين في سنة ١٩١٥ في الصحراء قبل أن أبلغ شط العرب ، ولكن بعد اكتشاف طريق السيارات في بداية الشام صار من السهل اجتياز هذه المسافة الشاسعة في أقل من يومين ، وهكذا أصبح المرء بين عشية وضحاها يتقل من شواطئ البحر الأبيض إلى لب بلاد الشرق . والسبيل الوحيد للمساواة في مراعاة المصالح الدولية فيه هي تسليمه لأهله بحيث يكون بابا مفتوحا للجميع ، وثم أن هذه البلاد يجدها من الشمال والشرق والغرب دول شرقية مستقلة أو شبه مستقلة ، وبعضها ذات لجنة واتصال بأنساب أهلها ، أفلا يتعذر الدفاع عنها لم يكن هؤلاء الأهل عاملا أصليا في هذا

العامل
الجغرافي

الجماعات إلى كل متجانية في مساعيها وغاياتها . فالتجار والصناع وأصحاب الحرف مثلا تجهزوا إلى نقابات ، وحلة العلم وأهل الفن ورجال السياسة إلى جمعيات وأحزاب ، والدول إلى متفقات وأحلاف ، كل ذلك في سبيل التعاون وجعل النتائج نافذة لا تضمحل أمام الصدمات . ان وقع الأقدام منتظا على قياس زمني مضبوط يحد الجسور الفخمة ، بالاجبار ، لأن في التجميع والتنظيم من القوة النافذة ما لا تحلم به الفردية المبعثرة والفوضى المنتشرة ، وطابور واحد من الجند المدرب خير من الألوف وعشرات الألوف من أولئك الفصيح المشتتين الضارين في الفياق الذين لم يتعودوا الانضباط في خيابهم ولا ألغوا الانقياد في حركاتهم .

ومن سوء الظن الذي لا مبرر له أن يدعي المرء ، أن الأمة قد قصرت في تنظيم نفسها حتى الآن ، أئلام الجنين إذا لم يتفلس ، والكليل إذا لم يتزخرف ؟ ألا تجعل تلك الكهانات الموضوعة على الأتواء ، والأغلال المنفردة على الأعناق مثل هذا التنظيم متعذرا ؟ على أن الاعتراف بتأليف حزب علي سداه المطالبة بالسلطان القومي وحمته تأييد الوحدة في البلاد هو ولا شك طور من الأطوار الجديدة في تاريخ الحياة السياسية في سورية .

تقرير المصير

راجت على الألسنة في غضون الحرب العالمية الفاظ سحرية كثيرة اتخذها المحاربون أحبولة لصيد الأمم الراجية ، فقولهم ، حرب الديمقراطية ، وحرب التحرير ، وحرب الأقوام ، ولا غرم ولا غم ، إلى آخر ما هنالك من الألفاظ الجذابة والمعاني الخالية ، التي لا تزيد الخوض في البحث عن اخلاص واضعها ، ومن أجلها وقعا في النفوس قولهم (تقرير المصير) إذ أرادوا به أن تكون ارادة الشعب باختياره وحدة حرة ذات كيان خاص ، هي الحكم الأخير في تقرير مصيره والبت في أمره ، بدلا من جملة سلمة تنهاله الأيدي العاصية ، وبيعاعة تعرض في أسواق الاستعمار للمساومة والمقايسة .

حقا إن فكرة (تقرير المصير) فكرة سامية تدل على علو كعب المرحن بها ، بيد أن هذا السمو نفسه كان عقية كؤودا في سبيل تحقيقها ، لأن السياسة إذا لم تمتد دائما وراء الإبالسة الماكزين فهي قلما تختفي باللاذكية المظهرين ، ولا نبالغ إذا قلنا إن اتخاذ السمو قاعدة لحل الخلاف في البيئة

ملاحنا وبلاشوا ألواننا وتقطيع وجوهنا وقامتنا وشكل شعورتنا من أن نزيلوا هذه الجزيرة من نفوسنا ، وقد رأيت بعض الأزياء يجالسون غمط هذه القفيلة بفرهم الأتال على استبعاد الترك أحقابا في بلادنا .

ان الترك لو لم يستعرض في عاداتهم وتقاليدهم ويعاملوا الأهلين كما يعاملون سكان الأناضول أنفسهم لا استطاعوا ان يؤسسوا لهم في بلاد العرب عرشا ثانيا ، ومنذ خالطوا أوروبا ودرسوا طرق استعمارها ودار في خلداهم أن يجمعوا الجزيرة مستملكة والعرب أتباعا وان يقضوا على اللغة العربية وكنزها التي لا تقي ، منذ ذلك اليوم تقدمت شهداؤنا الانشاس الى الشائق برؤوس مرفوعة وصدور رجبة تثبت للعالم أن تحت الرماد الذي ذره الترك حجرا يلهب من رضا الحربة .

تكاد تكون جميع الانقلابات التي حدثت في عصر التاريخ ناشئة عن العامل الاقتصادي ، والشقاء الذي أناخ بكله على سواد الشعب الاقتصادي الأفروسي في أواخر القرن الثامن عشر ، كان مثل البؤس الذي خيم على الفلاح الروسي في أوائل هذا القرن وفي كلا البلدين انتج استثمار الطبقة الارستقراطية للطبقة العاملة نتيجة واحدة هي الثورة .

إن كان أوروبا يهدد في يومنا هذا في حرب عوان تدعى (حرب الطبقات) وخلاصته ، ان تسعة أعشار الأمم الغربية ، وهم العمال يشتغلون آتاء الليل وأطراف النهار لانشاع العشر الباقي وإملاء جبرهم وهم الممولون ، ان منافع المولين في البلدان المختلفة تنضارب فتتصر ها الطبقات التي تعيش على فضلاتها كالطبقات الملكية مثلا ، ما يؤدي الى نزول الكارثة على رؤوس العمال المساكين فتراهم يساقون الى المجازر سوق الأنعام من غير ذنب اقترفوه ، وقد كانت نتيجة الصراع الأوروي الأخير ان تحوا من ثلاثين مليوناً من أقي البشر وجعلهم من الطبقة الثالثة ذهبوا على مذابح الأطماع المالية ، فهل يعادل الشرق الأوسط جميعه يا ترى بما فيه الأناضول والاستيانة دية هؤلاء الرحلين البائسين ؟

لو أمسكنا عشرة من المارين في أي شارع من شوارع العواصم الأوروية لرأينا تسماً منهم يستكرون الحالة الشرسة التي عليها معظم الحكومات

الدفاع ؟ وما لم يكونوا راضين عن الحال في بلادكم فكيف تستطيع قوة أن تحيرهم على الدفاع عنها دفاعاً من صميم أقدانهم ؟ الا يجب حينئذ تطبيق نظرية (اسماعيل فاضل باشا) وخلاصتها تطبيق سورية : انطلاق من قلاع صغيرة (بلوكوسات) تقام على أبعاد متقاربة لحماية من نفسها ومن جيرانها ؟ اننا نتناقل من مشينا من غير هذه الاحمال الثقيلة فما بالك لو وضعناها ؟

يحصل هذا من تماس الشعوب واتصالها بعضها ببعض وهو أئند فعلا في الاجتماعي تطور الأمم من العامل الجغرافي قد تنجح طريقة الجوارات وقائمة السدود على طريقة (السد الصيني) في منع الغزباء من الدخول الى البلاد التي تأباهم حكوماتها ولكن ، ما من سبيل الى منع الأفكار الجديدة من التسرب الى الأذهان المستعدة ، خصوصا منى بلغت الأمة درجة من الوعي العام يتفرد معها إسداد الستائر على الأفهام ، هل يتوصل الدهاء السياسي يا ترى الى إقامة حاجز ضيق بين العراق والأناضول مثلا بحيث يتمكن الأذلاء والماجورون والجناسيس وأسيادهم من اقناع المراقبين أنهم متمتعون باستقلال تام ناجز كما يتمتع الترك ؟ ان الأمراض الاجتماعية التي تنزل بالامة الواحدة كالمرضومة مثلا يعجز الجبر الصحي عن منها من الدخول الى الأمم الأخرى ، فهل يعقل ان الفسور وسائل الارهاب مع التدجيل تستطيع الوقوف دون تسرب الفضيلة ، ولو قدر لبشر أن يقف سدا دون الحربة فما أخرى بالسلطان عبد الحميد الثاني أن يكون ذاك الرجل ، ولكن حكمة رجال (المالين) ودربة رجاله الجناسيس وراء ذلك دروس (ماكيافلي) التي كان يلقيها عامل بلديز على أعوانه مرتتها رياح الحربة لا هبت في سلاطيك .

ان رؤوس الأصنام في المعابد هي أول من هتز لصوت الأبناء لان الجدران معها كانت متبعة لا تقوى على صوت الحق .

العامل الجنسي ان سكان هذه البلاد على اختلاف العشيرة يتون بأصوبهم الى الجزيرة العربية ، ومهما كانت عبير هذ الجزيرة فان فضيلتها البارزة هي أنها تطلع أبناءها على الحربة ، فالحرية هي غريزتنا ، ولأهون على البشر أن يخفوا منا

والتكيف بحسبها ، فإذا وجد طريقان يؤديان الى الطاحون أحدهما سهل
حدر والآخر وعرة قرد ، فمن البلاء ان يرغب الطحان في العرة عن
السهول إلا إذا كانت وجهته غير المصلحة .

إن الليالي جبال والمستقبل حافل بأنواع الاحتمالات فعل الأوامر
الظلمة التي تطلب أهواء العلق والنور المشرق والحياة الرفيعة ، أن تجعل
لكيانها قيمة مادية في الميزان الدولي ، وأن تبقى قس القومية مستعملاً دائماً
اشتغال ناز فارس لتستضيء به في المصلحة القادمة ، إذ يكون الظلام دامساً
والدليل حائراً ، والغلبة يومئذ للمتقين .

الغريبة ، وهم إذا ما سمعوا بالظالم والمغانم التي تجني باسمهم قالوا ليس
بين شعوب الأرض شيء من سوء التفاهم ، وإنما هو صراع رأس المال .
وهما كان عذر المتأخين في احتلال البلدان الغربية عنهم ، فان
الزيت ، والأهبار ، والشلالات ، والأحجار ، والأثربة ، والمعادن ،
والأخشاب والحبوب ، هي (عند التحليل النهائي) وراء الدعاية الفارغة
التي يتظاهرون بها ، ومعنى ذلك أن رؤوس الأموال استرخصت الموارد
الوطنية فاندفعت تطلب لها مستودعاً في الخارج يدر عليها اللين والسلس ،
فلم تر تخيراً من البلاد البكم واتخاذ سكانها عمالاً بالأجور الرخيصة .

ان تسرب أموال البلاد المغلوبة على أمرها من جيوب أبنائها يوماً بعد يوم
سيتهي بهم الى الإفلاس حتماً، وإذا كنت أعقد أن الشيوعية وضع لا يلتئم
مع الفريزة الشرقية فإني لا أعقد أبداً أن الاشتراكية المقولة تناقض عقيدة
الشرقيين ، وسيتهي الافلاس بالبلاد المستعمرة الى حشرها في صفالعمال ،
ليتناون الجميع على تخير الانسانية البائسة من محالب الأصفر الرنان .

هذه هي العوامل الأربعة الكبرى ، ولا ينكر أن لكل واحد منها على
انفراد علاجاً مؤثراً ، فللعامل الجغرافي، الحرس والسدود والقلاع ،
وللعامل الاجتماعي، الارهاب والسجون وكَمّ الأفواه وعقل الأقلام ،
وللعامل الجنسي، رشوة المعلم وبناء المدارس الفاسدة ونشر التريبة الذليلة ،
وللعامل الاقتصادي، استئجار الصحف النفعية وبث الدعوة الكاذبة. غير
ان مقاومتها جميعاً تطلب قوة لا تقي عند الحساب الدقيق مناهضها . ولا
يظن أحد أنني من الغرورين الذين لا يعرفون أوروبا ولا يقدرنون قوتها حق
قدرها ، أو لا يحيطون بالنظم التي وضعها لاستعمار البلاد المستعممة غير
أن يقني بغلبة القواعد العلمية هو يقين كالأراسيات لا يتزلزل ، استطاعت
شركة السكة الحديدية بين بيروت و الشام ان تسير قطرها على ظهور لبنان
العانية بواسطة المستنات رغم أنف الجاذبية ، ولكن في اليوم الذي يجرف فيه
نقق (حانا) موت اليدر لأن الاستمرار على مقاومة الطبيعة عتاد
يكلف أصحابه الكلفة الباهظة ويؤدي في آخر الامر الى النشل .

لا يتألى النجاح من مقاومة الطبيعة ومصارعتها ، بل من مجازاتها

أهل بدر في المنزلة سجدهم ولا يؤمنهم الموت

يا زعماء الائتلاف
ويا أعداء الاختلاف

يلوح لي أن الهواء مشبع بروح الثورة : فأنني وأنا قادم الى هذا المكان رأيت الشوارع تصبج بالناثرين ، وفي الشهر الماضي أحيتهم ذكرى ثورتكم في اليوم الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨* كما نحي ذكرى ثورتنا في سورية في شهر (تموز) سنة ١٩٢٥ ، ونحيي العراق ثورته في سنة ١٩٢٠ ، وفلسطين في سنة ١٩٢٩ ، وكذلك تفعل مراكش بذكرى ثورة الطهري والبربري وتونس بذكرى جهودها التي لن تنسى . فكل هذه ثورات اقليمية وطرابلس الغرب بذكرى جمعها كلها الاحتجاج العملي على الاستعمار وأعوانه لمعالجة شؤون اقليمية يجمعها كلها للاحتفال بالذكرى لا تشبه هذه الاستعمار . ولكننا اجتمعنا اليوم للاحتفال بالذكرى فقط بل للعرب والعجم الثورات المحلية - هي ثورة عامة ليست للعرب فقط بل للعرب والعجم وسائر المخلوقات - هي ثورة الروح على المادة ، ثورة النفس على الرذيلة ، ثورة النور على الظلام ، ثورة أهل بدر حلفاء الرحمن ، على مشركي قريش حلفاء الشيطان .

إن معظم الثورات التي قامت في العالم كانت للبراعت الاقتصادية فيها

* أقيمت في دار جمعية الشبان المسلمين في القاهرة بمناسبة ذكرى غزوة بدر وانتصار المسلمين بقيادة النبي الكريم ﷺ على المشركين من قريش .

كانوا قبل هذا يستمتعون في الدفاع عن بيت من الشعر يبتون فيه أو قطعيتين من السانمة يرفعونها أو بقعة من الأرض ينبت فيها الشوك والبلان يترلون بها ، فما أحراهم أن يبيعوا أرواحهم في تأييد الوحدانية المنزلة وتحقيق عدلها وصدقها وأمانتها ، لقد انتقلوا بواسطة هذه العقيدة الجديدة من الماديات إلى المعنويات ، فلم تعد ليوت الشعر وأسراب الإبل والغنم والماعز وسائر أنواع الثروة قيمة في نظرهم إلا بقدر ما تحقق لهم من هذه المناظر الجديدة التي تجلت لعقولهم وأرواحهم على مسرح مذهبهم الجديد ، فآله أكبر من كل كبير ، والصدق والأمانة والاستقامة والعدل والإقدام والجرأة باطن أعز من كل عزيز .

يبد أن قريشا لم تحسب هذه القوة الجديدة الروحية المتفجرة الحية حسابا ، فاحتقرت أصحابها وعدتهم مجانين ومهورسين غير مرغوب فيهم وغدوعين لا يقام لهم وزن ، ومشتاعين يجب إبعادهم ، شأن كل مصلح جدد ثائر على الأوضاع الظالمة والنظم البالية ، واستهزت بهم إلى درجة أن أباه جهل لما طلب إليه أبو سفيان أن يعود إلى مكة برجال قريش حسبا للتراح ، أجابه : « والله لا نرجع حتى نرد بداراً فتيقن عليه ثلاثا فتعثر الجذور ونظمم الطعام ونسقي الغمر وتعرف علينا القيان ونسمع بنا العرب فلا يرالون بها يومنا » .

إنهم لم يتحروا جزورهم ولكن نحروا رجالهم ، ولم يطعموا الطعام ولكن غصوا بريقتهم ، ولم يسقوا الحمر ولكن سفحوا دماءهم على الأرض ، ولم تعرف عليهم القيان ولكن ولولت عليهم النساء - كما يجب أن تولول على كل جبان - لمزيتهم ، ولما سمعت بذلك العرب احتقرتهم واحترمت خصوصهم فدخلت في صفوفهم أفراجاً أفراجاً .

لقد انتصر العقل على الجهل أخيراً ، وفازت المعنويات على الماديات للأسباب الآتية :

أولاً : وحدة القيادة : فالقائد العام في الثورة كان ذا مواهب حربية اعترف له بها أعداؤه ، وكان محترماً مبعلاً مسموع الكلمة نافذ الأشارة بين أصحابه ، له سلطة على الأرواح قبل أن تكون له سلطة على

الثنان المروق ، واتخذ هذه الثورات الشيوعية للعمال، والكفالية والفائسية والنارزية للأوطان ، ولكن هالك ثورات غايتها أسمى وأجل وخيرها أشمل وأعم، وهي الثورات التي يرتفع علمها للقضاء على المساوىء الاجتماعية والأمراض الروحية، وقد دل التاريخ على أن الاسلام - من حيث الغاية المجردة عن المنافع المادية - هو على رأس هذه الثورات التي لم تبل جذورها القرون الخوالي ، فقد هب كالمصيفة لاستئصال عبادات سخيفة ، وشعائر عادات نجيفة لا يقوم عليها مجتمع صحيح . وحسبه شرفاً وفخاراً أن يقف العرب أولاً والعالم ثانياً من عادة إله لا يختلف كثيراً في صفاته وبواعثه ومراميه والجباب الذي تجلب به عن شيخ كبير من شيخ القبائل . وقد دل التاريخ على أن للتنزیه عن الفقاوض والمعوب من الآلهة شأنًا كبيراً في تدرج الأخلاق ، ذلك لأن الأمم تنقطع على غرار الآلهة التي تعبدتها ، ولو لم يكن للاسلام من البرزات إلا التنزیه ومنع المسكر والاعتماد على البيات والابتعاد عن المصلحة المادية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكفى ، ولكن قريشا كثيرهم من القبائل والشعوب طبعوا على المحافظة والنسك بعبادات الآباء والجدود بالغة ما بلغت من السخافة والانحطاط ، فلا عجب أن بقوا في وجه التأثيرين جهة واحدة فيكموا أفواههم كما تكلم المصحف بالقوانين الخاصة في عهد الحكومات المستبدة الظالمة ، ويطبق عليهم في روحانهم وغدواتهم ، وتوضع الجواريس لمراقبتهم في حركاتهم وسكناتهم ، ويؤثمهم للاستجواب كما يؤثم بالشبهة بهم إلى المحافظة أو دائرة الأمن العام ، حتى أصبحت الحياة في الوطن العزيز لا تنطق تحت هذا الكابوس المهلك ، فتأدى المناادي هلموا نرحل فزارا مجادتنا وعقائدنا من هؤلاء الظلمة الطغاة الذين لا تتسع عقولهم ولا تلبث قلوبهم .

ولكن فات قريشا أن هؤلاء الثوار ليسوا ثوارا اعتيادين يرضون أن يطردوا من ديارهم ويقتلون الغنيم ويسكنون على الأذى . بل قاعدتهم هي أن يعتنوا على الممتدي يمل ما اعتدى ومثلهم الأعلى في الحياة هو أن الظلم إذا أُنْخِ على الصدور بحيث لا يترشح إلا بالقوة، فالجبان الذي يفر من القتال .

وكان القائد العام عند احتدام المعركة ييث الأمل في النفوس ويقول القلوب بآياته البينة وبلاغته الساحرة ، ومع كل هذه الميزات الجليلة والمقام الرفيع الذي ناله لم يأت أب أن يستشير اخوانه ويرجع عن رأيه وإذا اقتضى الحال الأخذ برأيهم كما هو معروف في الرأي الحربي السليم الذي أبداه الجباب بن المنذر ، فقد قبل رأيه ونفذ كما يقبل وينفذ رأي رجال أركان الحرب في القرن العام . وخلاصة هذا الرأي ان يتزل المسلمون في أقرب ماء من المشركين وينبوا حوضا وكلاؤه ماء لشربهم ، ثم يقذفون بالآنية في البئر ليفوروه ، ويقومون حامية منهم للدفاع عن الحوض الذي صفوه عما يسهل لهم ورود الماء ويقضي على أعدائهم بالموت ظمًا .

رابعاً : إيمان الثوار بحسن الخاتمة قال (مرغوليرث) : وهناك دليل على أن الباحث الروحي العظيم الذي فعل العجائب في العدد الكبير في ميادين القتال الإسلامية ساعد كثيراً في هذا الميدان أيضاً ، وذلك أن الموت في سبيل الله كان في نظر الكثيرين من المجاهدين مقدماً عن الظفر في الميدان ، فالأمموتون وقد أضناهم الشوق الى جثات النعيم احتدموا غيظاً من السلاسل التي قيدتهم بهذا العالم الفاني فتراموا بهجة وجور على العدو الذي صيغت من نملات سيوفه مفاتيح الجنة .

وفي يومنا هذا إذا هبت ريح الجنة على الوهابين في ميادين القتال باعوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله .

خامساً : الانتقام : وهو الانتقام من الطغاة العتاة الذين لا يراعون مالا ولا ذمة في مقاومة النهضة الروحية الحديثة ، هو انتقام للعموميات لا للخصوصيات ، للمعمريات لا للماديات ، للرحمن لا للشيطان ، فأن هذا الانتقام الاثاري النزيه الذي حدث في القرون الوسطى المظلمة من انتقام الطليان من الحبشة ، مثلاً في عصر النور ؟ زحف الطليان منذ نحو أربعين سنة على الحبشة ليسحقوها ويستبدوها وسخروها للآدم الدنيوية الحظيرة ، فلما صدمهم الأبحاش عنها

الأجسام ، بدلكم على ذلك قول المهاجرين له يوم غزوة بدر « إنا معك ، وإنك لو سرت إلى برك النعام جالداً معك دونه حتى نبله » وقول الأنصار له : « قد آمانا بك وصدفناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق فامض يا رسول الله لا أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، فسر على بركة الله » .

حقاً إن في الأسر من تضعه زوجته وأولاده في المقدمة ، فيقال له « رئيس » وفي الناس من تضعه الظروف والملايسات على رأس العمل ، فيقال له « زعيم » وفي الجنود من تصدر الأوامر السنية بتوليته أمر الجيش فيقال له « قائد » ، ولكن الذي شق طريقه في الصخر من راعي إبل إلى أن استولى على الأرواح والأجسام ليس رئيساً وزعيماً وقائداً فقط بل هو نبي كريم .

ثانياً : وحدة الغاية : وهذه الغاية التي استولت على قلوب الثوار المنتفضين هما سحق الأوصنام وإعلاء كلمة الحق ، فكان كل شيء دونهما عروفاً ، وعندهم أن الذي لا يتقدم إلى الصف الأول للدفاع عنها لا يستحق الأمانة التي يحملها في عنقه للمذهب الجديد ، أما قریش فكانت منقسمة على ذاتها لا تعرف ماذا تصنع ، وبعضها رأى في أول الأمر أن يعود إلى مكة برجاله كما فعل الأخنس بن شريق يوم عاد ببني زهرة - ويتراوح عددهم بين مائة وثلثمائة - ناهيك بذلك الجدل الدنيء الذي احتدم بين الزعيم عتبة بن ربيعة وأبي جهل .

ثالثاً : الخطط الحربية القوية والعمية الصحيحة : قال (مرغوليرث) عن القائد العام ان ميزاته الحربية تجلت لأول مرة في هذا الميدان ، وإن النظام والنيات على الغاية شكيمتان في الجيش تقودانها إلى الظفر ، وأنها كانتا متوفرين في الجانب الإسلامي مفقودين في الجانب الجاهلي . وحدث أن النبي ﷺ وهو يرتب الصفوف للحرب أصابه أحد أصحابه بعصاه قائلاً ، فاقرب هذا من النبي ﷺ وقفه من بطنه للحصول على الترضية الكافية .

* فتوح للمسلمين في العراق

يا إخواني الأعزاء

أريد أن أشرح لكم بكلمة مختصرة أحوالنا قبل أن أعلننا الاستقلال في دمشق الشام ، لم يكن أحد على الدولة العثمانية كما جنى السباح أحد باشا فانه بالظالم التي ارتكبها هنا لم يسيء اليها فقط بل أساء الى أمته التركية إذ أظهر للاروربيين أننا معشر العرب شعب ضرب وسلب وقتل من غير أن يفتح فمه ، ظنوا هذا الظن فاعلنوا أنهم أتوا للشرق لينقذونا من نير الاستعمار ، مع أننا لم تكن مستعمرين ، فنحن اذا صرنا ننظر عن أحد جمال وإخوانه الإخاديين نجد أننا كنا أمة تتمتع باستقلالها في داخل الدولة العثمانية فقد كان لنا عرش واحد يحيط به العرب من جميع الجهات وجيش واحد فيه رئيس أركان حرب عربي ابن عربي من العراق وهو هادي باشا الفاروقي ، وكانت لنا مجالس ادارة ومجالس ولاية وكان لنا برلمان يجتمع العرب فيه مع الترك ، ولعن كنا مختلفين مع الترك في اللغة والمعادن فقد كنا متحدين في العقائد ، وفي عهد الامركزية كنا على قدم المساواة مع الترك وإذا كنا لم نرتق فالترك لم يرتقوا أيضا « ومن أقامك في سمره ما ظلمك » فالظالم في الرعية كان عدلا في السرية .

ولقد ظن الحلفاء ان الأعمال التي ارتكبها السفاحون جمال باشا وإخوانه ، هي الأعمال التي كانت تحر في رقابنا وأنا لا نطلب سوى

* خطاب القى في المهرجان الشعبي الكبير الذي أقيم في ٨ آذار ١٩٣٩ في منزل الأستاذ هاني الجلاد إحياء لذكرى تنوير الأمير فيصل ملكا .

واعملوا السيف في ظهورهم دفاعا عن الحرية والشرف والوطن وكسرات من العيش في بطون النساء الجائعات ، قام موسوليني اليوم بعدما حشد أعظم الجيوش وجمع أحدث العتاد بطلب الانتقام ، فأين موقف غزاة بدر وإيمان غزاة بدر وغايات غزاة بدر من موقف الطليان وإيمان الطليان وغايات الطليان ، ان قضية الطليان هي بسطة سياسية عسكرية ، وطمع شعبي ، وغطرسة الأبيض على الأسود ، ولكن قضية غزاة بدر : مظلوم مرهق ينتقم من ظالم مرهق ، ويؤمن بضطهد مضطهدا يثار من رثي مضطهد ، وإنسان هو كامل يتخلص من عبودية ناقص ، أفلا يجب ان تغلب فئة الحق القليلة فئة الباطل الكثيرة ، وإن تكون الكلمة العليا والأخيرة للذين آمنوا وعملوا الصالحات وعرفوا ان النجاة من التهلكة لا تكون بالكفاء والعربيل وإقامة الأحرار ، بل بالبراة والأقدام وتحطيم القيود والانحلال .

إخواني زعماء الائتلاف وأعداء الاختلاف : الحق كنز ثمين لا يؤم بالمال ، وشرف عظيم لا يبال بالأمان ، ولكنه تزداد قيمته وتبالا زوره إذا ما انتزع بالقوة من جيوب الميطلين وحمل على هامات الرجال .

واسمحوا لي أن أقول لكم في الختام اننا في هذا الشرق العربي الناهض قد أصبحنا نفرح من الاستسلام وترنمش أفئدتنا من الانتقاد ذلك لأن التجارب علمتنا أن الخضموس سلم الجبروت ، وان الرضا مطية الظالمين ، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

الحلال - كانون الثاني ١٩٣٦

المعاهدة على اللجنة فرفضه أعضاء ما رفضا باتا .

هذه هي المعاهدة التي يتكلمون عنها ويحلمون علينا لرفضها وما أنتم عرفتكم كيف رفضتم .

والآن أنتقل بكم الى وصف الحالة التي أصبحنا عليها وقت الاستقلال :
هنا عهدود ومواثيق عالقة بوقاينا باعتبارنا وطنيين سوريين عربا لا يجوز ان نتحول عن هذه المواثيق ولا أن نتقلب عليها ما دام ينبض في عروقنا شيء من الشرف والأمانة والوفاء للأوطان .

ففي عصر اليوم السادس من مثل شهرنا هذا من مارس ١٩٢٠ اعلى عزري عبد الهادي كاتب الأمير منبر المؤتمر السوري المنعقد في النادي العربي ، فقال بلسان الأمير في جملة ما قال « استحق العرب حريتهم واستقلالهم بفضل الدم الطاهر الذي سفكوه ، وبفضل ما قاسوه من أنواع المناب والظلم فالأمة العربية بعد اليوم لا تقبل ان تستعيد ولا تطلب من أوروبا ان تحتنا ما ليس لنا به حق بل نطلب ان تصدق على حقنا الصريح الذي اعترفت به لنا ، نريد حياة حرة واستقلالاً تاماً » .

وفي مثل هذا اليوم ٨ مارس ١٩٢٠ في الساعة الثالثة بعد الظهر بوج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على سوريا في دار بلدية دمشق وكان لي الحظ ان أدخل عليه وأهنته في جملة المهتين .

كان واقفا بجانب العرش والى يمينه الأمير زيد بن الحسين والأمراء الهاشميون والى يساره هيئة الحكومة السورية المستقلة والى جانبها رجال الجيش وقد كنا نعتقد على جيشنا أعليب الأموال فالأمة التي لا جيش لها لا حوزة لها تدافع عنها ولا شرف تناطح السحاب من أجله .

بوج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على سورية في دار بلدية دمشق فوقف أمين سر المؤتمر السوري وتلا على المجتمعين من فوق شرفة البلدية قرار المؤتمر ، وسألخصه لكم .

تذكروا أنني أعيد عليكم هذه العبارات لتبقى مقبوضة في أعماق قلوبكم ، ولتبين الحالة التي كنا عليها يوم أعلننا استقلال بلادنا .

التخلص من الترك فقال ويلسن في المهود والوعود التي قطعها « كل مسألة أساسية أو سياسية أو دولية يجب ان تحسم على قاعدة الأسس المستندة الى حرية قبول الشعب للعلاقة المباشرة لتلك المسألة لا على القواعد النفعية المادية والمصالح التي يتطلبها شعب آخر أو أمة أخرى لأجل تحقيق نفوذها الخارجي أو سياستها الدولية » .

وقال الاكلز والفريسيون بتصريحهم يوم ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ « ان السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق تلك الحرب التي أدركها مطامع الألمان إنما هو تحرير الشعوب التي رزحت أجيالا طويلا تحت نير الترك ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية لها تستمد سلطانها من اختيار الأهليين الوطنيين لها اختيارا حراً ، ولقد أزمعت فرنسا وانكلترا على ان تؤيدا ذلك بأن تشجعا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية في سوريا والعراق وليس من غرضها ان يقسرا أهالي تلك المناطق على الحكم الذي يريدانه » .

ولكن عما لا شك فيه مطلقا ان الكثيرين عن عانوا إقامة هذه الحكومات المحلية الباطلة ومن رأوا مطالبهم وخبائاتهم كثيرا ما قالوا هؤلاء الحلفاء الذين أيدوا هؤلاء الخيرة بالقوة « خلوا جلودنا علينا يا ليتنا بقينا عثمانيين ولم نر هذه الفوضى » .

جرى حديث طويل بعد عودة المرحوم الملك فيصل للمرة الأخيرة من أوروبا الى سورية حول معاهدة تدعى معاهدة كليمنصو - فيصل فأريد أن يعرف الناس من الذي رفضها ومن الذي أبطلها .

ان التاريخ يقول لكم : ان المعاهدة التي حملها فيصل من باريس والتي تقدمت اعلان الاستقلال جرت كما يأتي : لقد حمل الأمير المعاهدة حين عودته من رحلته الثانية الى أوروبا وهي لا تضمن الشيء الكثير من استقلالنا ولكن ربما كانت خطوة في ذلك العهد .

وعلى أثر رجوعه عقدت الهيئة العامة لجمعية الفتاة ومن أعضائها الدكتور أحمد قنبري ورفيق التميمي وعزة دروزة وشكري القوتلي اجتماعا سرا في منزل الدكتور أحمد قنبري حضره الأمير فيصل نفسه فعرض مشروع

عرب في وقت واحد ، فلم يرقنا أن نتمتع باستقلالنا وحدنا بل تذكرنا العراقيين الذين كانوا يثبون من جور السياسة البريطانية في العراق وقتلنا بقول شاعرنا العربي :

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلاد
وقول شاعرنا العربي :

إن الكرام إذا ما أسروا ذكروا من كان يألهم في الوطن الحزين
أجل : تذكرنا العراق في نكبه ونحن مؤمنون إيماناً جازماً بأن العراق سيذكرنا في نكبتنا ، إليكم الآن قرار المؤتمر .

ثم قال : « وما أن بين القطرين صلات تاريخية وجسنة وروابط اقتصادية ووطنية ولنورية تجعل أحد القطرين لا يستغني عن الآخر » قال مؤتمرهم السوري : « نطلب استقلال العراق استقلالاً تاماً على أن يكون بين القطرين اتحاد سياسي واقتصادي » .

هذا حالنا في يوم ٨ آذار سنة ١٩٢٠ فقولوا لي بركم ما صرنا اليه اليوم وإلى أين نحن وصلنا ؟

لقد أقامت الإدارة الأجنبية حكومة في هذه البلاد لم تستعج أن تسمي الحماية استقلالاً ولم تستعج أن تسمي المضروع والخنوع حرية تامة ولم تستعج أن تدعو الأغلال الموضوعة في رقاب الناس سياسة واعتلاء ، هذه هي الحكومة التي غالت وأطبقت كما شاءت أن تغالي وتغلب في المعاهدة التي أنت بها ، فسكنتنا على مضض ولم نبد إلا نقداً بريئاً ومقابلة علمية تاريخية بين تلك المعاهدة « عروسة الشرق ؟ » وبين المعاهدة العراقية فوجدنا اليونان شاسعاً . ولكننا وقد رأينا الناس في البلاد مندفعين إلى تأييدها فانتظروا وكنسنا ما في نفوسنا على أن نعود إلى ذكره متى حان الحين فقد كنا موقنين بأن غيرها ونفائصها تظهر حين تطبيقها بيد أن الذين أئروا بها لم يكفروا بما فعلوه من الانتكاسات على حقوق الأمة ، بل عادوا وسافروا إلى باريس ودخلوا في مفارضات سرية واتفاقات لا تزال مجهولة حتى عند بعض الوزراء أنفسهم

قال أمين نسر « باسم المؤتمر السوري ، ان المؤتمر السوري العلم الذي يمثل الأمة السورية العربية في مناطقها الثلاث : المنطقة الداخلية والمنطقة الساحلية والمنطقة الجنوبية (فلسطين) تمثيلاً تاماً ، وضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الأحد الموافق لتاريخ ١٦ جمادى الثانية ١٣٣٨ وليلة الاثنين التالي له الموافق لتاريخ ٧ مارس ١٩٢٠ القرار الآتي » .

يقول مؤتمرهم السوري الذي بايع فيصل والذي مثل سوريا بحدودها الطبيعية مثل المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية والمنطقة الساحلية ، يقول ان الأمة العربية ذات المجد القديم واللدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم ترق دم شهدائها الأحرار إلا طلباً للاستقلال التام والحياة الحرة باعتبارها أمة ذات كيان مستقل ، وقومية خاصة ، لها الحق أن تحكم نفسها بنفسها إسوة بالشعوب الأخرى التي لا تريد عليها مدينة .

وهذا نص قرار المؤتمر :

نحن أعضاء هذا المؤتمر رأينا باعتبارنا الممثلين للأمة العربية في جميع القطر السوري تمثيلاً صحيحاً نتكلم بلسانها ونجهج بأرادتها بوجوب الخروج من هذا الوقت الحرج استناداً على الوعود والمعاهد والمبادئ السامية ، وعلى ما شاهدنا ونشاهد من عزم الأمة الثابت على المطالبة والرؤى إلى ذلك الاستقلال بكل الوسائل ، فأعلننا بإجماع الرأي استقلال بلادنا سوريا بحدودها الطبيعية ومعها فلسطين (على رغم ذلك الوند الذي كان في باريس والذي جاءت أخباره مؤخراً بأنه باع فلسطين للصهيونيين) استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الأساس الذي النباني ، وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونية في جعل فلسطين وطناً قومياً لم أر حل هجرتهم ، ولا كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من نير الترك ، وكانت الأسباب التي يستند إليها قرار استقلال القطر السوري هي ذات الأسباب التي يستند إليها في استقلال القطر العراقي - نعم أيها المسلمة لقد تذكرنا يومئذ اخواننا العراقيين ولم ننسهم في الوقت الذي اعتقدنا فيه أننا بلنا ميتاناً فكنا لا نقصر على حبة ذائنا بل نذكر إخواننا لأننا سوريون وسوريون

وتأكدوا أننا سنكون أول الراغبين في وجههم ، فمن وقف في وجه السلاطان عبد الحميد ١٩٠١ وفي وجه الاتحاديين سنة ١٩١٤ و١٩١٥ وفي وجه الفرنسيين سنة ١٩٢٢ و١٩٢٥ لن يتأخر عن الوقوف امام كل من يتلبس بالوطنية للكيد للوطن العربي السوري المهدى .

إنهم يدعون أننا لم نجابه الفرنسيين ، الا بربكم قولوا لنا إذا نحن تقدمنا ببيان حر صريح مادته الأولى : ان لا تكون المعاهدة السورية الافرنسية اقل من المعاهدة العراقية لا في النص ولا في التطبيق ، وأن تكون المادة الثانية من مناهجنا إعداد سورية لتكون عضوا في الحلف العربي القادم ، إن كانت فرنسا مستعمرة فهذه صفقة على رأس الاستعمار ، وإن كانت فرنسا تريد أن تجزئنا وتريد أن تتسلط علينا قطعة بعد قطعة ، وتريد أن تطبق علينا قوانين الاستعمار التي تطبقها في افريقيا وتريد أن تفصل بيننا وبين الاقطار النسيطة التي لا نعيش بدونها . . . اذا كانت فرنسا عازمة على هذا العمل فان هذا النهاج هو الضربة القاضية على الاستعمار والتجزئة ليس لانا لدينا سلاح وطائرات ومدافع بل لانا نعتقد ان الايمان الذي نحمله هو روح من السماء وقوة الله اقوى من قوة البشر .

وفي آخر الأمر ماذا يحدث لأحيكم الراغب ببيكم الان إذا أخفق ؟ ان المثل الذي أحفظه في قلبي وأرده على لساني ويرده أبنائي من بعدي هو « خير لي ان أوارى في القبر ليقال عني انه مات في سبيل الاستقلال من ان انتفخ ويقال انه نجح في تحقيق الاحتلال » .

أيها السادة : انا مثل ذاك الرجل الذي قيل في حقه (وأنتم تعلمون من أريد) « ان الذي يقتل القليل ويرحم عليه في جنازته أول شراً على التحقيق من بيع الوطن وفتح على استقلاله إني أجعل ختام كلمتي تلك الآية الباهرة في سورة آل عمران « فإقد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض وانظروا كيف كانت عاقبة الكافرين ، هذا بيان للناس وهدى وموقفه للمؤمنين ، ولا تنهروا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » .

وارادوا ان يحملوا الأمة على تصديقها ولكن من حسن حظ هذه البلاد أن الافرنسيين انفسهم رفضوها ولم يبروها .

ان الذين يحملون سورية على زعمهم تقدموا الى الطامعين بسورية بشروط لو قبلت لحولت هذه البلاد الى أملاك بلاد (بنام بنام) في جوف أفريقيا . إن هذه الاهانة ستبقى عالقة برفاق أصحابها ولن يحسكم منها ضر اذا عاهدتوني أيها الشيخ والشباب أيها الآباء والأبناء أن تسبوا الى الأمام في سبيل حريتنا واستقلالنا يحمل هذا العمل وهذا العمل وحده تستطيعون به ان تحموا هذا العار .

أيها الإخوان: ان الذين تحسكوا بالوزارة، ولم يريدوا ان يتزلوا عنها، بقوا متمسكين حتى الرمق الأخير، ولم يتزلوا عنها إياه ولا شهامة .

لقد أخرجهم الفرنسيون وطلبوا منهم ان يقدموا في برهة ساعتين جوابا على الانذار الذي تبلموه فحاروا في أمرهم وخافوا على أنفسهم من بطش الشعب فتزلوا عن عرشهم، وادعوا كذبا أنهم تزلوا في سبيل المبدأ وفي أوائل هذا المبدأ رفض نظام الطوائف، وبعد أن كذبهم مندوب المفوض السامي معينا بقوله ان عبد الرحمن الكيالي وعازف النكدي مندوبي الحكومة قد حضرا الاجتماع الذي أثيرت فيه هذه المسألة وبحث معها في يوم كذا في الساعة كذا ووافقا عليه ، قبللا من ان يثبتوا للمندوب خطاه ويقولوا انه كان مقتربا عليهم شعروا بضرورة التزول عن الكراسي وادعوا أنهم تزلوا في سبيل المبدأ وهذا إفك دل عليه تاريخ التطورات التي أنت بعد ذلك .

لقد قلت عند المصريين مثل يطبق على حالة هؤلاء فاذا ذكره لكم : يقول المثل المصري : (إذا وقع الحمار عملها مر به) يعني الحمار عندما وقع وشاهده زملاؤه الحمار قال لهم إنه إنما يتسرخ في الرمل .

أيها الاخوان: يعيب علينا كثير من الناس سكوتنا عن الوزارة الحاضرة ونحن سكنتا سكوت المخلصين الثريين والورعين والعلماء الطوفيقين اللذين يريدون ان يأخذوا المحرم بحرقته ، وأن يدافعوا عن الفاضل في فضيلته. ففي اليوم الذي يخرج هؤلاء القوم على المنهاج الذي سفديه بدمائنا تقوا

الحرية في تاريخ المسيحية في الشرق الأوسط خير عرب قبل أن تكون سوريا

إخواني الأعزاء

سمعت في هذا المساء كلاماً أثار خاطري كثيراً ، وأود أن أخفف من غلوائتي وأعود وإياكم الى معالجة قضايانا وإن كنتم تعلمونها ، ولكنني أريد معالجتها بصورة عملية عليها تفتح الطريق أمامكم .

لا قوات المعاهدة السورية - الفرنسية كتبت بالبحر الأحمر في التعليق عليها ، خطوطاً لبيان وجوه الاختلاف فيها عن المعاهدة العراقية ، ووضعت هذه الخطوط تحت الأسس التي رأيتها مهلكة للحسنة والاستقلال ، وكتبت بالبحر الأزرق الأمور المتشابهة وكتبت بالبحر الأسود الأمور الثانوية التي لا قيمة كبيرة لها .

ومن الجهة الأخرى ، إخوان عرفانهم واشتغلنا معهم وأبدتهم البلاد في مواقفها مراراً ولهم تاريخ سابق ولا يمكن لأحد منا أن ينكر ما لهم من المزايا - أتوا بدواء جديد أسموه المعاهدة السورية - الفرنسية .

لدينا مريض وهذا المريض هو سورية وهذه هي الأدوية التي عرضت أمامكم ورأى قسم من أهل البلاد أن المعاهدة السورية دواء حسن . ويكبر أن كثيراً منكم خالف رأيهم في الاجتهاد ، وهم يصرون على أن هذا الدواء دواء ناجح .

لننزل لكم الآن ماذا يجري في الجمعيات الطبية الاستشارية فإذا كان

* ألفت في الحفلة التي أقامها تكريماً له ولأخوانه الأستاذ زكي الطيب

بالعيب اللطيف فاذا جاء فوق العيب ما هو أحلى ففكون مفتيحين عمتين
نحمد الله أن روح الوطنية لم تقتصر على المدن فحسب بل امتدت الى
القرى ، لأن الاستقلال والاحكام لا يجتمعان على صعيد واحد .

في تاريخ الدين دائما تتجلى صورة الله فيكون هو المبرور واليه تتجه
الانظار، وفي تاريخ البشر الحرية هي المثل الأعلى .

وإذا وجدت نظريات متعاكسة سواء أكانت على الاقتصاد أم الصناعة أم
السياسة ، أم الجاه فالنظرية التي تتغلب هي نظرية الحرية ، لأن الحرية
مفروسة في القلوب ، فلو أن دمشق احتكرت هذا الجاه بالحرية وصارت
تنام على أنغام الموسيقى التي تسمعا من آيات الاستقلال ، وإذا اكتفت
بوضع آلات الراديو اللاقطة لم تدع على الملصقات أنغام الحرية بالدياع ،
فان دمشق تتهم عندئذ بحب الذات ولكن دمشق أم المدنية وأقدم مدينة على
وجه الأرض ، دمشق التي نزل بها الأمويون ، ومنها أرسلوا بعثتهم الى
أفريقية وآسيا لا للفتح ، ولا لهدم المدن والقضاء القنابل بل ذهبوا لرفع لواء
الحضارة ولعلاء كلمة الله .

أرجو ان تعلموا ما هو المقصد من كلمة الله فربا ظن بعضكم أن الدين
هو الصلاة والصيام وسائر أنواع العبادة فقط ، فهذه من نزاجي الدين وهي
ناحية العبادة ، وهناك نزاج أخرى لأن الله يتجلى بها وهذه النزاجي هي
العلم ، والحضارة وإقامة العدل واستخراج كنوز الأرض (تصفيق) .

أيها السادة : فمن مدينتكم هذه سار أول الرسل والوفود في تاريخ الفتح
العربي لتأييد الحضارة ورفع منار العلم ، فدمشق التي عملت هذه الفخرة
في الماضي لا تقص على أفريقية وآسيا بأن ترسل رسالها مبشرين بالحرية
والوحدة العربية « تصفيق » .

اناسف يا زكي الطبيب لأن بعض الناس ممن حركتهم أغراض لم يفكر
أصحابها في نتائجها ، أنهم أتوك وعرضوا بك ليظهروك بغير مظهرك ، إنكم
تجتمعون بنا الآن ليس باسم سورية فقط بل باسم سورية والعروبة من
نوقها ، أندرون تاريخ هذا الرجل في العروبة ؟

المريض في حالة دقيقة وكان الخطر يهدده ، نسمح للطريقة المروضة
للمعالجة بالتطبيق فاذا أتى التطبيق بتخفيف الحرارة ، وتقليل الألم ونزول
النبت وعودة الوعي ، وديب القوة من جديد بحيث يتحسن المريض فاهلا
وسهلا فكلنا جيتنا نؤمن بالدواء، ولكن إذا كان هذا الدواء لم يغير
شيئا من حالة المريض بل ربما زاد في غيبيه وزاد في الأعراض فتسارع
النبت وارتفعت الحرارة واشتد الهزال ، فالدواء ليس دواء شافيا وهذا يعين
على الأطباء معرفته ، وهين على المريض وأهل المريض ان يحققوه ، وهين
عليكم أن تخطوا به .

إسمعوا : - لو كنت أعتقد أن مريضا سيموت ان لم نستعمل له دواء أمنا
به : ولو كنت أعتقد ان القوى الجوية في سورية قوى خاترة وذاهية الى
الزوال ، لقمت بالدواء الشافي الذي آمنت به ولو قاروني أهل الأرض
والسواء « تصفيق شديد » ولكي أعتقد ان مرضنا عارض وان لدينا مسما
من تجربة هذه الأدوية فاذا أتى هذا الدواء ناجحا - وإني أفي من صميم
قوادي أن يكون ناجحا وينقذنا من المرض الذي نشكو وننال منه ، فاذا كان
هذا الدواء ناجحا تعالوا الى بيتي لرفع الأعلام ، تكريما للذين وضعوا هذا
الدواء .

في مصر جرت حوادث في الماضي تشبه حوادثنا فمن قائل إن استقلال
الامة وحريتها إنما يتجيان في تأليف جيشها المستقل او تمتعها بالسيادة
الخارجية، ولكنهم اختلفوا في القدار الذي حصلت عليه من هذه الناحية .

فجاء أهل الأدب ووضعو كلمة اطلقوها على حالة التبليل هذه ومن
الذين تقدموا صديقا الاستاذ العلامة وحيد الأيوبي فقال : هنا نظرية
بالاستقلال التام الناجر وهناك نظرية بالاحتلال التام الناجر ، فنحت من
الكلمتين وهما استقلال واحتلال كلمة « احتلال » فقال ان مصر محتلة
احتلالا لاتاما ناجزا ونحن إذا أنت النتائج لمريضا عما يدل على نكس وتأخر
فانحنوا وحيد بك موجود في مصر وكلمة « احتلال » جاهزة .

وقد رأينا في هذه الحفلة داريا التي تطعمنا عينا طيبا أثنا بشاب نبيه -
وأشار الى الشاب الطبيب - لشاركتنا في حفلتنا، نحن نكفي من داريا

ولولا حسين في مكة وفيصل في العقبة وأثاوس تجمعت تحت هذين العلمين لكان شكركي باشا وغيره ممن سجنوا سيقوا الى المشتقة ولكن يا زكي بك على صغرك وشيخوختنا ، وعلى حديث عهدك بالسياسة وقدم عهدنا فإن بصرك كان صافيا ، وكنا نخطئين ، لقد أسأت الظن اذا أرادوا من العربية ان يظهرها اللغة التركية ، فكنت نصيرا للمروية ، فاذا كان لا بد من شيئين على المرء ان يختار واحدا منها ، نعي إما ان يكون خادعا او مخدوعا فخير له ان يكون مخدوعا عن أن يكون خادعا . . . ولكن خير في الخائنين قول عمر « لست خبا ولا الخلب مي » أو لست خادعا ولا للخادع طريق الى نفسي ، وهذا القول لعمر بن الخطاب يجب أن يعلق على الجدران وينقش في القلوب .

يا هاني الجلال : أنا لا سمعتك تخطب ذكرت صديقا لي في مصر من أحسن الأطباء والأدباء هو الاستاذ السيد عبدالله العفيفي فإن أولادي ما سمعوه إلا قالوا : ابن القفح يتكلم ولو سمع ابني فيصل الاستاذ هاني الجلال لقال فصول من (كلية ودية) تلقى عليكم . إنه لمسير علينا وشاق ان يكون رجل ذو ميراث نافعة تصالح للوطن خارجا عن نطاق العاملين . لقد أتينا اليكم ببعثة أرجو من كل واحد منكم ان يؤيدها وهي الانقسام تحت لواء واحد لواء الرجال العاملين المخلصين .

قالوا عن السوريين إن كل واحد منهم فيلسوف قام بذاته ، فاذا اجتمع سوريان اثنان صاروا رجلين عادين أما ثلاثة فقد صاروا غرغاء من البشر قد يكون في هذا الكلام شيء من المبالغة ولكن على التحقيق ان فكرة التنايد بيننا معاشر السوريين فكرة شديدة يجب ان نجد لها علاجا شافيا ، ولقد وجدت بعد البحث والتتبع واستعراض الحوادث أن قوة الارتكاز والتحول نحو المركز للتعاون والتساند هي أقوى بما لا يقاس عند المصريين منا .

يائنا أفراد عاديون ويقولون نحن نخل سورية ، يائنا واحد يعرف أن يقول ضرب زيد عمروا فيدعي أنه عالم جليل يحق له أن يتكلم باسم الجامعتين الجامعة العلمية والجامعة العربية ؟ دعونا نخفف من غلرائنا ونعترف لأهل المزايا منا بجزائهم ونعطي الجواز خيزه ولو أكل نصفه لأنه لا سبل لإتقان الموقف إلا بجمع القوى الباهرة الصالحة للعمل ، والآن

نحمد الله أننا أحياء وذلك لأجبا ، فالجياة اذا كانت غير عوزية كان الممات خيرا منها « تصفيق شليلد » .

فالطيرانات تأكل وتشرب وتتمتع بالحياة أيضا إلا أننا نحمد الله على الحياة لأن في الحياة ذكرى تفوح منها رائحة كالمسك من هذه الذكريات ففي سنة ١٩٠٨ وهي سنة الانقلاب العثماني ذهبنا في تيار الاتحاد والترقي وسار كل واحد من بنايدي بالمروية من رجالكم السابقين في هذا التيار أيضا ، ووقف شهيدنا الكبير ، ذلك الرجل العربي ابن افريقية وريب آسية (سليم الجزائري) في الصالحية وقال : أيها الناس : سمعت في هذا المساء ذكر جمعية تدعى جمعية (الاخاء العربي) وقد عرفت بان القوم مالوا نحوها إلا فليعلم كل من تحذنه نفسه ان ينضم الى هذه الجمعية ان له هذا (وسحب سيفه) .

فويل للعذر والفرلة وللقتاء والقدر وقللة الانصاف ، وويل للذين لم يفرقوا بين اعدائهم وأصدقائهم ، وويل للذين لا يفرقون بين الاخلاص وبين الخيانة وبين الحق والباطل .

لقد أخذوا سليم الجزائري ، الى المشتقة وهو الذي سحب سيفه في الدفاع عنهم بتهمة الخيانة للدولة العثمانية ؟

أقص عليكم قصة أخرى من هذا العذر فقد اجتمعت في الصالحية في دار المرحوم شكري بك الأتوبي ومن حضر هذا الاجتماع من الأجياء خالده بك الحكيم وسليم بك الشمة وغيرهم فاتفقوا قرارا في تلك الجلسة خلاصته ان الجيوش العثمانية إذا أصيبت بالانكسار في أرض سورية فعليها أن تولف جنديا وطنية « ميليشيا » للدفاع عنا تجاه المستعمرين الأجانب . وأن تقف في وجه انكلتره وفرانسه - وليس ذلك عداء شخصيا لانكلترا وفرنسا - بل هو حجة لسورية وبلاد العرب .

ماذا جرى هؤلاء يا زكي بك ؟
شكري باشا سجن في خان البطيخ وعذب وأدير حول البحيرة وهو عار يغرب بالسياسات مدة أربع وعشرين ساعة باسم خيانة الدولة العثمانية ؟

في البيت الأبيض للوفد البحر والطيور والسمك والفضة

يا إخواني الأعزاء*

ما كان في نيتي أن أخطب فيكم هذه الليلة بل كنت عازما على أن أستعرض أمامكم بعض حوادث أصابني أو مرت علي لا أتقل بكم من عالم الجسد والحاسة والوطنية المتدفقة الى شيء من التسلية ، ولكن كان الحديث كله شجونا ودواعي الدخول في الموضوعات حساسة وداعية للكلام فلا أجد داعيا للتأخير والالتكماش .

لقد ذكر الخطيب الأول ان الميدان يرحب بالدكتور شهيندر ، الا فاعلموا ان للميدان علي فضلا روحيا لن أنساه ، لقد تعلمت في الجامعة كما يتعلم غيري من التلاميذ وربما آمنت بالمبادئ التي غرست في نفسي أكثر من غيري فلما خرجت من المدرسة أخذت أطبق ما تعلمته .

وإنني كرجل اخترت الدهر وتعلم وعلم في المدارس وغيرها أن أعظم نكبة صدمة تصيب قلب التلميذ المؤمن الصادق المجد هو أن يكون في المدرسة من يتقن بأن الحياة سامية والناس مخلصون فيخرج الى المجتمع فيفاجأ بالانفاق والصالح الدينية والدسائس والأغراض .

ولكن من حسن حظي أن أول حارة استقبلني وآمنت بعلمي ومبديي هو حي الميدان .

ماذا رأيت في حي الميدان ، ماذا تعلمت في حي الميدان ، لم يكن في حي

* أقيمت في الحفلة التي أقيمت تكريما له وإخوانه في حي الميدان

اسمعوا ما قلته مرارا ولكن بصيغة جديدة ، وهو خبر لنا ان نفوق في قاع البحر في سفينة واحدة متحدين ، من ان نعوم على سطح الماء متفرقين . وقد دلنا علم الحياة على ان الأجناس الحيوانية المتمتعة بحق الحياة تتجمع عند الخطر دفاعا عن حوزتها وحياتها ، فالجمل الوحشية في سبيلها متى تكاثرت عليها الذئاب تريد نيش لحمها ، تجتمع وألفت حلقة واحدة الرؤوس في الداخل والكفيل في الخارج والحوافر تلبط من اقرب منها . ومن لا يعرف الحمام البلدي او الداجن فليصعد غدا الى سطح داره ويتأمل في أسراب الحمام الذي يجلق في السماء حتى اذا أنه البازي انضم بعضهم الى بعض حتى يسير جسدا واحدا فينقض عليه البازي او الشاهين ، فمن نفوق او تفرد بذهب طعم هذا الطير الكاسر .

هذه علوم الحياة ودروسها النافعة وعظايتها البليغة ، فالأمة التي لا تحمد وقت الخطر لا أدري كيف تستطيع الاتحاد وقت السلام . فحين طلاب تاريخ يذكروننا بعهد مجد العرب فلو كانت سورية من غير فتح عربي لبقيت عمرا للفرقة الفاتحين بين الشرق والغرب وبين آسية وأفريقية .

ليس لسورية مجد أكيد وتاريخ حافل بالفائز إلا من بعد الفتح العربي ، فحين عرب قبل ان تكون سورية ، وقد جلدنا من الجزيرة أمواجاً سامية بفعل الحاجة قبل ان نكون مسلمين وقد عملت سورية اليوم ما عملته بفضل عصاة من أبنائكم يمكن ان تكون المصدف قد رضمتهم في الصف الأول من الحرب أو ان تكون مزايهم الشخصية قد أبتتهم حتى ازدهروا على رغم جميع العقبات والموانع الكاداء ، وقد بينت النبات في الشوارع على رغم عجالات السيارات ، ونبئت الورد في الحدائق على رغم دروس أقدام الجاهلية ، فالقوة الكامنة في الحياة هي قوة منبعثة منفرة لا يستطيع الاستعداد ان يقف في وجهها .

وأنتم يا أبناء سورية العزيزة ستمو فروعكم وتزدهر أعصابكم وتفتح رافحتكم الزكية لأن قوتكم مستمدة من ينبوع حياة عليا لا تنضب ولا تستطيع الاثقال مهما اشتدت وطأتها ان توقف غوها ، لأن ما يقوم على المعنى وينبئ من الروح لا يجشى المائدة .

الحكيم وجد الشيخ بهجت البيطار ، وكان عندكم يا أهل زقاق الخطاطب رجل آخر من هذه الطبقة من أهل الفن والأدب والتاريخ والعلم القديم والحديث والشفة هو الرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي .

لهذه الفئة من الناس يرجع الفضل الأكبر في إحداث الانقلاب الاجتماعي في سوريا وفي الشرق .

وأذكر لكم على سبيل التاريخ أننا اجتماعنا مرة في سوق الحميدية وكان بيننا الشيخ طاهر الجزائري وسلمم البخاري والشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي وعبد الحميد الزهراوي ومحمد علي المسلم وكنت أنا سابعهم ولدا صغيرا ، وكان الناس يشيرون إلينا ويقولون إن هؤلاء هم وهابية الشام ولم تكن تلك الكلمة يومئذ لدينا والإعراب عن ميزتنا وإنما كانت نوعاً من الشبهة إلا عند قليل من الناس ، ولأن ماذا حدث ليعطينا مقياساً عادياً عن التطور الذي أصاب هذه الأمة الكريمة .

إن الوهابي الصغير عبد الرحمن الشهبندر وأخوانه الوهابيين المجاهدين الذين هم أصغر مني سناً وأكبر مقاماً هم الذين تجتمعون الآن لتقيموا لهم الحفلات ذكرى لم يتحدثون بالخدمات التي تظنون أنهم قاموا بها تجاه أوطانهم .

إننا إن سرنا للأمام فإننا نسبر بروج الأفغاني ومحمد عبده وبروج القاسمي والبيطار جد هذا البطل وبروج الزهراوي وبروج هؤلاء الإخوان في جلودهم الآن ، إنهم الآن أموات ، إنما نحمل اليكم رسالتهم : إننا أحياء نحمل رسالتهم ، فإذا لم تسبروا على غرارهم في حجة دينكم وحجة وطنكم ، حجة تقرب من حجة الله فلا تتمكنوا من رفع شأنه ودينه .

بليتا مع أوروبا المستعمرة نكتان ظاهرتان بارزتان النكية الأولى أنهم يقطنون جزءاً من أوطاننا ويقدموه هدية للآخرين من غير استشارتنا على أقل تقدير ، إنهم يقيموننا على مائدة العمليات من غير أن يسألونا عما يريدون أن يعملوه بنا فيقطعون أيدنا وأرجلنا .

هذه اكلترا بدأت في عملها بتقديم فلسطين إلى اليهود دون أن تسأل

الميدان العلم الجهم الذي أدهشي ولا الثروة العائلية ولا القصور ولا الدور ولا الأشجار ولا البساتين . إنني رأيت في حي الميدان قلباً مخلصاً مؤمنة بالله والوطن ، وأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين قلوبهم وألستهم فإذا قالت تقول صدقاً وحققاً ، وهي إذا قالت بلسان أهل الميدان يوماً تشكرك يا دكتور لا تقول ذلك مواربة ولا رياء فقي أهل الميدان ذمة وفي أهل الميدان إخلاص وبساطة المؤمنين فاهتمكم يا أهل الميدان لأنني عدت إليكم لأرى هذه الوجهة النضرة والنظرات الصادقة مرة ثانية .

لقد أعدت لي ذكريات يا أستاذ بهجت البيطار ترفع من مقام الميدان وتزيد في حرمة . انني كنت أول من لفت أنظار المصريين عما عملته الشام عامة والميدان خاصة في ميدان الجهاد والحرية والعلم .

أنسىتم يا إخواني أنه كان يعيش بينكم أستاذ أستاذي وهي مفخرة لكم طاماً ذكرتها بمصر ، إنه الشيخ العلامة عبد الغني الميداني ، لا أضرمتم الاغراض السياسية الاستعمارية ولما أرادت الاغراض الأوروبية أن تحدث فتنة تستعملها فحركت عوام المسلمين على النصاري الأتنيين وأنست المسلمين مبدأ الذمية الذي جاء به دينهم لا قامت هذه الاغراض وقام طغمة من أفراد لا تفكر إلا بالنانع الدينية فهاجروا النصاري واعتدوا عليهم ونبهوا أموالهم ولكن ماذا كان موقف أهل الميدان ، ان الشيخ عبد الغني جاء باب الجابية ووقف بين الناس وقال ان هؤلاء النصاري هم أهل ذمتكم وان الاعتداء عليهم ونهب أموالهم يحرمه القرآن فوقف بذلل الفتنة وعاد الناس من حيث أتوا ، وهذه مفخرة لكم نسجلها لكم بإصجاب .

أنا لا أنكر أن بهجتاً في الشرق كانت منبئة من رجال الدين لقد حل لواءها لأول مرة الشيخ جمال الدين الأفغاني وأخوه وتلميذه الشيخ محمد عبده في مصر وردد صدى تلك النهضة التي هبت في مصر أعلام الشام ، ان لنا الفخر أن أول رجل رفع لواء النهضة في الشام هو الشيخ طاهر الجزائري ، هل كان وحيداً في عمله ؟ لا . ان الميدان أيضاً تقتخر أيتها قدمت له ركناً من أركان العلم والأدب والفن ، نعم الفن أنعمون من عيت ؟ الشيخ عبد الرزاق البيطار جد أخي وصديقي المجاهد حسن بك

البروز في السويداء في ثورتهم لكننا اخوانا ثورتنا ولم نخدثها أيام سراي لانه مسكين لم يستحقها ولم يكن سراي استعماري بالعني الذي نعرفه ولم يكن سيء النية ولكن الأحداث غلبتنا فأسرعنا حتى لا نضيع الفرصة ، فنعن لم نخرج من سوريا ولم نجتمع بالكليزي ولكن سوء الادارة هي التي جعلتنا على الثورة فارجو أن لا أسمع ان في البلاد دعاية للترك وللفرنسيين وللانجليز . وحسي ان أعيد ما أشار اليه أحد الاخوان في محاكمي فاني لا حوكت سنة ١٩٢٢ على مرأى ومسمع منكم قال لي رئيس المحكمة إننا وجدنا في جيبك (شكا) بالك زيك اميركي من المستر كراين ولكن بالنظر لأن (الصك) لم يصرف لم نود ان نحقق في أمره ثم انتقل سريعا من هذه الإشارة الى سؤال آخر ليحدث بلبلة في نفوس السامعين فقلت له امام إخواني : على رسالك أرجو ان تحقق في هذا (الصك) وتبتر المسألة التي تدعو الى الشك ، ألا فاعلم بأن هذا (الصك) أجرة سفر لثلمين موفدين الى الولايات المتحدة وهما الانستان قندلفت ونازك العابد أجرة طريق لها لاننا نريد ان نخرج بيات متعلمات في سوريا مثل خالدة أديب عبد الترك ، فالتفت إلي الرئيس وقال : أتريد الترك وأنت الذي حكم هؤلاء عليك بالإعدام ؟ فقلت إنني لا أريد تركيا وأميركا ولا انكلترا ولا أريدكم أنتم بل إنني أريد وطني .

لقد تكلم الدكتور المأمون عن التعاون وتوحيد الصفوف وعن الاشتراك في العمل وتوحيد الصفوف وهذا ما خاض فيه أخي وتلميذي فخري بك البارودي وأبان أوجهه النافعة وحث عليه أولا أنه ليس من شأننا أن نحدث تفرقا في الصفوف في جميع المواقف التي وقفناها لاننا نحن نعتقد اعتقادا جازما أن قضيتنا لا أقل في خطر بل في ظلمة ولو اجتمعت كلمتنا .

ان الشرق ينظر اليكم بعين تجهرية انه يقرأ أخباركم ويستمع احاديثكم ولو تفرتم لتالوا إن الشهبندر واخوانه أديعاه في الوطنية فالأخلاص في القضايا العامة والوطنية الصادقة يجب ان يجمع المدوين اللدودين على صعيد واحد .

أتريدون أن أصنف للكتابة الوطنية فالتحفي الكتابة الوطنية (تصنيف)

العرب أو تستشترهم كأبناء غرباء أو كأبنم خدام أو كأبنم لا يستحقون أن يطلق عليهم اسم وطنيين .

هذا ما بدأه انكلترا في فلسطين ، هل طلب أحد رأينا ماذا تريدون ان تعمل بالاسكندرون ؟ يضمنون سوريا على مائدة العمليات ويجرون منها لا أقول بدا ولا رجلا قد تكون رأسا وروحا وقليا .

والذي أعلمه ان الاسكندرون شأننا خطيرا في الجامعة العربية ، هل استشارونا في هذا الأمر الخطير ؟ ماذا يريدون منا ؟ ان نرسل احتجاجا لعصبة الأمم ؟ لقد ستمت العصبة وسمت قرار ٥٢ دولة في العصبة وتضمنتها في ملك الجليشة ، إنني لا أريد ان أدخل فيها مرة ثانية .

ولكن الذي أقوله ان تعدي أوروبا علينا وعلى حرمتنا وبيوتنا ومكانتنا وأوطاننا جازت الحد .

لقد جازت أوروبا الحدود المفقولة ولكن العربي لا يصبر على الكرامة اذا دبست بالأقدام ولا يصبر على الشرف اذا امتهنته أحد ، وان هذا العصر نهاية وان أوروبا تخسر حرمة العرب وصداقتهم وعظمتهم وقد تقول أوروبا مالي وطولا وما تقسمتهم وما لشأنهم ، إنهم أحم جهلة مبعثرة ولكن فاتهم ان العرب أقوى من قنابلهم ومناقصهم وقواتهم المادية وان رابطة العروبة هي القرآن المحفوظ في القلوب فالاستعمار لا يستطيع ان يذهب بهذه الرابطة فالاستعمار مادي والروح من عند الله .

ما هي الجناية الأخرى التي تجنيها أوروبا علينا ؟ إنها تحاول ان تهتم كل حركة وطنية بأنها حركة مآجورة وقد حامت هذه الشهية حول انكلترا أكثر من غيرها ، فكان الفرنسيون يهتمون انكلترا في كل حركة . ومن أغرب ما قرأت ان سراي كتب في مذكراته التي صدرت مؤخرا تحت اسم (سكوت سراي) انني ورضا باشا خرجنا في اوائل أغسطس ١٩٢٥ الى فلسطين حيث اتفقنا مع اللورد البريطاني على أحداث الثورة انني لم أغادر دمشق في سنة ١٩٢٥ إلا بعد ان تم الاتفاق بيننا وبين اخواننا الدرزي في بيت الحاج عثمان الشراياتي في اليوم الحادي والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٩٢٥ ، ثم خرجنا للثورة بعد ذلك ولو كان في بدنا الأمر لم يسرع اخواننا

الرسالة الموجهة من قبل المجلس النيابي السوري إلى الشعب في ١٢ من شهر ربيع الثاني ١٩٠٨

أخواني الأعزاء*

لا حاجة بي إلى التثاء على معالي الأخ فارس بك على دعوته الكريمة هذه وسعيه في تعريفي إلى اخواني أبناء البلاد النواب في المجلس، فمعرفتي بالأخ فارس بك تتصل بتاريخ القرن الماضي إذ كنا نعيش تحت كابوس واحد كابوس السلطان عبد الحميد وأماننا هدف واحد وآمال واحدة وهي الأمل المفقودة على عودة الدستور الذي عطله عبد الحميد، وبين عشية وضحاها أعلن هذا الدستور في شهر تموز سنة ١٩٠٨ فانقسم الناس في اعلانه إلى قسمين بعضهم صدق وبعضهم كذب فقال انه حيلة احتال (الماين) لأجل كشف الأحرار والقبض عليهم وارسالهم إلى فزان في ولاية طرابلس الغرب . ولكنني كنت والاساذ فارس بك على التحقيق عن أمن وصدق بالانقلاب فصدقنا وعقدنا الاجتماعات بالمسارح والقاهي والدور احتفاء بالدستور وتيمنا ببركته، وطن كثير من الأحرار كما ظننا انه حجر الفلاسة يفتح في كل الأمراض ولكن وبنا للأسف دللتنا السنون التي تلت الانقلاب، على أن الآلة النيابية أو الديمقراطية هي آلة دقيقة لا بد للأمة أن تكون مجهزة بكثير من المؤاملات قبل مباشرتها . فكانت هنالك دسائس وكانت هنالك مؤامرات وخطة للحكم ببعض العناصر العشائية الكبرى، فبعد أن ظن الناس أن حكومة الاتحاد والترقي ستحافظ على عينيها المقدسة بأن لا تفرق بين العناصر

* الكلمة التي القاها على أعضاء المجلس النيابي السوري في الألية التي أقامها رئيس المجلس في (أوريان بالاس)

أتريدون أن أصفق للجبهة الوطنية المتحدة فلتنجي الجبهة الوطنية المتحدة (تصفق) أتريدون أن أصفق لعصبة العمل القومي فلتنجي عصبة العمل القومي (تصفق) أتريدون أن أصفق لكل الأحزاب السورية التي تعمل بالخلاص فلتنجي الأحزاب الوطنية السورية .
لذا أحي كل هذه الجماعات؟ لأنني أعتقد أنها جمعيات تسمى لخدمة الوطن والذي يعمل لرفعة الوطن عليكم أن تصفقوا له فلا تكفوا بالتصفق للحرية ولسوريا المتحدة وصفقوا من أعماق قلوبكم لكل من يعمل لرفع كلمتكم أمام الدول المستعمرة.

وفي الختام قال أحد الخطباء إنني جئت لأسس مملكة، انني كلما ذكرت المملكة تذكرت الملك والحاشية والبلاط والموائد والخللات الرسمية وغير ذلك من شؤون تتعلق بصورة الحكم، ولا يعني أبدا الآن صورة الحكم لأن صورة الحكم لا تدل على حالة المحكومين لذلك أضغ تعديلا بسيطا فاقول انني ما أبيت لأسس مملكة وإنما أبيت لأؤلف امبراطورية ليست هذه الامبراطورية لي ولا لك ولا لكم.

أيها المجاهدون ان مثل هذه الامبراطورية قد لا تكون لكم انما هي امبراطورية التاريخ والعلم والحضارة حتى اذا سافر أحدكم الى البلاد الأجنبية لا يسا طبرشاً أو عمامة قال انني عربي انني الامبراطورية العربية.

مرام على اللهمة ان تخضع للبحرود نفوة الرحمن الوقي من قوة الظلم كيف الركة البلادو التي العرفى على بعوفه في الارض لآخر الله

كانت عادي لا غادرت هذه البلدة الى الثورة، فالعراق فمصر ان احاطت الناس يا آباي ويا ابناي ويا اخواني، اما الان فبعد شهادة الاستاذ شاكر الحنيلي حذفت كلمة يا آباي واقتصر على مخاطبي اياكم يا اخواني ويا ابناي. ذكر الاستاذ محمد سعيد الموقع بلسان والده السيد ابي الفرج الموقع صديقي القديم الحميم انه يستقبلي وبعثي.

انا عرفت كيف انشئ حي المهاجرين هذا، وما هي العناية من انشائه فقد جعل هذا الحي من اول الامر لقرم من جزيرة (كريد) تعدى عليهم العدو فاخرجهم من ديارهم فلبجوا الى الدولة العثمانية مهاجرين، فملأوا هذه الناحية من جبل قاسيون. ولكنني اخشى اليوم انه لم يبق من هاجر الى هنا خمسة في المئة من السكان، لقد ذهب وطهم فغادروه مهاجرين وها هم قد افترضوا امام اعينكم ان مصير الذين يفقدون الوطن هو الافتراض فان لم يكن الافتراض بالاجسام فهو بالارواح حتما، ولقد حادثني يا سيدي الوزير عبد اللطيف باشا توري، السر مارك سايكس سنة ١٩١٧ في القاهرة وهو واضح معاهدة (سايكس - بيكو) ليقنعي بضرورة احتلال العراق وسورية ليتعلم ساكنوها المدنية الحديثة والحضارة القائمة فقلت واذا لم يقبلوا هذه الحضارة بالعنف والشدة وبالزعم عنهم؟...

فقال فما عليهم الا ان يخرجوا من ديارهم الى الصحراء وطهم القديم. لقد حاول الاستعمار ان يخرجكم من دياركم ويأتي باليهود ليحتلوا محلكم كما حاول ان يأتي بالصهيونيين ليحتلوا محل العرب في فلسطين، ولكنكم ثرتم لوطركم ورفعت السيف في وجوه الذين يريدون ان يحكموا قلوبكم. رفعت

* القيت في المحلة التي اقيمت تذكرا له والاخوانه في حي المهاجرين

العثمانية رأوا باعينهم وسمعوا بأذانهم ولبسوا بألبسهم انها تريد تبرك العناصر وفي مقدمتها العنصر العربي، فادت هذه المحاولة الباطلة الى ارتباك الآلة النابية، ومع انه كان للعرب في مجلس النواب العثماني عدد من النواب المختارين بأحلافهم وحزبتهم فإن العدد الأكبر لم يمثل العرب حقيقة وإنما تم انتخابه بواسطة الدساتين التي حاكها الاتحاديون للحصول على من يرضع لأمرهم ويخضع لأرادتهم وهكذا لم تمثل الامة العربية تمثيلا لائقا في مجلس النواب فانخفضت السياسة البرلانية العثمانية ولا سيما من الوجهة العربية اما الآن فنحن نحرب تجربة حديثة تجربة اقلية برلمان سوري، وأنا اعتقد بالطريقة النابية في البلدان التي لم تتحرر بعد من قبودها تحريرا تاما، ولا يخفى عليكم ان هنالك نظريتين متباينتين في الحكم: النظرية النابية، والنظرية الديكتاتورية نظرية هتلر وموسوليني فأرجو من صميم قواي أن تتفقوا في عملكم يا اخواني النواب لتقدموا برهانا جديدا على صحة الديمقراطية ولا يكون هذا التوفيق واقعا الا اذا شائتم ارادة الامة وافصحتم فصاحا تاما عن اسباب شكواها وتظلمها وليست الحرية هي أن يتكلم المرء ما يشاء من غير وازع نفسياني يشرف على لسانه وإنما هي الكلام في نطاق الدمة والمقل، والحرية الجائزة في مجلس النواب هي الحرية القائمة على المصلحة المدنية على المبدأ الحر المعقول، وأما الحرية القائمة على الشخصيات والزرعات الدائرية والمنافع الحفيرة فهي خارج البرلمان.

أرى الالبسة المتنوعة، أرى الطرايش والمعائم والمقل والكوفيات والبدلات والبعي فهذه لا تدل على شيء من عدم التجانس لأن الوحدة لا تقوم على اللباس وإنما تقوم على وحدة الايمان وصدق الولاء والمحبة، وهذا ما اراه طافحا على وجوهكم: ان الوحدة التي نلتموها فيكم هي وحدة القلوب.

وفي الختام أقدم لأخي الاستاذ فارس بك ما عبرت عنه في أول كلامي اقدم له خالص شكري وامتناني على ما قام به من هذا المعروف وهو تعرفي الى السادة النواب اخواني وجمعي هم في هذه المحلة الفاخرة.

التجربة قاسية وقد تكون أمامنا ليال ظلماء ولكن هم العاملين امثالكم ستغلب على الموانع وستقتلع العقبات.

عبد الله الى موقع بدر فكانوا نحرًا من ثلاثمائة يقابلهم مشركو قريش وهم نحو تسعمائة شمعن ولكن الايمان الزروع في المسلمين تغلب في آخر الامر على الخوف في قلب المشركين فكان يروى في تاريخ الاسلام مشهودا اذ انتصر المسلمون على الكافرين.

لقد ذكر لكم الاستاذ محمد الموقع المزعج الجراءة التي ابدتها في خطاي في دار (الفريح) أيام جال باشا السفاح لقد ذكرني بأشياء ادهشتني عا دلي على قوة ذاكرته العجيبة وقد طلبتها من ابنه لاحفظها بين مذكراتي لأنها هي الواقع ولكن أنظنون اني لم أقدر بطش جال أنظنون انها نزوة طيش مني تغلبت على لسان فتعلمت تلك الجراءة... كلا... ثم... انها خطئة اخطئتها في نفسي، هي أن اجابه الظالمين بالجنايات التي يرتكبونها لأن عقيدتي ان الأمانة التي تتطلب الحياة يجب عليها أن تنقف في وجه الظالم وتقرل له أنت ظالم، وأنت ترتكب الجنايات.

حرام على الأمة ان تخضع وتتكس رأسها للجبروت، فقوة الحق أقوى من الظالم ولو كان على قدر جبل قاسيون، الظالم جبان والظالم جبان والمتمدى على الحق جبان فما على من يطلب الحق الا ان يرفع صوته عاليا ليعيد حقه المهضوم.

يا اخي شاكر بك الحنبلي ذكرت صفحا كثيرة لانيك المذكور الشهيد قد لا يستحقها ولكن لم تذكر صحيفة مهمة في تاريخنا المشترك وهي أن حب الوطن الذي زرعناه في قلوبنا هو في تلك الاجتماعات التي عقدناها في الزيداني في دارك، وهي نتيجة كتب قرأناها معا ككتاب روح الشرائع (لمنسكري) وكتاب (أصول الشرائع) ليتنام وكتاب (سر تقدم الانكليز) ترجمة المرحوم فتحي زغلول باشا وغيرها كم من الكتب التي تغذيها في دارك في الزيداني، هذه صحيفة طورتها تفضلا منك وحياء ولكن الحق يجب ان يقال، وهالك أمر آخر رأيته في بيتك بالقيمة لقد كانت لك شقيقة توفيت بمرض (الكوليرا)، فحشكت منبرا وقلت لك يجب ان نتبع عن أسباب العدوى وتستعمل المطهرات، ولكنه قام قبلها ولم يحف من جراثيم الكوليرا ان تدخل في جوفه وان مثل هذا الايمان بالناقة من جراثيم الأمراض على أنواعها هو الايمان الذي يلزمنا لمحاربة الجراثيم الاجتماعية والسياسية الفتالة.

علم الثورة فرفعت مكانه وطنكم وما أنتم أولاء مستقلون على رضم الدسائس التي حيكت لكم والسلطة العسكرية الأجنبية المسابقة التي أرادت ارقام أولكم.

ذكر الخطيب حزب الشعب، وذكر الثورة. نعم اني بعد خروحي من أرواد سافرت الى أوروبا ومنها الى اميركا وليست لي غاية الا أن أثبت الدعوة لوطنكم المهدد في كيان، فعلمت في أوروبا واميركا أن الوطنيين معها جاهدا اذا لم ينظروا انفسهم ويلموا مشتهم، ويعملوا الدعاية للمبادئ الحديثة ويصيحوا صيحة يسعها الغرب قبل الشرق، ففي طاعة الاستعمار أن يظهر كل حركة وطنية أنها لصومعية وأنها قطع طريق فعدنا الى هنا وعمونة هذا الوطني الكريم الأخ سعيد بك حيدر ونفحه بيته بجلسات استعدادية سرية عقدها عنده والأخ الكريم النائم في سريره الآن لوجع ألم في رجله وهو الأخ حسن بك الحكيم وغيرها من الأحرار - الفنا حزب الشعب، وما كدنا نؤلفه ونقوم بما يطلبه من الواجبات حتى رأينا أن الثورة قد حان حينها ودنا شبرها، ولكن بعض الناس اختلفوا في امر الثورة فمن قائل يقول ان الثورة لا تفيد ومن قائل يقول انها السبيل الوحيد لنيل وتحقيق الاستقلال والحرية، وأقول لكم ان في شرع السياسة امرا شرجه (بسمارك) اذ قال: «اذا اختلفت النظريات السياسية ولم يكن مجال للتوفيق والتسوية السلمية فلا سبيل الى بلوغ الغاية الا بالقوة» لقد اختلفت نظريات الدوراة فرنسا ذهبت مذهبا ونحن ذهبا مذهبا آخر وكما رفعنا صوتنا يطلب حقوقنا تقدم الجواسيس ها فقالوا: شرزمة من المهورسين الذين تعلموا على الطريقة الأوروبية فظلموا انفسهم، شيئا مذكورا واضطرونا الى اعلان الثورة، لنبرهن لفرنسا ان الذين يجردون بالكلام في سبيل سورية لا يخلون بدمائهم عند الحاجة لبلوغ غاياتهم الحرة.

هل تظنون أننا أتينا امرا ، فسلطنا سيلا لم يسلكه أحد قبلنا؟... اننا تعلمنا وذلك من الناصر مؤسس جد العرب سيدنا محمد فهنا تاريخ الاسلام لديكم وهذه حوادث تلك النهضة المدنية موضوعة في كتب السير ارجعوا الى التاريخ تروا أن أول جد أصاب الاسلام - من بعد تلك الاضطهادات من بعد ما هاجر الصحابة الى الحبشة واضطهد النبي في عقر داره انما حدث لا يخرج أولئك الاشارس من المدينة المنورة بقيادة محمد بن

(٤٠٠) مؤلف ليس بينهم من أبناء العرب شركاء الترك في المملكة الا اربعة موظفين فقط . وكانت تلك الورقة بداية الثورة العربية الكبرى ، فانت ثائر وابن ثائر فقد ثار احباً بوريقية بل خلق مهضوم للعرب ، فانت ابني وابن أخي وكلنا أبناء العربية . والان سمعت الشاعر ولا أقول الرقيق فالين الرقة يا أباريقية انت تحدث ثورة في العقول اذن لا أقول الشاعر الرقيق بل الشاعر الثائر .
وانت يا منير المحلاقي يا أديب الشباب أقول لك ولاي ريشة انتا الانان عوضنا عن ما خسرت من مفارقة دمشق .

لقد خسرت الشهداء الكرام العائدي والمسلمين والحوام وخسرت حيا من احياء دمشق عزيزا عندي غاليا علي ، ومقدسا في نفسي ، قد عشت فيه حينا من الزمن ولكن الله والثورة قد عوضا علي بشاين اديبين افتخر كل الفخر أن ينظما القصائد ويدبجا المقالات في مدحي وذلك لا لأنني استحق مدحها وفاءها بل لأنني عحي أن تجتمع حولي الوطنية والثقافة والعلم .

لقد طلبنا الحرية لبلادنا لاننا لا نريد الرجوع الى ما قبل التاريخ ، وأوضاع الهمجية البائدة وانما لنحمل على عاتقنا الغضن الطريف عيبه هذه الخضارة الثقيلة بما فيها من مكتشفات مادية وجوهرية ، وفلسفات حكيمية اساسية ، فقد ثرنا لاننا لم نصل الى دور الانشاء الا بعد الثورة ،وعادت اليها قوتنا لاننا صمحننا بعد المرض فمن بعد الثورة الانشاء ، ومن بعد المرض الصحة والسلام .

لقد سألني وخفت أن أغادركم فأعود الى مصر ، كيف أعود واثرك جسمي وروحني ، أتترك البلاد التي اجد في كل بقعة فيها أثرا مقدسا يجفزني على العنا ؟ سأذهب عائدا الى مصر ، ولكن لا أغادركم وأترككم الى الابد بل للقيام بواجب عائلي ختم سانهبه فاني مشتاق وهان وتحب واقع في العرام ، فالوطن أعز وأحل من أن يترك ظهوريا ، سأذهب الى مصر لأن أولادي في المدارس وهم يتسلحون بالعلم في ذلك الوطن الثاني ،وان من الحرام علي أن أسلمهم هذا الحق أنا ذاهب الى مصر لأربي لكم شهيدين وشهيديات يعمودون بعدي الى الوطن ليؤازروني في خدمته . سمعت لأول مرة من السيد مصطفى خلال تشيد العلم وأنا أورد أن أذكر لكم أن عندي نظرة غريبة الى الوطن والوطنية لا بد أن أذكرها لكثير من الوطنيين الذين يعملون في الحقل الوطني يتصورون الوطن سكك حديد ومعامسل وأفسراننا ومعدان وسيارات وطائرات ، وغيرهم يظن الوطن مزارع وأشجارا وثمارا وغيرهم يتوهم الوطن مقالع احجار ومعدان ودهبا والماسا وغير ذلك من الاحجار الكريمة اما أنا فاذا أردت أن أنصور الوطن فلا أراه الا حديقة غناء تجري فيها ساقية ماء ها علب رفاق وحواليها الورد والزهور والروائح المنشة ، وبحانب هذه الساقية موسيقى كمصطفى ملال يطرب ويشجي وينادي بالألحان ترتفع الى السماء تتردد صوته الملائكة في الأعلى وين السحاب . هذا هو الوطن فالوطن عندي جمال وجلال ،والله في عظمته انما هو جمال وجلال . أين أنت يا خالد العسلي . ؟ كيف تسول لك نفسك ان تناديني بقولك يا سيدي الزعيم هل بيننا سيد ومسود ، هل في العرب من يقول حقا ان فلانا سيدي ولو كان نازلا من السماء ، نحن لا نتعرف بالسيادة لأحد الا لمن استوى على العرش ، أما البشر ففهم ارتفع مقامهم ودهما علت أصوهم فانتا نبخل بكلمة السيادة عليهم لاننا خلقنا أحرارا قبلنا من أن تقول يا سيدي الزعيم الا برحمة والدك ودلتك وجهه قل يا بابا (فأجاب نعم وأنت بابا وأنت عمي وأنت كل شيء) فان كلمة بابا يا خالد تضع حدا للسيد والسود انها تدل على علاقة أسمى وأشرف مما يربط السيد بالعبد ، فانا أب لك لأنني صديق لوالدك الحكيم ، فيا ليته حيا ليراك فقد كان ثائراً مثلك ، لقد وقف في الامتانة أيام كانت الرقاب تحز وتلدى بأعل صوته في مجلس النواب العثماني : إن حقوق العرب مهضومة . وأخرج من جيبه قائمة فيها اساء الموظفين في وزارة المالية فبلغ عددهم نحو

لقد ذهبنا الى اللبث في تمسكنا بهي وفشارى في سبيل العروبة

يا أبناء وطني الأعزاء*

اسمحوا لي أن أقول لكم في هذه النبذة المستندة الى وثيقة تاريخية تتعلق بحياتي الخاصة لستندلوا منها على عقيدة آمنت بها منذ نحو جيل . لقد تلت الشهادة الوطنية من الجامعة الأميركية في سنة ١٩٠٦ وكان من حظي وشرفي أن أكون خطيب الحفلة النهائية، ومن حضر تلك الحفلة من عظماء الرجال الذين يتولون للسلطان عبد الحميد بصفة الاخير الوزير الجنرال « زروس باشا » والطبيب البكاشي احمد بك ورضا نور بك، وكان الموضوع الذي اتخذته للخطابة موضوعا خطيرا في تلك الأيام، وهذا الموضوع كان بالانكليزية « طولبريش » وفي العربية « التسامح » فإذا قلت يومئذ وهل أستطيع أن أقول اليوم لادل على انسجام في حياتي واني على أقل تقدير في مدة جيل لا أتبدل ولا أغير... ؟

لقد وقفت على المسرح يومئذ أمام الأخطار المحدقة من ضغط السياسة العثمانية وكابوس السلطان عبد الحميد، وقلت لرجال الدين في القرون الوسطى انكم اضطهدتم العلماء لعلمهم، وانكم صرستم (برنو) لأنه آمن بقواعد فلكية تكاد تكون بدئية في عصرنا، واثبت يا سلطان صلاح الدين يا مفخرة الشرق ومفخرة العرب لقد قتلت السهروردي بدسائس حقيرة دنية قام بها الزاحرون من العلماء يومئذ فأمته جوعا وسجلت بالنسبة لفخرك المجيد عيبا لا يحصى مدى الزمن . وقلت لهم يومئذ : أنتم يا علماء الكلية ببلغني أن في زمن الدكتور (كريستوس فنديك) القتم المؤامرات على هذا العالم لأنه قال بذهب الشوهر والترقي، ان العقل والدين الصحيح يحشيان جنبا الى جنب .

* خطاب الرعيم شهنيدر في الحفلة التي اقامها تكريما له ولاخوانه الاستاذ جورج صحنائي

تجميع الكمالات، فنتفق تمام الاتفاق مع اخواننا النصارى فيما يعتقدونه بالله تعالى.

فبعث وبعث حقير أن يحاول أحد أن يضع فروقا بيننا لاختلافات ثانوية لا شأن لها في الله، ولا شأن لها في الآخرة، ولا شأن لها في الوطنية.

انهم لن يستطيعوا أن يضعوا بيننا فروقا تفصلنا في وطننا الواحد وبيننا الواحد.

من هم الذين حاولوا أن يضعوا هذه الفروق؟...

تقول اني اذكر التاريخ والسنوات (يا فائز) أفلا ترى أن التاريخ والسنوات هي نقطة ارتكاز هي وسيلة وثيقة؟ أنسيا زمن السلطان عبد الحميد، اذا كنتم نستيم فاني لم أنس (يحييه الاستاذ فائز الخوري « كنا صغارا » فحييه الزعيم أنت أكبر ممي في ذلك الزمن).

ماذا جرى في زمن السلطان عبد الحميد. فقد قالت دولة روسيا القيصرية للأرمن قوموا: في تركيا وفي بيليس وأنا أحرركم وأؤلف لكم الدولة الأرمنية، فقاموا ان روسيا القيصرية تحب الأرمن لسواد عيونهم فقاموا وثاروا، ولما رأت روسيا أن مصلحتها في اغفال شأنهم سكتت عنهم، ولما ذبحهم السلطان ماذا جرى لنا نحن المسلمين.

هذا ما اصاب النصارى وماذا اصابنا نحن المسلمين؟.

عين عبد الحميد واليا على بيروت يدعى رشيد بك ابو سميج صهر احمد عزة باشا.

ماذا كان حالنا في زمن رشيد بك أبو سميج؟ كنت تلميذا في الجامعة الاميركية اذا خرجت من بيتي في حي البسطة كنت معرضا للقتل، لظن المسلمين اني نصراني حتى اذا دخلت في الجميزة أصبحت في خطر من النصارى لظنهم اني مسلم.

لم يكن المسيح مسؤولا عن هذه الجرائم ولم يكن محمد مسؤولا عن هذه الجرائم ولكن عقله المسلمين في تلك الأيام كانت مثل احترام الأرمن رحا ضحية المطامع الخسيسة الدينية والأغراض السياسية، وما أنتم أولاد إياهم الحرب العظمى لما أنى الطاغية جمال باشا هل كان يفرق بين من يعمل هكذا

فلا دين صحيح من غير عقل صحيح ولا عقل صحيح من غير دين صحيح. هذا ما قاله يومئذ أمام مئات المستمعين في الجامعة الأميركية التي تخرجت منها. قلت لهم يومئذ إن الدين يجب ان يكون مستجعا للمعلم والدين الذي لا يخدم المعلم هو دين كاذب والمعلم الذي لا يخدم الدين هو علم كاذب. والان ما هو الدين وكيف تولد الدين وما هي وضعية الدين؟.

أيها الإخوان اني لا أريد أن أخوض في موضوع لا هو في مختص بحضرات الأخبار الكرام والمشايع العظام، فلهؤلاء طريقة خاصة في البحث ولنا معاشر الذين اشتغلوا بالعلوم الاجتماعية طريقة أخرى، وعند التحقيق الدقيق والتتبع الخالي من الغرض تجميع الطريقتان في مركز واحد. اترك لعلماء الدين ولرجال الاكبروس طريقهم واذكر لكم الطريقة الاجتماعية التي يقول عليها الاختصاصيون من أهل علم الدين المتقارب وهو الذي يطلق عليه في كتب المعلم (كوتيسيس روليبيان).

اذا مجتمع مئة فرد من البشر في قرية من القرى، ليكون هؤلاء المئة من البشر على النقطه الأولى لم يتعلموا نظاما من الأنظمة، ولا درسوا درسا من الدروس، انما اذا أقيسناهم في هذه القرية وتركناهم وعدنا اليهم بعد حين من الزمن فما الذي نجد فيهم؟ اننا نجد فيهم أوائل التنظيم يحدث منهم بغير زتهم وبطبيعتهم أوائل التنظيم الحكومي ينتخبون من بينهم زعيما ويعيّنون له أعوانا ويقومون بالخدمات المطلوبة منهم بحفظ النظام وحفظ الأمن وتحقيق العدل ولو بصورة ابتدائية.

اذن تولد في هذه الجماعة من غريزتهم أوائل الحكومة، فالحكومة وضع يدل على ظاهرة اجتماعية طبيعية، ثم ماذا يكون بعد الحكومة؟. انهم تراهم يؤمنون بقوة وراء القوة للموسسة، يؤمنون بشيء وراء الجدار، يؤمنون بشيء فوق السقف، يؤمنون بقوة وراء قوتهم وهذه القوة هي القوة الإلهية.

أيها السادة:

انهم يخضعون بأرادتهم واختيارهم لهذه القوة، وفي المدفوعات يطلبون منها المعونة ثم ما يزالون يتطورون حتى يستخرجوا من هذه القوة المثل الأعلى الذي يتقضمه فتصبح هذه القوة في عقيدتهم وفي أنفسهم المثل الأعلى، للفضيلة، المثل الأعلى للعدل، المثل الأعلى للحق.

فنحن معاشر المسلمين الذين يؤمنون بأن الله واحداً، مصدر الخير وفيه

أدين بدین الحب إلى توجهت ركايته فاعجب ديني وإعالي
وقال ابن الفارض الشاعر السوري المصري :

وإن تار بالتزبل محراب مسجد فما بار بالانتجل محراب بيمة
فلا عيت واطلق لم يخلقوا سدى إذا لم تكن أفعالم بالسليمة
يا اخواني يا رجال الاكبروس، ويا اخواني يا علماء الاسلام اريد أن
اوجه أنظاركم كما وجهت انظار غبطة البطريرك الى أن الدنيا مقسومة الى
قسمين لا ثالث لهما: قسم يؤمن بالله وآخر ملحد لا يؤمن بالله، هذا القسم
قوي وذاك القسم قوي أيضا، وقد اصيبا في هذا العصر بكنية لم تكن تعرف
عند اجدادنا وهي أن الإلحاد صار منتظا تنظيما سياسيا اجتماعيا تعقده
دول معظمة، وتبدل في سبيله النفس والنفس.

اذن يا سادتي يا علماء الدين ورجال الاكبروس اننا نحن راكبون في
سفينة واحدة وقد ركب معنا اليهوديون واليونانيون والشعطيون والبراهمة وجميع
الذين يؤمنون ان دائرة الكون انما تدار بإرادة الله .

اننا في سفينة واحدة، والآخرون يركبون في سفينة أخرى ونحن نتناطح
في هذا البحر الخضم ونضارب يرمى بعضنا بالقتال فاذا غرقت سفينتا
انظنون ان النصارى يفرقون ونحن نسلم؟ كلا ثم كلا؟. والى أعود الى
كلمتي الأولى: خير لنا أن نغرق ونحن متحدون من أن نعيش ونحن
مشتتون.

قال الخطيب الأول كلمة لا بد لي من أن أعقب عليها هنا قال:
لا يقل المسيحي وطنية عن سواه لم وضع هذه الكلمة: أنا لم افهم
وضعها (والفقت الى توفيق جناوي) من قال لك ان المسيحي يقل وطنية
عن سواه؟.....

لقد ذكرت لكم شهداء السنة الأولى والثانية من الحرب العامة فيهم
المرحوم جورج حداد منكم ومن دمشق. ومن بيروت (بترو بول) رفيق
رؤف سلم.

وبين من يعمل هكذا (وأشار بيديه الى شهادة الاسلام وإلى إشارة
المسيحيين الثلاثة) هل فرق بين بطرس ومحمد؟ هل قال هذا مسلم وهذا
نصراني. لقد ذهبنا جميعا في سبيل العروة مسلمين ونصارى الى الميثاق.
فلا الآن نفعتنا ولا النواقيس دفعت الشر عنا، فمن اراد أن يحمي وطنه
فليدع الاختلافات جانباً ولتجتمع كلمكم على حب الوطن فالوطن من الله وفي
سبيل الله.

لقد اتهمنا أوروبا ولا تزال تهماً بالتعصب، نحن معاشر الشرقيين وقد
فالت لخطة البطريرك انطوان عريضة في الحلقة التي أقمناها له في القاهرة
منذ نحو شهرين:

« يا سيدي البطريرك ان التسامح اتي من المشرق ولولا الأغراض
الاستعمارية لولا البسطة السياسية التوسعية ما وصمنا بهانة الهنات الرذيلة وما
وصلنا لهذه المصائب التي يجب أن نجهل عنها. ولادلكم على تسامح الشرقي
وعلى المقام الرفيع الذي يتبوّه الذين اذكركم كما ذكرت للبطريرك ان السائح
« هوب » الذي سافر الى الشرق الأقصى منذ سنة أصيب بدهشة ما عليها دهشة
لا رأى التسامح بين أبناء تلك البلاد. قال اذا قدر لطاوي وبوزي ووثي أن يهتموا
في مكان واحد، وكانوا غرباء فمن آداب البحث ان يبتدىء الواحد بملاطفة
الآخرين بقوله: الى أي دين من الأديان الرفيعة السامية تنتمون يا سادة؟
فيقولون جميعا الأديان كلها واحدة ونحن ننتمي الى أخوة واحدة والسلام.
هذا ما رآه « هوب » منذ مئة سنة في بلاد الصين ورومنذ لم تدخل الأغراض
الاستعمارية الى بلاد الصين، ولذلك تجمع الدين في تلك البلاد بالبراءة والنور
والنظام التي يجب ان يتمتع بها، هل كان عندنا نحن قبل أن تدخل علينا هذه
الآراء في التسامح الحديث شيء من التسامح؟

يا اخواني ارجو منكم معاشر المسلمين خاصة ان ترجعوا الى كتب
التصوف لعلهم ان التصوف يقولون ان جميع هذه الظاهر، ان جميع هذه الآيات
ان جميع هذه الزهور والفواكه وهذه الوجوه الجميلة وهذه المياه اللاذعة كل هذا
الجمال الديني والطبيعي هو من عمل الله تعالى.

قال لكم ابن عربي:

ونساء، الى هؤلاء اقول ما قاله جورج بك صحنأوي للذين يريدون ان يضعوا الحواجز بين الطوائف والأديان: اهدموا ما بقي من حواجز التفريق فانا في عصر اذا لم نجتمع فيه كلمتنا نساء ورجالا واذا لم نتحد ارادتنا واذا لم يترال الى ميدان العمل كل منا في الدائرة التي خصص فيها، فالارتقاء الوطني يتعذر والعقبات شديدة والاغراض الاستعمارية لا تزال ثقيلة فتساعدوا فيما بينكم واعدوا عدتكم واشتروا الجديد الذي فيه البأس الشديد، فان الله وضع قاعدة منذ ايام آدم حتى اليوم وهي: ان القوة فوق كل شيء، والحق من غير قوة ضعيف، والباطل مع القوي حق، ولكن الحق والقوة اذا اجتمعا فهناك البأس والشدة والانتصار الذي ما بعده انتصار والسلام.

أنستيم اننا نحفل وانتم يحتفلون بحجى، اخوانكم المبعدين؟ الا فاعلم ان الصداقة الموجودة بيني وبين الأمير مشيل لطف الله وتوفيق اليازجي وأسعد داغر لا تقل عن الصداقة الموجودة بيني وبين سميد حيدر وشكري القزالي ولطفي الحفار.

اننا لا نفرق هذه للتفريق، واذا سمعناه مرة اخرى فانا نشعر بشيء من التعريض بكرامتنا. اننا ما قبلنا الدعوة في هذا البيت الا لاننا نعرف اننا في بيت اخوتنا واخواننا وآبائنا وامهاتنا.

ان المسيحي السوري اذا لم يعتقد أن له في كل صخرة من جبال سورية وفي كل شجرة من أشجار سورية وفي كل نقطة من أهدار سورية وفي كل نجمة وكل كوكب من نجوم وكواكب سورية حصه متكافأ مع قائلته ومع ثقافته ومع علمه ومع فضله فان هذا الرجل يكون قد خان الامانة التي اؤتمن عليها فالبلاد بلادكم كما هي بلادنا، وشاءت الأقدار ان نكون نحن الأكثرية فيها، وهذه الأكثرية هي اكثريه اخوان واخوات وآباء وامهات وآباء في بيت واحد، البيت هو الوطن الاصغر فكما اخرجتم فضيلات انسات مثل الانسة التي تكلمت، كما علمتم البنات قبل البنين كلما أعددت النساء ليكن امهات صالحات فقد رفعتهم على قدر هذا التعليم، وهذه الثقافة قدر الجليل الجديد، الذي يتولى الامر بعدنا والجيل الجديد هو الزهرة التي يعدها المجتمع لتكون الشرة اليازمة الوطنية.

لقد قالت الانسة جانبت عاقل انحصرون فيكم العزة والبطولة وتذكروها علينا. يا عزيزتي وما أخني هل في الدنيا عزة وبطولة اذا لم تكن قد تعذت من ثدي المرأة، وتعلمت في حجر المرأة، ونشأت عن يد المرأة... انتن يا سيداتي بنات الوطنية انتن اللاتي يخرجن رجال الغد رجال المستقبل فلا نشوء ولا ارتقاء ولا تقدم جيل جديد يكون اهلا لتحمل عبء الوطنية الا اذا كنن تتحلين بالعلم الصحيح والوطنية الصحيحة.

لقد قلت أول أسس لسيادات اعضاء دوحه الادب ونقطة اللين ونقطة المرأة الشامية وغيرها: ان تاريخ العلم الحديث دل على أن مقياس الحضارة ومقياس الثقافة ومقياس الارتقاء في الشعب هو مقدار الحرية التي تتمتع بها

فان، انتن، يغمون الحواجز الرجعية في سبيل النشء الحديث من رجال

الفتح من اللئالة - ولست من عزير اللئالة فهل تعرفون بين اللئالة وعزير اللئالة؟

اخواني الأعزاء*

في سنة ١٩٠٨ فوجئنا في هذا البلد بالانقلاب العثماني الخطير فانتصرنا للحرية انتصاراً لا مجال للشك فيه. وبعد هزيمة حدث في سورية شيء من الرجعية باسم جمعية ألفها رجل رجعي يدعى (درويش وحلقي) وقد نشرت دعاية خبيثة في هذه البلدة، وازكرت هذه الدعاية الخبيثة على مقاومة عدد محدود من احرار البلاد منهم من الاحياء الأخ الأستاذ فارس بك الخوري، ومن توفوا ابن عم الأستاذ سعيد حيدر المرحوم الدكتور حسين حيدر والمرحوم سليم الجزائري والمهاجر الوراقف بينكم فتحملنا هذه الرجعية برابطة جأش وسعة صدر لعلنا أن كل عمل اجتماعي سياسي في خطوة عظيمة الى الأمام تعقه الرجعية، والرجعية ملازمة للتقدم وهذا أمر مقرر في كتب السياسة وكتب الاجتماع والذي يعني أن أقول لكم إن هذه الدعاية قد توسعت حتى صار الماجورون يقولون اياكم أن تعاملوا عند الدكتور شهيندر فشعرت بمقاطعة لي بالنسبة للفن الطلي، وكان من أعضاء تلك الجمعية الرجعية رجل بارز توفي الآن رحمه الله تعالى، فاصيب عنده مريض عزيز لديه جداً وكان هذا الرجل ممن يعتقدون بكفائي الطليبة فوقع في حيز بعض وقال: أأدعو له الدكتور شهيندر وبينه وبينه هذا الاختلاف بل قد تحول الاختلاف الى حزازات والى بغضاء والى كره صميمي؟...

سأل نفسه هل أدعو الدكتور شهيندر الذي اعتقد أنه طبيب قادر قد يبريء العزيز عليّ، أم امنع دخوله بيتي وبني وبينه ما صنع الحداد؟... لقد

* القيت في الحلقة التي اقامتها الكلمة الوطنية تكريماً له ولاخوانه

مخطيء وجاحد وكافر بوطنه.

اننا ما اتينا لنهزم، لقد كان يشق علينا المدم في ابان حكم السلطنة
الاجنبية، فكيف نهزم في زمن نرجو أن يكون زمن الحكومة الوطنية؟...
فانا ايها الاخوان أعلن على رؤوس الأشهاد بانني من الكتلة الوطنية
(عاصمة عائلة من التصفيق فرجا الزعيم الصمت والاتباء، وقال ان لديه
كلمة لا تضر المستمعين ولا تزعجهم ثم تابع قوله):

اني من الكتلة، ولكنني لست من حزب الكتلة فهل تفرقون بين كلمة
الكتلة وحزب الكتلة، اذا أردتم التفرق فهذا هو الطريق: انا من الكتلة
الوطنية المستعدة لد يد المصافحة لكل رجل نافع في البلاد فنجذبه الى ساحة
العمل والتي لا تبقى رجلا صالحا خارج المطهرة الوطنية وانا عدو حزب
الكتلة الوطنية عدو شديد الرولة، وستعلمون شدة وطائي، اذا كانت حزبية
الكتلة تمنح الأمة من أن تجتمع كلمتها على صعيد واحد. وان تحول دون
دعوة الطبيب لانقاذ المريض. كذلك الرجل الرجعي الذي دعاه خصمه
الدكتور شهيندر لمعالجة مريضة، وضع حب ابنه فوق الغايات الشخصية،
فاضطر الى دعوة الدكتور شهيندر لأنه يعتقد أن الشهيندر دكتور باستطاعته
أن يقد حياة ابنه المريض.

وانتم يا اخواني الرجوكم رجاء حارا يخرج من صميم قوايدي ومن أعماق
قلبي الى آخر لبساني ان لا تدعو الحزبية تتغلب عليكم وتحول دون دعوتكم
للرجال الصالحين الى التعاون معكم، لانقاذ هذا الوطن من الوهدة الموحدة
فيها.

كونوا ككلولين وطنيين بالمدنى الذي أفهم. ولا تكونوا حزبين، لا تهمكم
الاسماء بل انصرفوا الى الحقائق فالاسماء عرض والحققة هي الجوهر وقد
تكون المسيمات مخالفة تمام المخالفة للاسماء التي تدعى بها ولكن الذي
يهمكم الحقائق، اجتمعوا تحت الاسم الذي تريدونه ثم ادعونا أنا واخواني
لثاني اليكم خاضعين تأثر بالمركم، وتكون جنودا متفنين لارادتكم. ان
الذي يهكم هو البحث عن الرجال الصالحين النافعين لأجل ان تفهموا
اليكم أو أن تفهموا انهم، او تفعلوا أي شيء آخر لتكون جهود البلاد
منصرفة الى تحقيق الغايات السامية التي علقت الشائق من اجلها، والتي

اضطر في آخر الأمر رغم أنه الى دعوتي والذي اضطره حبه لا كرهني،
صداقته لا عداوتي الغرام الذي يجيش في صدره، لا الغايات الذي يجيش في
قلبه ثم اضطر، على ما بيننا، الى المجيء الى داري وأخلي لمعالجة مريضة.
اذن مريض عزيز حمله على مصافحة طبيب لا يحب، اذن غرام وديع في
مريض في سرير المريض هو الذي حمله على التقدم لهصافحي اذن المحبة
تحمل المختلفين على أن يطرحوا خلافاتهم، اذن الغرام يحمل المتباغضين على
الاجتماع في صعيد واحد فاذا كنتم تجبون سورية كما تقولون فاني أوجه
كلامي لكم يا أبناء الكتلة الوطنية بل أوجه هذا الكلام الى كل حزب وكل
جماعة وكل طائفة.

اذا كنتم ايها الناس تجبون سورية جبا جبا اذا كنتم تتفانون بالغرام
بسورية فاكبحوا جراح انفسكم، ودرسوا على الشخصيات وارفعوا الحزازات
وتقدموا الى خصومكم مصافحين وقولوا لهم: انتم اطباء تعالوا نتعاون على
مداواة المريض.

لقد قال الأخ لطفي الحفار في كلمته عن الكتلة الوطنية انك يا دكتور
شهيندر لست غريبا عما بل أنت من صميمها، وكفى أكون غريبا عن
اخوان لنا معهم في الايام والسنين الماضية حوادث واخبار عامة وخاصة انتم
تعلمونها، لقد اشتركنا معا في زمن الدولة العثمانية لاجل عروبكم وقد
اشتركنا معا في زمن الحكومة العربية لانقاذ موافقكم، وقد اشتركنا معا في
زمن الحكومة الفرنسية، وبلا كنا في مصر كانت البلاد في ضيق وشدة وكانت
الكتلة الوطنية تصروف البلاد من حالة الى حالة.

لما شعرنا بما كانت تعمله الكتلة لم نفكر هنيئة من هو الذي يسوقها
ويقودها. وانما فكرنا في امركم، فكرنا في حاجتكم فكنا نسير من نخزن الى
نخزن ومن بيت الى بيت لنجمع المال ونقدمه لهذا المفضل (واشار الى السيد
خير دياب) في الكتلة الوطنية وهي صفوة من اخواننا ولاهون علينا ان ننكر
قرباننا لاخواننا ولابنائنا ولابناتنا، من أن ننكر صداقتنا وارتباطنا باعضاء
الكتلة، فانتم ايها الاخوان اذا كان بينكم أحد يحس حسا خفيا، أو يشعر
شعورا مصطنعا مدفوعا بياعث دعاية لا تشرفا، اذا كنتم تظنون أن الدكتور
شهيندر واخوانه المجاهدين الاحرار أنوا ليهدموا الكتلة فالذي يعلن ذلك

سورة الرحمن سورة

إن أعظم موافقي وأحبها إلي وأرضاها عندي وبعثها للسكينة في جوانب نفسي موقفي في الصلاة بين يدي الله.

من يوجه نفسه الى الله ويصلي بقلب ملؤه الايمان لا يجوز له ان يقنط.

الاسلام رجاء، والقنوط ليس من ديننا.

ان العقيدة لا تكون عقيدة الا اذا كانت مخلصه لله.

رابطة المروية اقوى من ان تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يجمعها.

ان سكان هذه البلاد على اختلاف المشيرة يتنون بأصوفهم الى الجزيرة العربية ومنها كانت عيوب هذه الجزيرة فان قضيتها البارزة هي أنها تطيع ابناءها على الحرية فالحرية هي غريزتنا ولأهون على البشر ان يخفوا منا ملاحظنا ولاشوا الوائنا وتقاطيع وجوهنا وقامتنا وشكل شعورنا من ان يريلوا هذه الجزيرة من قفوسنا.

نحن عرب قبل ان نكون سوريين.

ليس لسوريا مجد اكيد وتاريخ حافل بالفاخر الا من بعد الفتح العربي.

مصر عربية كما هي سوريا عربية ومن شرب من ماء النيل كمن شرب من مياه بردى.

فاضت الدماء في دمشق والجبل والنوطة والنيك وحصن رجاء وحلب في سبيلها، فذلك الدماء الزكية الشريفة لا ترضى ان تكون مبعثرين، وان ترى جهودنا ذاهبة هدرًا.

أنا من الكتلة ما دامت الكتلة سمحة كريمة تضم جميع العاملين المخلصين ما دامت فاتحة ضيافتها لكرام الوطنيين والسلام عليكم.

الاستقلال، ولبيها الوطن المقدس بانياته البررة الاوفياء.
 من لا يحب وطنه لا ايمان له.
 جنة الوطن مفتوحة الابواب لكل مخلص.
 المداوة الصادقة خير من المداوة الكاذبة.
 الاكار الصريح خير من الإيمان المبالغ.
 البدوي ماء ضحطاح، والحضري جنة صيقة.
 متى كثرت المسدسات في ايدي المتخاصمين الحزبين
 انطلقت منها النيران حتما.
 اذا مات الشهيد او قتل في ميادين الشرف ففي الأمة
 العربية شهيدرون.

بني وطني: ان البلاد أصبحت هدفا يرمى وغنيمة تقسم،
 وما لم تهب جيما للدفاع عنها كما فعل ابراهيم هنانو والشيخ
 صالح المي و يوسف العظمة قبلا وكما يفعل سلطان باشا
 الاطرش الان كانت النتيجة كفرا بنعمة الوطن، والويل لمن
 يحمى في مكانه فلا يتحرك، والغزوي والمار لمن يخطو الى
 السوراء أو يسقف في منتصف الطريق، ارفضوا كل خضوع
 وانقياد لأي شعب لا يشارككم في روابطكم القومية كونوا
 صفا واحدا ولا تفرقوا فتصابوا بالضميم.
 ان الليالي حبال، والمستقبل حافل بانواع الاحتمالات،
 فعل الأقوام المظلمة التي تطلب الهراء الطلق والور الشرع
 والحياة الرقيقة ان تجعل لكيانها قيمة مادية في الميزان الدولي،
 وان تبقى قبس القومية مشتملا دائما اشتمال نار فارس
 لستغنيء به في اللحمة القادمة اذ يكون الظلام دامسا
 والدليل حائرا والغلبة يومئذ للمعتين.
 الامة التي لا تسفك دمها في سبيل الوطن لا تستحق تقدير
 الوطن.
 البيت الذي يلتهم في سبيل الوطن هو شمعة نور وقجيد
 في الساء.
 والوحدة لا تقوم على اللباس انما تقوم على وحدة القلوب.
 خير لنا ان نفرق متحدين من أن نعود متفرقين.
 خير لكم ان يخاف منكم من ان يشفق عليكم.
 ارتفعني يا بنادق، وقمقي يا حراب وفرقي يا قبايل،
 واغري عباب البحر ايتها الاساطيل المعاتية، واملاي كبد
 الساء ايتها الطائرات المستكرة، وميدي يا جبال الوطن
 العزيز. لصفاف النفوس من ابناءك، اما نحن فكما قال
 فردريك نيتشه في قصيدته الغنائية « سنجلس على الرغم من
 ذلك كله بين فكي التين، ونترج على انياب الكارثة ونصيح
 باعلى اصواتنا وصلء افئدتنا، فلنمشى الحرية، لبحس

الفصل الرابع

العودة من المنفى
محوذة إلى الجاهل

كيف استقبال الشعب السوري الزعيم الشهيد يوم عودته وأخوانه من مفاهيم في مصر وكيف هيا الزعيم الثورة الوطنية السورية عام ١٩٢٥.

ان القلم ليعجز عن وصف ذلك اليوم المشهود الذي استقبل الشعب السوري زعيمه الدكتور شهيد يوم عودته وأخوانه، في الرابع عشر من شهر ايار ١٩٣٧ بعد صدور العقو عنهم بعد اغتراب دام اثني عشرة سنة، وزيا كان خير وصف لهذا الاستقبال الرائع ما كتبه جريدة الايام الغراء لصاحبها الاستاذ نصولي بابل في عددها الصادر في ١٥ ايار ١٩٣٧ تحت عنوان.

(يعثر زائر من الحلائق يستقبل الزعيم شهيد وأخوانه).

(يوم الزعيم شهيد بعد يوم فيصل).

وهذا ما كتبه الجريدة المذكورة عن هذا الاستقبال.

(١) بقوا خلالها يعيدون عن أرض الوطن بسبب أحكام الاعدام التي أصدرتها بحقوقهم السلطات الفرنسية بتهمة انتماءهم في الثورة الوطنية السورية عام ١٩٢٥.

جزر الخمر من الخبث لذلك يستقبل الزعيم شهيداً و لا خوراً له

وصف شامل لوداع واستقبال الزعيم من القاهرة الى دمشق

يوم الزعيم شهيداً بعد يوم فيصل :

قال مندوب « الأيام » الخاص :

اين ذاك القلم، الذي يستطيع ان يصور للناس في سورية من أقصاها إلى أقصاها وصف دمشق أو بعض وصف دمشق في يوم الجمعة في الرابع عشر من هذا الشهر - يوم أمس - وهي تقطري الساعات بعد الساعات لثاني الساعة التي تظا قدام الزعيم الدكتور عبد الرحمن شهيداً وصحبه المجاهدين الأبرار ساحة الشهداء لتصفي الى صوته الرنان، بعد ان تمتع برؤية عياه وحيا اخوانه بعد اغتراب فاس طويل .

واين ذاك الرتر الذي في وسعه ان يطرب الناس ويأخذ بجماع افئدتهم والباهم كما اطربتهم عودة زعيم البلاد واخوانه الى الوطن الذي بذلوا في سبيل سعادته وهنائه واستقراره واستقلاله ارواحا غالية خالدة في السماء، وسجلوا في صفحات هذا الوطن القدي آيات الفخار والقوة والعقيدة والمجد والوطنية، التي قدمها لله وباركها الاخلاص والإباء والشمس، ودغدغتها نسيمات التضحية المجالصة لا لهذا الوطن السوري العربي فحسب، بل لبلاد العرب جمعاء .

ما أعظم دمشق، وخاصة في يومين ما سجل لها التاريخ في عمرها الطويل غيرها، أولها يوم « فيصل الملك، وثانيها يوم الشهيد الزعيم » . وأحسن الله إلى شاعر الشام واديبها الكبير في وصفه دمشق في قوله :
جبارة، سخرت من كل كارثة أعت وما فتت جبارة الشان

من عمان وبافا

وانضم الى الزعيم وصحبه المجاهدين في محطة اللد ، والمجاهدين الذين وصلوا من عمان وهم السادة : محمد الشريفي وعادل حامدة وزكريا الداغستاني ومحمد درخاني وشقيقه .

والقى الشيخ يعقوب كلمة رجب فيها أجل ترحيب بالزعيم وصحبه ، والقى الشاب الدمشقي السيد ياسين الصمدي كلمة ترحيب وخطبت الأنسة شهيرة الداغستاني شقيقة المجاهد الوطني السيد زكريا الداغستاني خطابا رجب فيه بالزعيم وصحبه بعد ان قدمت له باقة من الزهور والرياحين .

وقد قدمت الى الزعيم باقات من كثاف العرب ، والجلالية السورية ، وأبناء سورية الشمالية في يافا ، وقدمت مدام استافانوس بترس باقة الى صاحبة المعصمة حرم الزعيم .

في طولكرم

وفي الساعة السابعة غادر القطار اللد الى طولكرم فاستقبل الزعيم وصحبه رئيس البلدية ومدير البنك الزراعي عبدالله سماره ، وبعد السلام خورشيد وكرم الركابي ، وظاهر حسون وعدد لا يحصى من الناس .

في محطة عتليت

وفي محطة عتليت استقبلت الزعيم وصحبه جواهر غفيرة من الناس ، قدر لها الزعيم وصحبه هذه العواطف الوطنية السامية .

في محطة الكرمل

وفي محطة الكرمل اذبح الناس لتحية الزعيم وصحبه . وجاءت وفود الجاليات السورية ، فامتطعت القطار لتراقق موكب الزعيم .

في محطة حيفا

وعندما وصل القطار الى محطة حيفا ، كان في استقبال الزعيم وصحبه

الله ظل على أكتافها لجب أصرذ بالظل من قهر وطغيان

وداع القاهرة

طالع القراء في الملحق الذي وزعته « الأيم » بعد ظهر أمس الأول - الخميس - البرقية التي تلقيناها من الزعيم شهبندر وصحبه من القاهرة بأنهم يغادرون مصر للامام مساء الخميس .

وقد تلقينا نبأ هاتفينا من القاهرة ، بوصف مهرجان وداع الزعيم وصحبه وداعا منقطع النظير ، فقد غصت المحطة بمطاء القطر المصري الشقيق وكبرائه .

ولقد سمعنا الزعيم مساء أمس يتحدث عن خطوات مصر البالغة به وبإخوانه ، ويقول بأن وداع رجالات مصر لم ترك في نفسه وثقوس إخوانه أبلغ الأثر الطيب .

في محطة اللد

قال مندوب « الأيام » الخاص الذي استقبل الزعيم وصحبه من محطة اللد في فلسطين :

في الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين من صباح أمس - الجمعة - وصل القطار الذي يقل الزعيم شهبندر وصاحبه الصون عقيلته الفاضلة ونجده السيد فيصل وكريمته الأنسة سحاب ، وإخوانه الاستاذ حسن الحكيم والسيد توفيق هولر جيدر والأمير نسيب شهاب ، فاستقبلهم في محطة اللد عدد ضخم يقدر بخمسمائة نسمة وكان هذا العدد مؤلفا من وفد الرملة وغيرها من المدن الفلسطينية والجاليات السورية عرفت منها السادة : الحاج أديب خير ، عبد الستار السندروسي ، محي الدين الحصري ، صبحي ابو خضرا ، حمزة مخلص ، محمد علي بدير ، الحاج عبده الحولي ، مهدي القباني ، توفيق سنوح ، سامي تلو ، الدكتور فؤاد الشاوي .

ورحب بالزعيم وصحبه باسم سماحة مفتي فلسطين الأكبر السيد سليمان الحسي .

من السادة : الشيخ عارف الزين ، الشيخ احمد رضا ، الشيخ سليمان ضاهر ، الشيخ عباس الحر ، محمد صبحي المجدوب ، والدكتور رياض شهاب ، محمد حشيشو ، عبد الرحمن شهاب ، ابراهيم السنورة ، سليم الحلاق وشريف الانصاري ، بشر خروبي ، الحاج محمود سنورة .

ويمكن القول ان عدد السيارات التي أقالت هذه الوفود الى جسر بنات يعقوب والقيطرة يتجاوز الالف سيارة .

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف وصل الزعيم وصحبه الجسر ، فكانت ساعة تاريخية ترققت فيها عبرات الفرح ، وحل المستقبلون الزعيم على الاكتاف وساروا به وهم في نشوة وأطلق الطلاب طورا بيضاء من أكتافها عند وصول الزعيم وصحبه وهف بجله السيد فيصل بحياة سورية والوحدة العربية .

القيطرة والكسوة

وبعد ان سلم الزعيم وصحبه على المستقبلين ، هطلت الأمطار في جسر بنات يعقوب فتفاد الناس بمقدمه .

وبعد قليل ركب الزعيم وصحبه السيارات الى القنيطرة التي كانت تخرج بالناس حيث استقبله فيها باسم فخامة رئيس الجمهورية الدكتور نجيب ارمناري والقائد رفيق المنظمة وباسم الحكومة الاستاذ عادل المنظمة مدير الداخلية العام والسيد توفيق الجبالي محافظ دمشق الممتاز والأمير فائق الشهابي محافظ لواء دمشق والثانيان السيدان توفيق الشيشكلي ونوري الفتيح باسم المجلس النيابي والسيد نسيم البكري محافظ الجبل وولد الهيئة الوطنية الدروزية وفريق من النواب ، والنائب الأمير فاعور الفاعور على رأس مئات الفرسان وبعد ان صافح الزعيم وصحبه الجميع تابع طريقه في موكب تجاوز الالف سيارة الى سمسع ، حيث تلقاه أهلها بالأهازيج ومن ثم الى الدريجة حيث استقبله السيد فوزي البارودي نائب دمشق ، وتابع الموكب سيره الى الكسوة حيث كان المجاهد الكبير الاستاذ سعيد حيدر في انتظار أصدقائه الزعيم وصحبه ، وكان عناق طويل ، وانتقل الزعيم وصحبه الى سيارات مكشوفة وتابع الموكب سيره الى حي الميدان الذي كان يقف بألوف

أكثر من خمسة آلاف نسمة ، من الوفود الفلسطينية من نابلس والناصرة والقدس وغيرها ، وكان وفد من دمشق مؤلفاً من الدكاكرة والأساندة السادة :

عثمان الشرباتي ، ياسر المؤيد ، عبد الكريم العالدي ، عابدين حمادة ، رفيق الكزبري ، منير الحصني ، سهيل حناحت ، عبد الحميد القفصاني ، يحيى الدين السفرجلاني .

وقد حمل الزعيم على الاكتاف الى السيارة وتعالق المنافات تحياته العالية ، ودعاهم الوطني الكبير السيد رشيد الحاج ابراهيم مدير البنك العربي في جيفا الى حفلة شاي فاعتذر باسمه وباسم اخوانه بأنه يريد السفر سريعا الى دمشق ليكون فيها في الموعد الذي حددته لجنة الاستقبال .

وفي الساعة التاسعة والنصف غادر الزعيم وصحبه ومستقبلوه ووفود من صفد وغيرها من المدن الفلسطينية حيفا ، وقد تبعتم المراكب من حيفا أربع دراجات نارية تحمل فريقا من رجال البوليس الانكليزي ، ومثلها من طبريا ، وعندما وصلت المراكب الى مستعمرة طاعوش الصهيونية ، وقف عربان الحولة وطبريا يرحبون بالزعيم وصحبه الكرام .

في الجاعونة

وفي الجاعونة ، أقام الحاج عثمان الشرباتي عادية غداء على شرف الزعيم وصحبه ، ومن ثم شق الموكب طريقه الى جسر بنات يعقوب .

على الحدود

وعلى الحدود السورية - الفلسطينية في جسر بنات يعقوب ، زحمت المناكب ومن العسير كثيرا ان نحصى وفود دمشق والمدن السورية التي جاءت الى الحدود عددا وكل ما نستطيع قوله ان هذه الوفود تحمل الكتللة الوطنية والشعارات المعسكرين وعصبة العمل القومي في كل المدن والجبهة الوطنية المتحدة والحزب الثوري القومي والحزب الشيوعي وجميع شعراء دمشق وتجارها ووجهاتها وأدائها وشعرائها وطلابها وعملها عدا وفود المدن السورية كلها في الساحل والداخل ، وكان وفد صيدا وجبل عامل مؤلفا

الغلب على السيارات

أما السيارات الكبيرة والصغيرة في دمشق فلم تبق منها سيارة واحدة إلا واستخرجت مساء أول أمس ، ولم تبق سيارة في الأضحية إلا وأحضرت إلى المدينة ورأى أصحاب الكاراجات ان الحاجة ماسة لسيارات كبيرة فأحضروا من بيروت مائة سيارة ، كما أحضروا من حصن وحماه وحلب أكثر السيارات الموجودة هناك ، وقد بلغت أجرة السيارة الصغيرة إلى جسر بنات يعقوب أكثر من عشرين ليرة سورية .

وتلفت « نقابة السيارات بدمشق من نقابة حلب ان ١٧٦ سيارة غادرت حلب لدمشق لتشارك في استقبال الزعيم .

أما الأقمشة التي تستعمل لصنع الأعلام السورية فقد راجت سوقها كثيرا ، حتى ليقدر عدد الأعلام التي صنعت في يوم أمس فقط بأربعمائة علم رفعت مع ألوف الأعلام على الحرايت و فوق الزينات .

وفود المدن

ولم تتمكن من إحصاء وفود المدن السورية نظرا لكثرتها ، وقد اشتركت هذه الوفود في المهرجان ، ووقف وفد قوى العوطة على جانبي الطريق الذي مر فيه مركب الزعيم وأخوانه .

في حي الميدان

أما في حي الميدان فقد تزين منذ ثلاثة أيام ، وبرز اليوم في حلة قشبية ذكر فيها ماضي جهاده إلى جانب الزعيم وأخوانه المجاهدين ، فخرج أبنائه بسيوفهم المصقولة وخيوطهم العظيمة وزعم العربي الجميل ، حتى بلغ عدد الفرسان أكثر من ألف ومائتي فارس تبعتم المركب من الكسوة وباب مصر حتى ساحة الشهداء .

وكانت أكثر الدور تضيح امامها الموائد وعليها دولات القهوة توزعها على المارين والدور مفتوحة أبوابها لاستقبال الضيوف والوفود .

في ساحة الشهداء

أما ساحة الشهداء حيث أقيم المهرجان فقد قسمت تقسيما بديما ،

الناس ، ووقفت حافلات الترام من الساعة الرابعة حتى الساعة الثامنة .

وكان الميدانيون يوقفون الزعيم وصحبه بين نقطة وثانية على طول جهم فيقدمون له التهاني في وسط الأهازيج والعروضات والزرغابيد . ولا وصل المركب إلى مقبرة « باب الصغير » ترجل الزعيم وصحبه ، ووقفوا على قبور الشهداء ، وتلا سورة الفاتحة على أرواحهم الطاهرة .

ومن ثم وصلوا السير إلى الدرويشية فالسجقدار فساحة الشهداء . وكانت مراكب الفرسان تخط بالمركب من كل جانب ، كما أحاطة عربان الفضل بين جسر بنات يعقوب والقيطرة .

ونترك الوصف بعد هذا للتدرب « الأيام » الخاص في دمشق قال :

دمشق أمس

لم تتم دمشق في ليلة أمس إلا لائما ، فقد بقي كثير من رجالات الأحياء في المدينة ساهرين حتى الصباح يعملون على رفع معالم الزينات ، وإقامة أقواس النصر ، وما أطلت شمس الصباح على دمشق إلا وهي مكتسية حلة زمرية جميلة والأعلام السورية تزفرف على حوائطها ودورها وأسواقها ، وعلى الزينات التي امتدت من باب مصر إلى ساحة الشهداء وتغلغلت في كل سوق من أسواق المدينة وكل شارع وحى من شوارعها وأحيائها ، حتى ان الطرق الضيقة التي لا يمكن ان يمر بها إلا أصحابها ، والأحياء النائية عن المدينة عبرت عن الشعور الذي غمرها عودة الزعيم وأخوانه ، ورفعت الأعلام وضفت عليها أكابيل الغار والزينات .

حيز الأماكن

وبكر سكان دمشق إلى حيز الأماكن للإشراف منها على المهرجان ، فاحلوا اسطحة الدور والحرايت من «ب مصر إلى ساحة الشهداء ، ولم يتركوا شرقا أو سطحا أو مكانا مرتفعا إلا وتكدست عليه جموع الرجال والسيدات والأطفال ، ولم يتركوا متقفا من منافذ المدينة أو شارعا من شوارعها إلا واحتشدوا فيه ، وقد ارتفعت أجور الأمكنة في شرفات الفنادق وسطوح الحرايت والمنازل فبلغت حدا عظيما وكان يدفعها الناس بكرم وسخاء وكثيرون منهم يفشون عن مكان للوقوف بالية ما بلغت أجرة .

كل فترة وأخرى كان لها أحسن الوقع في النفوس .

وصول عقيلة الزعيم

ولا أزلت الساعة الرابعة والنصف وأصبحت ساحة الشهداء تزخر بالجمع كما يزخر البحر الخضم بالأمواج - أخذت الأعناق تتطاول ولعمرون تنجيه الى منفذ السجقدار متروقة كل حركة ، وتتساعل بلهفة عن وصول الزعيم والمجاهدين وطال بها الوقت فصيرت تحت تأثير الحب والاختلاص والتقدير الذي تضره لم وداهم الانتظار حتى الساعة الخامسة إلا ربعا فأعلن وصول السيدة الصموية عقيلة الزعيم فتحركت الأيدي بالتصفيق وعرفت الموسيقى وأخذت لها التحية الرسمية ولا وصلت الى قرب القصر البلدي وترجلت من السيارة استقبلها مدير الشرطة وكبار الموظفين ، كما استقبلها رجال الحكومة في القصر البلدي ، وكانت برفقتها شقيقة المجاهد السيد زكريا الماشستاني .

الأعناق تشرب

وظلت الجماهير ان وصول الزعيم لن يتأخر كثيرا عن وصول عقيلته الصموية ، فاشربت أعناقهم وأرسلوا النظرات الى طريق السجقدار ، ولكن مضى على ذلك أمد طويل وطلّح الزعيم وأخوانه لم تظهر ، وداهم الأمر على هذا حتى الساعة السابعة إلا ربعا فلما حيث أعلن وصول الزعيم وأخوانه فأنشد رجال الدرك والشرطة وفرق الاكتشاف والقمصان التحية الرسمية ، وأطلقت السهام النارية والمفرقات ، كما أطلقت قنات «دوحة الأدب» أكثر من مائة طر أبيض ، وارتفعت الأصوات بالهتاف ، وتحركت الأيدي بالتصفيق الحاد ، ورفعت النساء أصواتهن بالزغاريد .

فدخلت سيارة الزعيم ساحة الشهداء وكان يركب معه الوطني النبل الأستاذ حسن الحكيم والمجاهد الأستاذ نزيه المؤيد .

الرئيسان يعانقان الزعيم

ولا ترحل الزعيم وأخوانه من السيارة كان رجال الحكومة والمحافظة ومدير الشرطة في استقبالهم على مدرج القصر البلدي فتقدم فخامة رئيس مجلس

فاحل رجال الدرك والشرطة وفرق القمصان الحديدية منافذ الطريق المؤدية اليها . ووقفوا صفوفنا منتشرة على جوانبها ، ووقفت فرق كشاف سورية بأعلامها العديدة وألبستها البديعة، ونفت وسط الساحة بنظام أثار الإعجاب في النفوس ، والهج الألسنة بالثناء عليها .

الأساتذة والطلاب

كما وقف الأساتذة والطلاب امام حديقة ساحة الشهداء تحت أقواس مرفوعة قد علقت عليها لوحات كتبت على كل واحدة منها إحدى العبارات التالية والطلاب يكبرون التفضية والاختلاص «العروة فوق الجميع» عاش المجاهدون زعماء العروة العاملون» ، «هيئة المعلمين ترحب برجال الأمة الأبرار» ، «الطلاب يرحبون بالخلصين» ، «العروة تفخر بضم أبنائها الأفاضل» ، «حيثم يا أعلام النضال» ، «طلاب الجامعة يرحبون بالخلصين الأبرار» .

ولا يفوتنا ان نذكر بان كثيرا من اللوحات علقت على الحوانيت والمكاتب وعليها مثل هذه العبارات منها لوحة علقت في الجسر الأبيض ، وثانية على مكتب الأستاذ زكي بك الخطيب ، وثالثة على المعلم العربي في المرجع كتب عليها «يوم الفرح الأكبر بعودة الزعيم شهيد» .

السيتا ومكبر الصوت

ومنذ الساعة الثانية والوفد تصل تباعا الى ساحة الشهداء حتى ضاقت بهم على رجها ، واحتشدت السيدات والأطفال على سطوح الحوانيت والبنائيات ، وفي شرفات الفنادق والمكاتب، وخف المصورون لالتقاط صور الهرجان كما توافد مندوبو ثلاث شركات سينمائية لتصوير المركب ، إحداها شركة بنك منصر التي ستعرض فيلم الاستقبال في مصر وجميع البلاد العربية .

وكان مكبر الصوت ينقل للجماهير في كل لحظة خبر تنقلات الزعيم وأخوانه المجاهدين فتصفيق الجماهير وتهتف بهجائهم طويلا .

وكانت فرقة قاسيون الكشافية تعرف بوسيقاها العظيمة قطعاً عذبة بين

خطاب لطفي الحفار

ثم وقف النائب الاستاذ لطفي الحفار رئيس لجنة الاستقبال فالتقى الكلمة

التالية :

أيها السادة أيها المجاهدون الأبرار :

هذه دمشق تبرز في هذه الليلة بأجل مظاهرها فرحة متهلة لمودة أبنائها الذين طالما حنت للقائهم وأنت الطول غيابهم بل هذه البلاد السورية كلها ترحب بالمجاهدين الأبرار والزعماء الاختيار الذين لم يفتنوا في سبيلها بهذا أغل ما يمكن أن واسمى ما يستطيعون ، وهل بعد هذا النفس والنفس وبعد التضحية في سبيل الأمة والوطن من مزيد ؟

أيها الاخوان المجاهدون :

لقد قمتم بالواجب وما القيام بالواجب بالشئ القليل . ولقد كنتم المثل الأعلى تضربوه لأفراد الأمة جميعا لتعلم منكم معنى الاخلاص بالعمل ومغزى قوة الايمان في الأمل ، وقيمة الثبات في الساحة بلا يأس ولا ملل . ونحن أخرج ما نكون في مفتاح عهدنا السياسي الحاضر وممارسة حقوقنا الاستقلالية التي ضحت البلاد في سبيلها ما ضحت ، ان تقوم بواجبنا على مثل هذه المبادئ التي كنتم مثالا عمليا لها ولا زلتم تعملون في سبيلها .

بعدتم عن اخوانكم وبلائكم ولكن اخوانكم والمعجبين بكم لم يكتفوا بعيدن عنكم لأنهم كانوا يربون دائما بأبصارهم يحكمون في حللكم وترحالكم وفي مواطن جهادكم ونضالكم وانكم حللكم في سويدائكم ومللكم قلوبها .

كانت الأمة تقوم بواجبها وانتم تلقون عليها في تحملكم الاذى في سبيلها أبلغ الدروس والعظات ، وكانت البلاد كلها كلمة واحدة ما وهمت وما ضمنت في سبيل المطالبة بحقوقها ومقاومة الرجعية والمغزوة في مختلف ظروفها ، ولكنكم تؤيدونها في جميع مواقفها وتشجعونها على المضي في جهادها ونضالها العنيف ، وكنتم خير قدوة لها في اخلاصكم وصبركم . لقد أحسستم للبلاد في جميع مواقفكم فحق للأمة ان تحسن لكم وهي لا تملك أغل من هذا الشعور القياض الذي تفرمكم بأفئدتها وقلوبها ولا

النواب الاستاذ فارس الخوري فماتق الزعيم بحرارة ثم عانقه جناب رئيس الوزراء الاستاذ جميل مردم بك عناقا طويلا .

وبعد ان سلم وزير المالية السيد شكري القزبلي ، ووزير العدلية الدكتور عبد الرحمن الكياي على اخوانه دخل الزعيم القصر البلدي فتوقف فيه قليلا حتى خفت وطأة الازدحام ثم صعد الى هو القصر حيث استقبله كبار المدعوين بالهاتف والتصفيق والقبلات الحارة . وكانت الجماهير من الساحة تهتف بهجائه وحياة اخوانه .

خطاب الحياي

وبعد ان استراح الزعيم قليلا ، وقف محافظ مدينة دمشق الممتازة السيد توفيق الحياي ، فالتقى الخطاب التالي :

أيها الزعيم الكبير ، أيها المجاهدون الأبرار ، أيها السادة : اذا كانت دمشق عاصمة العروبة تكرم رجالها الشاملين في هذا اليوم التاريخي العظيم فإنها تكرم البطولة وتكرم التضحية ونحيي المبدأ .

لقد كانت دمشق وما زالت سبابة في هذا التقدير العظيم لكل عامل مخلص يعمل لرفع شأن العروبة ولإعادة مفارها .

ان دمشق بل سورية كانت تنتظر هذه الساعة الطيبة بفارغ صبر لتري أبناءها المجاهدين الذين بذلوا اموالهم في بناء الاستقلال فتضمهم اليها ويحتجع بها شملها وتقوى هم شكيمتها واذا كانت هذه السنوات الطويلة قد حالت دون عودتكم الى الوطن فان العهد الجديد الذي دشنته رجال هم اخوانكم في الجهاد والتضحية قد حقق هذه الأمنية العالية .

فاني أفخر باسم دمشق عاصمة الشام ومدينة العرب الخالدة ان أرحب بحضراتكم وأهتكم بسلامة الوصول راجيا لكم إقامة طيبة في أرجاء هذا الوطن العزيز .

ولا يسعني إلا ان اشكر جميع وفود المدن الشقيقة وقراها ساحلها وداخلها بتبيتها دعوتنا ومشاركتها إيانا بالاحتفاء بكم تقديرا لجهودكم واعتزافا بحميتكم والسلام .

خطاب الزعيم

وبعد خطاب الأستاذ الحفار وقف النائب الدكتور منير العجلاني فقال :

الآن يتكلم باسمه وباسم المجاهدين الأحرار المعائدين - زعيم البلاد الأكبر الوطني الأبى ، والعلامة العبقري الدكتور عبد الرحمن بلك شهيد .

أنصتوا ! إن معالي الزعيم تعب ويريد أن يعتذر ، ولكننا أينا عليه إلا أن يتكلم لنسمع السحر ونراه ونلمسه .

فوقف الزعيم الأكبر وارتحل الخطاب الآتي :

يا إخواني الأعزاء :

ذكر حضرة محافظ دمشق ما تكته دمشق في نفسها من الغايات الجسم ، والمبادئ السامية . وذكر الأخ السيد لطفي الحفار ما ظن أننا قمنا به من الواجب .

نحن نعلم أننا الآن في دمشق أقدم مدينة على وجه الأرض ، نحن في المدينة التي تجتمعت فيها الآمال الكبار منذ ألوف السنين حتى أصبحت عهدا في القرن العشرين تمثل فيها الغايات النبيلة والمبادئ السامية ، وهذا العهد هو قاعدة تسمى قاعدة المروية (تضيف حاد) وهي إذا طبقت تطبيقا عمليا ، فلا يفيد دمشق مهاب

تستطيع ان تعبر عن شعورها نحوكم بأسمى من هذا الحب والتأييد الذي يحكمكم من جميع طبقاتها في موقفها هذا ، وهي بعملها هذا تبرهن على قيامها بالواجب وقدعها للتضحية وتقديسها للوطنية وهي بتحمل هذه الروح العلمية جديدة ان تنال حقها في الحياة لأنها تبرهن في جميع ساحات جهادها على أنها تفهم معنى الحياة والوطنية والواجب .

واني على مثل اليقين ان سروركم وضيقتكم بتفوق التربية السياسية التي تراهي لكم الآن وبفضوح التفكير السياسي العام الذي تظهر به الأمة وتضامنها العام في جميع مواقفها الوطنية ، والحمد لله سيكون الجزاء الأوفى لكم لا ضجيتهم وبذلهم والعزاء الجميل فيها لاقيتم وناضلتهم ، فلقد سارت الأمة في حياتها السياسية أنموذجا بعيدة ولقد برهنتهم على اتقادها وقوة إيمانها وصحة عزائنها في ماضيتها الطويل وما مر به من الكوارث والأحداث الى ان قطعت مرحلة شاقة من مراحل جهادها لتحقيق قسم من أمانتها الوطنية الداخلية ، فقبلت صفحة الماضي رأسا على عقب وهي ما تزال تعمل في هذا السبيل بإثبات كفاءتها وفضولها وتحقيق ما فاتها وهو ليس بالقليل .

ولاستقبال امامها وعليكم وعلى اخوانكم هذه الآمال . والقيام بما يحقق للأمة وما ترجوه من رجالها وزعمائها الأبرار وانتم تجبر من عمل في هذا السبيل وكان أصدق دليل ، ولطالما انتظرنا هذه الساعة التي نلتقي بها بإخوان أعزاء وقادة أمناء كانوا زالوا رجال العزوة والاباء والكرامة والوفاء ، ورحم الله شوقي القتال :

صبرا على الدهر إن حلت مصائبه إن المصائب كما توقوف الأمم والناس باني بناء أو متهمه وثالث يتلافى منه ما هدمنا تعاون لا يحل اليأس عسوته ولا يبرى بيد الأرزاء منقسطا دمشق تسمع صوت الزعيم بعد ان غاب عنها التي عشر عاماً .

الزعيم يقول : عدنا إليكم للدرس القضية درسا موضوعيا لا شائبة للخرنية فيه ، وأن جنة الوطن مفتوحة الأبواب لكل مخلص .

وهو ميت منذ عشرات السنين وليس عندي ما أقوله لكم إلا أنني أستطيع أن آري خسين رجلا عندي ، فإذا أصبتم في قضيتكم بسوء ، أو إذا عرّض عليكم تحقيق آمالكم ، واضطر عدد من رجالكم أن يهاجر من سورية ، فهذا بيت أحد عرّابي باشا رئيس الثورة المصرية يستمد لقبول أحرار سورية و تصفيق حاد وهتاف بحياة الزعيم .

لقد قال لي كثير عن رأوي : ما بالك هارولا ، وما بالك شاحيا ، أمن نصب السفّر ، أم من وعاء الطريق ، أم من شيء آخر طرأ على صحتك ؟

أيها الإخوان ،

لا تنتظروا إلى الحزّال في الجسم ، ولا إلى المشحوب في اللون ، ولا إلى البياض في الرأس ، هذه كلها مظاهر جسمانية . إنما إذا أردتم أن تعرفوا ابن دمشق البار ، وإذا أردتم أن تعرفوا الدكتور شهيد ووصحه الأخيار ، فسقوا القلوب أو اتصلوا بالأدمغة ، فهي حية مخلوقة بالفلانيان والفرزان لصلحة هذا الوطن الناهض . فنحن كنا على رغم بياض الشعر ومشحوب اللون ، نبرهن لكم على ذلك فلا نخاطبكم بأخواننا وأبنائنا ، والأصحّ اسمحو لي إذا أردتم برهاناً حياً على ما نغصوه في أفئدتنا أن نخاطبكم بأبنائنا ولو كنتم في المشركين من عركم .

اسمحو لي أن أعيد عليكم أبيتنا طلالا تربت بها وترجتها في سن الصغير ، وإن لم أكن شاعراً :

قاسوا الحياة بأزمان وذا خطا إن الحياة هي الأمدال والفكر
إن الحياة شعور لا يراد بها ظل الضياء ولا الأنداس تنحصر
لو فكروا جملوها خفق أفئدة من التأثير لكن قائم نظر
وأطول الناس أصداراً أسدعماً رأيا وحسا وأصدالا لها خطر
والآن لماذا عدنا اليكم ، وماذا نؤوي أن نعمل في وطننا الآخر
الأوفى ؟

إننا عدنا اليكم لتدرس القضية مع إخواننا العاملين درسا

إلا جزء ضئيل وضئيل جداً . فدمشق أم البلاد السورية لم تلتفت إلى منفعة مادية ، وإنما نظرت إلى مبدأ سام يضم تحت لوائه قتالة واحدة تجمع تحتها سبعين أو ثمانين مليوناً من البشر ، فهل قمنا بالعهد ، وهل نحن يا ترى حملنا الأمانة كما يجب أن يحملها المؤمنون ؟

هل نحن قمنا بالواجب المحتم علينا ما تتطلبه منا هذه المدينة الزاهرة ؟

إننا الآن في ساحة الشهداء . . .

في اليوم السادس من شهر مايو من سنة ألف وتسعمائة وست عشرة غلّق رجالتنا الأحرار على سدد الشانق في هذه الساحة ، ولم يبق بيني وبين المنصة إلا بضعة دقائق فقد نجوت بأعجوبة ، لذلك أقول الآن لكم ما قلته في مصر لأخواني « إنني شهيد حي » فما قولكم دام فضلكم في رجل يظن أنه قد قُادى بنفسه وبذل روحه في شيء يسمى المروية ؟ فلو حاد عن هذا المبدأ لم يخن دمشق العزيزة فقط ، ولا سورية الناهضة فقط ولا بلاد العرب جميعا التي تنتظر اليكم فقط وتخرج بأنظارها اليكم ، بل يكون قد خان الروح التي أسلمها في ساحة الشهداء الدكتور شهيد وأخوانه من هنا حاضرون معكم ، ومن هم غائبون ، والذين فرجوا في القريب المأجل أن يعودوا اليكم ، قد حملوا هذه الأمانة على أعناقهم ، وأقول لكم بلء الابتهاج والخيور أن مصر التي كانت لا تعرف في أواخر الحرب العامة شيئا عن الجامعة العربية ، بل مصر التي انتشرت فيها الدعايات المفرضة ، قد انقلبت وصارت تنادي في معاهدها ومؤتمراتها : نجيا دمشق الشام شقيقة القاهرة ، ونجيا سورية شقيقة مصر .

فحييتكم أيها الإخوان تشهد لها هذه الحفلات الرائعة التي رأيناها بمصر ، فحملنا لها في نفوسنا الشكر والامتنان . وبالأأس ، فقط ، زارني ابن أكبر ناثر مصري ألا وهو أحمد عرابي باشا ، جاني ابنه ، ولأول مرة تعرفت به وقال : أن ثورككم تنطبق على الثورة التي قام بها أي ، فقد آتيت لأشكركم بلسانه

طاقات الزهور قف لم الزعيم

ولما أتم الزعيم خطابه جلس في هو القصر البلدي يتحدث الى إخوانه فقدمت اليه طفلة صغيرة من مدرسة دوحه الأدب طاقه من الزهور فتناولها الزعيم واقفا ، وقبل يد الطفلة ، ثم قدمت الفتاة طاقات من الزهور ايضا الى إخوانه ، وقدمت فتيات غيرها باقات كثيرة .

كلمة نجل الزعيم

وهنا رغب الحاضرون الى الشاب الأديب السيد فيصل شهيد نجل الزعيم ان يلقي كلمة فوقف امام مكبرة الصوت وألقى كلمة جميلة شكر فيها للشعب عواطفه النبيلة وحياته على جهاده . ونقل الى شباب سورية تحية شباب مصر فقربلت كلمته بالتصفيق الحاد .

الزعيم في القصر الجمهوري

ثم نهض الزعيم وإخوانه فامتطى سيارة ركب فيها الى جانبه رئيسا النواب والوزراء وسارت تتقدمها وتسير خلفها فرق الكشف بوسيقاها الجميلة الى شارع الملك فؤاد ، فالجسر الأبيض ، فالمهاجرين فالقصر الجمهوري لرد الزيارة لفخامة رئيس الجمهورية ونعزته بوقاة نجله ، فاستقبل بالحفاوة البالغة وعائق الرئيس الزعيم ، وجلسا مع رئيسي النواب والوزراء ، أكثر من ساعة تبادلوا فيها الأحاديث الودية ، ثم خرج الى طريق المهاجرين حيث عرض فرق الكشف وشكر قائدهم وأفراد الكشف وأبدى إعجابه

· ٣٢ ·

مأدية الزعيم

ثم سار تتقدمه الفرق الى دار الوجيه الكبير تقى الدين بك المؤيد والد

موضعا لا شائبة للحرية فيه ، لجنة الوطن هي لجنة واسمة
مفرجة الأبواب لكل رجل يعمل للوطن باخلاص ودمه .

لأجل هذا أتيانا ونحن نعد أنفسنا بهذا اللقاء العظيم الكبير ،
بهذا المهرجان النادر لقد كوئنا أكثر عما نستحق او نتنظر ، بل ما
كنا نطمح بأكثر من ان نحمل على تلك الآلة الحديدية لنمشوا
وراءنا وترجموا علينا .

أما وقد رأياناكم تقبلون علينا وجهنا لوجه وكلمونا في الحياة
فإننا نعد هذا أكثر عما نتنظر ، وقيل ان أنبي كلاهي أريد ان أعيد
امامكم خلاصة خطاب تلوته في أوئل الكونتيتال في القاهرة أمام
إخواننا المصريين والسوريين ، وهو أننا فاهمون لجميع الكلمة ،
ولم السمعت ، وفاهمون للتفتيش عن كل عامل صادق لنضمه الى
الحلقة الوطنية العاملة .

إننا أتيانا الى هذه الغاية والنوجب عليكم يا أبناء الشعب الكرام
ان تزيدونا في مسمانا وأن تقدموا لنا المودة اللازمة ، فالأمر
مكم ، وبكم ، وإليكم .

وإني أعيد عليكم قاعدي مرة ثانية وهي أنني جئت لجميع
الشمول ولم السمعت ، وخير وألف خير ان نحقق ونحن متحدون ،
من ان نتبع ونحن مفترقون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

طائرة الصقور

قدم الصقور الأمويون الى الزعيم شهيد بن باقات من الزهور والرياحين وامتطى أحدهم السيد طريف كرد علي طائرته الخاصة ، وألقى منها مناشير يجي فيها الزعيم وصحبه الأكرمين .

عقيلة الزعيم فدخلها بين الحفاف والغازيد والرياحين والمطور وعرف الموسيقى وبين مستقبله الكثر من آل المؤيد وعلى رأسهم السادة : تقي الدين بك ، حقي بك ، واثق المؤيد ، عبد القادر بك وغيرهم .

ووصل في هذه الأثناء ، الاستاذان فارس الخوري وجيل مردم فاستقبلا بحفاوة بالغة وجلسا يتحدثان الى الحاضرين عن جهاد الزعيم ووطنية ، فقال الاستاذ الخوري : إن الدكتور شهيد بن باقات هو أبو القضية العربية ، كما أنه استاذ الجميع في وطنيه . ثم تناول الجميع طعام العشاء على مائدة الزعيم .

الحكيم والمدافستائي

اما الاستاذ حسن الحكيم ، والسيد زكريا الدافستاني فقد راقت فرق الكشاف كلا منها الى داره وخطب في دار الاستاذ الحكيم العلامة الشيخ بهجة البيطار والسيد رياض العابد .

وفد الجبل يقل تحيات القائد

ولا يفوتنا ان نذكر ان وراء سيارة الزعيم كانت تسير قوافل الفرسان وهي مؤلفة من أكثر من ألف فارس .

كما لا يفوتنا ان نذكر ان الوفد الذي ذهب الى الكرك لقابلة سلطان باشا الأعرش وعلى رأسه السيد علي مصطفى الأعرش ، فقد زار معالي الزعيم وأخوانه وقدم اليهم تحيات القائد العام .

كلمة ثناء على الكشافين

ولا يفوتنا ايضا ان نوجه كلمة ثناء وأعجاب الى فريق الكشاف وعلى رأسهم الدكتور رشدي الجابي ولاستاذان علي عبد الكريم القائد العام والسيد رشاد المجتهد على الجهد الذي بذلوه أحسن الله اليهم .

الزعيم يدعو رجال الأحياء

وقد أخذ رجال الأحياء منذ اليوم يوجهون الدعوات الى الزعيم وأخوانه وفي مقدمتهم رجال حي القيمرية مسقط رأس الزعيم حيث دعوه الى وليمة تقام في الساعة الرابعة من يوم ١٨ الجاري .

الفصل الثاني

المجلد

الثورة (١٩٢٥)*

لا يشن الدروز من الفرنسيين وأدركوا أنه لا أمل في تبديل سياستهم انجبروا نحو دمشق فجاء الأمير حمد الأطرش في اول شهر ايار سنة ١٩٢٥ واجتمع سرا بالدكتور عبد الرحمن شهبندر زعيم حزب الشعب في منزل قاسم الميماني فصار البحث على حالة سوريا وموقف الفرنسيين وما يجب عمله لانقاذ البلاد فاظهر الدكتور رغبته في الاجتماع باخوان الأمير وأبناء عمه رجالات الجبل فجاء منهم نسب وعبد الغفار ومتعب الأطرش والشيخ يوسف العيسوي وغيرهم وعقدوا اجتماعين سرين في منزل الدكتور وبعد البحث اقساموا أقدمس الايمان ونماهدوا وهم وقوف على ان يذافعوا عن استقلال بلادهم حتى النفس الأخير ولا وقعت حملة ميشو انتدب حزب الشعب اسعد البكري وتوفيق الحلبي وزكي الدروبي فذهبوا الى الجبل وأبلغوا رجالا انه تأيد سوريا لثورتهم وعاد المندوبون فقصوا على اخوانهم ما تم الاتفاق عليه في اجتماع عقد في منزل الحاج عثمان الشرايبي واستغرق الليل بطوله وتم الاتفاق على توحيد العمل والاشتراك في الثورة وعلى ان يخرج قادة الحركة الوطنية صباح يوم ٢٣ أيار الى الكسوة للقائه فرسان الدروز القادمين وقد حضر هذا الاجتماع الشهبندر ونسب البكري وحسن الحكيم ورجل مردم بك وغيرهم وفي مساء ٢٢ غادر الشهبندر دمشق مع نزيه المؤيد الى قرية حوش متين حيث تقرر ان يجتمع قادة الحركة فلم يوافه سوى القائد

* (رجالات الجبل يقسمون الايمان في داره للدفاع عن استقلال البلاد)
الأيام عام ١٩٣٧

سمرود مع ساهرة ١٩٣٦

مر على سورية ستة عشر عاما تجملت فيها على يدي المستعمر الغاصب ضروبا من الظلم والأذى والاضطهاد وأنواعا من التخريب والتدمير والإفكار، وإذا كانت البلاد لم تسكت طيلة هذه المدة على الضيم بل قامت بثورات متتالية دافعا عن حقها المسلوب وأمانها الوطنية فإن إصرارها الأخير الذي استمر خمسين يوما أقض مضاجع الفرنسيين ودفع لعمله بإقالة حكومة الشيخ تاج إلى مفاوضات الوطنيين لحل القضية، لذلك مهد لعمله بإقالة حكومة الشيخ عطا الدين الحسيني وتأييف حكومة جديدة في ٢٤ شباط ١٩٣٦ برئاسة السيد عطا الأيوبي بغية التوصل مع رجال الكتلة الوطنية إلى اتفاق في الموضوع، وبعد مذكرات ومداولات معه في بيروت تم الاتفاق على ارسال وفد منهم إلى باريس يتولى المفاوضات مع الحكومة الفرنسية. وهذا نص الاتفاق الذي صدر في ١ آذار ١٩٣٦ بهذا الشأن:

(إن المفروض السامي وهو يثني على وطنية الشعب السوري الكريم قد نزل على الرغبة التي أبدت له وصرح بأنه يوافق على ارسال وفد إلى فرنسا يقدم بنظرياته إلى الحكومة الفرنسية لأجل تحضير عقد معاهدة تكون فيها الحقوق التي يتمتع بها السوريون لا تقل عن الحقوق التي اعترف بها للعراقين في المعاهدة الأخيرة، مع التأكيد بأن فرنسا لا مصلحة لها في قضية الوحدة ما بها لذلك لا تمنع في تحقيقها.

وهكذا ذهب الوفد في ٢٢ آذار إلى فرنسا برئاسة السيد هاشم الأتاسي وعضوية كل من السادة فارس الخوري وجيل مردم بك وسعد الله الجابري عن الكتلة الوطنية والأمير مصطفى الشهابي وأدمون حصي عن الحكومة، وقد اضيف إلى وفد الكتلة السيد احمد اللحام بصفة خبير عسكري والاستاذ نعيم

يحيى حياتي لضيق الوقت فغفر الدكتور خطئه خوف الوقوع في شرك الافرنسيين فذهب مغربا حتى بلودان ومن هناك عاد إلى جبل الدروز بعد أن اجتمع بجميل مردم وسعد الدين المؤيد في حوش متين وقصدوا إلى الجبل حيث هيارا ما يلزم لا يقاد الثورة في دمشق وكان اخوانهم قد لحقوا بهم .

كيف قلبت مصلحتها في سورية

من الظاهر التي تدل على أدب البحث بين الماملين في الحقل الوطني سورية وتزفهم عن تلك العادة المستهجة في المهاترة واستعمال الكلام والألفاظ التي ينبر عنها الذوق السليم وتحتها الترية العالية أن جميع الذين ردوا المعارضة كانوا في كلالهم أخوا أنا أعزاء قدروا موقفهم وموقف غيرهم حق قدره ما عدا اثنين أو ثلاثة ارفضوا لأنفسهم النزول الى حلبة العامة المستهجة وسلكوا تلك الطريقة المبذلة التي يرفع عنها الأدب والتربية فقالوا فيها قاله ان المعارضة لا تنقل عن الخيانة .

بالمخص قول إخواني الأفاضل في الرد على المعارضة ان بعضهم قال: لو كان الدكتور شهنيد في سورية ورأى بعينه الحال التي وصلنا اليها ما خالفنا ورحب غيرهم ترجيحاً صمياً بالمعارضة الترية وكرر ما يراه من مساواة المعاهدة السورية بالمعاهدة العراقية واعتمد آخرون على حسن النية في الفرنسيين وقالوا إنها ستصلح القصر وترقق الفتق، وآخر كلمة سمعتها بهذا الصدد هي للرفيق القديم والصديق الحميم السيد لطفى الخطار، فأشكر له أدبه وحسن ظنه ويحسن بي أن أذكر هنا اني كتبت الى بعض منهم عقب عودتهم من باريس كتباً بينت لهم فيها احتفائي برأيي في المعاهدة كما احتفظ بودهم وصدقاتهم والأخوة القديمة التي بيننا .

هذا من حيث رجال الكتلة الوطنية ونظرهم الى البرقية، واما رجال الجبهة الوطنية وفيهم الاخوان الاوفياء والأصدقاء القدماء فقد ابرق لنا أمين سرهم الأستاذ زكي الخطيب يقول ان « الجبهة تشكر صوت الحق الذي ترفعونه ينير البصائر، تتق شبائكم الجبار حتى ساعة الظفر » وكذلك نشرت عصبة العمل القومي وهي مؤلفة من خيرة الشباب السوري المثقف بياناً وافياً مترناً

الانطاكي بصفته أمين للسري بعد مفاوضات استمرت ما يقرب من ستة شهور توصل الطرفان في ٩ أيلول ١٩٣٦ الى عقد المعاهدة المروقة بمجاهدة /١٩٣٦/، وبعد ان عاد الوفد الى البلاد في ٢٧ أيلول ١٩٣٦ جرت في ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٦ انتخابات نيابية انتهت في ٣٠ منه، وفازت فيها قائمة الكتلة الوطنية في جميع المدن وأغلب الأفضية، وانبثقت عن ذلك حكومة وطنية برئاسة السيد جميل مردم بك تسلمت زمام الحكم اعتباراً من ٢١ كانون الأول ١٩٣٦ وبناء على هذه التطورات والنتائج الانتخابية فقد استقال رئيس الجمهورية السيد محمد علي العابد وانتخب المجلس النيابي الجديد السيد هاشم الأتاسي خلفاً له .

أما المعاهدة فقد نكلت فرنسا أخيراً عن إبرامها كما هو معلوم وكان المجلس النيابي السوري قد صادق عليها في ٢٦ كانون أول ١٩٣٦ الا انه بعد هذا النكول عاد فحدد في ٣١ كانون أول ١٩٣٨ موقف المجلس والحكومة منها ومن ذيوها .

وما أن أحاط الزعيم شهنيد علماً بهذه المعاهدة التي لا تتفق واماني البلاد الوطنية في الوحدة والاستقلال حتى كتب في العدد /٢٧/ من مجلة الرابطة العربية القاهرية في /٢٥/ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٦ المقالة التالية التي فند فيها عيوب المعاهدة ونقاطها بمقارنتها بالمعاهدة العراقية .

حبيب الوهلة المشرفة

وحصر البحث في المقابلة بين المعاهدة السورية والمعاهدة العراقية برحمتنا من التعرض للعرب التي تتناولها كتابها فتحول دون فتح أصحابها بالاستقلال التام الناجز، فمن ذلك مثلا أن هذين القطرين مقيدان في سياستها الخارجية تقيدا ثقله المصلحة الجهرية التي لا تكثر أو فرنسا فيها، ولا أخال أحدا من أهل الرأي يبرر هذا النقص بقوله أن كل تخالف يعني تقيدا وعليه فالتكثرا وفرنسا بهذا المعنى كذلك مقيدتان في سياستها الخارجية بالمصلحة الجهرية التي لنا فيها، فمصلحة لندن في بغداد ومصلحة فرنسا في دمشق هي بالبداية نوع آخر يختلف اختلافا كليا عن مصلحة بغداد في لندن ودمشق في باريس. ومن القواعد في علم (الحقوق الدولية) أن معيار الاستقلال لقطر من الأقطار إنما هو الحرية التي يتمتع بها في سياسته الخارجية، حتى أن عالما كبيرا من علماء الحقوق (ت. ج. لورانس) ضرب صفحا عن تلك الطريقة المألوفة في تقسيم البلدان المقيمة أو ناقصة السيادة إلى عمليات وتابعات ومؤديات الجزية وقاصرات تحت الرصاية وغير ذلك، واقترح بدلا عن هذه الأساء التي يصعب تعينها ووضع حد فاصل بينها، إطلاق اسم (ومعناه الدولة العملية) على كل دولة مقيمة في سيادتها، واسم (ومعناه الدولة الحامية) على كل دولة تباشر هذه السيادة في الدولة المقيمة. ومن الأمثلة اللطيفة التي ضربتها المعاهدة التي عقدها كويا مع الولايات المتحدة في سنة ١٩٠٣ وتوحيدها منعت كويا من الدخول في مفاوضات تُفرض بالاستقلال الكوي. قال لورانس (وهذا الشرط في المعاهدة وضع بالبداية لمنع حدوث مطلب من الطالب لا يتفق مع مطالب الولايات المتحدة) يعني أن هذه الحامسة العظيمة في الدفاع عن استقلال كويا لم تكن ناشئة عن غرام الأميركيين بالكويين بقدر ما هي ناشئة عن مصلحة الدولة الأميركية.

أظهرت فيه قصور المعاهدة وكيف أنها لا تحقق الغرض القومي الأسمى المأخذ التي نأخذها على المعاهدة السورية نجعلها فيما يلي:

عما سهل علينا الكلام عن المعاهدة السورية أن البحث فيها أصبح بالاتفاق محصورا في نسبتها إلى معاهدة العراق. والسبب هو أننا منذ ما أخذنا في الجهاد لأجل الحرية والاستقلال بعد الاحتلال كنا ننظر إلى الخطوات التي بخطوها العراق فنطالب بجلها، فنحن كلانا كان جزءا من السلطنة العثمانية فأصبحت بعد الحرب العالمية بلاد انتداب من حرف (الف) ونحن إخوان وأبناء عشيرة واحدة لا جرم أن مطالبنا بمعاهدة كمعاهدة العراق أمر طبيعي وقد قبل الفرنسيون في مفاوضاتهم مع الوطنيين هذا الطلب في مارس الماضي من بعد تلك الاضطرابات الشاملة، وطماننا إخوانا عند انتهاء المفاوضات أننا حصلنا على غايتنا هذه، بل أن بعضهم قال أن المعاهدة تفضل المعاهدة العراقية.

صاحبة الأمر والتي في مواردها الجبركية وهذه الموارد جزء لا يتجزأ من استقلالنا الاقتصادي ونحن أصررنا على أن تكون جاركنا بيدنا فانت المعاهدة وأقرت انفصال لبنان عنا وحلنا على الاعتراف بشروط في معامته الجبركية تجعل استقلالنا الجبركي عبئا، وحمية صناعنا مستحيلة الا اذا كان المندوب السامي راضيا عنها، وهذا كله يعمل المصالح المشتركة في التحليل النهائي بيد محل فرنسا في لبنان.

هذه عيوب في المعاهدة السورية قتالة قد خرجت فرنسا منها رابحة وخرجنا خاسرين فليت شعري هل لها مقابل في العراق يا ترى يحدد وحدته القومية وحوزته الجغرافية وماليته التي تركز عليها للدولة؟ والجواب عن ذلك ان العراق للمراقين لا للسنة ولا للشعبة ولا للشورين ولا للبابلين وان الجمارك في البصرة وفي بغداد وفي الموصل لأبناء العراقيين.

لترك الآن هذه التفاصيل التي يعترف اخواننا بظورتها ولننظر في بعض مبادئ التي لا يستطيع الخصم أن يتحمل لها عذرا سوى ما في رغبته في قاعدة (بقاء ما كان على ما كان) ولنبدا بواحدة منها ثم نقابلها بما جاء في مكانها في المعاهدة العراقية ليوضح لنا الفرق.

جاء في المادة الخامسة من المعاهدة السورية أن (مسؤولية حفظ النظام في سورية ومسؤولية الدفاع عن أراضيها هما على الحكومة السورية، والحكومة الفرنسية تقبل بتقديم مساعدتها العسكرية الى سورية مدة المعاهدة وفقا لنصوص الاتفاق الملحق).

وجاء في المادة الخامسة من المعاهدة العراقية: (من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين أن مسؤولية حفظ الأمن الداخلي، وايضا - بشروط مراعاة احكام المادة الرابعة المتعلقة بالشتياك أحدهما في حرب - مسؤولية الدفاع عن العراق إزاء الاعتداء الخارجي تنحصران في صاحب الجلالة ملك العراق).

فلم هذا الفرق الشاسع يا ترى في الصراحة المنجية في المادة العراقية في جعل حفظ الأمن الداخلي في جلالته ملك العراق وحده والأمن الخارجي محصورا أيضا، بشروط مراعاة المادة الرابعة - وبين النصوص المنجلي في المادة السورية بحيث ترى الأمن الداخلي الذي يجب أن يكون محصورا في الحكومة

ومن العيوب المشتركة ان يكون السفير الانكليزي والسفير الفرنسي مقدمين على سائر السفراء في العراق وفي سوريا، مهما قيل في الدفاع عن هذا العيب وجيء بالأمثلة من الدول المستقلة لتبريره فان النسائي يقتضي ان يكون السفير العراقي والسفير السوري مقدمين ولو بالوهم والخيال على سائر السفراء في لندن وفي باريس.

ومن هذه العيوب الاحتلال من حيث هو، والبيئة العسكرية المملوءة من حيث هي، والمستشارون الأجانب من حيث هم، وغير ذلك مما يطول شرحه وهذه عيوب مشتركة لا سيما ان نعرض لها هنا أبدا لانا نقصدنا في الأول الأمر ان تقارن المعاهدتين ونبين الفرق الجلي بينهما بل البرن الشاسع الذي لا يجوز أن يكابر فيه مكابر.

تفاصيل المعاهدة السورية تفانص بغير بالحوزة السورية ضحرا كثيرا منها ما كان أساسيا وجوهريا، وليست لها في مقابل هذه التفاصيل مزية واحدة تمتاز بها، وهذه التفاصيل وحدها كافية لجعلها دون المعاهدة العراقية بدرجات شاسعة. وقبل الخوض بهذه التفاصيل أريد أن ألفت الأنظار إلى أمر جوهري في مثل هذه المباحث وهو ان بعض المؤيدين لهذه المعاهدة يجادلون ان يشغلونا بتمتداد الرمال لمل يقوتنا احصاء الجبال ويريدون منا أن نعوض في القروخ لملها تنواري عنا الأصول، فنحن في جميع أدوار جهادنا جعلنا المطالب الآتية الركن ليهفتنا وجعلت فرنسا الأغراض الآتية أهدافا في سياستها السورية لا تتحول عنها، فلننظر ما أقرته المعاهدة السورية لتقابل بين نجاح فرنسا ونجاحنا:

الوحدة السورية أصرت فرنسا على عهد الوزارة الأتاسية في سنة ١٩٢٠ على ان سورية (شعوبا تتكلم العربية) ونحن أصررنا على أن سورية فقط، وأرئت المعاهدة في سنة ١٩٢٦ فانقرت وجود لبنانيين وطليين ودروز وسوريين ناهيك بالاسكندرون وينفصل بعض هؤلاء انفصالا تاما، وبعضهم الآخر تربطهم خيوط أوهى من خيوط المنكبوت.

المصالح المشتركة أصرت فرنسا على عهد الوزارة الأتاسية في سنة ١٩٢٠ على أن تكون

يجوز هذه حرية بالاتفاقات) أن يعهد الى ضباط من البعثة العسكرية الفرنسية القيام بقيادة فعليه مؤقتة في القوى العسكرية السورية « . ولكن هؤلاء الضباط يرتبطون بقيادة القطعة التي يمحقون بها، وأما كلمة وضع هذه القطعة تحت تصرف الحكومة السورية والتي أراد أحد كبار الأخوان أن يقول إنها تعني أن هذه البعثة تابعة للحكومة السورية فالسوريون أدركوا الناس بمعنى الكلمات المعمولة فأصبح من كلمة (تحت) أن يقال (فوق) ، وما يسترعي الأنظار أن ليس على الحكومة السورية أن تضمن للقوى الفرنسية والعسكريين والبحريين المفردين فقط المزايا والمنافع التي كانوا يتمتعون بها في سورية حين تنفيذ هذا الاتفاق بل أن تضمن مثل ذلك أيضا للمستخدمين المدنيين الفرنسيين وعائلاتهم القيمين في الأراضي السورية .

وجاء في المادة الأولى من الملحق العسكري (أن الحكومة السورية بحلولها حل السلطات الفرنسية تأخذ تحت مسؤوليتها القوى العسكرية المنظمة مع تكاليفها وإجرائها العسكرية . وجاء فيه أيضا أن الحكومة السورية تضع تحت تصرف القيادة الفرنسية الوحدات في هاتين المنطقتين - جبل الدروز وبلاد العلويين - فتقوم هذه القيادة بتجهيد شؤونها وتعليمها والحكومة السورية تسهل استخدام ما يقتضي من الأشخاص المحليين للمحافظة على تلك الوحدات) .

ففي هذين النصين أن سورية من جهة تأخذ على عاتقها جيشا من لأمات، ألف ليحارب أبناء البلاد كلما رفعوا صوتهم (وأن هذا الجيش المؤلف سيكون نواة الجيش السوري القادم، وما بقي على الفاسد هو فاسد طبعاً) .

ومن جهة أخرى تسلم أبناء البلاد في جبل الدروز وبلاد العلويين مدة ثمانين سنين أخرى للقيادة الفرنسية والغايات الفرنسية مع أرغامها على تسهيل هذه المهمة .

وزاد في الطين بلة وفي ميزانية البلاد نكبه أن المراسلة الأولى تنص على اعتراف سورية بالحقوق الملكية التي حصل عليها، في هذا الجيش الملقب، الضباط وصغار الضباط والعسكريون السوريون .

أين هذا عما فعله في رفضه الجيش المماثل الذي لفته انكلترا رفضا باتا بقضه وقضيضه خشيته على ميزانية وخوفا من انتشار اللاوطنية في الجيش الجديد الذي يؤلفه .

السورية والأمن الخارجي الذي تشترك فيه فرنسا على مستوى واحد، ثم أن كلمة (وفقا لعموم الاتفاق الملحق) الواردة في هذه المادة من غير تعيين والتي حاول احد كبار الاخوان ان يخصصها بالمادة الثالثة والرابعة من الملحق العسكري ما وضعت بهذا الغموض الا ليشاركنا فرنسا في حفظ الأمن الداخلي اما مباشرة أو بواسطة بعثتها العسكرية التي تتمتع بجميع الصلاحيات التي تجعلها حكومة داخل حكومة، والأمر خطير اذا فرضنا وجود حكومة على رأس العمل في دمشق يرصى عنها المنسوب السامي أو السفير الاول ولا يرصى عنها الشعب فكل محاولة للخلاص منها تنتهي بتدخل الفرنسيون للدفاع عن النظام، وقد جرى في العراق في الأيام الأخيرة هذا الانقلاب الخطير على يد الجيش العراقي ولكن البريطانيين لم يجرؤوا ساكنا لأهم لا شأن لهم فيه بل هو من شأن أبناء العراق أنفسهم كما تنص معاهدتهم بتلك العراصة التي لا تجمل مجالا للتأويل .

البعثة العسكرية ولنجحت الآن في صلاحيات هذه البعثة العسكرية فقد جاء في المادة الثالثة حرف (ألف) من الملحق العسكري في المعاهدة السورية أن فرنسا تضع بعثة عسكرية تحت تصرف الحكومة السورية لتنظم جيشها ودركها وبحريتها وطيرانها العسكري . . . ويرجع امر أعضاء هذه البعثة في الادارة والانضباط العام الى رئيسهم الفرنسي ويقابل هذه المادة في المعاهدة العراقية ما جاء في الملحق رقم (هـ) من أن انكلترا تقوم بتقديم ضباط بريطانيين وعسكريين وجوية للخدمة بصفة استشارية في قوات جلالة الملك .

والبون هنا شاسع ايضا فالبعثة العسكرية في سورية هي كما قلنا حكومة مستقلة داخل حكومة أخرى تتناول بيدها (باسم التعليم طبعاً) جميع القوى في الدولة السورية حتى الدرك وهو البرليس المخصص بالأرباب والوكول اليه حفاظ النظام في الدساكر والقوى، ثم أن وظيفة هذه البعثة ليست استشارية كما هي في العراق بل وظيفتها مباشرة نافذة من ذاتها فلا أدري والطالة هذه كيف يتيسر الاستقلال في سورية وجميع قواها حتى المخصصة منها بالشؤون الداخلية البعثة هي بيد عسكرية أجنبية، ولزبد في البلاد أن تعيد مهمة هذه البعثة وتأنيفها لم يتم بعد بل هو معلق على الاتفاق بين الحكومتين في المادة القائمة بين الصديق على المعاهدة وتنفيذها وثالثة الاتفاق في أنه « يجوز (وكلمة

عندنا بما نص على الحكومة السورية في تنظيم القضاء من جهة أخرى وعناية ما تنتهي اليه، هذا التوفيق هو تقليل عدد القضاة الفرنسيين فقط وثمان بين تقليل العدد وبين إلغاء هذا النظام الجائر من الأساس.

أين هذا من موقف العراق الذي لم يتمهد لانتكرا بشيء وجل ما فعله ان اجاز لمصيبة الأمم ان تقع في خدمة العراق بضعة قضية انكليز مدة تسع سنوات يكونون كسائر الموظفين العراقيين.

ويلحق بهذه الامتيازات الأجنبية، ما جاء في المراسلة الثامنة من تعهد الحكومة السورية باحترام الحقوق المكتسبة باسم سورية وحسبها للمنة الأشخاص الطبيعية والحكومة الفرنسية، ما لم نجد له شبيها في المعاهدة المراقبة.

ومن نقائص المعاهدة السورية الخاصة اقتصرها على فرنسا في جلب المستشارين الفنيين والموظفين الأجانب (المراسلة الثانية) وفي التعامل النقدي بين المملتين الفرنسية والسورية (بروتوكول ١) ومنها الحصانة التي تتمتع بها الجامعات ومؤسسات التعليم والاسعاف الأجنبية عما يحول دون توحيد التعليم والتربية والتجاسس في الثقافة (بروتوكول رقم ٣).

انا حرصنا كثيرا في هذا التحليل وهذه المقارنة، على ألا نخرج عن معاهدة العراق ليرهن لأبناء بلادنا بطريقة فاطمة على أن معاهدتنا هذه هي دون معاهدة العراق وتختلف عنها في اسس جوهرية تذهب بمغاي الاستقلال ومظاهره. اما الذين لا يقاضون الا بعد الجلاء وهم معروفون او الذين يتسكون باليثاق القومي كاملا فلا حاجة بهم الى جميع هذا الكلام لأنهم أدري الناس بأن هذه المعاهدة لا تكاد تجلب لنا شيئا جديدا مهما لم يعترف به ولو جلبت علينا أفياء كثيرة ما اعتزفنا بها. ومن أراد ان يعرف صحة هذا الكلام فليستظر قليلا لأن التطبيق سيكون أفضل لتفسير للتصريح. على أن الذي علمه علم اليقين هو ان الحماسة الأولى التي قويت بها المعاهدة في الأوساط العامة انقلبت الى فتور عند الخاصة. وحسبي ان أقول ان من أعظم البراهين التي أصبح يقدمها بعض أنصار المعاهدة هي قولهم لتجرب، فليس في التجربة خسارة وإن تبدل اذيات يذهب بالسامة والضمجر (وان تغير الدول رجة).

الأقليات وجاء في المراسلة الخاصة ان الحكومة السورية تكفل لفرنسا نفسها وليس لمصيبة الأمم بقاء ضمانات الحقوق العامة المنصوص عليها في الدستور السوري للأفراد والطوائف.

في شأن فرنسا في أمور داخلية مثل هذه تتعلق بدستورنا؟ الا يعطيها مثل هذا النص حق التدخل كما تدخلت في الماضي؟ بل ان انتدابها من حيث هو كان قائما على ما يشبه هذه الدعوى فإين الأقليات يا ترى في المعاهدة المراقبة؟

لقد ضمن العراق لمصيبة الأمم حقوق هذه الأقليات كما فعلت رومانيا وغيرها من دول البلقان المستقلة، فلم تعط مثل هذه الضمانات لدولة واحدة اخذت الأقليات دينيا لسياستها.

وان بقي أحد يظن أن الاختلاف بين المعاهدتين ليس جوهريا وان البرن ليس شاسعا فليضيف الى ما تقدم في النقائص الخاصة بمعاهدتنا النقائص الآتية التي لم يرد لها ذكر في معاهدة العراق والتي تجعل استقلالنا معلوم للقادة، بل تجعل بيروتا وحرانينا ومهناطنا وكل شيء فوق أرضنا وتحت سماتنا قابلا للاحتلال في إبان السلم كما في إبان الحرب.

جاء في المادة السادسة من الملحق العسكري: (ان الحكومة السورية تفتح تحت تصرف الحكومة الفرنسية جميع المواقع والأمكنة اللازمة لاحتياجات القوى الفرنسية).

وجاء تحت المادة الثانية: (ويحق للحكومة الفرنسية ان تستقي في هذه الأراضي (الأراضي السورية) وان تحدث فيها منشآت تكون عليها نفقة انشائها وتمهدها).

وجاء في هذه المادة أيضا: (ويحوز للحكومة الفرنسية ان تقيم على المخازن والمامل التي تحتفظ بها او تخدنها اختصاصيين من القوى الجوية تترزم لهذه الغاية والحكومة السورية تمنح جميع التسهيلات لتمهد هذه المؤسسات والقائمين عليها).

أما الامتيازات الأجنبية التي قفست نجحها في العراق فقد جددت عهدما

العظيمة في الشرق وهي حماية المسيحيين؟ قال السيدوي تيسان في هذا الصدد:

(وفرنسا تريد متابعة هذه الحماية في دائرة حقوقها النائمة ومسؤوليتها، وقد رأينا ان يكون حقنا في حماية الأقليات معترفا به بصراحة فبادانا مع مردم بك رسائل استعملت على ايفلاح مواد المعاهدة وتفسيرها).

بل لا بد لمن أراد التعمق أكثر من ان يقتل الى موقف الصحف الفرنسية من المعاهدة قبل هذه الدبول، التي زادت في طين بالنهاية، فان الوعي اتاها من المصادر الرسمية لتحريك النعمة الدينية والتهويل بشأن حقوق الأقليات بدنا كيف أرادت وزارة الخارجية الفرنسية ان توهنا بحملة من الاحزاب الفرنسية، مديرة، على المعاهدة السورية واقرارها ليراضي ضعاف الايمان عليها ويستسلموا لها بكل شيء تطلبه في سبيل بقائهم على الكراسي، ما دام هذا البقاء منوطا بهذه المصادقة.

وفي القطعة الآتية المأخوذة من جريدة الريبوبليك بتاريخ ٢١ نوفمبر الماضي بقلم جان بير جيران ايفلاح تام لخايات توتخاها الوزارة الفرنسية الحاضرة من هذه الدبول التي خضعت امامها الحكومة السورية، قال الكاتب المذكور:

سيخصس البرلان الفرنسي هذه الأيام مسألة اقرار المعاهدين اللبنانيين والسورية فالأولى منها لا تثير صعوبات جمة، ذلك ان لبنان المحكوم بيد رجال ثقة من ذوي المحبة التي لا يخامرها شك هو بلاد نصرانية من بلاد البحر المتوسط مرتبط منذ احقاب مدينة بعبصر بالادنا، وهو لا يطمح الى الدخول بصورة أكثر مباشرة في سلك الامبراطورية الفرنسية.

وعلى خلاف ذلك تماما قضية سورية العربية المسلمة الشرقية ذات الاقلية النصرانية الشديدة فاستقلال مثل هذه البلاد يثير اعتراضات كثيرة.

أولا - ان تأليف دولة سورية غير حليفة ولكن متحدة كما توتخاها المعاهدة هي عمل مصطنع فيه تحكم بخالف الواقع ولا يؤدي الا الى الأخطاء الخطيرة.

ثانيا - ان هذه الفسيفساء من اجناس وأديان ومذاهب وعشائر لم تبلغ بعد حالة سياسية في مقدورها تأليف حكومة قابلة للحياة، وقد مضى أربعة عشر شهرا فقط منذ تركت حكومة السيو فينو الضعيفة الجبل على الغارب لحكومة سورية تتولى الأمور، فكانت النتائج بعيدة عن

وبعد هذه المقالة كتب الزعيم في المجلة المذكورة مقالة أخرى خصصها لما جاء في المعاهدة وذيولها عن حماية فرنسا للأقليات في سورية وعن احتمال تدخلها في شؤون البلاد بما جس استقلالها وسيادتها بحجة هذه الحماية وهذا نص المقالة المذكورة :

حماية الأقليات وقتت مصر ووقف العراق وقفه الحريص على استقلاله في وجه كل طلب حاولت انكلترا الحطموه عليه منها لحماية الاقليات، فمثل هذه الحماية تعطي لدولة واحدة اجنبية انما تعني التدخل المباشر من قبلها، وكانت العبرة لو كان السوريون الذين قاوموا فرنسا اخيرا، يعتبرون فيها اصحاب الدولة العثمانية من جراء هذه الحماية، وهي امبراطورية كبيرة ذات الجول والطور.

لقد تفوتت المعاهدة الفرنسية السورية عن زميليتها فنصت في الرسالة الخامسة على ما يكفل للطوائف أو للأقليات الحقوق المعاملة المنصوص عليها في الدستور السوري، وكان من الجائز على مفضل - مثلا - ان يعطي مثل هذا التعهد لمعينة الأمم كما فعلت رومانيا لأن التعهد لدول متعددة يختلف اختلافا كليا من حيث الاستقلال عن التعهد لدولة واحدة، ففقيد السوريين بفرنسا وحدها تجرأ حق التدخل في شؤونهم بما لا يستقيم معه استقلال ولا حرية بخلاف التعهد بجموعة من الدول الكبيرة فان تضارب مصالح هذه الدول يكون ضمانا كافيا لعدم تدخلها، على رجال الحكومة الحاضرة في سورية هذا النص الواضح لما زعموه من أنهم لا يفسحون للحكومة السورية مجال التدخل المباشر لشؤون سورية الا بطريق الشكوى لجمعية الأمم وفقا للمادة التاسعة من المعاهدة، وفي عقيدتهم أن (هذه الشكوى تستطيع كل دولة ان تقدم بها الى المعينة ضدنا اذا أخللنا بعهداتنا فلا مزية لفرنسا على غيرها من هذه الناحية).

فلنضرب صفحا الآن عن محاولة هؤلاء الرجال فيما ذهبوا اليه من التفسير المخطئة التي لا تستند الى شيء، ولنسألهم دام فضلمهم « هل قرأوا حديث الأقليات وحمايتهم في الدبول والملاحظات الأخيرة، وكيف ان وزارة الخارجية الفرنسية أو عرت الى الكاردينال تينوني بأن يأتي الى باريس حيث استقبلته استقبال الملوك وهست في أذنه بأن يطالب فرنسا بضرورة حمايتها على مهمتها

الاسلامي وحدة اديّة خارقة، والواقع وأنا لا يعني أخطأ كان أم صواباً، أن الجلاء عن الشام سيبدو نذيراً للجلاء عن تونس وعن الدار البيضاء. فمن يجرؤ على تحمل التبعة فيضع اسمه على اقتراح تنازل عرفته فرنسا منذ سنة ١٧٦٣ أي منذ ما خسرنا الهند وكندا.

لقد حاربنا يومئذ حرباً مهلكة دامت سبع سنين أما اليوم فهل توقع فرنسا، وهي في بحرجة السلام، صك خرابها بيدها انتهى.

نشكر فلدا الكاتب صراحته التي تكشف النقاب عن كل ما بيت لسورية من أمر الاقليات وحالتها وقد عرفت وزارة الخارجية بن تسعين التعبير عن غايتها، أما المفاوضات السوريون الذين أتوا بهذا النمل الجديد في الاعناق وجملة تفسيراً للذيل رقم ٦ من المعاهدة فقد سمعوا جهدهم لتحويل الأنظار عن المعنى الأساسي الذي أورده المبرهان بيرجير الى معان ثانوية لا يقام لها كبر وزن كتحويل المسيحيين حقوقاً شخصية من زواج وطلاق وثيقة وميراث وغير ذلك من الشؤون، التي لم يتم بها أحد، ليدروا بها الرواد على الميرون فلا يرى الناس الخطر المحدق بهم من تحويل فرنسا حق الدفاع عن الكناككة فقط بل الدفاع عن الدرزية والمعلوية والاسماعيلية ولا سيما الاثورية في الجزيرة.

والرجوع إلى تاريخ الدفاع عن الاقليات في هذه المرحلة السياسية تلقي نوراً على هذا الموضوع يجلبه للأعين المريضة. فلتترك الآن قضية لبنان وكيف فصل عن سورية وقضية عافطني جبل الدروز وجبل العلويين وما أصابها، ولتذكر أن فرنسا تحببت الفرصة من فئة الاثوريين في العراق لتقول ان معاهدته نافذة نقصاً مميهاً من حيث حماية الاقليات فلا بد لها من ادخال هذه الحماية بصورة مضمونة في المعاهدة السورية وذبوطها. وهكذا فعلت، فاذا حدث غداً كما هو الواقع أن العناصر غير السورية في الجزيرة طلبت لنفسها الاستقلال في سورية بداعي الفتن المصطنعة والتعديبات المأجورة عن بعض التنظيمات الناشئة، وهذه سهلة على من يعمر الماء ليصطاد فيه فلا تنقف فرنسا مكتوبة اليدين وذلك ليس لأن السكان في الشمال يعمون المولىين في باريس أكثر من السكان في الجنوب بل لأن في أحشاء الجزيرة زيتاً وعلى

التشجيع كل البعد. وكتبت جريدة الأوربان في العاشر من شهر نوفمبر الحاضر وهي من خيرة الجرائد اليومية وأوقعتها في انتدابنا اللبناني السوري تقول: لقد دخلت سورية منذ الآن في أزمة ادارية.

ثالثاً - في سورية اقلية تركية ودرزية وعربية تؤلف أربعين في المائة من مجموع سكان البلاد وهو لاء الشعوب كانوا في جميع الأزمان أصدقاء فرنسا. لذلك إحداهن حكومة مستقلة ومنحدرة في دمشق كناية عن الحكم على هؤلاء المساكين بالإعدام.

ولا تنضم المعاهدة المقودة في اليوم العاشر من سبتمبر سنة ١٩٣٦ شيئاً للدفاع عنهم، وقد ألحق بها ذيل رقم ٦ مبهم غير واضح ينطوي على وعد من جانب واحد فقط وهو جاك من الضمانات الفعالة. وعلاوة على ذلك فمعد التعهدات التي اتخذها على عاتقه المبرهنة من غير تعمر ابتدأت الاضطهادات تعمل عملها فالتصاري والدروز إحتشدوا وهم مهودون في أمولهم وأرواحهم وسكون اقوار المعاهدة المدعوة الى القيام بالمناجح الحقيقية. فهل تعفى الجمهورية الفرنسية من هذا الأمر يا ترى؟

رابعاً - أن المعاهدة لا تحمي مصالحنا المادية الحماية الناجمة فقد قالت الصحيفة الاستعمارية (فرنسا وراء البحار) ما يأتي ان الحكومة السورية تحت كابوس المناصر المتطرفة المروعة بعبادة الغربين لم تتخذ أي قرار بشأن تجديد عقد البنك السوري ولا بشأن امتياز الإستثمار النفطي.

(ليطمئن السيو جبرار فالتوقيع على عقد البنك السوري تم هذا الاسرع وستتم التوقيع على امتياز الاستثمار النفطي قريباً ولا عبرة مطالباً بإكثار الحكومة المتكرر).

خامساً - إن الجلاء التدريجي كما نظرت إليه المعاهدة سيكون كارثة لإمبراطوريتنا جميعها. حتى ان الحكومة السورية منذ الأسس اشتريكت في قضية فلسطين، وبقى نالت الاعتراف بوقفها انضمت الى الكتلة العربية المؤلفة من العراق وشرق الأردن ومصر والمملكة السعودية وهذا ما يكون له أثر محزن على ممتلكاتنا في شمال أفريقيا، والعالم

ولم يكن الغرض من دمج هاتين المادتين اللتين أوضح الزعيم فيها عيوب المعاهدة وناقضها إلا ليرى من على أنه لم يقف منها موقفاً سلبياً يرعى من وراءه التهديد كما يتهمه خصومه، بل لأنه كان يحرض على مصلحة البلاد دون أي شيء آخر، ولا أدل على ذلك من تلبية الزعيم رغبة بعض اخوانه القدامى من الحاكمين بالذهاب الى باريس الفرنسيين بإبرام المعاهدة كمرحلة أولى على أن يحتفظ بحق معارضته لما لكي يتمكن في المستقبل من طلب تعديلها بما يجعلها تتساوى والمعاهدة العراقية من الإنجليز على الأقل، وقد سافر في شهر تشرين الثاني ١٩٣٧ الى باريس فعلاً وبذلك من أجل ذلك مع المسؤولين الفرنسيين فيها ما استطاع من جهد، ولكن ما العمل وكان الفرنسيون قد تكلوا عن إبرامها نهائياً، بيد ان خصومه اهتمه بالتقصير وبأنه لم يكن جاداً أساساً بالسعي وراء إبرامها ما دام معارضاً لها.

ورجاء كان نشر المادتين المذكورتين والتقصير في السعي - على زعم خصومه - قد خلق في نفس السيد جميل مردم أول بادرة من الحقد ضد الزعيم.

أما البادرة الثانية لهذا الحقد فهي زيارة الاستاذ الشيخ تاج الدين الحسيني الذي كان يقيم موقفاً في باريس للزعيم أثناء وجوده فيها ورد الزعيم الزيارة له في حدود ما تفرضه آداب المجاملة ولكن رجال الحكم الذين كانوا يعتقدون ان الشيخ كان يستغل لدى الفرنسيين ضدهم واحوا يتهمون الزعيم بأن زيادته للاستاذ الحسيني كانت بغية توحيد المساعي معه لنفس الغرض كما سيأتي بحقه في فصل لاحق من هذا الكتاب.

هذا وقد غادر الزعيم بعد ذلك باريس قاصداً لندن حيث التقى خطابه المعروف في الدفاع عن قضية فلسطين في الحفلة التي نظمتها له الجمعية الملكية الاسيوية التي كان يرأسها المندوب السامي السابق لبريطانيا في مصر، كما اشرت الى ذلك في ترجمة حياته في فصل سابق.

وبعد ذلك عاد الزعيم الى باريس ومنها الى القاهرة حيث لا تزال تقيم أسرته فلبنها في ١٤ كانون أول ١٩٣٧ بيد أنه عندما عاد من لندن الى باريس علم ان السيد جميل مردم رئيس الوزارة السورية موجود فيها وأنه وقع مع المسؤولين الفرنسيين ملاحق للمعاهدة بكل البلاد فيها بقيود جديدة جعلت المعاهدة شراً من الحماية، لذلك أثار الزعيم، بالابتعاد عن مقابلته خشية ان يظن بأنه راض عن المعاهدة وذنوبها وأنه متفق مع السيد مردم في ذلك. وهذه كانت

سطحها مليوناً فدان من أجود الأراضي الزراعية البكر. وبدلاً على ما يجري في الجزيرة في هذه الآونة ان الحكومة السورية هناك في قمص وان موظفيها القلائل - ان كان لها موظفين - هم في خطر وتحت رحمة الجنود الفرنسيين وقد زار وزير الداخلية والخارجية حديثاً تلك المنطقة فرأى بغيته الجرمود والجلاء ومظاهر العداة المسلح حتى ان الرجال الذين كانوا معه باتوا على الطوى لأن أهل الحسكة قاطعوه وقاطعهم بل قاطعوا السيارات التي اقتنهم فقموا عليها بيلقة من البنزين وما هذه « المناورات » الأخيرة من القبض على بعضهم وجلبهم الى دمشق فهي مناورات صيانية تمت بالاتفاق مع السلطة لستر هذه المخازي وللضحك على عقول البسطاء.

فحماية الأقليات هذه شئنة عرفناها من أنزيم، وإذا وضع المستعبدون في حب الكراسي فوقها الترابيل لتنطية طمعها الرفر واخفاء راحتها الكريمة فان الناس يعلمون ان ليس الغاية منها قضاي الطلاق ولا الزواج ولا مسائل النفقة أو الميراث وإنما يراد بها تحويل الرملة الفرنسية الحق في البقاء في المناطق المحتلة القديمة ما شاءت مصالحها وإضافة مناطق أخرى وعلى هذا النمط ستكون الجزيرة لها بما فيها من خيرات ومبرات.

وتنبرأ اللاذهان ولإطلاع الرأي العام على ما هو جوهري في حياتنا السياسية ووجدتنا القومية لا بد للوطنين البغيد من المصالح الذاتية والمنافع الحكومية من تأليف لجنة متخبة من أفراد هم من ذوي الاختصاص العلمي والروح النفاذة البرقة تذهب الى جبل الدروز وجبال العلويين والجزيرة لتري بعينها ما هي الأسس التي تدار بها هذه المحافظات المطموغ فيها وإلى أين وصلت وحدتنا المشردة فيها، وهل خطونا الى الأمام حقيقة أم لا نزال حيث كنا على عهدنا القاصر، اللهم الا ما تظلمن به الصحف الحكومية بدمشق من تحجيء حضرة المحافظ واجتماع حضرة المحافظ برئيس الوزارة أو وزير الداخلية والخارجية، حتى كاد اسم المحافظة المكرر ينسينا أن هنالك محافظة تريد الأمة الاحتفاظ بها ولا يبالي الحانثون ان يتنازلوا عنها.

ان تقريرا علميا يرعى على هذا النمط تنتظره البلاد بفارغ الصبر وهو عده الرأي العام في محاربة التذجيل السياسي الذي طلع منه الكيل والكذب المعاني الذي لا يعرف الموازح.

٣- وفي ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٣٧ ألقى السيد جميل مردم من شرقه السراي بدمشق خطبا جاء فيه :

أنا لا أقول لكم - بأنني الشهيد الخي - (وهذا هو اللقب الذي أطلقه المرحوم المفقور له الزعيم الشهيد على نفسه في إحدى موافقه الخطابية الكبرى بدمشق) لأن الشهيد هو الذي كتبت له الشهادة واختاره الله اليه ولائي رجل حي يفكر حي برحلي حي بالدفاع عن حقوق أممي... الى أن قال... لهذا لا يجوز لي بصفتي رجلا سؤلا أنراس حكومة وأعمل مع هؤلاء الأخران أن أهابون في أمر مغيبه الأضرار بالقضية الوطنية . لقد عنت الحكومة عن فريق كبير من الرجال الذين كانوا خارج الوطن فعادوا الى أحضانه وفريق أظهر كرم نفسه وفريق أبي الا ان يظهر بظهوره الحقيقي اللثيم . اما الكريم فسوف نزيد باكرامه واما اللثيم فسنرفقه عند حده... يقولون ان هناك معارضة قائين هذه المعارضة ؟ ليست هناك معارضة ولكنها قول مزيلة ضمنية وأشخاص لا قيمة لهم ولا وزن ، فالمعارضة لا تقوم الا بأسس واضحة من مزايا الرجال الذين يقدرونها ، وإذا وجد هؤلاء الرجال فانهم في الكتلة الوطنية الخ... الى ان قال :

أيها الأخران : ماذا رأيت في باريس ؟... رأيت الوطنية المسترة والرجعية المتآمرة والحياة الظاهرة وقد تألفت جهود الجميع وآمروا على هذا الدور الوطني ولكن ان لم ذلك لأن نفوسهم ضيقة وليس لهم من الجرأة شيء ليظهروا بظهورهم الحقيقي الخ...

٤- في ٢٣ كانون الأول سنة / ١٩٣٨ ألقى في الجامع الأموي خطبا قال فيه : ماذا يجب علينا هؤلاء أيها الأخران ؟ يعيرون علينا أننا نجتمع اليكم ونحدثكم ونطلمكم على كل شيء ونأخذ فتكم حتى ان البعض منهم لم يبق الله وقال ان هذه الحكومة هي حكومة رعاخ . اننا نفتخر بنيل الثقة من هذه الثقة التي ليس لها غاية ولا مصلحة ، أما الذين ابتعدوا عنا فهو لاء هم المناقرون لسنة الله عليهم أجمعين .

٥- صرح في أواخر شهر حزيران سنة / ١٩٤٠ أمام السيدين شكري سكر والمحامي الاستاذ محمد حسن الخطيب أثناء البحث عن ضرورة توحيد

البادرة الثالثة في الحقد على الزعيم لذلك ما ان عاد السيد جميل مردم في أواخر كانون الأول ١٩٣٧ الى دمشق حتى انبرى الى مهاجمة الزعيم في الخطب التي كان يلقيها هنا وهناك والتي كان يترجم فيها عا في نفسه ضد الزعيم من غل وحقد ، ففي ٢٤ كانون الأول ١٩٣٧ ألقى في مدينة حلب خطبا حمل فيه على الذين يعارضون هذا الدور قائلا :

في اوربا خصوم للمعاهدة كما في بلادنا خصوم لها وهؤلاء وأولئك يلتفون على شاطئ واحد وغايتهم ان تنظم الأمواج في هذه المعاهدة فتعكر صفو العلاقات بين الأثنين ليخلو لهم الجو في المؤامرات والندس ، شهدتهم في باريس بالجزم المشهود منهم من يستتر بالوطنية ولا يعرف ماذا يطلب ، وماذا يريد إيجارب المعاهدة ام يطلب تمديدها ام يرفضها ، وهذا الفريق يتأمر مع الرجعيين ، لقد ذهبت ورددت كيديهم وفضحت دسائسهم ومؤامراتهم...

١- في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩٣٧ / ألقى أيضا خطبا في مدينة حماه قال فيه : ان هذا الدور لم يعد يتحمل دسائس ومؤامرات ، وان الذين يطأهرون في الوطنية يجب ان ينتهي أمرهم بعد الآن وان الكتلة الوطنية التي قادت الأمة الى هذه النتيجة سعوف كيف تحمي هذا الدور ولو اراقت في سبيل حمايته الدماء الخ...

٢- وفي اليوم نفسه ألقى في مدينة حمص خطبا آخر جاء فيه : لقد سمعت في الشبهاء وسمعت في مدينة أبي الفداء وربما أسمع في هذه المدينة أيضا بعض النغمات بأنه لم تقم الحكومة بقمع المؤامرات والدسائس في البلاد ، وهذه النغمات تدل على ان الحكومة ضعيفة فاننا اعلن امامكم بأنني عائد بهذه الشبهاء وعزبة صلبة للقضاء على كل من تحدته نفسه بتعكير هذا الدور وعرقلة مساعي الأمة . ما كنت يوما من الأيام جانا ولم أكن يوما من الأيام احاب المدافع والطيارات حتى احاب هؤلاء الدسائسين ان تكن قد سكنتنا عن اعمالهم ومؤامراتهم ودسائسهم التي لا نهجها كذلك حرصا على ان لا يقال بأننا نبغي ان نتقم من أحد ، لقد قلنا للجميع ودعونا للجميع للمساهمة في هذا الدور وأعلنا في كل المناسبات ان ميدان الكتلة الوطنية فسيح فاقدم من أقدم وأحجم من أحجم وهو لا عا للذين اقدموا لهم اللجنة فاما أولئك الكفرة فجهم ونس المصير...

المحقات والديول التي ألح الفرنسيون في طلبها والتي تسرب اليها منها ما يأتي :

أولا : قبول نظام داخلي للجزيرة واسع النطاق باسم نظام المحافظات يهدد صلتها بسورية في المستقبل ويجعلها عرضة لا اصاب غيرها من المحافظات التي ستبقى جرحا شفاؤه صعب في الجسم السوري ، و « الجزيرة » هي في الواقع ثروة السوريين بزروعها وضروعها وتربتها والتجميع في أحضانها .

ثانيا : قبول اتفاق البنك السوري طبقا لوجهة اصحابه الاساسية .

ثالثا : قبول شروط النفط .

رابعا : قبول عقود الموظفين الاجانب وتحديدوها .

خامسا : قبول تعيين مستشارين اختصاصيين جدد .

سادسا : الاعتراف بحق فرنسا في الدفاع عن الأقليات وسن قوانين خاصة لحوالهم الشخصية وتوابعها مما يعود بنا الى حق فرنسا العتيق في الحماية اللبينة في الشرق وما له من اثر فعال في احياء الطائفية الفتاكة التي كنا نتوقع زوالها بمارغ الصبر .

إن المعاهدة السورية - الفرنسية ضربة قاسية في حد ذاتها لم يبق أحد من أهل النظر الا عرف شرفها المستطير والخطر الجسم للنبعث عنها . وحسبنا ان تناكر ما اصابنا منها من الكوارث المباشرة وغير المباشرة لتقدير اضرارها . فاذا اضفنا اليها هذه المهالك الجديدة ايقنا انها اصبحت ضربة قاضية قد حصل التوسع الفرنسي بواسطتها على جميع مراميها القريبة والبعيدة ، فمثل هذه الحال حلتي وانا في باريس على الابتعاد عن مقابلة السيد جميل مردم بك ، لا احتقارا لشخصه الكريم بل خشية ان يطن أحد من ذوي الشأن من الاجانب انني شريك له في اندفاعه واستسلامه بما لا يتفق مع الكرامة الوطنية ، فاخذ يتقيم لنفسه بالقاء الكلام على عوارفه في خطبه الأخيرة في سورية من غير رادع يردعه وأسف استغافلا لا يلقى بالرجل الطليق في الشارع ناهيك بالرجل القيد برياسة الوزراء مما لم يتعود لسناننا ذكره او الإشارة اليه .

لقد كان الأول يمثل هذا الرجل الذي تجرأ على الحق فقال عقيب نكبة الاسكندرية وذلك بعد عودته الماضية من فرنسا (اننا لم نخسر شيئا بل ربحتنا كل شيء) والذي تجرأ على الحق فقال في باريس لجريدة الطان بتاريخ ٦ ديسمبر

صفروهم ان الدكتور شهنذر هو السبب الرئيسي في تهديم دورنا السابق والغاء المعاهدة وهذا العمل يعد خيانة فظيعة منه يجب ان يعاقب عليها أشد العقاب .

٦ - صرح أمام الدكتور عبد القادر بك الزهراء والدكتور عبد الادريك راضي وغيرها على اثر اعتقال الوطني زكي بك الطليب واخوانه معناه :

لو كانت الحكومة قد استكملت صلاحياتها بتنفيذ مشروع المعاهدة لعلمت المعارضين على اعداء المشائق .

وامام هذه التهجعات العظيمة التي اقدم عليها السيد جميل مردم على زعيم البلاد الاستاذ الشهنذر بسائق القصد ، لم ير الزعيم بدأ من حقن نفوذ وعرض ما ارتكب من توزيع ذبول المعاهدة من إساءات منذ طلع على الأنتظار وذلك بأسلوب رفيع من التهذيب وبعد عن الرواة ومن ذلك ما نشره في المحدثين المؤرخين ٣١ كانون أول من عام ١٩٣٧ و ١١ كانون الثاني من عام ١٩٣٨ من جريدة المقطم العمرية بالبيانين التاليين :

ان اضعف هذه المعاهدات التي عقدت اخيرا بين بعض البلدان في العالم العربي وبين اوربا سواء في النص ام التطبيق هي المعاهدة السورية الفرنسية ، وقد زاد في البلاء التورلاد عنها ان السيد جميل مردم بك رئيس وزراء سورية نفسه انوط في التناء عليها عقيب امضائها حتى قال عنها انها عروس الشرق وقال زميل له لم يبق لنا بعد الحصول عليها الا ان تسلم لنا فرنسا برسيلا . وقد اظهر السيد جميل اخيرا من اللهمة والجزع على منصبه من عدم اقرارها في مجلس النواب الفرنسي ما احدث في ذهن الفرنسيين عقيدة بان سورية تعد هذه المعاهدة صفقة رابحة وغنيمة فوق استحقاقها . فلا عجب والحالة هذه ان يجدوا في انفسهم حافزا يحفزهم الى التشدد في الطلب والاستراة من عمل الديول والمحقات ولو في مثل هذا البحران السياسي الذي تضطرب فيه الدول ذات المصالح الكبرى في البحر المتوسط من شيخ الحرب ، وترى في السكون وعدم التوضي سلامة لها ، وقد تشدد الغربيون تشددا خاصا لا يقتوا ان بعض الرجال القابضين على زمام الحكم باسم الوطنية في سورية مستسلمون خاضعون لكل طلب بالنا ما بلغ خطره وضروته بالوطن ، وهذا ما نحقق في الموقف المستسلم الخانع الذي وقعه السيد جميل مردم بك من هذه

للميزانية فلا يجوز عرض مثل هذه الموضوعات فيها. ولو كانت هذه الموضوعات تتعلق بأقدس حقوق البلاد، في حين انه أجاز نفسه في هذه الأيام ان يتفوه في مجلس النواب بالفاظ بترفع عنها في الأرتة، بحق من هم غائبون عن البلاد. ومن يدري ما هي البراءت المتوقعة على هذا المثل والتسويق أمثالك طيخ سيطيخ في مجلس النواب السوري واسترضاء وبلغ أم هناك حرص على حل اعضائه على تناسي ما اقدم عليه السيد مردم في جريدة الطائ من عدم الاكترات لقراراتهم الصادر في ٣٠ نوفمبر الماضي برفض الحل الذي قالت به جامعة الامم في قضية الاسكندرية اذ يقول بتوقيع ج. ٢٠ ما يلي:

ونحن مع ذلك قد انحنينا اما قرار جامعة الامم لصلحة السلام والتعاون الدولي.

فمن شأن هؤلاء النواب ان يجاسروا رئيس الوزراء على جرأته النادرة هذه في الاثبات عليهم بعد مرور اسبوع واحد فقط على تجديد قرارهم ومن يجز على الاثبات على اربعة وثمانين ثانياً والجزء بخصمين دولة يجز على الاثبات والجزء باهل الأرض والسما.

ثم ان هذه الرسالة وحدها التي تلاها في الكتلة الوطنية ما سبقها وما لحقها من تصريحات :

أولاً: ضرورة تعيين مستشارين فنيين فرنسيين جدد وضرورة وضع ملاكهم، غير ان السيد جميل يركع امام السيودي تيسان « فرجوه رجاء شديداً ان تحصل سورية على مرشحين تقدمهم الحكومة الفرنسية من ذوي الكفاءة » (انظر الرسالة التي تلاها في الكتلة).

ثانياً: اعترافه بان الحوادث التي حدثت في الجزيرة « ادت الى ما يرجو من نتائج » وهذه النتائج التي يترجوها - من غير حياء - هي ان الحكومة السورية « النظرية على هذا الشعور، تعد المحلة لتطبيق القانون الموضوع للمحافظات ».

وقد أشار السيودي تيسان الى هذا القانون بقوله في حديثه للاهرام: « لذلك بحثنا في النظام السابق، ويشتمل على قواعد الادارة التي تتلوا الادارة السابقة فكل ولاية تتمتع باستقلال اداري واسع. اذن ف نظام المحافظات هذا

الحالي وذلك بعدما سمع إصرار مجلس النواب السوري على الاحتفاظ بقاره السابق برفض اتفاق سنجق الاسكندرون (ونحن - يعني معاشر السوريين - مع ذلك قد انحنينا امام قرار جامعة الامم لصلحة السلام والتعاون الدولي) والذي تجرأ على الحق في خطبه في حلب اخيراً فلم يرفق بين المستشارين الفرنسيين الجدد الذين قبلهم على سورية الشروط التي جعلها في جيبه وبين الموظفين الاجانب الذين تعيّنهم تركياً يحضن اختيارها، لقد كان الأولى محل هذا الرجل ان يهصر كلامه فيما يجعل من ذبول وملحقات ويدافع عنها بغير هذه الطريقة للدالة على اضطراب شديد في الاعصاب وعدم ائزان في النفس. اما محاولته ان يغطي الساء بالبقاء وان يعترف اذهان الناس في هذه الممالك القتالة بالسب والشتن فهذه محاولة خاسرة ستعقد عند جميع العقلاء وسيرى النتائج المريعة لسياسته هذه أم العين، وكل آت قريب.

لم يزل السيد جميل مردم بك في بيانه في الكتلة الوطنية في مساء الارباء خطاب مردم الماضي الا رسالة واحدة او رسالتين من جميع تلك الرسائل التي تبودلت بينه بك في الكتلة وبين وزارة الخارجية الفرنسية اخيراً مع ان الموضوعات التي تناولها الاتفاق متنوعة وخطيرة تتعلق بحياة الوطن، فابن هي يا ترى تلك الرسائل المتعلقة بالادارة الامركزية والشؤون العسكرية والتجارية والمالية والاقتصادية، التي اشار اليها السيودي تيسان ومنها اتفاق البنك السوري وامياز النقط طبعا؟ ولم هذا السكوت المضطرب والبلاد على اخر من الجمر تنتظر بياناً وافياً لتعرف اين مصيرها؟ وقد لحظنا حتى في هذه الرسالة المختصرة التي اختارها من بين تلك الرسائل انه يتدأ بالمقدمة المقفولة بين فرنسا وسوريا في سبتمبر سنة ١٩٣٦

ويحاول الا يخرج منها، كل ذلك ارباعاً للجهة التي كشفها مندوب الاهرام في جنيف في برقيته في الثاني عشر من الشهر الماضي وفيها ان السيد مردم بك سيقنع وزارة الخارجية الفرنسية بضرورة اعادة جميع المشاكل المختلف عليها الى اصل المعاهدة متناً وروحاً وجعلها مفرقة منها كيلا يتهمه اهل وطنه بأنه قبل شروطاً جديدة لم تكن موجودة من قبل.

تلا السيد مردم بك بيانه في حزب الكتلة الوطنية بدلاً من ان يتلوه في مجلس النواب كما وعد في باريس وعند مجيئه الى سورية وكما اصر عليه السيودي تيسان وقد اعتذر مردم بك عن ذلك بقوله ان هذه الدورة البرلانية مخففة

في ازالة الخلافات الطائفية الكثرية - اذا شئت خلتها بحسب الحاجة من جديد - بين السوريين واما الغرض فهو اقتضاه ان يكون كما قال مسلما وان تنال الطوائف الأخرى حقوقا مثل حقوقه، وكذلك الجوهر بل جوهر الجوهر ان يطبق الفرنسيون على الجزيرة نظاما لا مركزيا واسع النطاق سموه « نظام المحافظات » كما يتبنى الكردستان تونني، لتطلق توجيهه ابدتهم في هذا الكثر الذي هو امل سورية في المستقبل. واما الغرض الفارغ فيقول بجيثاقها القومي ما يتعارض مطلقا مع ممارسة الحقوق التي ضمنت للجماعات التي ترجع اليها الملحق رقم ٥ معاهدة ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٦ .

هذه كلها سموم ناقمة بجاول السيد جميل مردم بك تبليغها ابناء سورية بطلبها بالعسل كما يطل (السنامكي) بالشوكولاتة ليلمه الأطفال، ولكن ابناء البلاد سيطحنون الجرعة المعسولة بمطحنة العقل ليرا السموم المدسوسة فيها .

وفي الختام اننا نضرع الى دولته بقلوب ترتعش من الفرع ان يقلل جهد الطاقة من التهديد والوعيد والسحق والبطش واستعمال القوة وان يوفر جميع ذلك لتأديب من خطفوا له عاقل الجزيرة وهم امام عينه يترأون ويسخرون ويرتعون ويلعبون .

إن الوضع السيء الذي آلت اليه سوريا في ذلك الحين، بسبب معارضة الزعيم الشهبندر وأخوانه المحقة للمعاهدة، وتأيد السيد جميل مردم وكثير من اخوانه بالباطل لها، قد خلق انقساماً في صفوف الشعب وعداء بين قادة الجبهتين فان الوضع أصبح يندركارثة، وهذا ما حدث فعلا وتفصيل ذلك :

ان الزعيم الشهبندر بعد ان عاد من باريس الى القاهرة وانهى اعماله فيها وعاد الى وطنه في ٢٧ تموز من عام ١٩٣٨ وتوجه توأ الى منزل والده قريته في مصيف بلدان للراحة والاستجمام، ولكن مع الأسف ما كاد يرتاح من وعاء السفر حتى فوجيء بأمر اداري استبدادي يخالف للدستور، يقضي بحجز حريته في الدار التي نزل فيها، وبعده من الاختلاط مع أي كان. وسخرت قوى الأمن من شرطة ودرك لمنع الناس من الدخول الى الدار المذكورة، في الوقت الذي كانت الامة تستعد لاستقباله با يتفق مع مقامه الكبير ومزنته الرفيعة في البلاد، وقد كتبت جريدة بيروت المساء اللبنانية في عددها المؤرخ ٢ آب عام ١٩٣٨ حول هذا التدبير الشنيع المقال التالي :

انما ذكر من جديد بمناسبة الجزيرة، ووضع خصيصا لها كي تتمتع باستقلال اداري واسع النطاق كما كانت الاسكندرية تتمتع به ولا عبوة بالشمول الورد بحق الولايات الأخرى فهو للتمعية والنسب .

ثالثا: اما الأقليات فقد اعترفت المعاهدة بحماية فرنسا لهم صراحة. ولكن المباحث التي دارت في هذا الشأن تلقي على هذا الموضوع ثورا يراه حتى الأعمى. قال المسيودي تيسان في حديثه لجريدة الأهرام: « وقد جاء الكردستان تونني الى باريس (كما يجيء الملوك الفاتحون) ملجأ بضرورة محافظة فرنسا على مهمتها العظيمة في الشرق وهي حماية المسيحيين . وفرنسا تريد متابعة هذه الحماية في دائرة حقوقها التامة ومسؤولياتها . وقد رأينا ان يكون حقنا في حماية الأقليات معترفا به بصراحة، فتبادلنا مع مردم بك رسائل اشتملت على ايضاح مواد المعاهدة وتفسيرها » .

رابعا: سكوت جميل بك سكوت ابي الهول عن امتياز البنك السوري وامتيار النقط، وقاته ان السكوت، في وقت الحاجة الملحة الى الكلام اقرار غير ان الناس قد ادركوا من نص الرسالة التي تلاها في الكتلة وشار فيها الى ما نصت عليه المعاهدة (من ناحية السياسة والادارة والاقتصاد) ان المقصود من ذلك هو البنك السوري ونفط الجزيرة، ويزيد في هذا الموضوع ايضا قول المسيودي تيسان في حديثه « وأما المسائل الأخرى الملحة بالمعاهدة فقد سويت من الوجهة المالية والتجارية، بحيث يتجنب وقوع مشاكل وصعوبات في وقت الانتقال من نظام الى آخر » فإين هي الرسائل التي تدل على تسوية هذه المسائل الأخرى يا ترى؟ ولماذا طرئت الآن طي تاريخ الحليقة في أعماق طبقات الأرض؟

ان الجوهر في جميع ما تقدم هو ان السيد جميل مردم بك امضى اتفاقا مع فرنسا ترغم كوجه سورية على قبول مستشارين جدد - علاوة على القداماء الموجودين طمعا - ووضعت ملاك لهم. والغرض الفارغ هو ان جميل بك يحاول ان يدافع عن موقفه المستسلم بقوله انهم سيعتبرون بعد الآن موظفين سوريين مع ان بيان وزارة الخارجية الفرنسية ينص نضاً صريحا على انهم « سيدعون مندوبين فرنسيين ». وكذلك الجوهر هو ان فرنسا عادت الى ما كانت عليه في القرون الخالية لحماية الكفلكة في الشرق فرجعت بالبلاد الى القرون الوسطى وقسمتها الى طوائف وأديان، وجاء السيد جميل الآن يحكمها

الصوت ان يجتق، والسوريون كلهم والعرب من ورائهم ينتظرون من بعد ان يحطم ميثاق الكتلنة على سياسة مردم ان يبدأ العهد الانشائي الذي طالما حنت اليه سورية، وان يؤدي الرسالة المقدسة اليي يجيش بها صدره الكبير. . . اما وقد خسانتكم الاعصاب، وفل ونخر الضمير حكمتكمم وزادت لكم صور انزواكم الريعة امام وطنية الزعيم، وتهافت الشعب حوله، فخنقتم المحصورة الشريفة بيدي العاجز الخائف، وحلتم بين الشعب وبين زعيمه لتناموا ليالة هادئة قبل بدء النضال. ولكن . . . اليس هذا الليل من صبح زور وثمس؟

اننا نأسف ان يكون طراز تفكير حكومة الاستاذ مردم بك طرازاً عتيقاً لا يتفق والمثل العليا الجديدة ولا يتمشى مع ابسط مبادئه الثرية الاخلاقية والوطنية.

لقد عاد الشهيد هادنا ودعا لم يعلن في سوريا معارضة ولا برنامجا، فعلاكم تخافونه، انكم في الحقيقة اصبحتم تخافون سوء المصير الذي ينتظركم.

وانه لقریب . . .

في اوائل شهر تشرين الاول من عام ١٩٣٨ الفت الحكومة المستبدة هذا التدبير وذلك بناء على تقمة الشعب التي اشتدت على المتسلطين على الحكم في ذلك الحين وعلى رأسهم المرحوم جميل مردم.

وعقب الغاء هذا التدبير الاستبدادي توجه الزعيم الشهيد من بلودان الى دمشق واستقل فيها استقبالا شعبيا يليق بعظمته، وبعد الخلافات التي اقيمت على شرفه وكان يلعب بخطبه الرنانة افئدة سامعية، قد أسس مكتباً له ولاخوانه في عرزنس - الصالحية ليجتمعوا فيه كما افتتح لنفسه عيادة طبية امام مدرسة الراهبات بقية خدمة الانسانية. وفي ١٣ مارس من عام ١٩٣٩ اجتمع اعضاء مكتب الزعيم الشهيد في منزله وصدر عن المكتب المذكور بيان نشر في العدد المورخ ١٤ مارس من عام ١٩٣٩ من جريدة الف باه وهذا نصه:

اداع مكتب الزعيم الشهيد البيان الآتي:

في الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم السبت ١٣ ايار الجاري

خفقوا عاذ الزعيم السوري الكبير الحكيم عبد الرحمن الشهيد الى سوريا المحصورة صامتا هادنا وفعل ان يهبط بلودان، وان يستمتع براحة هو في الشد الحاجة الشريفة اليها، ولكن الكثيرين من اخوانه المخلصين، ومن الذين يؤمنون بزعامته، لا أنهم ويعتقدون انه رجل الساعة، ابوا عليه هذه الراحة، وادادوا ان يقوم الشهيد بقسطه من العمل في هذه الفترة الدقيقة، دفعوه الى الشخصوس الى دمشق ونظموا برنامجا لاتقا لاستقباله، ولكن حكومة « حلسا التبعات الجسم » رأت في هذا الاستقبال الشعبي تحديا لها، وخافت ان تهوي تحتها هذه الكراسي التي تنعم بها، فمتمت الاستقبال وابلنت الشهيد ان التظاهرات والخطب متنوعة، واوزت الى الصحف ان لا تذكر شيئا عن هذه التدابير. . . .

لقد خطب الأستاذ مردم في مسجد بني امية بعد صلاة يوم الجمعة الفائت، ودعا الناس الى الاتحاد وقال: « اني اريد ان ارغم الجميع على الاتحاد لان لا التفريق المخلان وفي جمع الكلمة النجاح »، وها هو الرئيس مردم ينفذ خطته ويرغم الزعيم الشهيد ان يقع في الصيف السوري، وكأصره في بيته ويمنعته بين جدران اربعة باسم هذا الاتحاد الذي يدعو اليه، وما عرفنا ان الاتحاد يأتي عن هذه الطريق، طريق العنف والرعونة، وما علمنا ان التضامن يتم بهذه الاساليب التي لا تتفق مع مبادئه هذا العصر وهيبة الحكم وجلال السلطان.

وليس الشهيد بالرجل الذي يحطم هذه السهولة، فرعاية الشهيد راسخة رسوخ « قاسيون » وله من علمه واخلاصه وبعد نظره ما يجعله يترأ بهذه الاساليب التي تعودها منذ ان كان رطب العود يرشفت العلم في منارة الشرق ويعالج القضايا الوطنية وهو طالب في « الكلية السورية الانجليزية » بالأمس و « جامعة بيروت الأميركية » اليوم، ولقد صمد للترك ودعا الى الاستقلال والحرية يوم كانت الاسن معقولة والافلام محطمة والحريات مقيدة، وهاجر من وطنه، وكس شطر الصحراء في أيام الحرب، وكان في صفوف المجاهدين في أثناء الثورة السورية يضمم جراحات الاطال وينير لهم الطريق، فما بال الاستاذ مردم يريد ان يتناسى هذه الصفحة السالمة من صفحات الجهاد الوطني، ويود ان يجتق صوت الشهيد، وحاشا لهذا

الحاقق والمزارع المنتج والصحافي المفكر والمخيط الفوه والسري
الامتل والجندي الباسل والاداري الجرب واليكم والى جهودكم
المباركة يعود معظم الفضل في القضاء على حكم الرماح الشبان
الذي لطمخ اصحابه بالمار والشار فانقذتم بملككم هذا سممة
البلاد وبنجتموها عما كان بيت لها في الظلام الدامس.

وانتي على يقين انكم ستكونون في المرحلة الجديدة كما كنتم في
المرحلة القديمة على انتم وفاق واشرف اخاء لا يشيكم وعد ولا
يخيفكم وعد ولا يصلكم صداد عن خدمة الامة والسير في
طليعتها ومواصلة الجهاد بشقي الطرق المشروعة التي سلكتها
الامم الحية قبلنا الى ان نثال اماننا الوطنية ونحقق رغائنا
القومية.

ما هو مهابجنا؟

تردد على ألسن الكثيرين ما هو مهابجنا العملي كاتهم قد نسوا
اننا نشرنا هذا المباح الذي امضيته وأمضته ممنا النخبة المنتخبة
من اخواننا في مساء الجمعة الواقع في ١١ تشرين الثاني سنة
١٩٣٨ واهم بزوده الا تقل ماهدتنا مع فرنسا عن معاهدة
المراق مع انكلترا، وان تكون سوريا عضوا في الاتحاد البلاد من
الانتظر، وان تضمن الحريات على انواعها وان تنفذ البلاد من
الفوضى التي كانت تلج فيها، وان توجه الى اقامة حكم صالح
يحيد الى السوريين سمعهم. هذه هي الاغراض التي نشرناها
على الملأ ولا يزال الحاجة الى تحقيقها حاجة ملحة حتى ان تغيير
الحكومات لم ينقذ البلاد الى الان من اذئاب الجرمين وبعثهم
على الحريات الشخصية.

موقف فرنسا في بيان المميد

اما موقف فرنسا من سورية فقد اتضح إتضاحا كليا من بيان
المفوض السامي مساء الامس فقي هذا البيان الدلالة الكافية على
القواعد التي يراد اتخاذها اساسا للتماقد مع سوريا وهي
النصوص التي سبق ان وقعها الحكومتان الفرنسية والسورية
وفيها الملاحق واللبول طبعا، وتطبيق نظام لا مركزي على
المحافظات، ارضاء لا يدعى رغبات سكانها وهو نظام لم يعين بعد

اجتمع في منزل الزعيم الدكتور شهبندر اخوانه السادة الاتية اسماءهم :

زكي الخطيب ، ودرويش العجلاني ، وسعيد محاسن ، ونصوح بابل ،
وهاني الجلاذ ، وفؤاد القضماني ، وحسن الحكيم ، وميزر العجلاني ، وميزر
المحايدي ، وشفيق ديباب ، وكامل هنانو ، وبشير اللحام ، وعارف
التوام ، ورشيد بقدونس ، وعارف الحجار ، ومدني الحبيبي ، وشهاب
الشماط ، وحسن قتالان ، وتيسير ظبيان ، وأمين سعيد .

واعتمد عن المحضر فوزي بك البكري لسبب سفره الى بغداد .
وافتح الاجتماع معالي الزعيم الشهبندر فالتقى الكلمة الاتية :

كلمة الزعيم

الاخواني الاعزاء

من دواعي امتناني ان تشرفوني هذا المساء لاراكم مجتمعين
لاول مرة منذ ما غادركم الى القاهرة لقضاء بعض شؤوني
الخاصة المستعجلة ، وكنت شاعرا ان بعض المستخرين سيتخون
من سفرى هذا ، الملم عند بعضكم ، مستندا لدعايتهم الالاقة
الحقيرة فانهلهم حتى يجتثروا بسومهم ، وان هذا الاجتماع
المبارك الذي شرفتموني به هو من تلك الاجتماعات التي كنا
نعتقدا ممكن للتداول في الشؤون المهمة التي تتطلب رأيكم ،
واننا الان على ابواب احداث سياسية قد يكون لها ابعاد الاثر في
مستقبل بلادنا سواء في شؤوننا الداخلية ام في شؤوننا الخارجية ،
وذا كان تضامنا في الماضي امرا مستحيا فقد اصبح اليوم والحالة
هذه فرضا عجا .

المرحلة الجديدة

انتم تعلمون علم اليقين انني منذ ما شرعت في درس
مشروع التنظيم اتجهت الى التعاون المصميم مع حضراتكم
والاستشارة بآرائكم الصائبة والاستعانة بكفاحكم وباليديء
السامية والمقايدة الراسخة التي تتحلون بها . ولا مناص للوطن
من الاعتماد عليكم في اجتياز المرحلة الجديدة التي لا بد من
ملاققتها لها في القريب العاجل فانتم ولا جدال من النخبة المنتخبة
من ابناء الوطن فمنكم العالم العامل ، والمحامي البارع والطبيب

استقبلت وأن الرئيس استقبلها الى يوم الاثنين انتظارا لوصول
الفوض السامي الذي سيتول شرح ما يحتاج الى الشرح من بيانه
الجديد.

ثم حث اخوانه على الاستمرار في العمل الوطني بسبب
الموقف الحاضر ولواجهة الاحداث المنتظرة.

جئسة
دراسة
البيان
وكلم الامانة تيسير طيبان وسعيد حاسن وعارف الحجار وامين سعيد
في موضوع اقتراح الزعيم الحاسن بانتخاب لجنة للدرس بيان الفوض
السامي من الوجهة القانونية والحقوقية وتقديم تقرير واف للهيئة العامة
وانتخب هذه المهمة الامانة زكي الخطيب وسعيد حاسن ونصوح بائيل
ومير العجلاني وامين سعيد وتقرر ان تجتمع اللجنة في الساعة الخامسة مساء
غد الاحد في منزل درويش بك العجلاني لوضع بيان واذاغته يوم الاثنين.

الهيئة
الشهيدرية
ووافق الحاضرون على ان يطلق على الهيئة اسم الهيئة الشهيدرية.
وتقرر ان تجتمع الهيئة العامة في الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء المقبل في
منزل درويش بك العجلاني لوراسة الحالة الحاضرة.

وبعد كل ما ذكرنا حول الخلاف الذي قام بين الزعيم الشهيد والسيد
جميل مردم رب سائل يسأل عن الاسباب الحقيقية التي دفعت بالسيد جميل
مردم بأن يقف هذا الموقف العدائي من الزعيم الكبير والجواب على ذلك
هو:

- ان الزعيم الشهيد كان ينوه في احاديثه الخاصة بعد عودته واخوانه من
مصر الى الوطن، وفي بعض خطبه بفساد الوضع وبعده عن قواعد الحكم
الصالح وبفهم الدولة، ويطغيان المصالح الشخصية فيه على المصلحة
العامة، ويتعين الاقارب والانصار في الوظائف والمناصب معها كانوا،
وكساية الاجنبي وكتيمان الحقائق عن الشعب وما الى ذلك من المساوئ
التي ادت الى تدهي الحالة في البلاد. يضاف الى ذلك معارضته للمعاهدة
وتجريد المقالات ضدها، وكذلك المبادرة التي حدثت في باريس والتي اشترنا

وبدل عليه ما جرى في جبل الدروز وفي بلاد العلويين. وتنظيم
جديد للمعاون العسكري بين فرنسا وسورية لا يدري احد مداه
وكم تكون التزامات سوريا فيه، واستخدام القوات الفرنسية
للدفاع عن البلاد خارجيا وحفظ النظام في الداخل على الطريقة
التي ترضي فرنسا ومفوضيها، وضمان حقوق الاقليات اجنبية
والدينية.

سوريا لن ترضى بهذا البيان

هذه هي القواعد التي يراد بنا الرضا بها والسير على مقتضاها
ومن المؤسف حقا ان جميع هذه الاختبارات المبررة منذ الاحتلال
الى اليوم لم تقع فرانسة بعد بانسورية وهي في مقدمة البلدان
البرية التي جاهدت للحرية والاستقلال، هي بلاد عجة لا هازلة
في تحقيق امانها وابا لن ترضى بهذا البيان الناس بكرامتها
واستقلالها ولا بأي موقف سياسي هو دونه في الاقطار المتقدمة.
ولا بد لنا من تأليف لجنة تبحث هذا الموضوع بحثا دقيقا قبل
اصدار بيان فيه.

انشاء مكاتب وفروع للمعرب

ثم نحن في صلبنا الوطني لا بد لنا ان نشرع قريبا في انشاء
مكاتب وفروع فيكون لنا في عاصمة كل محافظة ويكون لكل
لجنة فروع في الاقضية والمحقات تقسم كذلك خيرة ابناء المنطقة
الشهود لهم بالنزاهة وهكذا يصل تنظيمنا الى اقصى الحدود
ونتمون جميعا في الخدمة العامة في ايصال الامة الى حقوقها.

وليس هناك ما يمنع من ضم من نتوهم فيهم الاخلاص
وحسن القصد الى هيئة الماملين متى توفرت فيهم الشروط
الطلوبية ورأينا في ضمهم مصلحة عامة فاقمروا في جهادكم
ونضالكم وبرهنا لامة باصالحكم على انكم خير من يصلح
لقيادتها والسير في طلبيتها باخلاصكم واتحادكم وثقائكم في اداء
الواجبات الوطنية التي اخفتم على عاتقكم القيام بها ولن يضع
حق امتلاككم يطالبون به ويجمعون كلمتهم للحصول عليه.

ولما انتهى منها قال انه كان في زيارة فخامة رئيس الجمهورية
بدعوة منه، للبحث في الموقف الحاضر، وانه فهم بان الوزارة

حال فان السيد مردم ارغى وازيد وهو على كرسي الحكم وهدد وترعد فاضطر اخيراً الى النزول عن هذا الكرسي بعد ان صيب الشعب بمظالمه الصاخبة ضده جام غضبه عليه كما أشارت اليه الصحف المحلية^(١).

(١) ذلك في حين وبعد ان غضب رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي شكر الفقيد لاقدامه على تلك الاتفاقات المشؤومة دون ان يكون مفوضاً بتوقيعها هذا وان دل على شيء فانما الرعيم الشهيد كان في موقفه على حجة وان السيد مردم كان على باطل.

اليها آنفاً وما الى ذلك من خطب وتصرّجات وبيانات، وقد زاد الطين بلة نشر الرعيم في شهر تشرين الثاني من ١٩٣٨ في بعض الصحف العربية بيانات شديدة اللهجة بشأن الاتفاقات التي وقعها اخيراً السيد جميل مردم مع الحكومة الفرنسية في ساريز، كديول لماهدة ١٩٣٦ والتي جعلت المعاهدة المذكورة شراً من الانتداب، خصوصاً وقد جاء في البيان المذكور قول الرعيم:

(لم يبق بين افراد الامة من يجهل المصائب التي حلت بالوطن العزيز من جراء السياسة المعروفة التي اتبعت منذ امد غير بعيد. ولئن صبرت انا واخواني العاملون، وترثنا كثيراً في ارسال كلمتنا النهائية الى ابناء الامة الكريمة، فلأننا حرصنا كل الحرص على ان تكشف الحقيقة عن نفسها، وان يرى الاعمى قبل البصير الاخطار التي نهت الامة اليها وحذرتها من الوقوع في شركها منذ نشرت المعاهدة حتى اليوم.

اما وقد جاءت برقيات (هافاس) التي اذيعت يوم امس ونشرتها الصحف عن تفافات باريس الاخيرة مؤيدة - وبلا لاسف - جميع الاخطار التي ذكرتها في جنبها، ومثبتة على اقتضاها وإيجازها، ان المعاهدة السورية بعد هذه الاتفاقات صارت شراً من الانتداب بل اقرب الى الحماية منها الى المعاهدة، فقد صار لزاماً عليّ ان ألي واجب الوطن المقدس وأحقق دعوة الكثيرين من اخواني الوطنيين المخلصين سواء من كان منهم متتبياً الى احزاب سياسية معروفة في البلاد او من كان وطنياً مستقلاً عرف باختلاصه وشرفه فاعمل وابهم بعد هذه الكارثة على تنظيم الراي العام وتبنيته لدفع الخطر الذي يهدد حوزة الامة).

نعم كل ذلك مجتمعاً اقض مضجع السيد جميل مردم ودفعه الى اخذ هذا الموقف العدائي ضد الرعيم الشهيد، طناً منه ان ذلك تشهير به وتثديد باعماله، مع ان غاية الرعيم في كل ما صدر عنه لا يخرج عن حدود المصلحة العامة وخدمة القضية السورية التي وقف حياته عليها. وكانت ثلاثة الاتفاقي الثقاف الشعب حول الرعيم وحماوته به ولعل اسم الرعيم في اوربا واميركا والاعتراف به كزعيم لسوريا، وهذا ما اوقد نار الغيرة والحسد في نفس السيد جميل مردم وزاد في حقده على الرعيم وكرهه له، لذلك بدا وكأنه كتب على جبينه بان يضممر له شرا ويبست له امرا والله اعلم بالحقائق. وعمل كل

الفصل السادس

الخبر المزعوم

الزعيم الزعيم

دأبت الأمم الحية على تكريم العاملين المخلصين من أبنائها وعلى رفع شأنهم وإطراء عاهدهم أيام حياتهم وإقامة التماثيل لهم بعد وفاتهم تحليداً لذكورهم وتذكيراً للناس بهم لينسجوا على منوالهم .

والشعب السوري النبيل لم يكن أقل من تلك الأمم في تكريم أبنائه البررة تقديرًا لأعمالهم وتضحياتهم في سبيل أمتهم وبلادهم واعترافاً بفضلهم . ولا أدل على ذلك من استقباله الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يوم عودته واختارته في الرابع عشر من شهر أيار ١٩٣٧ من مصر بعد اغتراب دام اثني عشر عاماً ، وقد وصفنا آنفاً هذا الاستقبال الرائع المنقطع النظير والذي لا يضاهيه في روعته إلا استقبال سمو الأمير فيصل عند عودته من مؤتمر السلام عام ١٩١٩ .

يبد أن الشعب مهما ارتقى في تربيته السياسية لا بد وأن يوجد بين المشتغلين بالسياسة فيه، من اعمامهم حب الذات وأكل صدورهم الحقد والحسد وكذلك من اعتادوا ان يزيغوا آراء غيرهم مهما كانت صحيحة ، ويتهموا بالخيانة والعمالة كل من يبدي رأياً مخالفاً لرأيهم ، لذلك ساء هذه الفئة الخائفة الحاسدة ان يلمع اسم الشهبندر وان يعترف به في أوروبا وأمريكا كزعيم لسوريا، ويردد اسمه في الصحف ألف مرة مرة في حين لا يذكر اسم أي واحد منهم إلا نادراً ، أو لا يذكر شيئاً ، وما ذلك إلا لانه ليس فيهم من يتحل بجل ما يتحل به الزعيم الشهبندر من علم واسع وعبقريّة فذة وقدرّة خطافية ساحرة كان يلهب بها روح الجماهير وما الى ذلك من كريم الصفات ، لذلك لم يتورعوا عن الكيد له وبث الدعايات المرفضة

الزعيم الزعيم

دأبت الأمم الحية على تكريم العاملين المخلصين من أبنائها وعلى رفع شأنهم وإطراء عمامهم أيام حياتهم وإقامة التماثيل لهم بعد وفاتهم تحليداً لذكورهم وتذكيراً للناس بهم لينسجوا على منوالهم .

والشعب السوري النبيل لم يكن أقل من تلك الأمم في تكريم أبنائه البررة تقديرًا لأعمالهم وتضحياتهم في سبيل أمتهم وبلادهم واعترافاً بفضلهم . ولا أدل على ذلك من استقباله الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر يوم عودته وأخوانه في الرابع عشر من شهر أيار ١٩٣٧ من مصر بعد اغتراب دام اثني عشر عاماً ، وقد وصفنا آنفاً هذا الاستقبال الرائع المنقطع النظير والذي لا يضاهيه في روعته إلا استقبال سمو الأمير فيصل عند عودته من مؤتمر السلام عام ١٩١٩ .

يبد أن الشعب مهما ارتقى في تربيته السياسية لا بد وأن يوجد بين المستغلين بالسياسة فيه، من اعمامهم حب الذات وأكل صدورهم لطقد والحسد وكذلك من اعتادوا أن يزينوا آراء غيرهم مهما كانت صحيحة ، ويتهموا بالخيانة والعمالة كل من يبدي رأياً مخالفاً لرأيهم ، لذلك ساء هذه الفئة الخائفة الحاسدة أن يلمح اسم الشهبندر وأن يعترف به في أوروبا وأمريكا كزعيم لسوريا، ويردد اسمه في الصحف ألف مرة مرة في حين لا يذكر اسم أي واحد منهم إلا نادراً ، أو لا يذكر شيئاً ، وما ذلك إلا لأنه ليس فيهم من يتحلّى بمثل ما يتحلّى به الزعيم الشهبندر من علم واسع وعبقريّة فذة وقدرة خطافية ساحرة كان يلهب بها روح الجماهير وما إلى ذلك من كريم الصفات ، لذلك لم يتورعوا عن الكيد له وبث الدعايات المفضنة

الوطن النجم

بعد موت زعيمه بيد القدر والاجرام

هل عرف هؤلاء الذين اغتالوا الشهيد أسس أمة جريئة ارتكبوا ، وأية صفحة طورا ، وأي رجل حرموا البلاد منه ؟

إنهم لو عرفوا ذلك لما أقدموا على جرأتهم الشنعاء مهما كانت الدوافع اليها ، ومهما كانت الغريات المشجعة عليها ؟

ولكن هؤلاء الضملاء عرفوا الشهيد اسما فقط ، ولم يعرفوه زعيما وعالما ، ومصلحا وطنيا وجهادا وخطيبا ، ووطنيا صادقا ومؤرخا آمينا ، ولو عرفوا هذا لترددوا طويلا في الإقدام على الجريئة ، ولوجدوا من الضمير متهما ضعف رادعا يردعهم عن جنائهم التي غمرت النفوس بالسخط والنقمة .

ماذا فعلتم يا هؤلاء ؟

لقد أسأتم الى الوطن إساءة لا تغفر

لقد أعطيتهم أفتح أمثلة بالنتكر والمفروق واللؤم .

لقد ضربتم مثلا شنيعا على أننا أمة لا نقدر الاخلاص ، ولا تعرف الوفاء ؟

أمكنذا يكافأ الشهيد على وطنيته واخلاصه وتقانيه في سبيل وطنه ؟

لقد قتلتم أمة برجل لو كنتم تعلمون .

أربعون عاما كلها نضال في سبيل سورية والعروبة .

أربعون عاما كلها تعذيب ونقي وسجن وتشريد في سبيل استقلال سورية .

حوله حتى عن تدبير المؤامرات ضده بغية القضاء على زعامته .

ففي ساعة سوداء من ضحى اليوم السادس من شهر تموز عام ١٩٤٠ قامت عصية من الاشرار الفادرين الاثمين واطلقوا على فقيد الوطن والعروبة وأبي المجاهدين في عبادته في منزله تلك الرصاصية المجرمة التي أودت بحياته، بعد ان دخلوا عليه وهو يقوم بعمله الانساني بحجة أنهم مرضى فقتلوا بجريتهم المنكرة، التي روعت النفوس وصرمت الانفاس، على الرجل الكبير الذي وهب عقله وصحته ووقته لوطنه وأمنى أيام حياته في النفي والسجن والاضغراب وساحات الجهاد ، قفوا على رجل العلم الصحيح والوطنية الصادقة والاخلاص والكنفاح المرير ، وقد أحدث هذا المصاب الأليم والمخطب الجلل حزنا بالغا في النفوس فنتيجته البلاد الى مواراه الاخير بدموع سخية وأنفاس مستعرة ووارت الرجل العظيم في جوار صلاح الدين العظيم .

هذا وقد اتهم السادة جميل مردم بك وسعد الله الجزائري ولطفي الحفار من زعماء الكتلة الوطنية، الذين ذهبوا آنذا الى العراق، بأن لهم ضلما بالحادث ولكن المحكمة العسكرية الفرنسية برأت ساحتهم وحكمت بالاعدام على القاتل أحمد عصامه وعلى شريكه في الجرم صالح معترف وأحمد الطرايبشي الذين نفذ حكم الاعدام فيهم يوم الاثنين الواقع في ٦ محرم ١٣٦٠/٣ شباط ١٩٤١ ، والشعب السوري الحزين وان كان لم يشك ابدا ببراءة السيدين الجزائري والحفار فإن كثيرا من علامات الاستفهام ظلت تتراعى أمام أعينه بالنسبة للسيد جميل مردم بك ، وهناك من يتهمه بأنه كان متآمرا في تدبير الجريمة مع السلطة الفرنسية وأنه لو لا ذلك لما استطاع الإقدام على ارتكابها .

أما الشيوعيون للحوادث السياسية من العاملين في الحقل الوطني فإنهم يحملون مسؤولية تدبير حادث الاغتيال للسلطة المذكورة وحدها لاتهامها الزعيم - ظالم وعدوانا - بأنه يعمل لمصلحة الانكليز وان مصلحة فرنسا توجب التخلص منه والتاريخ وحده كفيل بإظهار المسؤول وانصاف المظلوم .

الرحمن الشهيد ، يا رجل المبادئ الوطنية ، يا سيد المواقف المشرفة طيلة حياتك ، فانها لتتجه في نفس الوقت الى السلطات المسؤولة في البلاد ، لتقول لها بلسان واحد : اننا ننتظر نتيجة التحقيق عن أول وأعظم جريمة من نوعها عرفها تاريخ هذه البلاد . والسلطات لن تعجز فيها نعتقد عن كشف الستار عنها لتعيد الى النفوس المثالة روحها .

جريدة الأيام
٨ تموز ١٩٤٠

أربعون عاما زاهرة بالمناعب والالام من أجل الوطن .

كل هذا كان الجواب عليه رصاصة جرحمة أطفال مشعل الوطنية والعلم في هذه البلاد ، وحرمتها من رجل لا يحود الدهر بمثله كل مائة سنة مرة ، فيا لتعاسة سورية ما أسوأ حظها ، ويا لشقاء أبنائها ما أقبح طالعهم .

لقد كان الشهيد تاريخا صادقا لهذا الوطن بعلوماته وتجاريه واختباراته ومشاهداته ، وكان ينبوعا صافيا للثقافة العالية والعلم الغزير ، ورجعا أمينا لآلام الانسانية يخفف من حداثها وشديها ، ونورا يهدي الأمة الى الطريق القويم ، فهل في الدنيا ضمائر أكثر إجراما من التي تأثرت على قتله ؟ وهل تنفع الوطنية الصادقة ، والعلم الصحيح ، والتجرد لخدمة الصالح العام في وطن يحمل على أرضه قليلا او كثيرا من هذه الضمائر التي تدفن ثروة الوطن بيديها ؟

لا تقتصر الخسارة ب موت الشهيد على عنصر واحد من عناصر الأمة ، بل شملت الوطن بجمع عناصره ، فالوطنية خسرت زعيمها ، والثقافة سيدها ، والانسانية طبيها ، والمآبر أميرها ، والمجالس بلبلها ، فيا وريح أناس لا يقدرون هذه الثروة كلها تجتمع في رجل واحد .

إننا إذا بكينا الشهيد ونحن نخشي اليوم وراء جثمانه ، نجد أنفسنا أحق بالبكاء على هذا الوطن اليتيم الذي لا نعرف ماذا يخشي له القدر بعد هذه الطالايح السوداء تبدو بين حين وآخر ، وهو لا يزال في فجر نهضته الاستقلالية وحياته الحرة ؟

أيها الوطن

إن خسارتك اليوم بقدر الرجل الذي كان مناط أملاك ، ومقد رجاؤك قد زرع في نفوس بنيك اساس العقيدة بالاخلاص والوفاء لن يعمل في سبيل مجدك ومعادتك وقد تكون خيبة أمل شديدة تؤثر في مجرى حياتك السياسية الى أمد طويل ، اذا لم يثبت أبنائك انهم شديدي المقت والسخط على من يفسس بديه بدماء الأحرار الشرفاء ، ويهدم أقوى اركانك بعمول الاجرام .

وإذا ما قالت الأمة بلسان واحد في هذا اليوم رحلت الله عليك يا عبد

موسم من الحزن لفردوس مختل زعيم البلاد

تفصيلات واسعة عن المؤامرة الشنيعة وأوصاف القتلة
التحقيق الواسع والاعتقالات يوم أمس

روعت دمشق أمس بالنبا الصادع الذي أوردى بحياة فقيد الوطن والأمة المفقور له الزعيم شهيد بندي فئة جانية بيتت المؤامرة الشريرة في ليلة سواد وقد ذهلت المدينة وسكانها قبل بقية الاقطار لموت الرجل المعلم الذي ظل أميناً على عهد أمته وبلاده سحابة أربعين عاماً قضاها في اللورد عن حياضه ، بين مجاهد ومعترب ومعتقل .

ولا بد من القول انه من الصعب على الكاتب ان يعطي صورة صادقة للشعور الأليم الذي ساد جميع طبقات الأمة من هول المفاجعة التي وقعت قبل ظهر أمس بدقائق معدودة وبسرعة تشبه لمح البصر كان النبا سارياً في المدينة سريان الكهرباء ، ثم امتد الى المدن والأرياف فطيرت البرقيات وأذيع النبا بواسطة التلفزيونات الى الأماكن القريبة والقريبة .

كيف نفذت الجناية

أما كيفية وقوع الجناية ، فهو ان المفقور له كان يداوي أحد مرضاه وفي عيادته الفنى السيد نعيم حسان والحادم السيد ابو ابراهيم الكردي ، وفجأة دخل ثلاثة اشخاص احدهم يرتدي بذلة افرنجية والاثنان الاخران يرتديان ثياباً (بلدية) وقد تظاهر احدهما بأنه من فلاحي النورطة فوضع على رأسه (طاقية) والاخر ارتدى كوفية . وكانت سلة تفاح بيد احدهم ، وجلسوا بغرفة الانتظار ريثما ينتهي الدكتور من معانية المريض الموجود لديه ، وعندما انتهى من فحصه وغادر المريض دار المعالجة دخل الثلاثة غرفة الزعيم وأقبلوا الباب وراءهم فاستقبلهم وأنسهم وجلس الى مكتبه ، وجلس على يمينه الجاني الذي اطلق الرصاص على مسافة متر واحد منه ، كما جلس

حيث حضر الى دار الزعيم الفقيد بعد نقل جثته النقية الطاهرة الى داره وهناك أعيد فحص الجثة بحضور الطبيب الشرعي الاول الدكتور رشدي بك الطرزي .

ثم نقلت الجثة الى السرير الذي فرشت عليه الازهار والرياحين وفي هذه اللحظة ابهرت الدموع وتعالى النحيب وارتفعت الصيحات فذاك يا زعيم فذاك يا ابا الوطن ، فذاك يا عالم الوطنية ويا صاحب المعركة الأولى .

استمرار التحقيق

ظل التحقيق مستمرا حتى ساعة متأخرة من الليل كما يقوم رجال الدرك الفرنسي بتحقيقاتهم الخاصة ، وقد جرى في الليل تفتيش بعض القرى والاحياء واستجوب عدد غير قليل من الأشخاص . وفي صباح اليوم استؤنفت التحقيقات في دوائر القضاء وحتى الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر هذا اليوم لم يطرا شيء جديد على سير التحقيق في معرفة هويات الفتنة الجرمين .

كيف وقع الحادث ؟

والى القراء التفاصيل الجديدة عن كيفية وقوع هذه الحادثة المؤلة كما افاد خادم الزعيم وهي تلخص بما يلي : ففي نحو الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا قبل الظهر حضر الى عيادة الزعيم في شارع الفرنسيكان ثلاثة اشخاص يرتدون اللباس المختلف وواحد منهم يرتدي البدلة الفرنسية من اللون الرمادي طويل القامة اسمر اللون وهم يحملون سلة من التفاح فاعطوها الى الخادم وسألوه من عند الدكتور ؟ فاستأذن الخادم من الدكتور بشأن السلة فسمح له بقبولها وبعد دقائق قليلة سمع الدكتور للأشخاص الثلاثة بالدخول الى غرفة المعايبة حيث كانت خالية وظهر انهم طلبوا اليه معايبة احدهم بحجة انه مريض فوضع السماعة على أذنيه وباشر المعايبة ، وفي غفلة المعايبة كان أحدهم الواقف الى جانبه قد أطلق عليه العيار الناري بتلك اليد الجرمية القاسية فوقع على الارض مضرجا بدمائه يشكو ظلم الانسانية بعد جهاد أربعين سنة في سبيل خدمة الوطن وفي أذنيه السماعة .

الاخراخ قبالته ، وعندما أخذ الزعيم يفحص قلب احدهم وعلى أذنيه سماعة الطب عاجله الشخص الذي كان بجانبه بطلقة واحدة من مسدسه اخترقت حلقة اذنه اليمنى وخرجت من صدغه الأيسر متجهة نحو الحائط ، فلاسته ثم ارتدت عنه الى الأرض،وعندها نهض الزعيم لمول المفاجأة ولكنه هوى الى الأرض فاقد الرشد عما سبب له كدمة شديدة في جبهته ، وعندما أدرك الجناة انهم بلغوا غايتهم غادروا المكان ، فصادفوا الخادم ابا ابراهيم فهددوه بالقتل اذا نس بينت شقة ، وكان الجاني الرابع يرمصد اول السلم والجاني الخامس يتنظر في السيارة التي كانت واقفة في منعطف شارع الفرنسيكان في شارع البرلان العام ، وقد ركبا السيارة وأشهروا المسدسات على السائق وانجحت من نحو مدرسة التجهيز فطريق التكية المولوية فطريق محطة البرامكي فجادة الملبوني ، وهكذا ظلوا في سيرهم حتى اعترضتهم رقعة غير معبدة بالقرب من محلة النخاعة فترجلوا من السيارة وعندما طالبهم السائق بالاجرة هددوه بالقتل فقتل عائدا وظلوا في طريقهم .

وعلم رجال الشرطة بالحادث فور وقوعه فأسرعوا الى المكتب وهناك وجدوا الزعيم مكبا على وجهه ولا يزال فيه بقية رفق فحملوه الى المستشفى ولكن فانست روحه الكبيرة في الطريق فما وصل الى المستشفى إلا وموجنة هامة .

سير التحقيق

أما التحقيق فقد عهد به الى كل من الأساتذة السادة : عبد الرؤوف بك سلطان النائب العام وفلاذير بك سيع المستنق الاول ونصوح بك الأيوبي معارون نائب رئيس الجمهورية فاستجوبوا سائق السيارة رقم ٢٣٤٩ المدعو احمد عبد الغني الدعدوش وهي السيارة التي أقلت المجرمين القتلة ووقعت الهبة المخلفة على هيئات القتلة وأشكالهم وعممتها على جميع دوائر الأمن ومخافر الدرك والدوائر ذات العلاقة ، وبشرع بعدئذ باعقال المشبهة ٣٢ .

مدير العملية يشرف على التحقيق

ويشرف على سير التحقيق مدير العملية العام الاستاذ خليل بك رفعت

سوق التين وعلم بتحري الشرطة عنه ذهب الى مفوض السير وسلم نفسه .

تقرير الشرطة الرسمي

وهذا ما جاء في تقرير الشرطة الرسمي عن هذه المفاجعة :

وفي الساعة ١٢ دخل ثلاثة اشخاص مجهولي الهوية عيادة الدكتور الزعيم عبد الرحمن بك شهيندر الكائنة في جادة الشعلان يحمل احدهم سلة تفاح اليه على سبيل الهدية عندئذ أطلق احدهم عيارا ناريا من مسدسه من نوع برايلر عليه فاصيب في رأسه وسقط على الارض للحال مغنيا عليه ، ونقل على الاثر الى المستشفى لاسعافه وهناك فارق الحياة ، وقد أجبرت بذلك القمامات الايجابية فحضر معاون نائب الجمهورية الاستاذ نصوح الأيوبي والمستطلق الاستاذ فلاديمر السبع وتوليا التحقيق وعقب الحادث قبض على سائق السيارة ذات الرقم ٢٣٤٩ المائدة للسائق احمد عبد الغني وعدوش التي فر بها الغتالون والبحث جار للقبض على المجرمين القتلة .

التقرير الطبي الرسمي

وهذا نص التقرير الطبي الذي وضعه الطبيب الشرعي الاول بدمشق الدكتور رشدي بك الطرزي عن هذه الحادثة :

تقرير رقم ٣٠٧٩

في الساعة الثالثة عشرة بعد ظهر يوم السبت الواقع في ٦ تموز ١٩٤٠ ذهبت الى المستشفى العام لمعاية الزعيم المرحوم الدكتور عبد الرحمن بك الشهيندر للتحقق عن أسباب وفاته ، وقد وجدت جثته موضوعة على المنضدة في غرفة الضماد ، والمرحوم أبيض اللون خروبي الشعر ، اشقر الشاربين ، أزرق العينين ، متوسط البنية ، طوله ١٨٩ سنتيمترا يبلغ من العمر ٦٥ عاما تقريبا .

وبعد تجريد اللابس عن جثة المرحوم الدكتور شهيندر أجريت فحصه وطلبت نقل جثته الى داره حيث كان حضرة نائب الجمهورية معاون السيد نصوح الأيوبي يقوم بإجراء التحقيق ، وهناك في غرفة عيادة المرحوم الدكتور شهيندر الخاصة أعدت معايته مرة ثانية بحضور مدير العيادة العام

وهنا سمع الحادم صوتا فدخل الى الجناح الشرقي من العيادة وسأل الطاهية بقوله - ماذا كسرت ؟ فأجابته - لا شيء ولا أخرج الى صالون العيادة شاهد هؤلاء الأشخاص الثلاثة ويبد احدهم مسدسا وقد وضعه في صدره قائلا - قتلتك اذا لفظت كلمة واحدة فاضطرب الحادم وهكذا غادروا العيادة مهرولين .

إفادة السائق

وبستفاد من إفادة السائق الموقوف انه بينما كان واقفا في موقف سوق التين جاءه شخص قبل الظهر وسأوه على نقله الى شارع البرلان والعودة به الى الميدان بأجرة قدرها ٧٠ قرشا وامتنع هذا الشخص السيارة وسارت به حتى منعطف الشارع الذي تقع فيه عيادة الزعيم شهيندر وهناك طلب الشخص من السائق الوقوف فوقف ، وعلى الاثر تقدم الى السيارة شخص في نحو الثامنة عشرة من عمره وقال للراكب في السيارة :

- الجماعة في الانتظار .

- ها قد جئت وأين هم ؟

- حاضرون .

- انتظر في السيارة حتى آخذ المريض لعند الدكتور .

وهكذا غادر الشخص القادم بالسيارة بعد ان ترك الذي لاقاه ، وبعد مضي نصف ساعة تقريبا عادوا اربعة اشخاص والراقب الواصل عند السيارة خمسة اشخاص وهم مشهورون مسلمساتهم وعليهم علامات الاضطراب وطلبوا الى السائق سرعة السير الى كفر سرسة وشارت السيارة بطريق زقاق الصخر - جسر الحرية - شارع سيدي خار - طريق الفحامة وبالتقرب من مفرق الشويكة توقفت لعدم تمكنها من متابعة الطريق بسبب وعورته ويقام العمال باصلاحه ، وهكذا غادر الجناة الخمسة السيارة وعاد السائق .

وصدفت أثناء سير السيارة بتلك السرعة ان شاهدا احد جنود الاطفاء فحرف رقعها ولا شاع النبا المؤلم في دائرة الشرطة عن رقم السيارة انشر رجالها يشتبهون على السائق ولكن السائق بعد ان عاد الى الموقف نفسه في

في بيروت عن هذا البناء .

وينتظر وصول عائلته على متن طائرة خاصة .

أثر المفاجعة

أما أثر الحادث في المدينة فقد كان بالغاً منتهى الأسف والأم وأخذت وفود المدينة والقرى البعيدة والقرية تعد إلى مكتب الهيئة الشعبية مستفسرة عن الخبر بين مصداق ومكذب . وقد عرف بائع التفاح والكان الذي شري المجرمون السلة منه ، كما أوقف عدد غير قليل من الأشخاص المشبه بهم ، وقد أحيل قسم منهم إلى قلعة دمشق ، والقسم الآخر في سجن النظارة رهن التحقيق غسك عن ذكر أسمائهم .

وما برزت شمس هذا اليوم على المدينة إلا والسكون يجثم على أرجائها فنانس واجون ، والقلوب مغممة بالآسى ، على الفقيد العزيز ، ومربطو أي الذكر الحكيم ملتفون حول نعش الفقيد والمؤمنون برسالة زعيم الوطن يجرون من أمام الجدارت يلقون عليه النظرة الأخيرة مودعين !

الأيام

٨ تموز ١٩٤٠

والمحققين وذلك بعد حلف اليمين القانونية حسب الأصول ، فلم أشاهد في جميع أنحاء جسمه آثاراً ترصيفية تدل على الضرب أو التعدي أو العراك أو المقاومة ، أو على استعمال الجبر والشدة ، وشاهدته مصاباً بجرح ناري فتحته الدخولية منتظمة الجواني بقطر مستمر واحد مستديرة الشكل عليها وشم البارود كأنه على التوتر الحلمي في الناحية الحلمية اليمنى - خلف الأذن اليمنى - وبعد سير غور الفتحة المذكورة تبين أن الرمي الناري قد دخل من هذه الفتحة وسار من الأيمن إلى الأيسر ومثلاً قليلاً جداً عن الأسفل إلى الأعلى فكسر العظم الصدغي الأيمن ثم مرق السحايا وجوهر الدماغ وخرج من فوهة خروج مشرشرة الجواني بقطر مستمر واحد بالناحية الحلمية اليسرى و فوق التوتر الحلمي الأيسر بخمسة استمرت بعد أن كسرت العظم الصدغي الأيسر .

وقد شاهدت كمية غزيرة من النزف الدموي تسيل من الفوهتين الدخولية والخارجية كما شاهدت أيضاً في غرفة العيادة وبجانب المدور على الأرض كمية كبيرة من النزف الدموي - الدماء - تزيد على اللترتين .

النتيجة - يتضح من الشروحات السرودة أعلاه أن المدور المذكور عبد الرحمن بك الشهيد للمومي اليه قد توفي بنتيجة النزف الدماغي الحاصل من تأثير الرمي الناري النافذ إلى الدماغ .

هذا وإن وضعية الفوهة الدخولية تدل على أن الرصاصة قد أطلقت من مسنن بمسافة لا تزيد عن السبعين سنتيمترا .

دمشق في ٦ تموز ١٩٤٠

الطبيب الشرعي بدمشق
رشدي الطرازي

عائلة الفقيد

هذا ما جاء في تقارير الشرطة والطبيب الشرعي ، وقد طرقت البرقيات ليل أمس إلى مختلف الأنحاء السورية ، كما طرقت برفقة إلى عائلة الزعيم في القاهرة ، وطبر المحامي الاستاذ حسن الغزاوي برفقة إلى قنصل مصر العام

لنا هرونا الليت العيون مات جبر الرحمن سبندر

ابت الفروس الائمة الا ان تفجع البلاد السورية بزعميها
ومقد رجائها، فقد دخل جماعة من الجرمين منزل المذكور
عبد الرحمن شهيدن قبل ظهر يوم - السبت - واطلقوا عليه
عبارات نارية اردته قتلا، فبا لمصاب سورية والعالم العربي ما
اعظمه، وبا لجرح العروبة ما ادماه.

لقد مات زعيم الامة، مات امام المجاهدين، مات معلم
الوطنية، مات مفخرة الثقافة، مات الشهيد الحي، مات اعظم
رجل النجيه البلاد، مات الرجل الذي سجل في تاريخ سورية
اجد الصفحات، وبطل في سبيل تحرير العرب اكرم
الاضحيات، فليغر عليه الجزن كل قلب، ولتجلد ذكراه في
كل نفس، وليظهر الشعب المفجوع بجله وفاة لمادى الراحل
المعظم ونسكه برسائه الوطنية المجيدة التي ما زال يؤديها حتى
سقط شهيدا، رحمه الله.

ان هذا اليوم يوم حداد عند الوطنيين في كل بلد وفي كل
قرية وفي كل دار، واليوم - الاحد - ستعلن المدينة بعد الظهور
ليشارك الناس جميعا في تشييع جثمان الفقيد الكبير، الذي سيقتل
في الساعة الخامسة من دار عيادته الى المسجد الاثري حيث يصل
عليه ثم يدفن الى جانب عظيم الشرق الخليفة صلاح الدين
الايوبي.

رحم الله الفقيد واهم بلاده الصبر وانا لله وانا اليه راجعون.

مولد شبيب جبران فقيد العرب الرحيم المرحوم الدكتور عبد الرحمن شبيب

تتبع الأمة جثمان فقيد المروية وزعيم سورية الفقيد المرحوم الدكتور عبد الرحمن شبيب على الوجه الآتي:

١ - تجتمع جماهير الشيعين ابتداء من الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد في ٧ تموز سنة ١٩٤٠ في دار « المجبة الشعبية » في محلة عزنوس، وفي الساعة الرابعة والدقيقة « ٤٠ » تحيي الجماهير الى دار الفقيد في شارع الفرنيسيكان .

٢ - في الساعة الخامسة يوضع جثمان الفقيد على سيارة خاصة ويغطي الجثمان بالسواد والاعلام السورية والعربية.

٣ - تتقدم مركب الفقيد محلة الاكليل ، فرسم الفقيد، فالكنيسة، فموسيقى الاسعاف، فرجال الشرطة والدرك، فشرطة البلدية، فالؤذنون، فالسيارة التي تحمل جثمان الفقيد.

٤ - يحشي وراء الجثمان: آل الفقيد، فالرجال الرسميون والرؤساء، والوزراء السابقون فرجال الدين والرؤساء الروحانيون، فاعضاء الهيئات الشعبية، فرجال الصحافة فالوجوه والاعيان والاطباء والتجار والشباب والطلاب ومختلف طبقات الاهلين.

٥ - يتحرك المركب من منزل الفقيد في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة مجتازا شارع البرلمان، فتسارع الصالحية، فتسارع فؤاد الاول فمحطة الحجر فشارع النصر فسوق الحميدية، فالمسجد الأموي.

٦ - بعد اداء الصلاة على جثمان الفقيد في المسجد الاموي

كلمة الشعب

(قالها امس في مهرجانه الاكبر)

كان يوم امس من ايام دمشق التاريخية كان يوم فجيعة الوطن بزعم الوطن. كان يوم استفتاء عام لجميع سكان دمشق على اختلاف الملل والنحل. شيئا وشيانا نساء واطفالا، في حجة هذا الشعب لرعيهم الفقيد.

لقد شيعت دمشق يوم امس الشهيد الى مرقده الاخير، كما استقبلته يوم عودته الى الوطن في عام ١٩٣٧ بعد اغتراب استمر اثني عشر عاما.

المدينة المغلفة الصامته، والزخوف الدافقة والمواكب العظيمة الوافدة من مختلف احياء العاصمة والقرى شكلت يوم امس وداع الزعيم الاخير نفس المركب العظيم الذي شكلته يوم استقباله.

فالشهيد اذن ظل حبيب الشعب حتى النفس الاخير.

وفاجعة الوطن يفقده قال الشعب فيها كلمته يوم امس في مهرجانه الاكبر.

ان مركب امس الخالد في تاريخ هذا الوطن تكلم بافصح لسان عن مبلغ نقمة الامة وشدة حنقها على الماكرة الفادرة التي حرمت البلاد من قائدها الامين، وان مركب امس القى في نفس المؤولين دون شك مبلغ انتظار الامة ورقابتها نتائج التحقيق الذي يتوقع الجميع ان يجري بقياس واسع جدا من الاهتمام والنشاط، لان العقيدة القائمة في النفوس ان سلطات الامن والقضاء لن يعجزها ابدا ومطلقا امانة الثنام عن اسرار هذه الجناية التي روعت الامة، وادمت قواها.

-
- يخرج المركب من باب العمارة الى مقام الحليقة المادل السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث يدفن جثمان الفقيد في جواره.
- ٧ - تلقى في صحن المسجد كلمات التالين من قبل اخطابه اللين عيتهم لجنة تنظيم المركب.
- ٨ - بعد انتهاء الخطب تفرق الجماهير بهدوء.
- ٩ - تقبل التمازي في مكتب الهيئة الشعبية، مساء ايام الاحد والاثنين والثلاثاء من الساعة الثامنة حتى الساعة العاشرة.
- » لجنة تنظيم المركب «
-

مستبيع الرمال والطين

وفي الساعة الخامسة تحرك المركب من المكتب لتقديمه صورة الزعيم الراحل مجلّة بالأسود وفتيات مدرسة دوحّة الأدب في نظام رافع ثم حلّة الأكابيل الي زاد عددها على الثلاثمائة عرفنا منها من الرجال الرسميين وغير الرسميين ما ننسره كما يأتي دون ترتيب:

سلمان الأطرش، الأمير عبد الله، نصوحى البخاري، رئاسة مجلس المدبرين بروج الخطيب، محافظة العاصمة، صفوح الزيد، فارس الخوري، آل البكري، اسمد البكري، محمد سعيد المحاسني، خالد العظيم، عصبة العمل القومي، حسن الحكيم، الأمير سعيد الجزائري، فصل العراق، زكي الخطيب، فوزي الفاوقجي، محمد كرد علي، آل الشرباتي، الداماد احمد نامي، تاج الدين الحسني، آل التقي الماحري، الجالية السورية في مصر، الجالية السورية في المهجر، الهيئة الشعبية في صيدا، بيروت، دير الزور، طرابلس، حمه، حلب، حمص، ادلب، شباب العراق الاحرار، آل الشهبندر، اللجنة التنفيذية العليا للكشاف السوري، نادي فيصل، الكشاف العربي، المجلس الاعلى للكشاف العربي، الدكتور منير شيخ الأرض واخوته، شاكر ديب نعمة وعقبائه سارة، نادي الروشان الكشاف الرياضي، محمد جميل الكحال واوالده، اتحاد نقابات العمال العام، مصطفى وصفي، المحافل الماسونية، الشرق الأعظم السوري، مدرسة جمعية الدعوة، نادي دمشق، نادي الاتحاد الرياضي، نادي الانترنايك، الجامعة السورية، طلاب التجهيز، المحاربون القدماء، نادي الشباب الرياضي، احياء القيصرية، العقبة، سوق ساروجة، القضاخ، الميدان،

ان كل عين في البلاد تنظر اليكم ايها المحقرن وتنتظر نتائج
تحققناكم التي يتوقف عليها وحدها وضع حد حاسم لتيار الشبهات
والشائعات .

لقد كان الوطن في عاطفته واحترامه وتقديره وفي كل الوفاء للزعيم
الفقيد في حياته وعند موته. ولا بد ان يبرهن المحققون وهم من ابناء
هذا الوطن عن هذا الوفاء بكشف الغطاء عن مؤامرة يريدون من
ورائها ان يفتحوا باب الفتنة على مصرعيه، فليكن المحقق وحده كفيلا
بإغلاق هذا الباب.

ان الناس ينتظرون.

جريدة الأيام
٩ تموز ١٩٤٠

دار العملات، واحاط الكشافون بالعمش الموضوع على السيارة.

وسار وراء العمش رجال الحكومة، وللدروب الكونت دي هوتكوك، ومستشار الداخلية والوزراء السائقون، قناصل الدول، الرؤساء، الروحيون، رئيس واعضاء محكمة التمييز العليا، وجهاء المدينة واعيانها، طلاب الجامعة السورية، طلاب المعاهد الاخرى ووفود الامة من مختلف الاحياء والضاحية.

واخترق المركب شارع الصالحية فشارع فؤاد الاول وليس في وسع احد ان يصور هذا السيل اللامع من الناس، وماذا يُعَدُّ يا ترى؟ هل يعد المشيعون وراء المركب وليس هناك الا المالكب ترجم المالكب، ام الذي لم يعد هؤلاء الذين جلسوا في شرفات المنازل ووقفوا على الأرصفة ليكون تشهد البلاد له مثيلا ويتحجرون، فما في هذه المنازل كلها الا ماتم سواد، وما في صدور هؤلاء الناس جميعا الا شعور واحد، هو شعور اليتم بفقدان ابيه، وشعور الثكل وهي تودع وحيدها وفلة كيدما وحامي فدارها الى جثته.

لقد ضاق المركب بالناس، فهم في كل مكان من الشوارع وفي كل منعطف، وكاد نظام المركب يختل، وابن النظام في مثل هذا الزحف المعجب، الذي لم يشهد هذا البلد مثله، الا يوم استقبلت هذه الامة الزعيم الذي تسير في مركب موته.

وعندما وصل المركب الى جسر فكوريا جاءته الروافد من هنا وهناك كشعب السيل طفت في ملتقاها فليس له اول وليس له آخر، واجتاز الجسر في طريق عجلة الحجاز وانجه في نهاية الطريق الى شارع النصر، فسوق الحميدية فالجامع الاموي الكبير ولا تسلك عن الجموع التي كانت تنتظر المركب في ساحة الجامع وفنائه من شباب وشيوخ وكهول علقت ابصارهم بالجثمان بلقاه العلم، واشتوت مآقيهم بالدموع، وهنا وصلت وفود البلاد السورية فالتحقت بالمركب.

الحلاليون في

وبعد ان صلى المصلون صلاة الموت، خرجوا الى الصحن الواسع المسجد سمع حيث اعد منبر للمخطيء الذين تعاقبوا واحدا بعد واحد، وكان في كلمات الفلين

الصالحية، مأذنة الشرح، الاكرا، زكي ونزي سكر، مدرسة الكلية العلمية الوطنية، شباب سوق ساروجة، ناي قاسيون، ناي كردستان، سعيد حيدر، درويش المحلاقي، خليل معنوق، هاني الجلاد، جورج صحتاري واخوانه، بدري المعظم، الفرقة الفنية للتمثيل، شفيق دياب، منير المحلاقي، ابو الفرج الموقع، وحيد الحكيم، يوسف دبوس، منير السادات، معروف الارناؤوط واسرته، الدكتور زاهر، فؤاد القضماني، امين عربي كاتي، نصوح بابل، الدكتور ابو غنيم، محمد راغب العقاد، نصوح مملوك، الدكتور سموي، جمعية دفن الورق الاسرائيلية، سعيد الزواوي، نسب وعارف الحجار، نقابات الحياطين، الخلافة، وغيرها من عمال النقابات على اختلافها.

ورفعت لوجات سوداء كتب عليها (دمشق تبكي فقيد العرب) (الزعيم خالد بذكراه) (المحامون يرثون زعيم العروبة الاوحد وحامل لواء نهضتها الامين) (مات سيد المناير) (المجاهدون يكون زعيمهم) (شلت الايدي الائمة) (من تصدى لخدمة الناس عليه ان يغسل اقدامهم) (مات الشهيد الحلي). ولوجات من كلماته الخالدة (سورية جزء لا يتجزأ من العالم العربي) (لا أرضى لي وطنا غير بلاد العرب) (الوطن من روح الله ومن جان الوطن خان الله فقد تجرأ على حرمة الامة).

لا اله الا ورحم المركب في شارع بوزيك الى شارع الفرنسيكان حيث عيادة الله... السون الزعيم وهناك على شرفات المنازل المتصلة من اول شارع الفرنسيكان تفيض

بالدموع حتى العيادة، كانت النساء تصيح باكية فابكين الناس جميعا، ووقف المركب وقفة صامتة خاشعة، انزل الجثمان العالي من العيادة واتسق نظام المركب وسار الى شارع البرلان وهنا عرفت موسيقى الاسعاف الحيري الشيد الحزين وصاح المؤذنون لا اله الا الله... وانفجرت الاعين بدموع سحابة ووقفت صفوف الشرطة والكشافة وقدم الجميع اربع سيارات للجمعيات النسائية بدمشق مجللة بالازهار والسود وهي تحمل دوحة الادب، يقطر المراء الشامية النادي النسائي الادبي، خرجات

وارثجل الوطني الكبير والمجاهد الأستاذ سعيد بك حيدر خذرن الزعيم القديم وصديقه الحميم خطابا جاء فيه: انكم تسبكون اليوم الرجل الذي اهب افئكم وهز مشاعركم بخطبه البليغة وحكمه الخالدة، الرجل الذي وضعت فيه الامة كل امالها وامانيها، هذا الرجل الذي غدرت به ايد ائمة لعينة جائزة في غفلة من الزمن. ثم ناشد الخطيب القضاة ان يعمل خلاصا مسرعا لكشف النقاب ومعرفة الجناة الذين نصب هذه الامة الخريبة للخدمة لعنايتهم عليهم اجمعين.

والقى المجاهد الوطني الاستاذ عبد القادر القواص كلمة حماسية بكى فيها الزعيم بكاء ويفا خلاصا، وتحدث عن جهاده البرور في سبيل هذا الوطن ووصف اللوعة البائلة التي حلت بالعرب جميعا في كل قطر ومصر جبال هذه الكبة القاصمة النكباء وختم كلمته بقوله:

وان صخرأ لتاتم الهداة به كانه علم في رأسه نار

وارثجل الوطني المعروف الاستاذ ماجد صفية مندوب اللاذقية خطابا جيدا اشار فيه الى الرسالة المؤمنة التي حملها الزعيم المسجي وقال: اننا سنحمل هذه الرسالة مخلصين مؤمنين.

والقى المحامي الاستاذ محمد الخطيب كلمة الدكتور سامي الطيارة مندوب حصن فكانت كلمة مؤثرة وبليغة، والقى السيد عبد القادر الاناسي من وفد حصن كلمة حزينة باكية، ثم ارتجل الدكتور منير بك العجلاني كلمة بليغة مؤثرة اشار فيها الى المعنى الرمزي العظيم من دفن جثمان الزعيم شهيد الى جانب الخليفة المعادل صلاح الدين الأيوبي، ثم عدد مزايا الرجل الكبير وقال اننا لم نقف رجلا عظيما واحدا، ولكننا فقدنا من العقريات والكمالات فقد كان الشهيد خطيبا يزر الشاعر بسحر بيانه وعذنا يزر القلوب بحلاوة لسانه وزعيا يقود الامة بقوة اجانه وكان الى هذا عالما واديا من الطراز الأول، ولو ولد في ارقى امة على وجه الارض لكان من رجالها الذين يشار بهم بالبيان.

ثم استنكر الخطيب الجريفة الشعاء وقال ان الشهيد حي لا يموت. واللقى مندوب ادلب الاستاذ غالب عياش كلمة عبر فيها عن الحزن

مقدمتهم الاستاذ نصوح بايل فارثجل والالم يقيم صدره ويقعده خطابا باكا استهله بقوله:

يا زعيم الوطن، ويا ابا المجاهدين، تميت لو كنت حيا وكنت في هذا المركب الرهيب العظيم تسمع الانشودة الجميلة، الانشودة التي شيعتك بها الامة وانت تستقبل عالم الابدية (لا اله الا الله الشهيد حبيب الله) وهذا واقع وصحيح يا سيدي انك حبيب الله لانك حبيب المؤمنين وحبيب الوطن.

ان الذين اغتالوك جيلا، وقتلوك تاريخا، وقتلوك امة، فيا وريح ما فعلوا ويا لشقاء هذا الوطن.

وختم خطابه البليغ بقوله: ان الامة اتجهت انظارها وقلوبها الى التحقيق الدقيق راجية ان ييط اللثام عن هذه المؤامرة اللبينة الى ان قال: يا سيد المنابر ويا زعيم هذا الوطن الشقي ان اخوانك الذين اجهوك وعاهدوك سيكزون اوفياء لرسالتك الوطنية الكبرى ما داموا على قيد الحياة.

ثم ارتجل الوطني الكبير الاستاذ هاني بك الجلاذ خطابا رائعا استهله بقوله: ردوها علينا شمسا ساطعا غربت في وسط النهار ومن عادة الشمس ان تغرب في اصيله، ردوها علينا شمسا ساطعة مبررة لا تعرف وطنا لها، فكل اقل اقفاها، وكل ارض ارضها وكل ساء سماءها، وهكذا الشخصية العلمية، لا وطن لها لان العلم متنازع في كل قطر ومصر.

وروى الاستاذ الجلاذ في خطابه حادثا تاريخيا جابه به الزعيم عندما كان ضابطا مع احمد جمال باشا، دافع فيه عن البطولة العربية، وفي ذلك الزمن، حق الدفاع واشرفه واقواه، واثار الى حادث الاغتيال الذي وقع للخليفة عمر بن الخطاب فقال:

ان اللعنة على ابي لؤلؤة ابدية، كما ان الخليفة عمرا بقي على عمر الاجيال الخليفة المعادل والقاتح العربي العظيم.

وهذا الاكليل الذي ابعث به يعرب عن اعجابي بان هامة
الفقيد النبيل والزعيم المحبوب ودكواه الخالدة في نفوس العرب
تبقى جلية باكاليل الفخر والشرف محفوفة بآيات الاعزاز
والتمجيد.

دمشق في ٧ تموز ٩٤٠ فارس الطهوري

الشهيد يرقد في جوار الملك المعادل:

ومضى الناس الى مقام بطل الاسلام صلاح الدين الايوبي ليواروا
زعيمهم تراه ويودعوه الوداع الاخير، وكان المقام غاصاً بالسابقين اليه
من الناس، ووقف رجال الشرطة وفرق الاكتشاف حول المدفن وفي
الحديقة ووري الجسمان مرقده الاخير الى جوار البطل الكبير صلاح
الدين الايوبي والى جانب زعيم العراق ياسين الهاشمي بين اصوات
المؤذنين بذكر الله، وبكاء الناس ونحيبهم.

وهنا وقفت الطفلة مها علوي من طالبات مدرسة دوحة الأدب والفت
الكلمة الآتية بصوت متقطع سقته الدموع المهمرة، فابكت الناس جميعا
بقلب واجم حزين مؤبنة من؟ مؤبنة شهيد العروبة، شهيد الوطن، مؤبنة
من كرس حياته في سبيل هذه الأمة المنكوبة الخط. . المشؤمة الطالع عبد
الرحمن الشهيد.

أني لي أن أعبر عما ألم بنساء وأبناء دمشق أجمع من الحزن العميق
والاسى الأليم بهذا الخطب الجلل والمصاب الفادح فليبك نساء أو
أطفالا يا أبانا البار وما معلمنا الوطني ويا شهيدنا الحلي .

فتم هادئا قير العين فان ذكراك خالدة في نفوسنا على مر الأيام ومر
الاعوام.

ففي ذمة التاريخ ايها الراحل الكريم هذه الفاجعة الاليمة التي
فرحت الجفون وادمت القلوب.

وبعدئذ اصطفت عائلة الفقيد الى جانب الباب حيث تقدم اليها

المنطوي في افئدة الناس والاثر الأليم الذي تركه في هذا الوطن النازلة
السوداء.

ثم انى سعادة الوطني الكبير الاستاذ زكي بك الخطيب كلمة مؤثرة
اشار فيها الى حياة الزعيم الخالد وجهاده وختم خطابه بقوله:

ايها الزعيم المفدى، نم آما مطمش الضمير في جوار ابن اعرب الملك
المعادل والقائد المنفذ للعروبة والاسلام، نم فقد قميت ولا ذنب لك
الا انك احسنت للعروبة التي طمنت، والى الوطن المفدى الذي خرج
بجراحك الدامية.

كتب فارس الطهوري:

وبعد ذلك وقف الاستاذ نصوح بايل وشار الى البرقيات
الكثيرة الواردة بالتمزية بالفقيد العظيم والرسائل، واكتفى منها
بتلاوة الكتاب الذي ورد من العلامة الكبير الاستاذ فارس
الطهوري ومما فيه:

سيدي الأخ نزيه بك المؤيد المحرم:

منذ ان فاجاتي هذه الفاجعة الوطنية العظمى باستشهاده
الزعيم اجليل اخي وصديقي الدكتور شهيد وانا صريع الألم
المريح والحزن العميق، استنزول اللعنات على اليد الأثيمة المعاداة
والية الشريرة الخاسرة اللتان اقدمتا على انزال هذه النكبة
الخطمة للوفاء العربي والهادمة للنيل القومي في امة لاتعرف
للزعيم الا مواقف التضحية والشرف ومفاخر الجهاد المخلص
الجرد عن كل شائبة في سبيل مصالحتها واقامة كيانها على قواعد
حقها الطبيعي في الحرية والاستقلال. وحمل ما اقناه ان يكشف
الغطاء عن الاثمة الخائنين ليزل بهم اقصى العقاب واصرم
القصاص. فاقدم لكم ولاسرة الفقيد العظيم اخلص مشاعر
العزاء، وشاطركم الاسى في هذا المصاب الاجل الذي اشتد
به حزني وعظمت فيه لوعي وسلط على نفسي اليأس القاتل
واعجزني عن القيام بالواجب المقدس لرافقة الجسمان العزيز
الباية ذكراه في القلب الى ان يجيئنا الله به في دار الآخرة.

الحسارة عظيمة اسفنا شديد ، قاتل الله الممتدين ،
نشارك الامة في عزائها .

طردوس - محمود المحمود
اغتيال الشهيد زعيم الامة مصيبة عظيمة جبيننا
شركاء الكارثة .

جيلة - منبر مشبوت ، محمود معترف ، محمد محسن .
الخطب جليل والمصاب اليم بفقدان الامة العربية
ركن ، اركان نهضتها اقدم تعازي الحارة .

بيروت - تحسين قدري .
نشاطركم المصاب بالفاجعة الاليمة .

زبداني - سعاد العظيم .
فقد الزعيم كارثة كبرى للوطن الخلود للزعيم
والمجد للعرب .

حمص - حلمي الاناسي .
مصائبنا جليل بفقدنا العظيم املنا الله الصبر
الجميل .

بيروت - الدكتور احمد قدري .
ضاق الوقت وتعذر السفر ، اذا كان في موت
الشهيد مقتولا حياة الوطن فلنمت ولیمش قاتلونا .
جبهة هنانو .

الناس بواجب التعزية .

وفي المساء زحفت وفود المزين الى مكتب الشهيد لتقديم تعازيمهم
بالفقد العالي ، وظل المكتب غاصا بمئات الاشخاص حتى منتصف الليل
وسيطل يومين آخرين على هذا النوال .

تعزية المندوب وما هو جدير بالذكر أن المدينة اغلقت منذ الدقيقة التي سار فيها الموكب
من مكتب الشهيد ، كما ان مندوب المفوض الكونت دي هوتكولوك قال في
المسجد الأموي للاستاذ نصح بايل ما نفسه : (ان الشهيد شخصية
عظيمة فوفاته خسارة كبرى لا يسعي ازماءها الا ان ابدي حزني وألني ، وانني
أرجو ان تنوب عني بتقديم التعزية الى جميع اخوان الفقد والى اسرته) فرد
عليه الاستاذ بايل شاكر هذه العاطفة النبيلة .

البرقيات والتعازي

وقد وردت برقيات كثيرة من مختلف انحاء البلاد
هذا بعضها :

دمشق - نزيه بك المؤيد .
ابنكم عزائي وتأثري بفاجعة الزعيم واستشهاده ،
تغمده الله برحمته .

دمشق - فيصل الشهيد
اغتيال ابر ابناء الامة الزعيم شهيد كارثة عظيمة
نمزركم والعالم العربي .
جماه - عبد القادر كيلاي - ابراهيم النيسكي

خيري الكمكي صاحب جريدة الشرق.

سير التحقيق :

والتحقيق لا يزال مستمرا بنشاط لكشف النقاب عن الأيدي الأثيمة التي اغتالت معالي الزعيم، وقد زاد عدد المعتقلين على المائة والمشرين من مختلف الطبقات.

وقد علم غير الصحف ان التحقيق قد تطور منذ ظهر اسم واتجه اتجاهها جديدا ويقول المحققون ان الامل قوي جدا بالوصول الى النتائج في هذين اليومين وهناك معلومات ثانية عن سير التحقيق غسك عن نشرها حرصا على سلامة الاستجواب والتحقيقات الجارية.

وقد استدعى مدير العدلية العام اسم النائب العام واستوضح منه عن النقاط البارزة في التحقيق وعن الجهة التي وصل اليها ووقف على المعلومات العامة.

مواعد النعازي :

في مكتب (المبنة الشعبية).

تلقينا من مكتب (المبنة الشعبية) انه وفقا لما اذيع في برنامج تشييع جثمان فقيد الوطن الزعيم شهيدنا فانه يستقبل وفود الميزين مساء ايام الاحد والاثنين والثلاثاء من الساعة الثامنة الى الحادية عشر مساء.

ويعلم المكتب في نفس الوقت ان ابوابه مفتوحة كالسابق كل ليلة ابتداء من الساعة السادسة مساء.

ويل للمجرمين، اخلود للنفيد.

عمان - صبري الطباع، عبد الحميد دياب،

حسن الشريجي.

فاجعة مؤلة نزلت بالبلاد نعزيزكم ونعزي انفسنا بحساننا بقصد الزعيم الشهيد.

جاه - صائب فؤاد بشار، نزار المؤيد.

شام - آل الشهيد - الايام

نعزيكم والامة السورية بفقدان زعيمها الاكر.

القصير - نجيب رعد

دمشق - جريدة الايام.

فجعت الجالية السورية والعربية بمصرع الزعيم شهيدنا وهي تشاطر الامة السورية والعربية اجمع حزنها في مصابها برجل من اقداد الرجال وتستنكر اشد الاستنكار الاعداء للائيم طالبة من السلطات معاقبة المجرمين سائلة للامة الصبر على مصابها العظيم، فان الذين طفوا الشهيدن طفوا معه القضية العربية.

مصر - الجالية السورية.

ومن جملة الوفود التي امت العاصمة واشتركت بتشيع الجثمان الصحفي الاستاذ فؤاد بك قاسم رئيس تحرير الزميلة (بيروت) والزميل الاستاذ

الفصل في الصلاة

وأما في الصلاة

وصف سبلح المرحسان والذريعين الكبير

اتخذت أمس استعدادات كبيرة لاجراء حفلة تأبين فقيد البلاد الزعيم شهيدنا بشكل يتفق وجلال الخطب ومكانة الفقيد.

فمنذ الساعة الثانية من بعد ظهر أمس خف القوم الى الجامعة السورية، وقد وقف فريق من رجال الشرطة في شارع المستشفى، ووقف فريق آخر في طريق تكية السلطان سليم وهما الطريقان المؤديان لبناء الجامعة السورية، وأخذ رجال الشرطة يسمحون بالدخول لحملة البطاقات ورجال الوفود القادمين من مختلف الانحاء السورية، منذ الساعة الرابعة أخذ القوم يتدفقون كالسيل، وفي أقل من دقائق كان الناس يحتلون رتاج البناء وحدايقه وباحاته والشوارع المؤدية لبناء الجامعة ونصبت مكبرات الصوت في الجوانب وما كانت الساعة السادسة الا قليلا حتى كان مدرج الجامعة غاصا بالوافدين والأمة العلوية مكتظة بكرام السيدات والأوانس، وجللت الشرفات والنوافذ بالسواد وقد نقشت عليها كلمات كثيرة من أقوال الزعيم في الوطنية والأدب، والسلام والاجتماع ووضعت على منصة الخطابة صورة للزعيم حاملة باطار من السواد ايضا، وكتب الى جانبها كلمة من كلمات الزعيم الفريد وهي: (لقد عدت اليكم لأجعل بقية حياتي وقفا على خدمتكم) وكان في مقدمة الحاضرين رجال السلطين المحلية والتمنية والوزراء السابقون وقناصل الدول العربية والأجنبية ومديرو الشركات والمؤسسات والمسير فوكنو ومستشارو الدوائر ومدير المطبوعات في المندوبية اللورتان بيلات ومراقب الصحف العام الاستاذ ميشيل أي راشد والوجهاء والمعلماء ورجال الدين وأصحاب الصحف والتجار والشباب المثقف ورجال الأحياء

الأعراب عن الغاية أمراً واقعاً، وواجباً لا بد من أدائه.

فيوم ٢ أيلول أي يوم اسن كان موعد إقامة أربعين الشهيد، على مدرج الجامعة السورية الكبير، وقد خف القوم على اختلاف مللهم ونحلتهم منذ الساعة الثانية بعد الظهر إلى مدرج الجامعة، يسمعون أقوال أقطاب العرب في فقيد العروبة.

وثبت هنا بعض الكلمات التي قيلت في الفقيد العظيم.

افتتاح الحفلة:

وفي الساعة السادسة الا قليلا أعلن افتتاح الحفلة، فثلا الاستاذ الشيخ القابوني بضع آيات من الذكر الحكيم ووقف الاستاذ زكي بك الخطيب معتزلاً عن تنيب معالي العلامة الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس لجنة التأليف عن المحضر بسبب وعكة طارئة ألمت بصحته، ثم طلب الوقوف دقيقة واحدة اجلالا لذكرى الراحل، فنهض القوم بصمت رهيب، ثم بدأت الحفلة وأخذ الاستاذ نضوح بابل بتقديم الخطباء مبتدئاً بتقديم فتيات مدرسة دوحة الأدب فأنشدن نشيداً مؤثراً من نظم الأستاذ مدوح حقي ومن تالحن الموسيقى المعروف الأستاذ محمد فؤاد محفوظ، وقد كان النشيد موقفاً نظماً ولحناً، لأنه أهّاج المذكور وبعت الألم حتى استدر الدمع من المائي وبكى المخلصون الفقيد الراحل بكاء لفت الأنظار وقد جاء في النشيد:

حنسايسا الوطن جرحنسا والمحن
يا شهيد الوطن

وبعد أن سكنت الفتيات واطمئت الأنوار وعرض مشهد سينمائي يمثل استقبال الزعيم يوم ١٦ أيار ١٩٣٧، وأخذ القوم يشهدون سيد المناير وهو يلقي خطابه من على شرفة البلدية، بذلك الصوت النحاسي المعجيب والقامة المهيبة، والمنطق المدفق حتى باتوا يحسبون أن الشهيد نفسه يحظيهم في حفلة الأربعين، وما عتصموا حتى تقصروا من تحيلاهم تلك الاغفاءة وعادوا إلى الحقيقة مدركين أن الرجل الذي يشاهدونه إنما غيَّته الأيدي الأثيمة في جوف الثرى، ولم يبق من الشهيد سوى ذكره المعطر والأبيض الناصح من

ونخبة مختارة من رجالات المدينة.

أما رجال الوفود، فقد كان في مقدمتهم وفد جبل الدروز برئاسة سعادة عبد النغار باشا الأطرش ومن أعضائه السادة حسين باشا ابونايف الأطرش ومحمد بك عزام ودادود بك ابو عساف وسليم الجرمقاني أما الوفود الأخرى فقد كانت كثيرة جداً قادمة من حمص وحلب وبيروت وطرابلس واللاذقية وضاحية الشام ولن نشأ ذكر أسماء من اتصلت بنا اسماءهم كي لا نسهى عن بعض الاسماء الأخرى.

كبت جريدة الإيام في عددها ٢٢٣٤ الصادرة في ٤ ايلول سنة ١٩٤٠ عن حفلة التأبين الكبرى التي أقيمت في مدرج جامعة دمشق بمناسبة أربعين الزعيم في ٢ أيلول سنة ١٩٤٠ ما يلي:

أعظم حفلة تأبينية عرفتها الأقطار العربية

(ألوف الحلائق تحتل مدرج الجامعة والحدايق والشوارع المؤدية إليها وتنتصت إلى أقوال أقطار العرب في الزعيم الخالد).

للسهيد، أيام ثلاثة من أيام جهاده الأخير، الاول يوم ١٤ أيار ١٩٣٧ وهو يوم الفرح والخبور. والثاني، يوم ٦ تموز ١٩٤٠ يوم الفجيعة القاصمة. والثالث، يوم ٢ ايلول ١٩٤٠ وهو يوم الوفاء وبعت الذكرى.

ففي يوم الرابع عشر من أيار ١٩٣٧ زحفت دمشق شبيهاً وشباباً نساءها وأطفالها إلى جسر بنات يعقوب لاستقبال الرجل الذي أبعد عن دمشق قرابه ثلاثة عشر عاماً، يعمل من أجلها في أرض الكنانة مكرساً لها روحه وقلبه ودمه، وقد استقبلته استقبال الفاتحين.

واليوم الثاني يوم ٦ تموز ١٩٤٠ فجعت دمشق بموت الرجل الذي كان من أرقى الأبناء وأبر الأوفياء فبكته بكاء الشكلى وآوته إلى جوار الملك المعادل صلاح الدين، والعظيم أبداً نحن إلى العظيم.

واليوم الثالث يوم ٢ ايلول ١٩٤٠ أو أربعون الشهيد، وقد كان يوماً مشهوداً من أيام دمشق الجبارة التي تعرب عما في نفسها من ألم ووجد ولوعة وحسرة وسرور وغبطة في أي ساعة وفي أي يوم، ترى فيه بعث الذكرى، أو

حصن وكامل هنانو من حلب وعيسى ابو الجبين من يافا والدكتور يوسف عبيد من طرابلس والقي السادة ابراهيم الشيشكلي وماجد صفية وغالب المياشي كلمات تلهب حماسه وتندفق شعورا صادقا.

وهنا أعلن ان القوم تلهف لسماح الرايع النظم من شاعر الحب والجمال الاستاذ عمر أبو ريشة، فصمت الناس وساد الهدوء ارجاء القاعة، ووقف ابو ريشة بين نظرات المعجبين بشعره الساحر، وألقى قصيدته (البترء) التي هزت افئدة الحاضرين.

وكانت الساعة قاربت التاسعة فأعلن الاستاذ بابل ان كلمة صاحب المعالي حليمي عيسى باشا رئيس الوزراء المصرية الأسبق يلقيها الدكتور منير بك العجلاني، وان لجنة التأين تأسف كل الأسف ان لا يسمح لها ضيق الوقت بإلقاء كلمة صاحب الرفعة محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية، وعلي باشا ابراهيم، وسعادة محمود البسوف بك، وعبد القادر حمزة باشا، والكاتب الأشهر عباس محمود العقاد وعبد الرزاق بك السهوري واسماعيل مظهر بك والجالية السورية في القطر المصري، وكلمات رجالات العراق وهم رضا بك الشبيبي والاستاذ العلامة هجة الاثري، والاستاذ ابراهيم الراعظ والاستاذ طه الراوي، وسعادة عبد القادر الكيلاني، والاستاذ روفائيل بطي، والاستاذ عبد الرزاق الحسن ووعد الاستاذ بابل بشهرها في الصحف وفي الكتاب الذي تصدره لجنة التأين وهو يجمع ما قيل في أربعين القيد العظيم.

ثم أشار الى الكلمات والبرقيات الكثيرة التي تلقتها اللجنة واكتفت بالإشارة اليها اختصارا للوقت بأنها ستدخل في الكتاب ايضا، وقد قال هذا المعنى باسم لجنة التأين ما يأتي:

كلمة لجنة التأين:

سيداتي وسادتي:

نشكر تفصلكم بمشاركنا في هذا التكرم الحافل لراحل سوريا العظيم نرجو ان يكون المصاب به آخر مصائبنا برحمتنا وان يبرأ خالقه في دار البقاء

ماضيات أيامه، وكان آخر ما عرضه الفيلم السينمائي الكلمة الآتية:

حي من مات:

وبعد لحظات سمع صوت طلق ناري ظهرت بعده على الشاشة صورة رمزية تحمل الفقيد ساعة تنفيذ الجریة وكان في هذه الأثناء يلقي الاستاذ نصيح بابل الكلمة الآتية:

في ساعة سودا من يوم السادس من تموز الماضي بينما كان فقيد الوطن العظيم المغفور له الزعيم الدكتور عبد الرحمن شهبندر منكبا على أشرف عمل إنساني في عيادته تأمرت على حياته عصبة من الأشرار الفادرين، فدخلوا العبادة بحجة أنهم مرضى وأطلقوا على الزعيم تلك الرصاصه ذهبت بحياة الرجل الذي وهب عقله وصحته ووقته للوطن.

ولكن الشعب الرقي لن ينسى دم زعيمه ولا بد ان يتقمم من المحرمين الاثمين بالعدل لا بالأجرام.

ثم أعلن ان الوطني الكبير الأستاذ زكي بك الخطيب سيلقي كلمتي سمو الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرقي الأردن وصاحب الفخامة هاشم الاناسي، وقال أخيرا انه سيلقي كلمة قائد المجاهدين سلطان باشا الأطرش فألقاها مع كلمة اعتذار من عدم الحضور ثم عقبه الاستاذ علي بوطو فألقى كلمتي بطيريك الأرتودوكس وبطيريك الموارنة وقصيدة فؤاد باشا الخطيب ثم أعلن الاستاذ بابل ان الاستاذ زكي الخطيب سيلقي كلمته الخاصة فألقاها، وقد نشرت الكلمات المذكورة على الصفحة الأولى.

ثم أعلن الاستاذ بابل ان الكلام للأستاذ المفكر صلاح الدين التقي المحاري فلقى كلمة راقية، ثم أعقبه الاستاذ الشيخ بهجت البيطار فألقى خطابا ايضا وتلاه شاعر الفرات الاستاذ محمد الفرائي، ثم الاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي ثم الشاعر الرقيق الاستاذ كمال منصور وقد ألقى الجميع من عبون النثر والشعر ما كان جيلا وشائقا ثملقى الاستاذ عدوح حقي كلمتي الاستاذ منصور جرداق والدكتور انيس المقدسي ثملقى الاستاذ علي بوطو خلاصة جامعة من كلمات السادة حليمي الاناسي من

بك. الشريفي وأمير اللواء الدكتور النطاسي جيل فائق التوتنجي والأديب السيد عبد النعم الرفاعي والوجه السيد محمد علي بدير والأديب السيد حسن البرقاوي .

أما مدن الشام وأقصيته فقد حرصت جميعاً على أن تمثل في ماتم الراحل العظيم بكلمات تنم عن شعور بالأسى والجزن ولقد سمعتم تنفساً من هذه الكلمات وكنا نود لو يسمع الطرف الحاضر ويتسع الوقت لقراءة الرسائل التي تلقيناها من غير واحد من وجهاء البلاد الشامية ورؤساء العشائر فيها ومنها كلمات كل من الوجهة الكبير معالي الأستاذ عبد القادر بك الحسيني من حياة والسيد محجم البشير رئيس عشائر البرشعبان في الرقة والأستاذ وهي بك المجيلي نائب الرقة والأستاذ شمس الدين العقيلي من منبج والدكتور يوسف بك كجيل من القاهرة والوجهة الكبير الأستاذ عمر بك الداعوق من لبنان والأستاذ الكبير عزت بك المقدم من طرابلس، ومن القصائد التي تناولتها اللجنة قصيدة الشاعر الكبير الأستاذ حليم دموس والأديب الأستاذ طاهر العناني من القاهرة وقصيدة الأستاذ اسماعيل بك العظيم من حماه والأستاذ عز الدين علم الدين عضو المجمع العلمي العربي في دمشق والأستاذ محمد كامل شبيب العمالي من لبنان والأستاذ نذير الحسامي من حمص والأستاذ ناجي المحجم من حماه والأستاذ كمال منصور من طرطوس والأستاذ رشاد علي أديب من جبلة وغيرهم من شعراء الشباب .

وتلقينا هذا اليوم برقيات مختلفة منها بركة السادة صبري الطباع، متقال باشا القاتر، حديثه الخريشة، حسن الشريجي، يقولون فيها ان تأخر الوقت حال دون الحضور نشاطركم الشعور بالذكري الخالدة، وبرقة من السيد محمد عز الدين الحلبي من السويدياء يقول فيها ان اسباباً صحية حالت دون مشاركتنا اياكم بتأبين فقيد الأمة الدكتور شهيدنر نشاطركم المصاب، وبرقية من الطيب زكريا في جملة ما يقول فيها : حالت دواعي المهنة في اللحظة الأخيرة دون حضورني للقيام بواجب التتيد العظيم، أتمس العذرة .

ونلقينا كلمة من عمر بك الداعوق يشكر بها اللجنة لقيامها بهذا الواجب ويعتذر عن الحضور لأسباب صحية . وتلقت اللجنة برقية من متعب بك

ما هو خليف من الرحمة والنعيم .

تنفصل كثيرون فأرسلوا الى لجنة التأبين ما حملته عواطفهم الشريفة للزعيم العظيم من الإكبار والإجلال فمنهم من رثاه نظماً ومنهم من رثاه نثراً . واتفق ان جاءت بعض المراثي متأخرة بسبب بطء البريد . قال هؤلاء الذين جاءت اقلاتهم برثاء فقيدنا وفقيدهم نقدم بالشكر الجزيل وبكبر فيهم شعورهم الوطني وعاطفتهم النبيلة . وما حال دون تلاوة أكثر ما ورد علينا الا ضيق الوقت وسنتشر في المصحف ما قالوا ونخلده في الكتاب الذي سيصدر في ما قبل في حبينا العظيم .

فمن البرقيات برقية من معالي الشيخ مصطفى عبد الرزاق بك وزير الأوقاف المصرية يعتذر عن تعذر مساهمته في تأبين الفقيد . ومنها برقية للأستاذ المربي خليل السكاكيني قال فيها ومراد النفوس احقر من أن تنعادي فيه وأن تنفلق . ومنها برقية من الأستاذ عارف العارف في غزة يعزي بتمثال الوطنية والإخلاص ومها برقية من المجاهد الكبير السيد علي عبيد جاء فيها (الخطب جسيم للفقيد الرحمة وللأمة العزاء) .

ومن الرسائل المشورة كلمة بليغة للمستردج رئيس الجامعة الأميركية في بيروت ورسالة رقيقة من الشعر المنثور للأستاذ الكبير أمين الريحاني عضو المجمع العلمي العربي وكلمة بارعة للأستاذ العالم بولس الخولي من أستانة الجامعة الأميركية وعضو المجمع العلمي العربي وكلمة لطيفة للدكتور النطاسي فؤاد بك غصن في بيروت الى كلمات غيرها من رجال لبنان وأدبائه .

وتلقت اللجنة من شرقي الأردن رسائل كثيرة تفيض بالمعاطفة المكلمة والالم العميق .

مها كتاب من معالي الأستاذ رشيد المدفعي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والدفاع، وكتاب من معالي الأستاذ وزير المالية والاقتصاد وكلمة بليغة من سعادة محمد باشا الأنسي رئيس الديوان العالي وكلمة من معالي الأستاذ خلف بك وكتب مؤثرة من عظيم عشائر المجالي في الكرك رفيفات المجالي والعربي الكبير حامد باشا الشاراري والأديب الشاعر الأستاذ محمد

قوة تجمع أمهم. وتوحد كلمتهم، إن الإيمان الوطني لا يزال سليبا وله الحمد في نفس الأمة.

إن (الهيئة الشعبية) القيمة على عهد الفقيه العظيم في الوقت الذي قد يدها إلى كل عامل مخلص لا تصده عن هدفه الوطني دعايات المفرضين وانتقادات الخاملين، تنتظر ضارخ الصبر، من العدل أن يغسل العار الذي ألحقته الجناية الشنعاء بسمعة البلاد وبتاريخها الوطني.

ولست هذه الزخوف والوفود التي تبكي الزعيم الا ظاهرة واحدة تنطق بغضب الحق على الباطل وبقيمة الشعب على الإجرام.

إننا ونحن نتفوق من هذا المكان هدهو نستمر الرحة على (الشهيد الحي) وعلى إخوانه الشهداء الأبرار ونسأل الله أن يجعل ذكراه ملء ادمتنا ونفوسنا لنعرض عن فقدهم بأداء الرسالة وحفظ الأمانة.

الأطرش يعتذر عن الحضور لأسباب صحية، ويشارك الأمة الحزن ويستذكر الاعتداء الأثيم؟ وبرقية من محمود المحمود يقول فيها: العزاء بالفقيه يشند يوما بعد يوم، الحسرة دائمة، الخلود للشهيد، لكم ولأمة العزاء، وبرقية من ولیم بشور تقول الزعيم نور يتيز طريق العرب في نهضتهم، خالد بقلوبنا عمر الله ضريحه بالرحمة والرضوان.

كلمة فيصل شهبندر:

وبعد أن انتهى الأستاذ بابل ما تقدم وأعلن أن الكلمة لنجل آل راحل الكريم، نهض الأستاذ فيصل شهبندر، وتلا كلمة رسمية تناول فيها أثر المفاجعة في أسرة الفقيه وما تركته من أثر في البلاد وقد كانت الكلمة مثار إعجاب الحاضرين وتقديرهم.

ختام الحفلة:

وعلى الأثر نهض الأستاذ بابل وألقى الكلمة الآتية باسم (الهيئة الشعبية) مختتبا بها مهرجان التأين الكبير الذي لم تشهد بلاد العرب مثيلا له فقال:

قبل أن نعلن ختام هذه الحفلة نتوجه إلى الأمة الكريمة، وإلى الوفود التي أمت دمتق من مختلف أنحاء البلاد وإلى معالي رئيس لجنة التأين الذي كان في موقعه من الفقيه العظيم مثال الصديق الوفي، وإلى كل من ساهم في هذه الحفلة الكبرى بشخصه أو بما أرسله إليها من نثر وشعر أو بما أبداه من شعور صادق وعاطفة شريفة إلى هؤلاء جميعا نتوجه بالتحية والشكر باسم (الهيئة الشعبية) التي كان لها شرف العمل الوطني في كنف الزعيم الفقيه وبرئاسته التي نستمد من طهارتها وشفائها وإخلاصها القوة التي تجعلنا اليوم أكثر من كل يوم مضى أشد عزيمة وأوفر نشاطا وأكثر تفصيحا في سبيل تحقيق المبادئ التي كتبها الفقيه الحبيب لبني قومه بدمه ودماء إخوانه الشهداء.

إن (الهيئة الشعبية) التي تشعر بعد أن خلت الساحة من الزعيم الذي كان مناط الأمل ومعقد الرجاء، بهول الكارثة ونقل العيب، وخطورة المعنى. نجد ان من حق المؤمن برسالة الوطن أن يستوحوا من ألم المفجعة

رَبَّنَا هِزْجِمْهُمْ زَجْجَاهُ اللَّهُمَّ وَقِّفْ أَدْعَاهَا

كلمة سمو الأمير عبد الله بن الحسين

لقد احزنني ذلك الاعتداء الذي وجه الى الشهيد الشهيد ولم يقصد فيه سوى الأمة وطمنها في الصميم والذي أفضى بها الى خسارتها لذاته .

اما هو فلحق بالكرام المكرمين في الدارين (نبت شهبا) وعاش نبلا) و (مات أمينا) فان كنتم تتوجهون له وتريدون تخليد اسمه فمليكم جميعا ان تحذروا حذوه وتنبهوا خطراته في الاخلاص للوطن والنيات على المبدأ (كما فعل هو رحمه الله) ولا خير في شخصية لا تظهر هذه الفاجعة التي انتقصت البلاد زندا ولسانا صارما وبدا عاملة قمشت مع المخلصين هذه الأمة .

الأمير فيصل بن الحسين

تتردد في نفسي لواعج الألم عندما أكتب هذه الكلمات لأشارك فيها على البعد بأحياء ذكرى فقيد الأمة، وعلماً من اعلامها الذين حملوا لواء الدعوة الحرة وهي ناشئة في مهدها، فعلا صوته في الدفاع عنها وركب الأخطار في سبيلها وقد تجاوز أثره كما تجاوز صدى الرز به حدود بلاد الشام فطوى المراحل وبلغ مختلف الأقطار. وإذا كان حقا على ألا أنسى جهود صحبة قديمة ورفقة في أيام عنة شديدة مرت بنا قبل عشرين سنة فان الأسف الذي يلا جوانحي ليشند عندما تعرض في خاطري عواقب الجراءة على مثل هذه الجريئة التي هي دون ان تسمى سليمة والتي تستلح فيها الدماء المحرمة فتسيء الى سمعة الوطن وتفتح عليه باب الفتنة

لا أحد بعد أن قضى فقيدنا العالي شهيدا كريما ما أخطب به المخلصين الذين نزه الله مقاصدهم وظهر قلوبهم وضمائرهم أجل من كلمة سمعها منه رحمه الله يوم عدنا من المنفى الى الوطن . فقد خاطب الناس بقوله : (اذا كنتم تحترموننا وتحيوننا وتقسمون اخواننا في السلاح وفي السلام فاجموا قلوبكم الى قلوبنا وضموا قلوبنا الى قلوبكم لا توصلوا أبواب الوطن في وجه من كان عاملا صادقا لأن جهة هذا الوطن تتسع للجميع من غير تفریق في الملة) . هذا قول الفقيد أعاطب به الأمة في هذه الساعة التاريخية العاملين الصادقين من رجال الوطن ليوحدوا صفوفهم وليجمعوا أمرهم وليستوحوا من جلال موته الاخلاص للوطن والوفاء للشهداء

الطريق المحمدي

خواص الجواهر الثمينة مادة التفاضل بينها ، وخواصه أجود ما غلت قيمته واختير ذخرا نفيسا ، والنوايخ بين صفوف الشعب هم جواهرها الحسنان التي يشار اليها بالبيان ، وتتجلى بذكرهم مصحف التاريخ ، وتروى لأبنائها مثالا عاليا في مناهج الحياة ومدارج الأجداد ، وخواصهم التي خللت مجدهم الأئيل وذكرهم الجليل وأخلاقهم الكريمة ومبادئهم القوية وأعمالهم البرورة ومآثرهم المذكورة . على ان خواص الجواهر محدودة تزول بزوال تلك الجواهر ، ولكن خواص النوايخ ذات غو غير محدود لا تزول باحتجاب النوايخ في مخابئها وانصرافها الى مخي بارئها ، لأنها خواص الروح التي لا يبروها فناء باقية ما ظل للوجود بقاء .

وفقيد الأمة السورية بل فقيد الأقطار العربية الدكتور عبد الرحمن الشهيد كان في مدى حياته الزمنية وبعدم انشيت به المنية انظارها بعصره الأئيم مذكورا مجادته القوية وأخلاقه الرقيقة . واسمه مدون في سفر الحياة الخالدة بأبائنا الذين أنشأهم على غزاه في انتهاج أقوم السبل ، وبأخوانه الناصحين على مثاله في خدمة البلاد بضمير حي ورأي حصيف وإرادة صادقة لا تتلوى ولا تتلون (فهي تعمل ما هو حسن للمنفعة العامة) ولا ترجو اجرا من بشر ولا ذكرا

وتورث الأبناء الأخاد والضمائين في الوقت الذي ينبغي لهم ان ينصرفوا الى غير ذلك عما يجمع أمرهم ويضم شئائهم ، وان ينظروا الى الماضي فيستفيدوا من عبره وعظائنه وان يتأملوا فيما يستقبلونه من أحداث خطيرة فيعملوا على انتقاء المكاره ويضمموا للبلادهم ما ترجوه من أمن وسلامة وعز وكرامة .

وعسى ان يكون هذه واعظة ومنذرة فلا تتجدد أمثالها في هذه البلاد التي لا عهد لها من قبل ، اما الفقيد المبرز الذي رزنا به فاذا كان خلا مكانه فقد بقي ذكره حيا في جلال صمته كما كان يفضح بيانه أحسن الله جزاءه وأجل المراء به .

ساعاتنا للشهيد

ما كان الفقيد العظيم الدكتور عبد الرحمن الشهيد عاقا لوطنه ومقرطا بحقوق أمته ليلقى جزاء جهاده الحافل بالفاخر هذا الإجمام الفائق المسمى . بل كان زعيا بوطنية وجهاده وعلمه وفنه لم يدع ساعة من وقته او لمعاليته بل وقف حياته كلها على خدمة وطنه بايمان زاهر ونجود لا حد له .

لقد عرفناه طبيب الله ثراه في جميع المواقف صادقا لا بلسانه وقلمه بل بكل ما وهبه الله من مزايا عالية لا تجتمع في رجل واحد . الا اذا جاد الزمن به مرة واحدة في القرن الواحد . التي والألم يعضر نفسي في هذا الموقف الذي يشترك فيه اقطاب العرب لتأبين فقيدنا العظيم ، أذكر اعماله البطولية الوطنية الكثيرة في موقف الحياة والوالت فلا أحد له الا كل عمل يرتاح له الضمير ويرتفع به الرأس فيريدني ذلك لوعة على فقدته ونقمة على الذين حرموا الأمة زعيمها الصفاق ورجلها الأمين والحقوا بسمة البلاد ويتاريخ جهادها المقدس عارا لا يحصى الا بجمرة مدبري هذه الجريمة والكشف عن خباياها .

ان خسارتنا بفقد الشهيد من أكبر الخسائر التي منيت بها الأمة في العصر الحاضر . ولئن كان عسيرا عليها ان تموض رجلا مثله في زمن قصير . فلا أقل من أن تجمع على تحقيق مبادئه لمبادئ الوطن والمجاهدين والشهداء .

وإذا كنا أوفياء للذكرى الشهيد ولبلاده الصحيحة فعل جميع المحاضرين العاملين في الوطن العربي من صفت بناتهم وذكنت نفوسهم وكان ماضيتهم تقيا من ادران الاساءة الى هذا الوطن ان يستأنف العمل الوطني المجدي الا ما تبلغ به الأمة أمانتها وفي تحقيقه فقط المراء فيها نزل بها من كوارث اخرها هذه التي اقتدنتا سيد المخلصين الشهيد الحبي جاتره الخالدة المنفورة له المذكور عبد الرحمن الشهيد.

الجزء الثاني

لا بلعنا ذلك الجبر المؤوم بالاعداء على حياة الزعيم العظيم من يد أئمة وهو يتالح المرضي ويشفي اسقامهم حزنا حزنا شديدا وأسفنا كل الأسف على فقد تلك الشخصية الممتازة.

إننا وانقون ان الأمة العربية وكل ذي وجدان يستنكر هذا الفعل الفظيع ويستقيح عمل من لم خلفه به.

فذلك طريقة عقوبة تقود المرضي وتلقي القتل في الشعوب وتعمل الأمم الراقية ان تفكر سويا بالبلاد التي تقترب فيها تلك الجرائم البربرية.

فتحن نعزي الأمة السورية بفقد ذلك الزعيم المحترم ونعزي آله وأصحابه، طالبين الى خالق الكون ان يعامله بوقر رحته ويولي آله الكرام نعمة الصبر والسلوان ويوفق البلاد الى ما به خيرها. ورضاه.

كلمة الشيخ الحارثي

اعذروا لسانا ناطقا ينوء بفرض قلب جريح يقصر عن اداء ما تطوي عليه الجوانح من ذكريات مجيدة خلفتها تلك المنظمة الاكفلة. ما كانت اللغة لتقوى على تصوير أعمق نبضات الروح واللام الروح فهي طليقة من قوالب اللفظ وقيرة المعنى. ان لا اود أن يتغلغل اليأس القاتل في النفوس فالنور ينتش من الظلمة وعلى قدر الشعور الواعي بالنقص والحرمات يشتد الحافز الى التماسي أمام هذه العاصفة الجائعة التي هزمت مكامن نفوسنا اذا كان شعورناوعيا، ولا سبيل الى ذلك بل لا سبيل الى تخليد مبادئه

على جهاد شاق بل ترى الاجادة في العمل هو الواجب الذي عليه ادأؤه وله خلق وعنه يسأل وفي سبيله يؤدي. حسابه لدى عرش، أروجه وخلع عليه من تأييده درعا وأقام له من عونه وزرا.

إن فقيد المروية المذكور عبد الرحمن الشهيد اختار لنفسه طب الأجساد فبرغ فيه براعة أعلنت شهرته واختارته له حكيمته طب البلاد فكان سياسيا بصيرا عكف على معالجة شؤون ائنته فأظهر من ثاقب النظر وأصالة الرأي وحسن التدبير ما جعله زعيما محترما وقائدا من قادة الرأي وحسن التدبير لا فيه الجبر الشامل، وقد عرف له سجاياه كبراء الأقطار العربية وهم الآن يسألون له رجحات الله تعالى وان ينزله في حياه المنير ويكافئه على مساعيحه الجعيدة وسيرته الرشيدة، ويعاهدونه على الجرض على ما تخيره لنفسه مهابجا قويا وسيلا سديدا. فلا زالت ذكراه تقوى رجائنا ومناهجه تفقيه لرجال الوطنية شهبانا ما ذكر النوايح بأنقارهم الباقية في هذه الدار.

زكريا الخطيب

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليق الله مسائله جاد شهبانا العظيم يحياه الغالية وهي جزء مشرف من تاريخ الأمة العربية وصفحة خالدة من صفحات الجهاد في كل ساحة. كان رحمه الله سيد المنابر ورسول الفضائل وداعية الإصلاح الاجتماعي ومن القادة والشهداء المصلحين الذين ساروا في الظلمية ورفعوا لواء الحق والحرية والمروية وهو من أعلم العلماء بين معاصريه ومن أكثر أطباء هذا الجيل علما وخبرة وإخلاصا لفته ومهنته، ولئن كانت أسرة الفقيد الصغير هي زوجته المتعاسة وشريكه في جهاده القومي وآله الذين خلف لنا فبهم شهيدتين وشهيدتين بيات كل واحدواحدة منهم زخر للمستقبل في نهضتنا الجديدة الا أن أسرته الكبرى هي الأمة التي كان لها قبل كل شيء وبذل في سبيلها كل شيء.

فقد الشهيد خسارة لن تعرض واللوعة التي اضطربت في افئدة المؤيين برسالته والقدرين لعظم فضله لن تنطق والكارثة القوية التي انزلت بنا لا تعادلها كارثة في هذه الأيام المصيبة.

اصغي فأسمعك تقول:

يدين بالمقيدة الذي في قلبه إيمان صادق فهو كأحد الشهداء في صدر الاسلام وفي عهد النصرانية الأولى، يذهب الى الموت بصدر مفتوح وثغر باسم لأن الموت عند الحقيقة هو أحقر من أن يتم به أو يؤمن به له.

هذه آياتك بل عصارة نفسك قوة معها بلغت لن تتزعزعا من ثنائياها وإذا كانت البروج أفواها خرساء - كما قال الشاعر -

فستجمل من كلوم الغدر في رأسك الكبير رسالة ناصمة مشمة
تبر البصائر الخالصة التي اضاعت طريق الساء.

الزعيم شهيدنا الا اذا باهر المخلصون المواة وفي طلبهم الشباب المثقف المؤمن لتطهير المجتمع من شوائب الشهوات الآنية الزائلة والالاصيب الزائفة، يمتون المجازر الصفيق المصطنع الذي يحاول المبطون ان يقيموا بين السياسة والثقافة، فالسياسة ليست عدوة للثقافة بالمعنى الذي وضعه لها الاغريق القدماء، الثقافة عدوة الانتهاز بأشكاله الدائمة، هي عدوة التذجيل النبري والجهل المطلق بالخصاب للنسر بل بجليلات القداصة، اما السياسة التي تستهدف خير المواطن وحفظ حقوق المواطن والسمو به نحو ذروة المجد من صميم الثقافة وهي من أطراف الساء لا يزال الشباب في بلادنا ويا للأسف عنصر سلبيا ينسج برده من خيوط واهية بالية تلقىها اليه الرصولية الماكرة. والوصولية الماكرة هي التي حدثنا عنها الملامة الاجتماعية - فريجان - أنها ترقب الموضع الذي تهب عنه رياح الجماهير لتتقي بطنها بالأساليب الخادعة ولتمعش على شهوات المجتمع وترضيه بالقول الدوي ليرضيها باخطام الزنازل والجد الزائف، اجلوا راية الجهاد للقضاء على الدعاوات الباطلة التي تطلق وجه الفضيلة وتقلب الحق والأخلاق السامية فما أصيب العالم الحديث، ولا ابتليت الآداب الرفيعة وحقائق العلم والمعرفة جميعا بأفطع من تتين (الدعاوة) وفق الكذب المنظم، تداركو جماهيركم بعلاج يجعلها منيعة على زخرف الباطل وحوافز الغرائز الخسيسة فلن ترتفع هذه النفوس الى السماء، ان لم تصف انسانيتهما من اكارار التوحشية الكائدة الخديعة تخيلها سرايا نخادعا ودويا فارغا.

قلت في حقلة اقيمت للزعيم شهيدنا بعد رجوعه من المنفى ان الشباب المثقف يؤمن برسائلك التي طالعتمهم بها أعمالك المجيدة وبحوثك الشائقة وخطبك البليغة لأبها رسالة الفكر التحررك المولد فهي لا تقتصر على الحثاف وتزيق المجازر بل تشمل بناء المجتمع العربي بكامله من أنفه شؤون الأسرة الى اسمى شؤون الدولة وانهم يدينون كما يدين الوطن العربي الكبير المجرد من أدران الطائفية لأنهم يشقون الأفق والرحب والثقافة المسمة السمحة. والآن وقد تسربت الى جسمك الطاهر اقاعي الجريئة الغادرة يزداد تعلقنا بمبادئ الخلافة وظمانا لتحقيق الظفر الكامل الذي كنت تشبهه اني

الرسالة المحمدية الرسالة

هل يتناولك بعد طول السفر أتر من قوافل الأحرار
أنت عليه هوى الليالي وثقت ما يصورها من أوار
أحيا ونجت؟ أم خفت من أن تلعب في مقابر النكار
بت قاسيون أي جرح أوسي في هواك وأي جرح ادري

أين حلم زاهي المفاخر سالت برؤاه حاجر السمار
نسجه الصحراء فاكست الدنيا بأهل عبادة وازار
يوم مر النبي رايته الحضراء في موكب السي الزخار
وأطلت كتاب الله ترويك بيني النبي المطار
فمايلت بين هرة اعطاك وتجريرو قول وزغرات فجار
فتمت عرائس الأرض لو كئ على مصميك وفي سوار
تلك نغمي لست في جانبها ما وراء الجلود من أسرار
إنا راعك انطالك لياليك على زنج عصية فجار
سقت نخوة الجهاد على الكاس وحلم الملى على الزنار
ومشت تحمل الرودة في يضيء في هكل الأوزار
الدم الطهر من جراح علي أبدا دافق على الأدهار
وأقامت أحرآم يرب هذي فترت عن دمها المزار
لم يزل هول يومها يقطع الا في الكتاب وهذه في اغيار
بت قاسيون أي جرح أوسي في هواك وأي جرح ادري
أي غار لجهة ابن زياد ضفرت أليدي الوفا أي غار
أو لم يسرج الجيول وطلقها جفاة خطاة الأبرار
تتعطى مدى الطمح فما نثر بانجم ودراري
أنا أثبت حوافرها الحمر أطلت كرائم الأوطار
فإذا الفتح حقة من عابن وإذا المجد حقة من غبار
با جبال السور في الغرب الهجر لا تنفي على الأوكار

فجوة في صدرها الخر بغداد وناحت به على الامصار
 بنت قاسيون أي جرح أراسي في هوك وأي جرح أداري
 من على المشى مانجا في خضم الأزياد والأعصار
 تحت فيض الأذان، من هواث دامت مع الأذان جراح
 أثقل من القتل؟ أي إيساره في الإياه مسبار
 انفضين، في تده الصمت وفي غصة الأسي القهار
 قد عرفت النقي، فضمه في عقد النواير الأبرار
 ابن سين، كل يوم على الخلد عوز الأزهار
 لم يلق للمخطوب جنبا، لم يوسم عثار
 من تضال إلى تضال، فطورا وتارة يزار
 رب ليل طواه، والمجد سهر ان على رجع اغيات الشغار
 ومبادئ خاضها وخيال الموت بين اللقا وبين النغار
 وأقرب مصر مثالا تزلق النعجة عن حد مدية الجزار
 وعلمين دوبا لم يحدوا يلجح الا الجدار فوق وفزار
 فدوى صوته فمزق عن أوجههم كل برقع وسنار
 حلوا حقدهم كما يحمل للبرج انقاض روجه للشار
 ودموع تنالهم من نفوس تنهوى على بدني كل شاري
 مارعت حرمة الستين اذا لم تزع حرمان مجدها والنفجار
 فالت تجديه عطفًا، وكلس يمين وحجر فيا للمار
 فاذا شية الجهاد خضيت تحت اقدامها فيا للمار
 وكانى أراه في سكرة الموت وفي مقلته وهج ازورار
 لا ارباعا، لكنها غصية الحر على هناك عهده والدمار
 لم يجد حوله سوى شبح النذر حسرا على أغرب التدق صغار
 لا مواضيه قطع نخلع الموت ونطوي مساحب الأعصار
 لا ولا خيله، تعض على اللجم جنونا تحت القنا الخطار
 فاعذبه اذا تزرق في جفنيه ما يشبه الدموع الجوارى
 فمن المكيات، ان تقتل الا حرا في غير ملتب الأحرار
 إيه عبد الرحمن، ما ج بي البر قانزع بدني عن أوتاري
 لا تدعي أريق دمع اليامين والقي الغشيم فوق النار

نسرك البكر، طارق في كهوف السجين دامي الجراح والظنار
 يلفظ الروح بين جلبلة القيد وبين احتضارة الأتوار
 ولوسى بن النمر أين يوطء الأملق والأعصار
 يسط الكف مستدرا بها الطود ترق الأظمار
 وبيا جياته تشظى فوق أبواب جوعه الكنار
 فكان لم تنفض بؤكه الدنيا وتتمل أنفصار
 صفحة تظمن الوفاء وترى شرف الفتح بالغا والصغار
 بنت قاسيون أي جرح أراسي في هوك وأي جرح اداري
 أين ركب على يدك مشى من حلب خائف النود عثار
 وفاته أسى أهلة حمدان وفارس المضمار
 يقطع الدرب والى البيض تحده بصبح من الزلوع وطار
 وزبه الأجل ترنو اليه فوق انقاض عرشها المنار
 فمراه ما يعترى الأسد المناف ان رجه الفضا في الأسار
 وكبير القواد ما اعتر الا برغاب على الزمان كجار
 هبط النومة الندية يطوي ما عليها من تخيل الأثار
 ويسل النفوس من حاة اللال ويذكي اباهما المتواري
 وادا ما استوى على السدرة الشاه بين الاجلال والاكجار
 رن في سمعه الرهيف فصح لافاع وخنة لضواري
 فاذا الخفق المجاف، تناحي كافور ضحكة الأقدار
 فنة ما أراد أن يقطع الأثر صال فيها ما بين جاد وجار
 فنى جيد مهود، ساهي الطرف جريح المي، غريب الديار
 بنت قاسيون أي جرح أراسي في هوك وأي جرح اداري
 أين تاج يحبه خاضت الأحرار غير الدما وعبر الدمار
 يلتقي في ظلاله بسمه النور الذى وطب التجار
 أرت ملك أطل من حلق الدهر سحبا من بعد طول انتظار
 فاشربت أعناق سيناء شوقا تسال المرش هل له من قرار
 فيصل دمة المسيح على الاثم وسيف النبي على الأوزار
 أي فرق كفره بصدع الناح من السنا والوقار
 قام بالمعبه مؤنسا وخلاه بالصحايا عفوقة والمعمار
 وادا كانت الأماني تحفر وتاني بأطيب الأتمار
 طسته الأبدى التي بايته ورتة مشردا في القنار

لم تكلم، فما اطلق استمعنا
 لانايد سيقين على الدهر قبلة الأنظار
 بنت قاسيون... أنت أنت
 ضمني ضمني الجراح وسري
 لن نموت... فكاكل الأرض لا
 يقوى على حل نعيمك الجبارا

الشاعر نزار قباني

ايه دمشق هنا الشهيد الأظهر
 وعليه من دمه الفميص الأحمر
 هو من ولدت وفي الصميم بقوة
 أكبر الله أكره انه (الشهيد)

طوت اللية منه ثورة امة
 ولواء عملاكة ودنيا تزخر
 ونمطت لغة فافتقر مجمع
 للملم واحتجب الصباح المسفر

ويح الجناة ألم بروا كيف ارتقت
 تلك الفصحى بينهم تنمذ
 وجرى الدم المهرق في أثارهم
 جري البريء وراء جان يظهر

وتلفت الجبد المرق نوحهم
 من كل جرح فيه عين تنظر
 طمحت التهم كالذي هو سائل
 منهم: أين العرب نازل يندرس؟

يا أيها الثاني القريب نجمة
 لك من أخ يرعى الاخاء ويدكر
 اني ريثك عن جوى وتفرج
 وحظت دمة صحبة لا تحفر

وأنا القيم على المودة والموى
 تتغير الدنيا ولا انير
 هيهات أجزع للحطوب وأنا
 أختى التعزب في البلاد وأحذر

مرض تغافل في النفوس فهل ها
 أس يطيب أو يحز فيتر
 أين الخطيب الفحل يبعث بينهم
 بالروح تفتخ بالرفات فينشر

وبكاد أعواد المناير تحته
 يا من رددت على البلاد شياها
 فمع القشاعم في الجبال علق
 تحفر من عذب البيان وتزهر

ومع القطا الكدري تروع من جا
 ومع الصراغم في الوهاد تزجر
 تنفق عمتنا لكل ملمة
 الجاني في الجهاد وتسهر

وتكر مرّ اللطيف في سنة الكرى
 وكانك القدر المتاح يدبر
 بق بتصرف الأمور محاك
 تظاه المدوّ فما يحسن ويشعر

قد كنت تطلب للجنة حياتهم
 فاذا الشكرم بالكريم يفر
 في الخلق والاخرى الدم المتفجر

محمد الرواحي

سيداتي وسادتي يعز علي أن أقف الآن هذا الموقف المروّج بكم - أستعطر رضوان الله ورحمته على رفيق صباي وكهولتي وشيوختي ونسبي في علمي ورأيي ومذهبي أخي وجيتي الزعيم المذكور عبد الرحمن شهبندر .

عرفت الزايل العظيم قبل ما غادر مدرسته، وعرفته وقد جاوز الستين فسا كان الاختلاف بين أوليته ورجائه إلا بوفرة العلم وكثرة التجارب، أما عزمه الذي جرى عليه نحو أربعين سنة فكان غمطا واحدا لا يخرج عن الدعوة لإقامة كيان سياسي إيلاده والسمي لشقاء أهلها من أمراضهم الاجتماعية والعمل على تهذيب النفوس بعمور الحضارة الحديثة، ورثت على هذه الدعوة النافذة وما عصبه بالثبيلات على كثرة ما يقف منها في سبيل المصلحين، واستهان بحظوظ نفسه وأسباب نعيمه وراحته وكان كلما انتشرت دعوته يكثر انصاره ويريدوه ويعترف الصديقون وتعهدوا بقضائه وحسن بلائه .

كان أجنال الله ثوابه نغيط غيرة يتوسل إلى إصلاحه بكل ما لديه من طرق سريفة يسلكها نقاديا من ظهور ما يكون دون رغبته، ذلك لأنه رأى ان الأمة العربية وقتت ثرونا ضاربة، وسبقها في مضى أترقي أنه كانت متخلفة عهنا، ولأية لا تشفق على ضعيف والشعوب العربية لا تأمن عواذي الليالي إذا نامت على ضعفها المحسوس .

نعم ما كانت نفسه تصير على التسويف في تطبيق مفاسل خطته فكان يثر على الظلم وعلى الجهل يحاول ان يقضي عليها، ولو كان السلاح الذي وصلت إليه يده لا يسد كل الحاجة ويقدر ما كنت ترى الدكتور شهبندر متطعنا في طب الأبدان كنت تراه صلبا في مداواة ما استعصى من أمراض الأوطان .

هي صدمة نزع الطلمع وترجيح
لك فكرة تال الفود وتكر
تنتج الأبواب عك وتكر
من يك به الجهاد فيعثر
صورا يكف بها اللالام الأكدر
كيف المراء وأني حر يصير
في الأرض عند الحزن لا يتكر
والصدر تعصف فيه ريح صرصر
هيهات ظلك عن بلادك يحسر
فلكم تزرق من براعك كثر
فالعصم يكثر يوم فضلك يكثر
ولسوف تذكرك العمور فتشكر

هي نكسة بالطمع بعد تحوط
ولقد هبطت السجن غير مفيد
وراك اشرف من حواه فاروشكت
أنشقت عمرك في الجهاد ولم تكن
فهل اخفقت سير الرجال وأصبحت
وكذلك الدنيا وتلك صروفها
فلقد تنكرت الديار وما الذي
فالفنس ترعد وافوم تخفها
يا صاحب العلم المرفوف ظله
ولن وردت الغرض غير مكرر
ان الخمول هو المحل من الاذى
وسيفت التاريخ باسمك عاليا

أنحاء البلاد تختل بذكراه وتعدد مآثره ويبض أياديه على أمته. وأعظم برهانه على أن فقيدينا كان عظميا في ذاته وصفاته وأنه حصا رجل الوطنية الصحيحة وعلم من اعلام الشام وأنه المثال الصالح للعاملين عمل كل ما في وسعه لجبر أمته ووطنه. ما سيلقي الآن على المسامح وهو طائفة ما قيل في العزيز الراحل، تتمثلون بها منزلته في الشام ومصر والعراق، ومضى عاد الاتصال بين الممالك تسمعون أهل البلاد العربية كافة وتنتهي إليكم شهادة بعض عمنا وأخواننا المهاجرين الى الأمريكتين، وستحمل إليكم شهادة بعض علماء الغرب وساسته عنه، السادر الذي تطلطي له الرؤوس اجلالا وتعظيما.

- إنا لله وإنا إليه لراجعون -

جريدة الف باء

٤ أيلول ١٩٤٠

ونجح حبيبي شهيدنا في تحقيق مطالبه إلى الحد الذي كتب له، ففسرت دعوته إلى أصمق القلوب واغتبط إذ رأى أمته تشمر بتقصيرها والشعور بالتقصير أول مراتب الكمال. علمها بما كتبه وخطبه ان الرضا بالمدون من الحياة شأنًا لحاملين، وان السمكوت عن إصلاح العمل يؤدي حتما إلى الهلاك وإن الجمود موت زوام ولا بد من حركة، وإن السعادة لا تنزل من السماء بل هي مناط عمل أهل الأرض تتعاون على جلبها قوانين الأرض وقوانين السماء، وإن كل ذلك لا يتم إلا بالتفكير بكل ذرائع الإصلاح وأجدرها بالتقديم في نظره.

(اصلاح السياسة) ورأيه في هذا الباب من الآراء التي يعتد بها لأنه من أعرف أطباء الاجتماع بتشخيص الداء ومعرفة الدواء أنشريت نفسه هذه الدعوة فجاء بها لم يوارب ولم يداح فاستهدف لغضب الأقوياء فأردى فصر وصابر.

لا جرم ان فقيده الأمة العربية عمل للجماعة أكثر مما عمل لنفسه وصرف من الجهود للنبروز بأمنه ما لم يصرف بعضه من حاولوا أن يعدوا في قائمة المعطاء وهم في الواقع لا يفكرون في غير مصطلحتهم وتطاولوا الى تساق ذرى المعالي على غير استعداد للاضطلاع بها. ولو كان كل فرد من أرباب المدارك يفكر في مصلحة قومه بالقدر الذي فكر به شهيدنا لكانت حالنا على غير ما نرى اليوم شيئا كان مذكورا في العرف الدولي وفي مجالس العلم العالي.

سيداتي وسادتي:

للأدب ضحايا وللعلم ضحايا وللسياسة ضحايا وحبيبي شهيدنا جمع في شخصه المحبوب الأدب والعلم والسياسة على أكمل وجه، وكان ضحية الضحايا فعدت أمته فجيئتها به من أعظم ما أصابها من المصائب بفقد رجلها، ورزئت به في وقت كانت تتوقع فيه إتمام عمله العظيم فحق لها ان تكبه، ويقول ككافها عليه ويكثر الرثاؤون له والنادبون.

التاريخ لا يكذب، مهارد فيه المدلون والتاريخ سينصف الدكتور شهيدنا ويذكر غناؤه وبلاؤه موزونا يميزان العدل والنصفة ويقولون عنه انه أمة وأنه خير من نبيخ في الأمة العربية السورية في هذا القرن وأنه أحد قلائد ضحوا أنفسهم في مرضاة الوطن وانثروا بأعمالهم أنهم كانوا شيئا عظيما في الحياة لا كالذين دخلوا العلم وخرجوا منه لم يحسن لوجودهم أحد.

هذه الجموع الصغيرة الرشيدة الموافقة بدافع من حبها للشهيدنا من جميع

جملتي حسي بك

أشكر اللجة ولكم هذا الشعور النبيل نحو من بعث عبيدي
ذاك النور القائم بين القطرين الشقيقين فمصر بلا ريب تقدر
عوطف السوريين نحوها وترحب بأهلها وتستأنس بأديانها
وعلمائها كلما حلوا بأرضها، وقد اختار الزعيم الراحل
عاصمة الفاطميين مقاما له ودحا من الزمن فكان بيننا غورا
على مصر غيرة على عاصمة الأمويين، من عاشره وخالطه
أنس فيه النخوة العربية ولس منه النفس الأبية والشهامة
البدوية، كما قدر فيه الطموح التسامي الى خدمة بلاده والعمل
على إعلاء شأنها ورفع منارها ورغبته الصادقة في ربطها بسائر
الأقطار العربية برباط وثيق، يحكم العلاقات وينشئ حسن
التفاهم والتعارف بين ساكنيها.

كان خطيبا بليغا ومتقلبا فصيحاً قويا في عباراته اختارها في
القائه ساحرا في بيان اغراضه ومرايمه واضحا في مقاصده،
يستحوذ مشاعر سامعيه وينقل إلى حواسهم، ويثير همهم
ويجذب أنظارهم وأسماعهم بما يرسله من قول لا كلغة فيه
ولا عناء، ويستفتح القلوب التي في الصدور بما يروي من
عقيدة وصدق وإخلاص يجعل السامع يشعر بشعوره ويحسن
بإحساسه ويؤمن بإيمانه وإذا من الله على خطيب بهذه
الخصائص نفذ الى القلوب وتلك أفئدة الجماهير.

كان شغوفا باستقلال بلاده ساعيا في إعلاء شأنها وبناء

كلمة محمود السبيلوني

كان لي الحظ ان تعرفت إلى فقيد الأمة العربية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بما كان يعني وبين أبناء عمومته الشاميين بمصر من صلات حب وود، وكنت أفخر بهم وبصدقتهم لإخلاصهم وحسن وفائهم فرأيتهم على مثل تلك الخلال الكريمة التي كنت المسها فيهم فأجبه قلبي وأكبرت صفاته نفسي . واستبان لي بطول عشيرته ان له طابعاً خاصاً وهو رغبته الشديدة في إحياء المملكة العربية .

وان أنس لا أنسى خطيبته الرنانة التي ألقاها في آخر احتفال أقيم لتكريه في فندق الكونتيننتال بالقاهرة قبيل عودته إلى بلاده للمرة الأخيرة مساء يوم ٨ مارس ١٩٤٠ وكانت من أولها إلى آخرها دائرة حول هذا الموضوع .

لئن كان الدكتور شهبندر قام في حياته بخدمة بلاده وشقيقتها العربية بالحث على ضم الصفوف وتوحيد الكلمة والثقافة وتسهيل سبل التجارة بينها فمن المؤكد انه سيخدمها بعد وفاته أجل خدمة لأن مبادئه لم تقت بل يجيئها أصحابه وأنصاره . رحمه الله رحمة واسعة وعرض منه العروبة خير العرض وألمنا جميعاً على فقده الصبر الجميل .

جاس محمود الوعت

حضرات السادة الأجلاء

كتب فقيد الأمة الدكتور شهبندر فصولاً شائقة عن لورنس المغامر الانكليزي الشهور فلامه في بعض الفصول لوماً شديداً لأنه سلب (السلطان صلاح الدين الأيوبي) الهدية الوحيدة التي تذكرته بها أوروبا لأعماله الخالدة بعد ما نسبتها ثمانية قرون كاملة . وهذه الهدية هي اكليل من الذهب قدمه الإمبراطور غليوم يوم زيارته دمشق من نحو الجبل وقد حفر

جدها نصيراً للوحدة العربية عاملاً على إيجاد روابط تربطها في ثقافتها ولغتها شاعراً بأن ضمان معنوياتها وحفظ كيانها نصرة وبها الاستمالة بأدابه والا حفاظ بتقاليدته التي تشهد لحكمتها ومكانتها اربعة عشر قرناً .

وكان باراً كريماً فاشتهر برأسة الكثيرين عن كانوا يترددون على عبادته الخاصة وحسن معاملته فلم فكان يعني بهم كل العناية ويعطف عليهم كل المعطف ويرفض أن يتناول منهم أجراً وكان يشفق على الفقير منهم فيحسن إليه ويعطيه ثمن الدواء من عنده وله في ذلك حوادث كثيرة يتحدث بها الناس في مصر، وكـم سعى بنفسه لزيارة المرضى الفقراء في بيوتهم على بعد الشقة وروس الأحياء التي يقيمون فيها، فسمح بيده دموعاً وادخل العزاء والعطائية إلى قلوب مكلومه فإن بكت سورية اليوم فقيدها الراحل وبكاه الشرق العربي زعيماً فإن الأسيرة الطيبة في مصر تبكيه زميلاً كريماً والمرض الفقير يكرهه معاً ملكاً باراً رحماً .

أيها الاخوان: يعلم الله أنني نصحت إليه أن لا يغادر مصرنا لما أخبرني بعزمه على مغادرتها ليستأنف جهاده فكان قلبي يشعر بما كان ينتظره من خاتمة أئمة فيا أسفي عليه بين الرجال العاملين وبأ أسفي عليه بين الأصدقاء المخلصين، رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما بذل من جهد وقدم من خبر في حياته الحافلة بالكرومات وجزاه بجهاده واحسانه جنة العليم وجمعنا به في ساحة عفوه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آن الله بقلب سليم .

أسأل الله العلي القدير أن يبعث في نفوس أسرته الكريمة صبراً جميلاً وأن يلمننا جميعاً في فقده العزاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

جزالة الأدب ويندر أن يغلب عنده أحد المستشارين على أخيه.

أما تجاربه فمن ذا الذي يصاحب القضية العربية ربع قرن ويخرج منها خالي الرطب بتجارب الجماعات والأفراد، ومن ذا الذي يلقى الموت ولا يعلم ما هي الحياة، ومن ذا الذي يلبس الناس في أيام القلاقل والنواهض القروية ولا يعرف مدى الأمل والقفوط، وضاية الأمة والطموح وضاية الإسعاف والركود، ومن ذا الذي يكون عربياً حقاً في الجبل الأخير ولا يكون إنساناً حقاً بصيراً فياً في العالم الإنساني من أخلاق ونزعات وحركات وأطوار؟!!

ولست أدعي حق الحكم على سياسة التقيد الكبير في الشؤون العربية فليست على علم وثيق بتفصيلاتها في مختلف الأدوار ولكي أرى ما قرأته له أو سمعته منه في شؤون السياسة والاجتماع مثلاً في السداد وحسن التدبير.

فمن أصدق الموازين للحمية الوطنية قوله « أن الاستقراء قد دلي في الشرق والغرب على أن معيار حب الاستقلال في الأمة إنما يكون على قدر حرمتها وسعيها لإعاشتها وإن الذي لا يغاز على لفته لا يغاز على أمته ».

فهذا ميزان للوطنية لا نعرف ميزاناً أصبح منه في الدلالة على الوطنية الصحيحة، فإن حب الوطن بمعنى حب المكان خصلة يشترك فيها الإنسان والحيوان، أما الوطنية التي تتعلق بالروح والفعل والضمير فتلك هي وطنية الإنسان الناطق أو وطنية اللغة التي تجمع له زمانه ومكانه في ماضي وحاضر ومستقبل منظور.

ومن الصواب البين دعوته إلى التجانس بين العرب في الثقافة والشؤون الاجتماعية فإن الفرق في العادات والأقطار حال لا تتحقق معه الوحدة والاتحاد.

وقد كان آخر عهدي به لفته باحدى المكتبات في القاهرة فسألني عن مصر وسألته عن الشام كيف يسلك أهلها في المحنة الحاضرة - محنة الحرب الأوربية التي توشك - أن تنقلب حرباً عالمياً لا ينحصر فيها موضع ولا قبيل.

قال المغلاء يعرفون الحقيقة ويدركون أن انتصار الحرية خير للقضية

عليه بخط عربي مبين « أن الله يحب المحسنين » وفي سرقة الأموال عار ليس في سرقة الأحياء.

فهل خطر في بال الفقيه وهو يكتب هذا الكلام انه سيقرد رفته الأخيرة في ذلك المكان الضريح الذي غضب له ذلك الغضب وغار عليه تلك الغيرة أو أنه سيحورطه بوفاته وذكرى حياته، وكما يحورط الحارس الأمين صاحب الناج في عالم الفناء؟

لو كان الأمر عا يضرب بالنظر الجديد لجاز أن يقال انه بعد نظر من الحكيم المعلم لأن هذه الصفة النادرة كانت من أوضح صفات شهبندر رحمه الله. فلا يصغى إليه جلبيسه لحظات معدودات حتى يتبين من كلامه وسباق عباراته دلالة الاناة والتبصر ووزن الواقع وسبر الأغوار.

وربما عز على بعض الناس أن يوفقوا بين هذه الصفة الواضحة فيه وبين أقدامه وطموحه الذي يشبه لم صفة الهجوم وقلة المبالاة او صفة الجيال الجموح مع الأقدام ولا داعي للاشتباه بالحقيقة لأن معرفة الواقع لا تقتضي الرضى عنه، وتخطئه ويحاول تبديله فيلوح لمن يراه كأنه ينسى الواقع ويتماثل بالأوهام، وهو في صميم الأمر عليم بالواقع لا يجهله ولا ينساه ولكنه يجترى عليه لأنه قد أوتي من النشاط الحيوي ما يدفع إلى الحركة ويتأى به عن السكينة والاستقرار. ولذلك كان الدكتور شهبندر رحمه الله ممن يتعمدون على الواقع علماً به لا غفلة عنه وهو مع ذلك مطبوع على التبصر والأناة وسبر الأغوار، وقد اجتمعت له أسباب ذلك من فطرة ومن تربية ومن تجارب حياته.

فهو بقطرته رجل أعمال لا يأخذ من الأشياء والحوادث إلا بمقدار ما يترجمه عملاً قابلاً للإنفاذ والإنجاز ولا يمتنع هذا أن يكون إنجازاً مقروناً بالشفقة والإقدام.

وهو بتربيته قد نشأ على المعرفة الأدبية والعلمية فلا هو محصور في معدل التحليل ولا هو مشغول بالألفاظ، ولكنه رجل يعيش في الدنيا بدقة العالم وأريحية الأديب، ويتبني بمستشارين أحدها صادم صرامة العلم وثانيها جزل

المجبة ترؤها اللاذخات والصحف

العربية من انتصار الدول التي لا تؤمن بحق الحرية لشعبها فضلاً عن الشعوب الشرقية، وبدأ عليه الألم وهو يقول « يا أخي هذه الدول سوطان ومذا الذي يمتنى السوطان ولو كان يشكو ذات الرئة »^{١٩}

قلت يا دكتور انك طبيب حتى في السياسة، فكيف العلاج فابتنسم ابتسامه حزينة وقال :

ربنا يطف . . وكان هذا آخر ما سمعت منه وما سمعته عنه ، حتى سمعت نعيه بين الشك واليقين ثم غلب اليقين كما تغلب أخبار السوء في كثير من الأحيان .

يا للمعائب في هذه الدنيا . . اما إنجاب الرجال الأذلاء فشيء تقى به جهود الأمم وأما القضاء عليهم فشيء يستطيعه شرذمة من الطماعة .

سبحانك اللهم لك فيما تريد حكمة . ولعل من حكمة هذا المصائب ان يعرف الشرق اقدار الرجال .

الجمعية تروها لله وللعلم والعرف

هذا هو اليوم السادس الذي تصرم على مصرع فقيد البلاد العالي الرعيم شهيد تلك الفاجعة الأليمة التي مهما حاولنا أن نخفف من حدتها فلسنا نستطيعون إلى ذلك سبيلا؛ لأن فقد رجل كالشهيد على الشكل الذي اختطف فيه بغتة من بين صفوفنا سيقى أثره في نفس هذه الأمة ما دامت ذكرى الشهيد تتردد على الشفاة وتخفق بها الصدور، ومبادئه ومثله العليا هدف العاملين وقبلة المؤمنين برسالة الوطن الكبرى.

لقد شهدنا فيما مضى موت الكثيرين من أبناء هذا الشرق، فكانت الورعة عليهم تختلف باختلاف شخصياتهم وخدماتهم، ولكن لوحة الأمة من موت الشهيد كانت بليغة وأليمة لأن شخصية الرجل فذة، وماضيه لامع، وقلبه طاهر، وسيرته لطيفة، وذمته لم تندسها المادة، ولم يزعزع زخرف المناصب من عقيدته شيئا.

فالمصحف، والكتاب، وكثيرون من أرباب الأقلام والبيان، بكوا الشهيد سرا وعنا، ولقد بكوا فيه صفات الرجل الذي كاد أن يبلغ القمة التي يترفع عليها أفئدة الأبطال وفحول الرجال.

وإذا كان كتاب الشرق أطلقوا لأقلامهم العنان بتصوير عظم المصاب بالنظر لا كانت تتحل به شخصية الشهيد من صفات سامية، وما قدم لهذا الوطن من خدمات سوف يذكرها الأبناء القادمون، والشرفاء المنصفون، فإن محطات الإذاعة العالية قامت بصيب كبير نحو الفريد الكبير قابته تأييدا رائعا، وحلت شخصيته، ومكاند خصومه التي أودت بحياته على الشكل الذي أثار سخط الأمة، وحز في السويداء في صميمها.

الأيام ١٤ غوز ١٩٤٠

عنمت حتى انقلبت إلى موقف انفضحت لها فيه الحقيقة ناصعة جليلة فتنازلت الأدوار التي سبقت مقتل الفقيده والإجتماعات التي عقدت، ثم أثنت على وطنيته البريئة، واستطرت له الرحمة والإخوانه الشهداء.

وإذا كنا لا نجد غرابه في هذا الإفتلاب من خصومة عتيقة، إلى تأييد لمبادئه وأساليبه حتى بعد موته، فهي لعمر الحق شهادة تذكر، ويكفي المرء فخرا شهادة الأعداء.

الصحف والإذاعات العربية

وإذا كانت المحطات العربية لمصر وفلسطين لم تقتصر في أداء الراجب نحو الفقيده الراحل، وأوضحنا للرأي العام العربي حقيقة الرسالة القنيه التي كان يسعى لتطبيقها في بلاده سوريا أولا وجزيرة العرب ثانيا، فإن كبريات الصحف المصرية واللبنانية والسورية لم تأل جهدا بعدد مناقب الفقيده، فقد جرت الأقدام بما هو أكثر من الرصف.

وقد نشرت جريدة الأهرام يوم أمس مقالا إفتاحيا إستقطعت فيه كنيه مصمخ الزعيم، وقالت إن الدكتور شهبندر، عرّف بلاده إلى أوروبا وأمريكا قبل أن يعرفها أهلها أنفسهم، وقد استطاع بما له من أصدقاء كبار في الشرق والغرب أن يقدم لبلاده حسسات تذكر، وأن يتقش في نفوس الطبقات العليا من أهل القارتين الأمريكيتين اسم القنيه السورية والعالم العربي إلى أن قالت :

لقد اعتدت يد أئمة على زعيم العروبة والوطنية فأطلقت عليه النار وقتلته، فقصت بذلك على أحسن خطيب عرفه العرب وعلى أنبل وطني عظيم جاب أنحاء أوروبا وأمريكا ناشرا رسائله الصادقة ورافعا ظلامه العرب إلى كل من له ضمير يحكم وعقل يفكر، أربعمون عاما قضاه الزعيم السوري المغفور له الدكتور شهبندر وهو يحوب الأقطار في سبيل تأدية رسالته الوطنية. . أربعمون عاما قضاه في خدمة الوطن والعروبة. . .

وهنا ذكرت جريدة الأهرام الغراء نبذة عن حياة الزعيم شهبندر وعن أيام دراسته وتفوقه في الجامعة وعن شهادة أساتذته فيه وعن التحاقه بالثورة

لندن

لقد روت محطة لندن البريطانية سيرة الفقيده فقالت عنه : قليلون الذين يعرفون الدكتور شهبندر حتى من أبناء قومه، فقد أدى لهم خدمات سوف لا ينساها المؤرخون الذين يكتبون سير الرجال بجداد قلوبهم، فهو طبيب نابغ وسيد الخطباء في هذا الشرق، وإذا كان الشرقيون لم ينسوا سعدا في مهانيه الخطابية. فإهم لن ينسوا الشهبندر، حكيم الحكماء وسيد الخطباء، وأنيغ الأطباء والوطني البريء الذمة القني السريه، بالإضافة إلى حياته اللامعة بالسخن والنقي والإغتراب، وإذا كان الشهبندر، قضى بأيدي الغادرين فلاهم يجهلونه، وقد عاد إلى سوريا بعد غربة زادت على السنوات العشر، فأنضم خصومه السياسيين في حلبة المنطق والرأي المسديد وبثه شعبه من المواد المخدرة التي أقمده ونيمته على الثقة، ثم أيقظته من ثباته وألق فيه روح الوطنية بعد أن كادت أن تلتفظ أنفاسها، تلك هي الأسباب التي تسبغ على موته ثوبا سياسيا لا شك فيه.

فالشهبندر ابن قيله، ومعلم جيله.

روما

هذا غيض من فيض عما تحدثت به محطة لندن إلى سكان الشرق الأدنى والعالمين العربي والإسلامي والأميراطورية البريطانية، لم تكن محطة روما الإيطالية بأقل من زميلاتها البريطانية، توضيحا لشخصية الفقيده العالي.

فقد تناولت محطة روما موقف الشهبندر ونشأته، فقالت إنه من أبطال الرعيل الأول من جنود القضية العربية، فقد عاصر جحور الأتراك وجزار الصحراء، حافيا عاريا إلى موطن الرشيد ويطحاء الحجاز، وانضم إلى أشيال الحسين بن علي سيد القضية العربية ومنقذها الأمين، وظل يكافح في سبيل أمته ووطنه حتى لاقى شتى الإضطهاد وذاق المرارة، كل ذلك، لم يثن عن عزيمته ولم يفت من عضده.

برلين

أما محطة برلين، فقد كانت إلى أيام قلائل، حتى إلى ما بعد مصرعه، تكمل له بالكليل الغرض، واللفظ الحاد، وتبعته بأنه من دعاة الإنكليز، وما

جزاء كل زعيم خلد بلاده بصدق وإخلاص، وإذا كان جزاء كل رجل يخدم شعبه بصدق، رصاصة من يد أحد أفراد الشعب فوسعنا منذ الآن أن نقرأ على الوطنيين المخلصين السلام.

وعن فراره وعودته إلى سوريا والحكم عليه بالإعدام وفراره مرة ثانية إلى مصر ثم العقوبة وعودته إلى سوريا إلى أن اغتالته اليد الأثيمة القاتلة . ونشرت (المظلم) بقلم الكاتب الأستاذ كريم ثابت مصالا ضخما بحق الفقيد الذي عاش في مصر ردحا من الزمن حتى أسماها وطنه الثاني فبكنه بكاء بليغا واعتبرت فقده أول معول هدام ، إنقض على أمّتن صرح في بناء هذا الوطن .

ولقد أبت الأيدي الأثيمة إلا أن تفجّع العالم باغتيال الزعيم أثمة قيامه بأشرف واجب عرفه الإنسان إذا صرعه وهو يداوي مريضه المتمارض . وأثنى الأستاذ ثابت رسالته بتعداد مزايا الزعيم الراحل .

وإذا كانت الصحف المصرية وقت الفقيد حقه على القوطاس ، وأدعت سيرته السامية للذين ما زالوا يعيدون عن معرفتها ، فإن الرجال المصريين أعربوا عن ألهم وجددهم لما وقع بأسف عميق وحزن بليغ .

فقد أقامت أسرة الفقيد بالقاهرة سردافاً كبيراً بالقرب من داره المرحمة بعد فقده جلل بالسواد وأخذت تستقبل وفود المعزين والمراسلين ، وقد سمعنا حطة راديو القاهرة تقول : إن مصر شيها وشبابها ، ورجالها ووزرائها ، ورجال الحل والمقد فيها والعلماء الكبراء والأدباء والشعراء يتقدمهم النواب والشيخ ، نذكر منهم عبد المجيد صالح إبراهيم باشا وعبد الرحمن فحجي بك ، وعوني عبد الله بك ورئيس الجامعة المصرية والدكتور الدريدري والدكتور محجوب بك ثابت تزحف إلى سرداق ماتم الفقيد ، تقدم التعازي إلى أسرة أبي فيصل ، تلك الأسرة التي إذا خلفها الشهيدان الكلل واليتيم فإنه خلفها بالوقت نفسه شرفا لا يزول ، وسمعة لا تطويها الأيام .

أهكذا يصرع الرجال؟

وأما في فلسطين فقد عقدت جريدة (الصراط المستقيم) الصادرة في حيفا مقالا انتاحيا بعنوان (أهكذا يصرع الرجال) تكلمت فيه عن مزايا الفقيد الراحل وعن جهاده المتواصل أربعين عاما كاملة وعن مآثره ومواقفه الشريفة إلى أن اغتالته الأيدي الشريرة وانتهت الجريدة إلى القول : فإذا كان

الفصل في الامور

الفصل في الامور

الفترة لأمم المتحدة

بعد أن اعتقل من المشتكين في جريمة قتل الزعيم الشهيد وبعد أن توفرت الأدلة التي ساعدت القضاء على كشف الجريمة وإظهار مرتكبها، فقد حرك معاون نائب الجمهورية الأستاذ نضوح الأتوبي الدعوى باسم الحق العام، وأودع كافة الأوراق التي تجمعت حول جناية مقتل الزعيم الشهيد إلى قاضي التحقيق الذي كان يعرف بالمستطوق وكان يومئذ المرحوم الأستاذ فلاذدير السبح، الذي باشر بدوره بالتحقيق منذ وقوع الجريمة في ٦ تموز من عام ١٩٤٠ بحيث ما كاد يظهر بنتيجة تحقيقاته من هم خلف هذه الجريمة الشنعاء حتى فوجيء بأمر من مدير العدلية العام بتاريخ ٦ آب من عام ١٩٤٠ يأمره فيه بالتوقف عن إكمال التحقيق وفي اليوم التالي من تاريخ هذا الأمر صدر المرسومان التاليان :

مرسوم رقم ٧٦٧

إن رئيس مجلس المديئين العاملين مدير الداخلية العام .

بناء على قرارات المفوض السامي رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦/ل. ر
المؤرخة في ٨ تموز ١٩٣٩ .

وعلى قرار المفوض السامي المتضمن إلغاء القرارات رقم ٧٨ المؤرخين في
٢٤ كانون الأول ١٩٢٥ ، ١٦ شباط ١٩٢٨ ،

وعلى قرار رئيس الدولة السورية رقم ١٣٦٤ تاريخ ١ أيلول ١٩٢٥
ورقم ١٦٩ تاريخ ١٣ تموز ١٩٢٦ .

وبناء على اقتراح مدير العدلية العام وموافقة مجلس المديرين .

تاريخ ٨ تموز ١٩٣٩ وبناء على القرار رقم ٢٣٨ المعدل الصادر بتاريخ ٢٠

حزيران ١٩٢٨ بشأن التنظيمات القضائية ،

وبناء على المرسوم رقم ٧٦٧ وتاريخ ٨/٧/١٩٤٠ ،

وبناء على الفقرة الأولى من المادة الأولى من القرار رقم ٣٦٤ المؤرخ في ١ أيلول ١٩٢٥ المعدلة بالقرار رقم ١٦٩ تاريخ ١٣ تموز سنة ١٩٢٦ ،

وبناء على قرار مجلس المديرين العامين ٦٥٣ تاريخ ٦ آب ١٩٤٠ بأن قضية مقتل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر متعلقة بسلامة الدولة ،

وبناء على إقتراح مدير العدلية العام ،

يرسم ما يلي

المادة ١ - تحال على المجلس العدلي قضية مقتل المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الجارية بحق المدعو احمد عصاصة وكافة من لهم علاقة بهذا الجرم .

المادة ٢ - يذاع هذا المرسوم وينتفع الى من يلزم .

دمشق في ٤ رجب ١٣٥٩ و ٧ آب ١٩٤٠

رئيس مجلس المديرين العامين
مدير العدلية العام
مدير الداخلية العام
خليل رفعت

هتج الخطيب

وبناء على المرسومين الاتفي الذكر فقد اتخذ المستنطق السوري

المرحوم الأستاذ فلاذير السبع القرار التالي :

قرار
أساس

—
—
٥٢٥
٤٧٦

نحن فلاذير السبع المستنطق الأول بدمشق .

بناء على المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب عام ١٩٤٠ أقر :

تودع هذه القضية مع قائمة المفردات والمسدس والثلاثة عشر خرطوشة

٣١٣

يرسم ما يلي

مادة ١ - يؤلف المجلس العدلي المنصوص عليه في القرار رقم ٣٦٤ المؤرخ

١ أيلول ١٩٢٥ المعدل بالقرار رقم ١٦٩ تاريخ ١٣ تموز سنة

١٩٢٦ كما يأتي :

المسؤولين فيه رئيس محكمة الاستئناف الناطقة بالدهاوى الأجنبية

بطلب رئيسا .

والأعضاء السادة :

كثير العضو في محكمة التمييز الناطقة بالدهاوى الأجنبية بدمشق .

يوسف روكس العضو في محكمة التمييز بدمشق .

عبد الحميد الماردني العضو في محكمة الاستئناف بحلب .

وجيه الشراي رئيس محكمة البداية بدمشق .

القائد مصطفى حكمت العدوي مفوض الحكومة لدى المحكمة

العسكرية للدرك السوري نائباً عاماً .

مادة ٢ - يقوم بوظيفة الاستئناف لدى المجلس العدلي نائب الزعيم كويتو

قائد اللواء الأول للدرك سوريا الجنوبية .

مادة ٣ - يعين بقرار من مدير العدلية العام المساعدون العدليون اللازمون

للمجلس العدلي ونيابته ولدائره الإستئنافية .

مادة ٤ - يذاع هذا المرسوم وينتفع الى من يلزم .

دمشق في ٤ رجب ١٣٥٩ وفي ٧ آب ١٩٤٠

رئيس مجلس المديرين العامين
مدير العدلية العام
مدير الداخلية العام
خليل رفعت

هتج الخطيب

مرسوم رقم ٧٦٨

إن رئيس مجلس المديرين العامين مدير الداخلية العام .

بناء على قرارات المفوض السامي رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ / ل . ر

٣١٢

وبناء على قرار الاحالة المؤرخ ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٠،
وبناء على سير التحقيق الجاري بحق أحمد عصاصة ورفاقه بجادة قتل عن
تعمد،

أولاً: لما كان تبين من التحقيق الجاري بحق أحمد عصاصة بأنه ارتكب
بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في زمن غير معين بدمشق جريمة
قتل عن تعمد على شخص المذكور عبد الرحمن الشهبندر وهي
جريمة يعاقب عليها قانون الجراء بموجب مادته ١٧٠،

ثانياً: لما كان تبين فيما يتعلق بالمدعويين (١) احمد الطرايشي (٢) صالح
معتوق (٣) سعيد الحصري (٤) عزت الشماغ بأنهم شركاء في
تلك الجريمة في ظروفها ومعايدها وأنهم ساعدوا في ارتكاب الجريمة
المذكورة وهو ما يعاقبه القانون في المواد ١ و ٤٥ و ١٧٠ من قانون
الجراء،

ثالثاً: لما كان تبين من التحقيق الجاري بحق (١) محمد الحرش الملقب بأبي
صالح و (٢) سامي الحفار بكونهم ارتكبوا في أيار وحزيران وتموز
١٩٤٠ مع عصاصة المذكور وحرضوه بواسطة ذراهم ويوعود على
ارتكاب الجريمة عن تصميم واحضروا له عن سابق معرفة أسلحة
استخدمت لارتكاب الجرم وساعدوه بالمعلومات اللازمة لذلك وهي
جريمة يعاقب عليها بموجب المادتين ١٧٠ و ٤٥ من قانون الجراء،

رابعاً: ولما كان تبين أن خليل الفندور وعلي محمد خيرو الحفاني وفوزي
الحفاني بأنهم اشتروا في نفس المكان والزمان في القتل عن تصميم
وأنهم ساهموا في تدبير وتسهيل اتمام الجرم وهو جرم يعاقب عليه
قانون الجراء في مادته ١٧٠ و ٤٥،

خامساً: ولما كان تبين بحق عاصم النائي وجميل مردم وسعد الله الحابري
وطفي الحفار بأنهم اشتروا بنفس الظروف والمكان أن يتحريضهم
وأن بالعودة أو بالتدابير والتحليل في القتل عن تصميم وهو جرم
يعاقب عليه القانون في المادتين ١٧٠ و ٤٥،

٣١٥

والشطين والخلافات الجلبدي ودقر معانيات المذكور عبد الرحمن الشهبندر،
وظرف ضمنه الرصاصه والخرطوشه الفارغة الى مقام نائب الجمهورية
بدمشق لاجراء احكام القانون.

٥ رجب سنة ١٣٥٩ و ٨ آب سنة ١٩٤٠.

المستطلق
الحاتم والنوقيق

مع الأدوات الجرمية التي هي عبارة عن مسدس وثلاثة عشر خرطوشة
ومسطين ودقر معانيات ومغلف يحتوي على رصاصه إلى مقام النيابة العامة
بدمشق.

١٩٤٠/٨/٨

نائب الجمهورية
نصح الأيوبي

والنيابة العامة بدمشق أحالت في نفس اليوم اضية التحقيق والآلات
الجرمية معها الى المستطلق نائب الزعيم كويتو قائد اللواء الأول لدرك سوريا
المعين فلذا المنصب عملاً بالرسوم ٧٦٧ تاريخ ٧ آب كما بينا آنفاً وقد
استأنف المستطلق الجلبدي التحقيق وأنجزه وأودع الاضبارة الى النائب العام
لدى المجلس العدلي لإبداء مطالعته حول القضية التي تم التحقيق فيها،
وفي ١٣ تشرين الأول من عام ١٩٤٠ أبدى النائب العام مطالعته التالية:

مطالعة النيابة العامة في تحقيقات

المستطلق القائد الدركي كويتو

دمشق في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٤٠

مطالعة نهائية

نحن القائد مصطفى حكمة العدوي المدعي العام لدى المجلس العدلي
بناء على المادة ١٢٢ من قانون أصول المحاكمات الجزائية،

٣١٤

وأن يقول بأن لا موجب للاحقة شكري القوتلي وبشير القضماني وأحمد دعدوش فيما يتعلق بالقتل عن تصميم وذلك وفقا للمادة ١٢٣ من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

دمشق - النيابة العامة - ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠

وبتاريخ ١٣/١٠/١٩٤٠ وبناء على مطالعة النائب العام اصدار المستنطق قراره باحالة القضية الى المجلس العدلي المؤلف عملا بالرسوم ٧٦٧ تاريخ ١٩٤٠/٨/٧ هذا نضمه :

قرار إحالة أمام المجلس العدلي ومنع محاكمة المرفوع الى المجلس العدلي من قبل المستنطق القائد الدركي كويتو

نحن نائب الزعيم كويتو قاضي لدى المجلس العدلي
بناء على التحقيق الجاري بحق أحمد عصامه ورفقه فيما يتعلق بجريئة قتل عن تصميم .

وبناء على مطالعة حضرة المدعي العام المؤرخة - ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٤٠

وبناء على المادة ١٧٨ من قانون أصول المحاكمات الجزائية .
ولما كانت ظهرت دلائل كافية بحق أحمد عصامه .

أولا : بكونه اركب بتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل الأحوال في زمن غير معين وبدمشق جريئة قتل الدكتور شهبندر عن تصميم وهي جريئة يعاقبها القانون في المادة ١٧٠ .

ثانيا : بأنه حاول بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وبالاشتراك مع الحرش والحاني والغندور والحفار قتل عمدا وعن تصميم الدكتور شهبندر وهي جريئة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦

سادسا : ولما كان تبين فيما يتعلق بأحمد عصامه ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح بأنها حاولا في شهر تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل الأحوال في زمن غير معين وذلك بدمشق ان يرتكبا باختيارها وعمدا منها ولكن بدون تصميم قتل افراد من القوة العامة أثناء قيامهم بالوظيفة على ان تلك الجريمة كانت غايتها تحقيق فرائهم وهي جريئة يعاقبها قانون الجراء في مادتيه ١٤٥ و١٤٧ .

سابعا : لا كان تبين أن أحمد عصامه ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح ومحمد الحاني وخليل غندور وسامي الحفار حاولا بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وعلى كل حال في زمن غير معين قتل الدكتور شهبندر عن سابق تصور وتصميم وهي جريئة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦ ،

ولكن لما كان لم يظهر دلائل كافية على شكري القوتلي وبشير القضماني وأحمد دعدوش بكونهم بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في زمن غير معين بأنهم ارتكبوا القتل عن تصميم على شخص الدكتور شهبندر .

لذلك نطلب الى قاضي التحقيق :

أن يأمر بحالة المدعويين : أحمد عصامه ، أحمد الطرايشي ، صالح معترف وسعيد الحصري وعزت الشماح .

ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح وسامي الحفار وخليل غندور ومحمد الحاني وفوزي القباقي .

وعاصم الناطلي وجميل مردم بك وسعد الله الجابري ولطفي الحفار .

وأحمد عصامه ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح ومحمد الحاني وخليل غندور وسامي الحفار .

امام المجلس العدلي كي يحاكموا وفقا للقانون عن الأعمال المذكورة في أعلاه .

ثانيا : ووجد بدمشق بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين حاملا سلاحا بدون اجازة وهو جرم تعاقبه المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦

خامسا : ولا كان ظهور من التحقيق دلائل كافية على عزت الشماع :

أولا : بأنه بدمشق وبتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك وعاون في مقتل اركبته عصاصه وكان ذلك عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

ثانيا : بكونه وجد بتاريخ ٦ تموز وعلى كل في زمن غير معين حاملا سلاحا بدون اجازة وهو جرم تعاقبه المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦ .

سادسا : ولا كانت ظهرت من التحقيق دلائل كافية بحق خليل ابراهيم الغندور :

أولا : بكونه بدمشق بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك وعاون عن تصميم في جريمة قتل اركبته عصاصه ودير وسهل إقام تلك الجريمة وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .

ثانيا : بكونه وجد بدمشق بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ مشترك مع الحافي والحفار والحرش وعصاصه وحاول ان يرتكب بالاشتراك متهم جريمة قتل الدكتور شهيد عن تصميم وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادته ١٧٠ و٤٥٠ .

ثالثا : ولكونه وجد في شهر حزيران سنة ١٩٤٠ حاملا أسلحة بدون اجازة وهو جرم مصوص عنه في المادة ١ التالية من القرار ٧٣٦ .

سابعا : ولا كان ظهر من التحقيق دلائل كافية على محمد خير الحافي :
أولا : بكونه في شهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ اشترك في جريمة قتل اركبته عصاصه عن تصميم وساعد على تدبيرها وتسهيل تنفيذها وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .
ثانيا : بكونه في دمشق وبتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ اشترك مع عصاصه

ثالثا : ثالثا : وبكونهم في شهر تموز على كل في زمن غير معين حاولوا عمدا دون تصميم قتل أفراد القوة العامة أثناء قيامهم بالوظيفة وكانت غايتهم من ذلك تسهيل فرارهم وهي جريمة يعاقبها القانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠

رابعا : وبكونهم خلال شهر تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وجدوا حاملين أسلحة متنوعة بدون رخصة وهو جرم يعاقبه القرار رقم ٧٣٦ في مادته الثانية .

ولما كان ظهر من التحقيق دلائل كافية على صالح الشيخ محمد معترف :

أولا : بكونه اشترك في دمشق بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وعاون على جريمة قتل عن تصميم اركبته عصاصه وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

ثانيا : بكونه في دمشق وبتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وجد حاملا سلاحا بدون اجازة وهو جرم يعاقبه القرار رقم ٧٣٦ في مادته الثانية .

ثالثا : ولا كانت ظهرت من التحقيقات دلائل كافية على احمد الطرايشي :

أولا : بأنه من تاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك بدمشق بقتل جرى عن تصميم من قبل عصاصه وأنه عازنه على ذلك وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

ثانيا : بكونه حمل سلاحا بدون اجازة وهو جرم تعاقبه المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦

رابعا : ولا كانت ظهرت من التحقيق دلائل كافية على سعيد الهندي الملقب بالطصري :

أولا : بأنه بدمشق وبتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك وعاون عن تصميم في مقتل اركبته عصاصه وهي جريمة يعاقبها قانون الجزاء في مادتيه ١٧٠ و٤٥٠ .

عن تصميم في قتل اركبه عصاصه على شخص الدكتور شهيندر وساعد على تنفيذها باعطائه دراهم ومواعيد واعطائه عن معرفة أسلحة استخدمت لتنفيذها كما أنه ساعد فيها وحضرها وهي جريمة يعاقبها القانون بمادتيه ١٧٠ و٤٥٥ .

ثانيا : بكونه وجد في شهر حزيران وعلى كل في زمن غير معين حاملا أسلحة مخبئة وهو جرم يعاقبه القرار رقم ٧٣٦ في مادته الثانية .

ثالثا : بكونه بدمشق وبتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ حاول بالاشتراك مع الحفار وعصاصه وغندور والحافي قتل الدكتور شهيندر وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .

حادي عشر : ولما كان ظهر من التحقيق دلائل كافية على عاصم التالي : أولا : بكونه في أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك في قتل اركبه عصاصه وكان ذلك عن تصميم وسبب ذلك القتل لإعطاء دراهم ومواعيد ودسائسه وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٥ .

ثاني عشر : ولما كان ظهر بالتحقيق دلائل قوية على جميل مردم بك : أولا : بكونه في أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين اشترك بمواعيده وتقديم دراهم ودسائسه اشترك في جريمة قتل اركبها عصاصه وكان ذلك منه عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٥ .

ثالث عشر : ولما كانت ظهرت بالتحقيق دلائل كافية بحق سعد الله الجابري :

أولا : بكونه اشترك عن تصميم في جريمة قتل اركبها عصاصه وكان ذلك بأشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين وأدى الى اركبها بمواعيده واعطائه دراهم ودسائسه وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٥ .

رابع عشر : ولما كانت ظهرت من التحقيق دلائل كافية على لطفي الحفار :

وغندور والحرفش والحافي في محاولة قتل الدكتور شهيندر عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .

ثالثا : بكونه وجد في شهر حزيران سنة ١٩٤٠ حاملا أسلحة بدون اجازة وهو جرم منصوص عنه في المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦ .

ثامنا : ولما كان ظهر من التحقيق دلائل كافية بحق فوزي القباي :

أولا : بكونه في أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ اشترك في جريمة قتل اركبها عصاصه عن تصميم وساعد على تديرها وتسهيل تنفيذها وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٥ .

ثامسا : ولما كان ظهرت بالتحقيق دلائل كافية على محمد الحرفش الملقب بأبي صباخ :

أولا : بكونه في أشهر حزيران وتوز وأيار ساهم في مقتل اركبه عصاصه عن تصميم وعرض عليه تقديم دراهم ومواعيد وقدم له عن معرفة أسلحة استعملت في الجريمة وساعد عليها وحضرها وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٥٥ .

ثانيا : بكونه في ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ حاول بالاشتراك مع الحافي والغندور والحفار وعصاصه قتل الدكتور شهيندر عن تصميم وهي جريمة يعاقبها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .

ثالثا : بكونه في شهر توز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير معين حاول قتل أفراد القوة العامة عن تصميم وهم أثناء قيامهم بالوظيفة قاصدا بذلك تسهيل فرارهم وهي جريمة يعاقب عليها القانون في مادتيه ١٧٠ و٤٦٠ .

رابعاً : بكونه وجد في أشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ حاملا أسلحة بدون اجازة وهو جرم منصوص عنه في المادة الثانية من القرار رقم ٧٣٦ .

عاشرا : ولما كانت ظهرت بالتحقيق دلائل كافية بحق سامي الحفار :

أولا : بكونه في دمشق وفي أشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ اشترك

على التحقيق الجاري بحق :

- ١- عادل بن محمد عصاصة الملقب بأحمد المولود في دمشق عام ١٩٢١ والمقيم في باب السريجة حارة الجديدة ، والدته عائشة مهتته تاجر منزوج معلم سوري محكوم عليه بخمسة أشهر سجن من محكمة جنابات دمشق بتاريخ ١٩٣٨/١٢/٣١ بجادة اطلاق عيارات نارية ونظم يحقه تسعة ضبوط جادة مضاربة واطلاق عيارات نارية وحمل أسلحة .
- ٢- أحمد بن قاسم الطرابيشي والدته زينب عمره عشرون سنة مهتته طرابيشي مقيم في باب السريجة قنات أعزب سوري معلم غير محكوم .
- ٣- محمد صالح ابن الشيخ أحمد معنوق نجيب والدته مزيان مولود في عام ١٩١٩ مقيم في دمشق مهاجرين طالب علم متاهل سوري غير محكوم نظم به ضبط جادة ضرب وجرح بجلقط في ١٩٣٧/١/٣١ .
- ٤- سعيد بن أحمد الهندي الملقب بالطصري عمره ستة وعشرون سنة بائع خضر متزوج سوري متعلم مقيم في الشاغور - معصرة . غير محكوم .
- ٥- عزت بن توفيق الشماغ والدته لطيفة عمره عشرون سنة مقيم في دمشق - عقيية عامل كنزات سوري أعزب غير محكوم .
- ٦- سامي بن سعدو الحفار عمره ثمانية وعشرون سنة مهتته حفار قبور أعزب سوري أمي مقيم في الشاغور - حارة النحتانية غير محكوم نظم به ضبط جادة حل مسدس في ١٩٣٧/١١/١٤ .
- ٧- محمد بن خيرو الحافي عمره واحد وعشرون سنة خياط مقيم في الميدان الوسطاني أعزب متعلم سوري والدته مريم محكوم بالسجن يوم واحد وغرامة قدرها ثمانية قروش جادة حل مدية في ٢٩ آب ١٩٣٩ .
- ٨- خليل بن ابراهيم الغندور الملقب بأبي فياض والدته رقية عمره اثنان واربعون سنة حارس أمي أعزب سوري محكوم عليه بجادة قتل خمسة عشر عاما بالاشتغال الشاقة في ١٩٢٢/١٢/١٨ وبالسجن ثمانية أشهر

أولاً : بأنه في أشهر أيار وحزيران وتوز سنة ١٩٤٠ وعلى كل في زمن غير

معين اشترك عن تصميم في جريمة قتل اركانها عصاصة بمواعيده واعطائه دراهم ورسائسه وهي جريمة يعاقبها القانون في مادته ١٧٠

٤٥٠

إلا أنه لا كانت لم تظهر دلائل كافية على :

أولاً : شكري القوتلي

ثانياً : بشير القضماني

ثالثاً : أحمد دعدوش وبناء على المادة ٢٠٩ من قانون المحاكمات

الجزائية :

فأهذه الأسباب

تأمر بأنهم والاحالة الى المجلس العدلي :

أحمد عصاصة ، وصالح معنوق ، وأحمد الطرابيشي ، وسعيد الهندي الملقب بالطصري ، وعزت الشماغ ، ومحمد الحرش الملقب بأبي صباح ، ومحمد الحافي وخليل غندور ، وسعيد الحافي ، وعاصم النابلي ، وجعل مردم بك ، وسعدالله الجابري ولطفي الحفار وفوزي القباني كي يحاكموا أمامه وفقاً للقانون عن الأعمال المعزرة اليهم والمذكورة في أعلامها .

يقول بأنه يجب القبض على الجميع وسجنهم في غرفة نظارة العدلية المنشأة لدى المجلس العدلي عدا المدعوين جعل مردم بك وسعدالله الجابري ولطفي الحفار .

ويقول بعدم ملاحقة المدعوين شكري القوتلي وبشير القضماني وأحمد دعدوش ونرفع مذكرة الإحضار الصادرة بحق الشاهدين هيلين عجمي وعبد طباع .

١٣ تشرين الأول ١٩٤٠ قاضي التحقيق

وعقب الانتهاء من استجوابات المتهمين والشهود لدى المجلس العدلي أبدت النيابة العامة للمجلس هذه المطالبة ، إن النائب العام لدى المجلس العدلي القائد مصطفى حكمة المدوي بناء

المؤامرة

منذ عدة سنوات كان أحمد عصامه يجتمع بصورة منتظمة الى المدعوين صالح معتوق وأحمد الطرابلسي وسعيد الحصري وعزت الشماخ وكان يجتمع من جهة أخرى الى سامي الحفار وعبد الحرش وخليل الغندور وعبد الحافي .

وأنه قبل الجرم بشهر ونصف تقريباً أي في ٢٩ أيار سنة ١٩٤٠ بينما كان أحمد عصامه ماراً في سوق الحميدية دعي من قبل سامي الحفار الى جامع الأموي فدخل الى الجامع حيث التقيا بأبي صباح الحرش ومحمد الحافي وأبي فياض الغندور وفوزي القباي وشاب عرف أثناء المقابلات أنه عاصم الثاني وكان هذا الأخير يقول : ان الدكتور شهيد جاسوس انكليزي وهو عامل على فريق الكلمة وفريق الكلمة الوطنية وقد دار الحديث عن وجود خونة كالدكتور ، وقد قيل عنه بأنه عدو الدين والكلمة فاتفق جميع الحاضرين على اغتياله وعلى الاجتماع في اليوم الثاني في منزل عصامه .

وفي ٣٠ أيار ١٩٤٠ اجتمعوا كلهم ما عدا فوزي القباي في منزل عصامه وقد طال الاجتماع ساعة تقريباً وكان الحديث يدور حول الموضوع السابق وكان عاصم الثاني يقول إن الشهيد انكليزي السياسة ويرغب في ادخال الانكليز الى هذه البلاد وهو الذي فرق الكلمة في البلاد وأوصلها الى هذه الحالة وكان الجميع يوافقون على هذا الكلام ويقولون عن الدكتور إنه خائن ومضر بالبلاد ويدعون الكلمة ويجري بحث عن كيفية تنظيم الاغتيال فأصروا جميعهم عليه وأن سامي الحفار قال لهم : بعد الاغتيال سنتقلنا سيارة الى العراق فيها إذا عرفنا ، وأن معيشتنا مؤمنة هناك من قبل جيل

بجلاء سرقة في ١٩٢٣/٢/٩ وأن هذين الحكيمين قد شملها العفو الصادر في ١ حزيران سنة ١٩٣٧ .

٩- عاصم بن غالب الثاني والدته نظيرة عمره سبعة وعشرون سنة مجاز في الطوق مقيم في دمشق قوات أعزب سوري غير محكوم .

١٠- جيل بن عبد القادر مردم عمره أربع وأربعون سنة حلاك مقيم في دمشق متزوج سوري غير محكوم .

١١- سعد الله بن الحاج عبد القادر الجابري عمره ثمان وأربعون سنة مقيم في حلب أعزب سوري غير محكوم .

١٢- لطفي بن الحاج حسن الحفار عمره خمسون سنة مقيم في دمشق صالحة جسر شارع نوري باشا متعلم سوري غير محكوم .

١٣- محمد الحرش الملقب بأبي صباح الفار .
١٤- فوزي القباي الفار .

ذلك فسرد لهم عصاصة كل ما جرى معه وكل ما رآه عند الطبيب وأعاد الى محمد الحافي ٢٢ ليرة سورية وهو المبلغ الذي تبقى معه وعندئذ قال له سامي الحفار والحرش يجب ان تنفخ عدة أيام لاجاد أشخاص برافقوك الى عيادة الطبيب .

وفي ٥ أو ٦ حزيران ١٩٤٠ مساء قرع باب دار عصاصة رجل لم يتمكن التحقيق من معرفته فسلم عصاصة كيسا يحتوي على مسدس وضلائف ومشطين قائلا له خذ هذا فان الجماعة أرسلوه اليك . وقد أثبت التحقيق ان الحرش كان قد اشتري الضلايف من عند السروجي اسماعيل سوار وكان في ذلك الحين يرافقه عصاصة .

وفي ٨ أو ٩ حزيران سنة ١٩٤٠ تقابل عصاصة مع أبي صيلح الحرش فسأله هذا الأخير عما إذا كان استلم المسدس فأجابه عصاصة بالإيجاب . وفي ١٥ أو ١٦ حزيران سنة ١٩٤٠ قضى أبو صيلح الحرش ليلته في منزل عصاصة ولما سأله عصاصة عن هذه الزمرات انبرى أبو صيلح الحرش يمدح جميل مردم بك قائلا إنه على استعداد لأن يضحى بحياته في سبيل حزب جميل مردم بك وأنه بعد خمسة عشر يوما يكون الناس جميعهم ضد الدكتور شهنبر .

وبعد مدة عقد اجتماع في دار محمد الحرش ضم الحرش والحفار والغندور والحافي وقد تذاكر هؤلاء بالخطة التي يجب اتباعها في الاغتيال فانفقوا ان يكون ذلك يوم الاربعاء الواقع في ٣ تموز ١٩٤٠ مساء على أن يكون الاجتماع في الأموي وانفقوا ان يقوم الغندور بإطلاق الرصاص يساعده الباقون بإقام الجريفة ، ولما أعلمهم الغندور ان ليس لديه سلاح أجابه الحفار انه سينزله بمسدس وطلب الحفار الى عصاصة ان يذهب معهم ليرشداهم الى دار الدكتور فذهب الحفار وعصاصة والحرش والحافي والغندور وأرشداهم عصاصة الى الدار وأنه في هذا الاجتماع قال الحرش والحفار : بعد الاغتيال سيقبضون من جميل مردم بك ولطفي الحفار ثلاثمائة أو أربعمائة ليرة ذهبية وأنها سبرسلانكا الى العراق عن طريق قرابا الملح . وفي ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ ذهب عصاصة بناء على طلب محمد الحافي

مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار ، وأيد هذا الوعد عاصم الناطلي ، وقال عصاصة ان جميع المسلمين سيعطون علينا بعد الجرم وكل شيء مؤمن لنا في العراق وأنا سيقبض بعد ارتكاب الجريفة ثلاثمائة أو أربعمائة ليرة عثمانية ذهبية بواسطة عاصم الناطلي بدفعها جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار ، وقرر ان يقوم عصاصة بالكشف على مكتب الدكتور وسيحضر بالاشتراك مع سامي الحفار الأسلحة اللازمة بواسطة الشاب المذكور أعلاه .

في اليوم الثاني في ١ حزيران ١٩٤٠ اجتمع في الجامع الأموي بناء على اتفاق سابق كل من سامي الحفار والغندور والحافي وعصاصة وقالوا بأن الرجل الشريف هو جميل مردم بك وجماعة الكتلة وأن جميل مردم كان يحمل مشاقا وذهب الى باريس وقالوا أيضا بأن الفرج قريب وقد حان وقت العمل فانفقوا جميعاً على اغتيال الدكتور وإعلان الحرب على حزبه وانفقوا أن يجتمعوا في اليوم الثاني .

وفي اليوم الثاني ٢ حزيران سنة ١٩٤٠ اجتمع في الجامع الأموي بناء على اتفاق سابق كل من عصاصة والحرش والغندور والحفار وطلبوا من عصاصة أن يجد مريضاً ليذهب معه الى عيادة الدكتور شهنبر ليكشف المحل وقالوا له إنه سيجد الحافي في منتصف سوق الحميدية وإن هذا الأخير سيعطيه دراهم وبالفعل وجد عصاصة الحافي امام الجامع الصغير ينتظر في سوق الحميدية ولما رآه الحافي سلمه خمسا وعشرين ليرة سورية وبدون أي طلب من عصاصة عن السبب أجابه الحافي ان ذلك أجرة معينة للطبيب .

وفي ٣ حزيران سنة ١٩٤٠ أخذ عصاصة صديقه احمد الطرايشي الى عيادة الدكتور شهنبر فعابنه الدكتور ودفع له عصاصة ثلاث ليرات سورية أجرة معينة ولما سأل الدكتور عن اسم المريض أجابه عصاصة فورا إنه يدعى جيدر رمضان وكان ذلك بناء على التعليمات المعطاة له من قبل سامي الحفار ، وقد أيد ذلك دفتر أساء المرضى للدكتور شهنبر . ولما عاد عصاصة الى الأموي وجد الحفار والحافي والحرش والغندور وفوزي القفاني وان هذا الأخير عندما شاهد عصاصة أتيا قال ها هو قد أتى ، وذهب بعد

الحفار وأقامه بلزوم القيام بهذه المهمة مع بعض رفاقه لكونهم غير مشبوهين وقال سامي الحفار إنه أراد ان يقوم عدة مرات بهذه المهمة إنما لم ينجح لكونه مشهورا ولهذا السبب أستندوا الى عصامة هذه المهمة فقبل عصامة جيتند ورسم له سامي الحفار الخطة التي يجب ان يتبعها في مهمة الاغتيال وانفقوا ان يجتمعوا في اليوم الثاني أي الجمعة في جامع دنكر حيث يسلمونه الأسلحة اللازمة .

وفي نفس النهار اجتمع عصامة مع رفاقه الطرابيشي والشماع والمتوق والحصري في جامع النورية فأعاد على مسامعهم أقوال الحفار والحرش وطلب اليهم ان يشتكروا معه بحرية الاغتيال فانفقوا جميعا على ذلك وقد زاد صالح معتوق قائلا ان الدكتور شهنيدر ملحد ويكوز قتله شرعا .

وفي يوم الجمعة المصادف في ٥ غوز سنة ١٩٤٠ حوالي الظهر اجتمع عصامة الى الحفار والحرش في جامع دنكر فاستلم منها صرة ضمنها ثلاثة مسدسات وأخذ منها أيضا ثلاث ليرات سورية بناء على اتفاقهم وفي نفس النهار ذهب عصامة والمتوق والشماع والحصري والطرابيشي الى الزبوة على سبيل الزهرة وكان الحديث بينهم عن الدكتور شهنيدر ومن المحتمل انهم قد تباحثوا في كيفية الاغتيال فانفقوا جميعا على ان يجتمعوا غدا في جامع النورية .

وفي اليوم المعين أي يوم السبت الواقع في ٦ غوز ما بين الساعة السابعة والثامنة اجتمع كل من العصامة والمتوق والطرابيشي والشماع والحصري في جامع النورية فوزع عليهم عصامة المسدسات وكان مع المتوق مسدس فدينم وأخذ من عصامة أفضل منه وأعطى مسدسا الى الشماع ثم خرجوا من الجامع وذهبوا حتى سوق النين وانفقوا في هذا المكان فذهب عصامة والحصري لشراء سلة تفاح لاعتقادهم ان ذلك يكون دليلا على نيتهم الحسنة نحو الدكتور ، وقد سبقهم المتوق والشماع والطرابيشي الى شارع البرلمان حيث انتظروا الحصري والعصامة وقد وصل هذان الآخران ومعهما سلة التفاح ثم عاد عصامة وحده حتى سوق الخيل فاستأجروا سيارة وقد شرط السائق ان يقبل له مريضا من شارع البرلمان حتى يحمله الفحامة وطلب

الى الجامع الأموي فوجد فيه الحرش والعندور والحافي والحفار ولم يتمكن التحقيق من معرفة الحديث الذي دار بينهم في هذا الاجتماع إنما ثبت من اعتراف الأظناء أنهم كانوا متفقين على اغتيال الدكتور شهنيدر في ذلك اليوم وان العندور أظهر استعدادا للقيام بهذه المهمة فوزع سامي الحفار مسدسات على العندور والحافي وكان هو والحرش فاصبح كلهم مسلحين عدا عصامة على ما يظهر فخرجوا من الجامع قاصدين مكتب الدكتور شهنيدر فدخلوا جامع دك الباب حيث أدوا صلاة المغرب ثم توجهوا الى عصامة الدكتور شهنيدر فقرأوا امام مكتب الدكتور شخصا قال لهم : عودوا فان الدكتور لم يجضر وقد قيل عن هذا الشخص انه ابن الطباخ او ابن الطباخ ولكن التحقيق والمقابلات المادية التي جرت لم تتمكن من معرفة هذا الشخص فذهبوا بعد ذلك الى دار عصامة واعتذر الحفار والعندور عن الدخول الى دار عصامة وظل الحرش والحافي في تلك الليلة في دار عصامة وقد اعترف الحرش الى عصامة بناء على طلب والحاح الثاني للاول أنهم قادمون على اغتيال الدكتور شهنيدر بناء على طلب جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار وان هؤلاء الأشخاص سيساعدونهم ماديا ومعنويا فيما اذا قبض عليهم وهم اللذين أخبروا الحرش عن وجود الدكتور في مكنته في ذلك النهار وان المسدس الذي ارسل الى عصامة هو ملك أحد فلاحي النخوة من رجال جميل مردم بك .

وفي ٣ غوز سنة ١٩٤٠ اجتمع سامي الحفار والحافي والعصامة في الجامع الأموي وقد التقوا العندور لاقتراف الجرية إنما خاف هذا الأخير من نتيجة هذا العمل فترك الاجتماع وفر الى السويداء ولم يسفر هذا الاجتماع عن شيء .

وفي نهار الخميس المصادف ٤ غوز اجتمع عصامة الى سامي الحفار بناء على طلب من هذا الأخير بواسطة غلام في جامع الباقوشية في الشاغور ، وقد شاهد هناك أيضا الحرش والحفار وقد طلب هذان الشخصان الى عصامة ان يقوم باغتيال الدكتور شهنيدر وشجعه على هذا العمل قائلا ان له ان لهم سنا في هذا العمل هو جميل مردم بك وسعدالله الجابري ولطفي

وفي اليوم الثاني اجتمع عصاصة الى الحرش في بساتين الميدان وكان مع الحرش رجالان فأخذ عصاصة من أحدها مسدسه (البرابو) الذي كان استعماله في الجرية وقضى الليل في البساتين وفي ذاك النهار الجمعة في ١٢ تموز سنة ١٩٤٠ فوجيء عصاصة والحرش أثناء وجودهما في البساتين برجال الشرطة فأطلقا النار عليهم وفرا هارين وبعد ذلك عادا الى علة الميدان وانفرد عصاصة عن الحرش وراح عصاصة يتنقل من منزل الى آخر حتى ألقى عليه القبض يوم الاثنين الواقع في ١٥ تموز ١٩٤٠ .

ويستنتج من كل ذلك ان المدعو عصاصة قد أقدم على اقتراف جريمة قتل الدكتور شهبندر عن سابق تصور وتصميم أي منذ أواخر شهر أيار ١٩٤٠ وأن هذه الفكرة ظلت في ذهنه حتى يوم اقتراف الجريمة وأنه هو الذي افترع شركاءه المعتوق والطريشي والحصري والشماع بلزوم اقتراف تلك الجريمة وأنه هو الذي قام بتنظيمها وأنه حاول أثناء التحقيق الاستطائي ان يخفف عن نفسه المسؤولية فقال : انه كان أطلق النار على الدكتور من دون قصد لأن مسدسه كاد يقع من حزامه فالتقطه واذ ذاك انطلق العيار الناري من دون أدق ارادة . إن هذا الأسلوب هو متناقض لجميع الأدلة التي جاءت ضده أثناء التحقيق ومتناقض حتى مع إفاداته السابقة التي اعترف فيها اعترافا صريحا أنه هو الذي أطلق النار على إرادته .

وأنه ولا شك بأن المدعويين المعتوق والطريشي والشماع والحصري قد وافقوا عصاصة على اقتراف جريمة قتل الدكتور شهبندر واشتركوا في هذه الجريمة وهم عالين بها وعلى اطلاع تام بها ، وأن كل ذلك ثابت في إفاداتهم لدى الشرطة والمستنطق الأهلي وقد حاولوا ان يرجعوا عن هذه الافادات أمام المستنطق ولكن في التناقضات التي ظهرت في افاداتهم برهانا كافيا لاثبات عملهم وتأييد افاداتهم السابقة وأن الشيخ صالح معتوق قد لعب دورا هاما إذ انه سهل لعصاصة مهمة قهرله بقتل الدكتور قائلا له : ان قتل الدكتور مسموح به شرعا وهو الذي أوعز الى عصاصة والذي صودر منه في السجن إفادته لدى المستنطق كما هو ثابت من الكتاب الذي صودر منه في السجن وهذا الكتاب يؤيد بصورة جلية الوقائع المسرودة أعلاه .

إليه أن ينتظر مدة من الزمن ، ولما أتى عصاصة الى شارع البرلمان في السيارة وجد الشماع أمام دائرة الصحة فأوقفت السيارة في هذا المكان ، وظل الشماع بالقرب منها ، ذهب عصاصة وبعد قليل أوعز الشماع الى السائق ان يتجه بسيارته الى مفترق الفرسيه وكان يوقفها مقابل الشارع الذي يقطن فيه الدكتور وتوجه في هذه الاثناء العصاصة والحصري والمعتوق والطريشي الى عيادة الدكتور فظل الحصري في الشارع أمام المنزل يراقب الطريق فدخل المعتوق والعصاصة والطريشي غرفة الانتظار فصرف الخادم عصاصة والطريشي اذ انهما كانا قد زارا الدكتور من قبل فأخذ منها سلة ألتفاح وأخير الدكتور بوجودهما وبعد ان انتظرا قليلا أذن لهم الدكتور بالدخول فدخل عصاصة والطريشي الى غرفة المعايمة وبينما كان الدكتور منحنيا على الطاولة يذوق في دفتر زيارات مرضاه ويبحث عن الرخصة التي كان أعطاها للمريض أطلق عصاصة عليه عيارا ناريا فأصابه في الناحية الخلفية اليمنى فوقع الدكتور على الأرض فخرج الاثنان من مدخل ثاب مارين بغرفة الاستقبال حيث اجتماعا بالخادم فهدهد عصاصة بسلاحه فخاف الخادم وفر الى المطبخ ثم اجتماعا على الدرج بالمعتوق وفي أسفل الدرج بالحصري فاطلقوا جميعهم هرايين نحو السيارة وهناك هددوا جميعهم السائق بمسدساتهم وطلبوا اليه ان يسرع وكان عصاصة يوجهه الى حيث يريد حتى وصلوا الى علة الفحامة فالتجأوا الى دار شقيقة عصاصة حيث سلم كل منهم مسدسه الى عصاصة وتفرقوا بعد ان تناولوا طعام الغداء .

وفي نفس النهار ذهب عصاصة الى جامع الباغوشية ومن ثم الى منزل فوزي القباي بناء على الوعد المتضمن أنهم سيجدون سيارة تقلهم الى العراق فوجد الجامع مغلقا ولم يجد أحدا في دار فوزي القباي فعاد الى منزله حيث قضى ليلته ثم في صباح اليوم الثاني الأحد ذهب الى المهاجرين فقضى فيها ليلتين او ثلاث مع المعتوق والشماع وفي يوم الاربعة عاد عصاصة الى الشاغور وسلم المسدسات الى رجل يعرف أن له صلة دائمة مع الحفار والحرش ومن ثم ذهب الى منزل محمد الحافي وقضى فيه ليلة وأخبره الحافي بأن الحرش والحفار قد استلم المسدسات وأنها سيجهان إليه .

ويستنتج أيضاً من إفادات العصاصة والخفار والحافي والفتندور ان المادع والمحررض لهم على اقرارهم قتل الدكتور شهيندر هي الوعود والتأمينات والجبل والدسائس التي قام بها بصورة غير مباشرة كل من جيل مردم بك وسعدالله الجابري ولطفي الخفار والتي يتضمن أكثرها مساعدتهم مساعداً مالياً وتأمين سفرهم للعراق وتأمين معيشتهم هناك . وان فكرة اغتيال الدكتور شهيندر كانت في بية جيل مردم بك قبل وقوع الجريمة كما تبين من شهادة المدعو محمد الدرخباني .

وقد ثبت أيضاً ان المتهمين لم تكن غايتهم الوحيدة قتل الدكتور شهيندر فحسب بل كانوا يرمون من وراء ذلك الى إيقاد نار الفتنة بين الأحزاب ليتمكنوا بعدئذ من الوصول الى بغيتهم ألا وهي نشوب اضطرابات تؤدي الى حرب أهلية طاحنة .

وقد أيد التحقيق أيضاً المعلومات الآتية :

أولاً : خلافاً لما قاله عصاصة وعاصم النابلي فان الشاهد حي الدين بدوي أفاد أنه رأيها واقفين أمام دكان صبحي مالك في شارع رامي وذلك في أواخر حزيران ١٩٤٠ .

ثانياً : تبين من شهادة الدكتور منير شيخ الأرض أنه كان يسعى مراراً للترقيق بين جيل مردم بك والدكتور شهيندر غير أنه فشل في مساعده لتفريب جيل مردم بك وعدم تلبية رجاءه ومسايطه وأضاف هذا الشاهد قائلاً ان عاصم النابلي قد استولى عليه اضطراب عندما وقعت عيناه على أساءة القتل غير أنه ما لبث أن عاد الى هدوئه عندما تأكد من فرار الفاعلين .

ثالثاً : أفاد الشاهد محمد الدرخباني أنه كان كلف مراراً من قبل جيل مردم بك للقيام بهمة اغتيال الدكتور شهيندر لقاء وعده بمبلغ من المال وقد أفاد هذا الشاهد أيضاً ان الشيخ الصابوني قد توسط لديه كي لا يعطي شهادة ضد جيل مردم بك فوعده وكان الشيخ الصابوني قد حضر الى دار الدرخباني حيث تحدث مع هذا الأخير بهذا الشأن وان الدرخباني قد أشهد عليه ثلاثة شهود هم عوض الكناكري وفوزي

أما الحرش والخفار والحافي والفتندور فان هؤلاء الأظناء قد عملوا على تهية الجريمة أثناء الاجتماعات العديدة التي اشتركوا فيها وكونوا فكرة الاغتيال وكان الحرش والخفار يشجعان هذه الفكرة ويبدلان كل ما في وسعها من جهد لإقناع رفاقها ، ولا تم الاتفاق بينهم على الاغتيال أخذ الحرش والخفار عيئان الخطط اللازمة لإتمام الجريمة وقد بينا للقتلة الخططة الواجب اتباعها كما أنها زداهم بالأسلحة اللازمة وأنه أثناء الاستطلاع قد انكر سامي الخفار جميع الأعمال المنسوبة اليه ولكنه كان قد اعترف أمام المستطق الأهلي وأمام مدير الشرطة ومترجمه العريف بهجة كحال من أنه كان قد اشترك في الاجتماع الذي عقد في الجامع الأموي وحضره شاب قال الحرش عنه إنه عاصم النابلي .

وأما الفتندور والحافي فإنها بعد موافقتها على مشروع الاغتيال اشتركا فعلاً في جميع المؤامرات التي كان من شأنها تهية الجرم وتسهيل تنفيذه وأن الفكرة المجرمة قد اختبرت في أذهانها لدرجة أنها لم يكنفيا بالاشتراك في محاولة القتل التي جرت في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ بل قدم الفتندور نفسه للقيام بهمة الاغتيال .

وقد ثبت أيضاً من التحقيق ان فوزي القباني كان على اطلاع تام بكل ما يجري بين المتهمين العصاصة والخفار والحرش والحافي والفتندور وأنه كان حضر أول اجتماع في الجامع الأموي وكان كلما شاهد أحد المتهمين حاول أن يعمد بالاك فيما اذا كان محتاجاً لذلك . ويستنتج أيضاً من أقوال المتهمين ان موعده اجتماعهم بعد القتل كان في دار فوزي القباني او في جاسع اليافوخية حيث كانوا موعودين ان تنتظرهم هناك سيارة تأمين فرارهم .

ويستنتج أيضاً بأن المدعو عاصم النابلي كان قد اشترك بالاجتماعين الأولين اللذين عقدا في الجامع الأموي وفي منزل عصاصة وقد توصل النابلي في هذين الاجتماعين الى إقناع رفاقه باغتيال الدكتور شهيندر قائلاً لهم ان الدكتور خائن ومضر للوطن وقد حرضهم على الاغتيال وسهل لهم ذلك بالعود والتأمينات وخلافها وقد عرفه عصاصة لدى أول مقابلة جرت وفقاً للشروط القانونية كما أن الحافي قد اشبه به .

جامسا : بمساعدتها ومعاونتها عصاصة باعطائها إياه التعليمات والخطط .
جرم منصوص عنه ومعاقب عليه بموجب المادتين ١٧٠ و ٤٥٥ من
قانون الجراء .

سادسا : ان المدعويين خليل الغندور الملقب بأبي فياض ومحمد خيرو الحافي
وفوزي القباني متهمون كونهم في نفس الظروف والمكان والزمان
اشتركوا في جريمة القتل عمدا المرتكبة من قبل عصاصة لتسهيلهم
وتخفيفهم اقتراف هذه الجريمة . المادتان ١٧٠ و ٤٥٥ من قانون
الجزاء .

سابعا : ان المدعويين عاصم النائي وجيل مردم بك ولففي الحفار وسعد
الله الجابري متهمون كونهم في نفس الظروف والمكان والزمان
حرضوا على ارتكاب الجريمة بواسطة مبلغ من المال والوعود
والدسائس والخلل وبذلك اشتركوا في جريمة القتل عمدا . جرم
منصوص عنه ومعاقب عليه بالمادتين ١٧٠ و ٤٥٥ من قانون الجراء .

ثامنا : ان المدعويين أحمد عصاصة ومحمد الحرش الملقب بأبي صياح متهمان
أيضا كونهما حاولا في دمشق خلال شهر تموز ١٩٤٠ وعلى كل في
وقت لم يمر عليه الزمن اقتراف جريمة القتل من دون تعمد على افراد
القوات المسلحة أثناء قيامهم بالوظيفة مع الملاحظة بأن هذا الجرم
كانت الغاية منه تأمين قرارها . المادتان ٧٤ و ٤٦ من قانون الجراء .

ثامسا : ان المدعويين أحمد عصاصة ومحمد الحرش ومحمد الحافي وتحليل
الغندور وسامي الحفار كونهم متهمين وكونهم بدمشق في ٢٥ حزيران
١٩٤٠ وعلى كل في وقت لم يمر عليه الزمن حاولوا بالاشتراك مع
بعضهم وبالاتفاق اقتراف جريمة القتل عمدا على شخص الدكتور
شهبندر جرم منصوص عنه ومعاقب عليه بالمادتين ١٧٠ و ٤٦ من
قانون الجراء .

عاشرا : ان المدعويين أحمد عصاصة وصالح معتوق وأحمد طريشي وعزت
شماخ وسعيد الحصري ومحمد الحرش وسامي الحفار ومحمد الحافي
وتحليل الغندور متهمون أيضا كونهم خلال أشهر أيار وحزيران وتوز

الحموي والشريطي هاشم الهاني .
وقد شهد الشاهدان الأولان بأن الصابوني طلب فعلا الى الدريخاني
أن لا يعطي شهادة بحق جيل مردم بك ولكن الشرطي هاشم الهاني لم
يؤيد هذا القول مطلقا .

رابعا : لقد أفادت الآتية ابلين عجمي لدى المستنطق الأهلي خلافا لأقوال
جيل مردم بك وعاصم النائي من أن جيل مردم بك قد زار النائي أكثر من
مرة وقالت أيضا إنها كانت تكلمت مع شقيقات عاصم النائي نتيجة
وخديجة وقالت لها إن آل المؤيد مستعدون لإسقاط الدعوى عن عاصم
النائي فيما اذا اعترف بالحقيقة فأجابتها شقيقة عاصم بقولها (أتريدين أن
تظهر الجريمة) فأجابتها نعم إذا كان عاصم بريئا .

وبناء على ذلك :

أولا : ان المدعوي أحمد عصاصة متهم كونه ارتكب في دمشق بتاريخ ٦ تموز
سنة ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمدا على
شخص الدكتور شهبندر وهذا الجرم منصوص عنه ومعاقب عليه
بالادة ١٧٠ من قانون الجراء .

ثانيا : ان المدعويين أحمد الطريشي وصالح معتوق وسعيد الحصري وعزت
الشماخ متهمين كونهم في نفس الظروف والوقت والمكان قد اشتركوا
في الجريمة المذكورة بمساعدتهم ومعاونتهم جرم منصوص عنه
ومعاقب عليه بالمادتين ١٧٠ و ٤٥٥ من قانون الجراء .

ثالثا : ان المدعويين محمد الحرش الملقب بأبي صياح وسامي بن سعدو الحفار
متهمان كونهما في دمشق خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠
وعلى كل في وقت لم يمر عليه الزمن اشتركوا في جريمة عصاصة أولا
بتحريضها إياه بواسطة مبلغ من المال والوعود لارتكاب جريمة القتل
عمدا .

رابعا : باعطائها الأسلحة التي استعملت في اقتراب هذه الجريمة وهما على علم
بذلك .

الرفاه

استمعت محكمة العدل في دمشق الى مرافعات وكلاءالدفاع في حادث اغتيال فتيد العروبة الزعيم الخالد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وقد تجاوز عددهم بموجب وكاليتين رسميتين من ورثته العشرين ، بينهم الأساتذة زكي الحطيط ، الدكتور منير العجلاني ، أحمد فؤاد القضماني نقيب المحامين السابق وفرزت المملوك النائب السابق والفرنسي (فيران) ، وكما أن هؤلاء المحامين الأكارم توازعو الدفاع فيما بينهم بحيث اقتضرت مرافعة كل واحد منهم على ناحية من نواحي القضية او على متهم أو أكثر فقد كنا نحرص على نشر مرافعاتهم جميعا ليطالع القارئ الكريم على تفصيلات هذه القضية ، بيد أنه لا كان هذا متعذرا وكانت مرافعة الاستاذ القضماني شاملة جميع أسباب هذه الجناية المروعة وظروفها وعوامها ونفسية المتهمين فيها ونزاياتهم الخفية، وكانت مثبتة أن الجرية لم تكن بدافع ديني كما يدعي المتهم أحمد عصاصة بل كانت سياسة مدبرة يستحق مدبروها ما يفرضه القانون عليهم من عقوبات، فقد كنا نود الاكتفاء بنشر هذه المرافعة دون غيرها، ولكن لما كان زملاء الدكتور العجلاني أوكلوا اليه الكلام عن شخصية الزعيم السياسية وكانت مرافعته بالغة التأثير بالنظر لا فيها من وصف رائع لعبقرية الشهبندر ووطنية الشهبندر واخلاص الشهبندر وجهاده ولا كان يتحلى به من المناقب والمواهب التي يندر ان تتوفر إلا بأمثاله من أفاضال الرجال وكذلك على شخصية القتلة الخمسة الأشرار وعلى نفوسهم الشريرة في جرمتهم الكراء التي هزت العالم العربي وروعت النفوس فقد ارتأينا أن ننشر هذه المرافعة أيضا الى جانب مرافعة الاستاذ القضماني .

١٩٤٠ على كل في وقت لم يمر عليه الزمن حلوا مسدسات بدون رخصة جرم معاقب عليه ومنصوص عنه في المادة ٢ من القرار ذي الرقم ٧٣٣٦ .

قائمة شهود الحق العام : يحي الدين بدوي ، صبحي مالك ، عاشور مالك ، منير شيخ الأرض ، محمد درخاني ، عوض الكناكري ، فوزي الحموري ، الشرطي هاشم الهاثلي ، محمد عبد الرحمن الصعدي ، سعدو ابن ابراهيم حيد ، اسماعيل آشيقي ، فلاديمير سبع والسيدة إيلين عجيبي .
« ترجمة طبق الأصل » - في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٠
دمشق - ٢٦ تشرين الأول سنة ١٩٤٠

صدر عن النيابة العامة بدمشق
لدى المجلس العدلي

مرافعة الملكة لأمير المؤمنين في قضية الحج أمير الساجين

أيها الشعب !

اليك تعرض قضيتنا ونعتبر أنك القاضي الأعظم
أيها السادة القضاة !

بيدكم الأمانة . أمانة الشعب كله ، لأن دستوره فوض القضية ان
يحكموا باسمه . فما أثقل هذه الأمانة على النفوس الأمينة ، لأن القضاء في
شأنها لا يصدر باسم سلطان ، او صاحب تاج ؛ او اميراطور ، كما تنص
دساتير بعض الأمم ، بل ينطق باسم الشعب بكامله ، فالسلطان يموت ،
وصاحب التاج يزول ، والاميراطور يفنى ، ولكن الشعب حي لا يموت .

ما هي هذه الأمانة ؟ هي أمانة غالية ، ليست من المثاليات التي يوجد
مثلاها ، ولا من العديديات التقديرية ، لأن بينها وبين أفراد المجتمع تفاوت لا
يقدر ، بل من القيميات التي لا نظير لها في الأمة .

أمانة ! أرفع من الكنوز ، وأثمن من المال ، والعقد ، والجاء ،
والسلطان .

أمانة ! ثروة أمة نبتت في حقل الفضيلة والشرف في مثل ملح البصر .

ما هي هذه الأمانة ؟ هي دم شهيد . نعم دم شهيد بعينه . ومن لا
يصدق فليحج لزيارة السلطان العادل صلاح الدين بن أيوب . مشيد أركان
الدولة الأيوبية ، وعميد أعظم دولة من الدول الإسلامية ، فيجد جاره
البطال شهيد خالدا في النعيم ، وأنوار النبي يحيى زكريا تعرف على
قبرها .

أيا القضاء :

إن رأيتم أني مرتت ببعض المقاطع بدون لفظ (سادق) ، فلأن سيادة القضاء على المتقاضين مقطوع بها ، سواء ذكرت أو لم تذكر ، وولاية القضاء على الناس إجبارية لا خيار فيها لواحد منهم ، ولاكنم لستم من الذين يذهبهم إطراء ، أو يستميلهم اغراء .

أقول قبل ان تكونوا قضاة ، فانكنم بشر مثنا ، وكلكنم رجال ، وبآء أسر ، تجون أبناءكنم ، وتعدونكنم مصدر هتاككنم في هذه الحياة ، لأنكنم انبثقوا منكنم ، وهم جزء منكنم ، والآنسان يجب أجزاءه ، وكما ان الأب مسؤول عن حماية عياله وأبنائه وهو شريك الأم في ملكيته الأولاد وحيه لهم مغروس في طبيعته بفعل ناموس « الوراثية » فكذلك جب البنين للأب ما هو إلا رد فعل ، أي تصادم عاطفي لا بد منه ، وعليه يقع في ذمتكنم أيا الآباء تقدير هذه العواطف الانسانية المتبادلة بين الآباء والأبناء التي خلقت مع الأدمية منذ تكونت الطبيعة .

أجل ، إذا سئلت الآباء من أهل الرحمة وعن في قلوبهم شيء من العطف والحنان ، وفي نفوسهم ذرة من حب العائلة ، عن موقف أطفال ، تأمرت على حياة أبيهم زرة من الناس فضلت إراقة الدماء على صيانة الدموع ، ورجحت العار على رحمة الساء ، فقفست عليه ظلما وعدوانا ، وفجعت قلوب أولئك الأطفال التي لا تتسع - على صغر حجمها - لهذه الكارثة الفاسدة ، فماذا يكون الحكم ، وماذا يكون المصير من الناحية الانسانية العاطفية ؟

تترك الجواب على ذلك للآباء ، الأحياء في شرفهم ، والأحياء في الفاجعة شعورهم ولحساسهم . إن الأطفال الذين يردون كلمة (بابا) وتتغذى في أحساسهم من نور الله ، ومن الرعرة في حضون آبائهم ، لا يطبقون الاستقرار على مقعد ولا تمضض لهم عين إذا سمعوا أو رأوا مشهدا أليسا بأبيهم يريق الدموع ويقت الأكباد .

في اليوم السادس من شهر غور سنة الف وتسعمائة وأربعين ، قتل

هذه يا سادق هي الأمانة المقدسة التي أودعت اليكم ، وأهلها - وهم الأمة - من ورائكنم يعتمدون - في الحرص عليها - على نواهتكنم وشرفكنم وسنن آبائكنم .

وان قول السيد الرسول ﷺ « الشرف معوان » أكبر باعث لتشجيعنا على الاعتماد عابكنم ، لأن عملاكنم ، وعلة وجودكنم على أريكة القضاء إنما هو الشرف الذي لا يعاذه شيء في الحياة .

نحن الآن وقف امام أفضل مظهر يتمثل به العدل . والعدل = الذي قال فيه ، (أرسطو) ان به قوام العالم .

نحن اليوم في حضور أكبر هيئة قضائية مستقلة يرى فيها الناس الضمان الوحيد لئلا المجتمع عدالة لا تعرف المحاباة .

نحن في ظل قضاء يحمون بقوة ضمائرهم ، وقوة أعصابهم ، الروح الذكية التي فاضت لخلاقتها تنكو ظلم بني الانسان ، قضاء يحطمون في حكمهم - كل أئيم نزع من قلبه شرف الحياة ، وتأصلت في نفسه الدنيايا ، أو حاول هنك شرف العدالة .

سادق !

هذه هي مهمة القاضي ، حقا انها مهمة خطيرة ، مهمة هائلة ، لا تتطلبه من عظمة وفضائل : ولم تكن هذه الظهيرة حديثة العهد في القرون الأخيرة ، بل انها قديمة الوجود ، بدليل قول الرسول ﷺ « من ولي القضاء ، فقد ذبح بغير سكين » . حتى أن الإمام الأعظم (أبا حنيفة) دعي الى القضاء مرة ثالثة فقال حتى أستشير أصحابي ، فاستشار أبا يوسف فقال : لو تقلدت ، لنفعت الناس ، فنظر اليه ابو حنيفة نظر الغضب وقال : أرأيت لو أمرت ان أعبر البحر سباحة أكنت أقدر عليه ؟ ومات وهو على الإباء .

ولكنكنم أنتم توليتم القضاء ، ومارستموه مدة طويلة ، فتوفر علمكنم ، واتسعت مدارككنم واستنارت أذهانكنم من كثرة التجارب ، ووهبكنم الله من نوره ما تفوقون به بين الحق والباطل ، ولكمن من خوف الله ، ومن حصانة الضمير ما يجعل الطمأنينة تستقر في القلوب .

عاصمة الامويين . فقد قال فخرمة هاشم بك الاتاسي رئيس الجمهورية السورية : « الشهيد علم من أعلام الأمة ، حل لواء الدعوة العربية وهي ناشئة في مهدها ، فعلا صوته في الدفاع عنها ، وركب الاخطار في سبيلها ، وقد تجاوز أثره ، كما تجاوز صدق الرزء به ، حدود بلاد الشام ، فطوى المراحل ، وبلغ مختلف الأقطار » .

وقال سمو الأمير عبدالله بن الحسين أمير شرقي الأردن : « أما الشهيد فقد لحن بالكرام المكرمين في الدارين ، نبت شهها وعاش نبلا ، ومات أمينا فان كنتم تتوجعون له ، وتريدون تخليد اسمه ، فعليكم جميعا ان تحذوا حذوه ، وتتبعوا خطواته في الاخلاص للوطن والنيات على المبدأ ، كما فعل هورحه الله » .

وقال صاحب الرفعة محمد محمود باشا رئيس الوزارة المصرية الأسبق : « الراحل الكريم الشهيد ، فقيد سورية ، وفقيد الفكرة العربية ، ذهب ضحية عقيدته وسعيه لاستقلال وطنه ، وضحى براحته وهناء أهله وبغفاه بين أبناء وطنه ، وقد أراد ان يشيد الكرامة والعزة لسوريا ولجند العرب جميعا » .

وقال العلامة الكبير محالي الاستاذ محمد بك كرد علي : « التاريخ لا يكذب مهما دلس فيه المدلسون ، والتاريخ سينصف الدكتور شهيد ويزكر غناه وبلاه . موزونا تيزان العدل والنصفة ، وسيقول عنه إنه أمة وحده ، وأنه من خير من نبع في الأمة العربية في هذا القرن ، وإنه أحد أفراد قلائل باعوا أنفسهم في مرضاة الوطن ، وأثبتوا بأعمالهم أنهم كانوا شيئا عظيما في الحياة ، لا كالذين دخلوا العالم وخرجوا منه لم يحس بوجودهم أحد » .

وقال صاحب النبطية العلامة انطون عريضة بطريرك انطاكية وسائر الشرق للطائفة المارونية : « لا بللنا ذلك الحبر المشؤوم بالاعتداء على حياة الزعيم العظيم من يد أئيمة وهو يعالج المرضى ويشفي أسقامهم ، جزنا جزنا شديدا وأسفنا كل الأسف على فقد تلك الشخصية الممتازة التي كان يرحى منها خير عميم للوطن » .

وقال صاحب النبطية العلامة السيد الكسندروس طحان بطريرك انطاكية

الرجل العظيم ، قتل الرجل الخالد ، قتل الزعيم شهيد . قتل الشهيد الحي ، الذي كابد في حياته من صنوف العذاب وأنواع الآلام ما لا يستطيع أن يتحملة بشر ، وذلك في سبيل قوميته ، وعرويته ، واستقلال بلاده . قتل المجاهد الذي كان يعتمد - في حقوق بلاده - على الله ، ويثق بعده ورجته ويعدّ الدماء التي تسيل من أجسام الاحرار مستحقا الى شهب نارية حمراء تهوي فوق رؤوس أعداء الفضيلة فتحترقهم .

قتل الرجل الذي كان يطلب منزلة من المترشحين : إما الحياة بشرف ، وإما الموت بساعات الضلال .

قتل الحر الذي كان يقول : موت الجبان في حياته وحياة الشجاع في موته . قتل الزعيم البريء الطاهر الذي لم يلوث يده في حياته بحريكة ، ولم يقترب بينه وبين ضميره إثسا ، ولم تلوثه الذنوب والآثام ، ولم تعيث به الأهواء والشهوات وعاش عيشا طاهرا شريفا لم يشب ماضيه شائبة .

كان المغرول الشهيد رجلا وأكبر من رجل ، كان وحده أمة كاملة ، إنه عاهد نفسه على إنجاز عمل عظيم ، فكان صادقا في وعده برغم أن الأمانة التي حملها ثقيلة وأين الكثيرون من الذين يتشدقون في الوطنية ان يحملوها بعبء ، فحملها وحده سنين طويلة حتى اصطفى له إخوانا اعتمدهم في مهمته .

سادق ،

شهد أهل الساء والأرض على ان الشهيد لم يد ضعفا في جهاده الوطني ، ولم يخضع لسلطان مستبد أو لقوة لا تستند على الحق ، فقد كان شريفا صديقا ، صدوقا لعرويته أمينا على حقوق شعبه ، ذاق طعم الموت في سبيل وطنه وجد أمته موات عديدة ، وعدا كل ذلك ، فقد كان رحمه الله - حكيما ، فيلسوفا اجتماعيا ، سياسيا كبيرا . كان يؤلف من شخصيته مجموعة علمية عظيمة لا نظير لها في الشرق . ولا أدل على ذلك أكثر مما جاء بأقوال أكابر رجائن الشرق وأعظم المساسة من رجالهم بحق الفقيده العظيم يوم حفلته التأبينية الكبرى التي أقيمت بمدرج الجامعة السورية - دمشق -

هذا القرآن العظيم يحاري الزمن بتطوره ، والوقت بتقدمه ، ويبحث في أصول الدين من إيمان وتوحيد وعبادة ، وفي جميع مرافق الدنيا من الشرائع الخلقية والاجتماعية والسياسية ، بدليل قوله تعالى ﴿ وما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

وقد طأطأت الانسانية - على اختلاف مذاهبها - الرؤوس لعظمة القرآن ، وهناك وثائق تاريخية لا تحصى لأعظم رجالات الدول العريقة في المجد ، وكلها تفاخر بتلك العظمة ، أذكر منها نص الوثيقة التاريخية التي خطها (نابليون بونابرت) بشأن عظمة القرآن ، فقد كتب بتاريخ ٢٨ آب سنة ١٧٩٨ ما نصه : « أمل ان لا يضي زمن طويل حتى أجمع عقلاء البلاد وههنايتها وأقرر معهم نظام الحكم مبني على مبادئ القرآن ، إذ هي وحدها الكفيلة بمعادة البشر » .

وقال الشهبندر - رحمه الله - « العروبة أقوى من ان تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يجمعها » .

والقتل حرام بحرام بنظر جميع الشرائع السماوية والأرضية . فقد قال سيد البشر النبي محمد ﷺ بخطبة في عرفات : « ألا أن دماءكم ونفوسكم محرمة عليكم كحرمة يومي هذا ، في شهري هذا ، في مقامي هذا » .

حتى انه لا قتل ابن جنّة رجلا من أهل الجاهلية . قال النبي ﷺ : « لا يرحم ، فدفن بعد موته ، فلفظته الأرض ، ثم دفن فلفظته الأرض . فقال : أما انها تقبل من هو أعظم جرما منه ، ولكن الله أراكم حرمة القتل » .

وقال أيضا : « يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا ، ولا يجب بعضكم بعضا ، هدم الكعبة ودميتها في البحر أسير عند الله من انسان يستخف بإنسان أو يبيعه وزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق » .

وقال أيضا : « ليس المؤمن من يقول انا مؤمن . المؤمن من آمنه على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه » .

وسائر المشرق للروم الأرثوذكس : « فقيد الأمة السورية بل فقيد الأقطار العربية الدكتور عبد الرحمن شهبندر كان في مدى حياته الزمنية وبعدمها أنشبت به النية أطفالها بمصرعه الأليم مذكورا بمبادئه القوية وأخلاقه الراقية ، واسمه مدون في سفر الحياة الخالدة بأبائه الذين أنشأهم على غراة في انتهاج أقوم السبل ، وبأخوانه الناصحين على منواله في خدمة البلاد بصميم حي ، ورأي حصيف ، ولزادة صداقة لا تتلوى ولا تتلون ، فهي عمل ما هو حسن للمنفعة العامة ، لا يترجو أجرا من بشر ، ولا ذكرًا عن جهاد شاق » .

الى آخر ما قيل بحق الراحل العظيم من الأقوال التي يفتق بها القرائس .

فقضية قتل الشهبندر لم تكن جناية على المتهمين وحدهم ، ولا على سوريا وحدها ، ولا على سياسة الشرق وحدها بل هي على الاخلاق والعلم والفضيلة والندية والحضارة ، لا بل على هذا الجيل والأجيال القادمة .

لقد أراد القائلون ان ينكبوا الروطن في حريته ، وفي كرامته ، وفي وجدانه ، فباعوا الدّم والكرامة في سوق الارتزاق ، بلا ثمن ، وحصاروا الأمة بارتكاب أدنى صنوف الدنيا ، ليفسدوا القلوب في سبيل بناء مجد لهم على جاحم الشهداء ودماء الضحايا الذين سقطوا بساحات الشرف ، ولينقلوا المشاعر والأفكار ليحيوا الشهوات والأجسام ، وتناسوا ان خلق الفقيد الوطني كان مفخرة من مفاخر التاريخ ، وعليه من الجلال وصفات العظمة والأخلاص ما يعجز الانسان عن وصفه . فيا للحماسة ويا لسوء المصير .

حرمة القتل

إسمعوا يا سائق ما قاله الديان العظيم بكتابه الكريم بشأن حرمة القتل :

﴿ومن قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ ﴿ومن يؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خلداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ .

والنوازح كل أولئك من أسهاء الضمير ، والضمير الذي هو مركز القضاء في افعال الانسان ، والحكم عليه صوابا او خطأ انما هو قوة عقلية ايضا - كما قال العالم الشرقي نيقولا حداد مؤلفه « علم النفس او علم العقل » .

فالانسان ذو الضمير الحي يحس بين جوانحه ، وحنانيا ضلوعه بقوة مغنوية تناديه أن يعمل الخير ، ويتجنب الشر ، فهو يتفر من الجريمة ، ولا يحرك عامل من عوامل الاجرام ، لأن نداء الضمير الحي ، وان كان خفيا ، لكنه ينفذ الى أعماق النفس ، فيدوي فيها دويًا يتصل بشغاف القلب ، فيثير فيه عاطفة رحة وخير وشرف ، ومن أجل ذلك قال « السير صموئيل سميلز » : يجب علينا ان نصغي الى صوت ضميرنا ، وان نفعل ما يأمرنا به .

وعلى العكس ، فان من مات ضميره يصبح هيكلا بلا روح ، ولا يحس بوجود تلك القوة المعنوية ، ولا يشعر بوخز وعذاب ، ويتساوى في نظره الحلال والحرام ، والحق والباطل . والخير والشر .

العداوة :

ومن المفيد ان أثقل اليكم ما قاله « ماندر » العالم النفسي بهذا الصدد فقد قال : « جسم الانسان يتأهب بالغريزة ، ويتدافع للم هجوم على عدوه ، وهذا نوع من انواع النزاعات ، هو غريزة القتالة ، فغريزة القتالة اذا شاربت صاحبها افعال الغضب ، ثم انما تثير رغبة في أن تهاجم وتؤذي ، وتذل ، وتخضع ، وهي في حالتها الطبيعية قد لا تكتفي بأقل من القتل » .

الحقد :

والحقد الشخصي ، وهو الرغبة الشديدة في إيذاء من ينصب عليه ، وكثيرا ما دفع بعضهم الى أشنع الجرائم وأفظعها . والحقد قد يبقى الغضب محتدما في قارة نفسه ، ويصر دائما على رد الفعل مترشا - في بعض الأحيان - الى ان تسنح الفرصة للانتقام ، فلا يتردد فيه . (يراجع كتاب علم أدب النفس لمؤلفه نيقولا حداد) .

وطدا فالرقيقين ملء قلوبنا بأن الأرض المقدسة - أرض عرفات لن تقبل قاتلا لا في بطنها ولا على ظهرها . فالرسول الأعظم لا ينطق عن أهوى .

وفي قوله تعالى ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ دليل قاطع على انه سبحانه وتعالى أمر النصارى بالحكم بما أنزل فيه أيضا .

وقد جاء في الانجيل على لسان السيد المسيح نبي صريح عن القتل بقول : « لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور » .

وكذا قوله : « قد سمعتم انه قيل للقدمات لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم » . ومن ذلك يتضح ان القتل ورد النص عليه في مقدمة المحرمات .

« مبعث الاجرام »

الاجرام هو داء اجتماعي خطير ، ومبعثه كما قال علماء الطليان لومبروزو ، وانريكوفري ، وجاروفالو - موت الشعور ، ضعف الاحساس ، عدم التبصر ، الأنانية الشديدة ، الشهوات على اختلاف أنواعها . فاشخص ميت الشعور والذي تحركه أحط الشهوات ، لا يتفر من الجريمة ، ولا يشعر بتأنيب الضمير إذا ما ارتكبها ، وهو يقدم على ارتكاب الكيثر ولو لم يتدرج في الجرائم الصغرى .

وهناك نوع آخر من الاجرام ، وهو الذي يرتكب تحت تأثير العداوة ، او الغضب او الكراهية ، أو الغيرة ، او الحقد الشخصي ، او التعصب السياسي ، او الانتقام ، والمجرمون من النوعين المذكورين خطرون على المجتمع لا يرجى صلاحتهم .

وكذلك بعد ان أكد بعض علماء النفس بان قانون الوراثة ثابت ، وان الطفل يرث الضمير من أبويه ، كما يرث الذكاء وما يقطر عليه من أمزجة ، فترأي بعض العلماء بأن الاجرام يتوارث عن الاباء ايضا .

وفيما يتعلق بالنوعين الأولين نرى ان الشعور ، والوجدان والخس ،

وضميرنا وهيانا انفسنا للاوقات وجهه ربنا بقلوب مؤمنة في الميزان والحق والصراط المستقيم.

نعم ايها السادة : ان ذلك من اقدس الواجبات ، وما اجتماعنا انتم ونحن الا لثؤدي واجب العدالة ، ونحن لا نطلب الا العدل ، ولكننا نطلبه كاملا غير مبتور .

رايت قبل أن ادخل في تفصيل اسرار الجناية ان اذكر في مقدمة كلامي خلاصة موجزة عن حياة فقيد الأمة الخالي الشهبندر ، وعن علمه ، واخلاصه ، وتضحيته ومقامه - وهي غير غريبة عنكم - لأسهل لكم مهمتكم التاريخية الكبرى عندما تختلون في الحجرة الخالية لتزورا الاعمال ، وتقننوا الحوادث ، وتقارنوا بين حق المجنى وباطل الجناة ، وفي التالي نتكبروا الرأي الاخير في مصير المجرمين .

وهنا الواجب الظاهر بدعوني لان اقول لكم بصراحة بان حادث اغتيال الشهبندر هو (حادث داخلي) سببه : العداوة ، والحقد ، والكراهية ، والغيرة ، وهاتي ايتين لحضراتكم وجه ذلك .

الامر الواقع ثبت ان الشهبندر لا أعفي عنه يوم ١٨ نيسان سنة ١٩٣٧ عاد الى وطنه الأول فوصل دمشق في ١٤ أيار سنة ١٩٣٧ فاستقبل بحفاوة منقطعة النظير ولم تعرف سوريا لها مثيلا ، فديت الغيرة في قلوب حساده الذين اعتلوا مناصب الحكم ، ورأوا بام العين ان زعامة الفقيد الشعبية هي فوق كل الزعامات ، ولا يستطيعون بوجود مثل هذا الرجل الوطني العظيم فوق رؤسهم ان يتلوا دوراً يزين كرامة الأمة او لسلب حقوقها وان يتعموا باموالها بدون حساب ويثروا على حساب الغير بدون سبب ، فحاول بعضهم من يعرف الشهبندر ، ووطنية الشهبندر ، وقوة الشهبندر ، إغراءه بتخصب رئاسة المجلس النيابي ، او برئاسة الوزراء ، وذلك بغية الحد من رقابته عليهم ، وتخفيف الوطأة عنهم ، لعلمهم يستيقنون السلطان لانفسهم ، ويعتزون في قوة الأمر والتي طوال حياتهم ، لأنهم قبل عودة الشهبندر الى بلاده ، فرضوا على ابناءها الطاعة ، واجبروا الناس على توريد كلمة (الطاعة للكتلة الوطنية) ، واعتبروا كيان البلاد الوطني عملا بهم ، وبهذا الرمز

التعصب السياسي :

ومن الناس من يتعصبون بسياستهم - ولو كانت زينا وهيانا - وكثيرا ما افضى هذا التعصب الغرض بصاحبه لارتكاب افطع الجرائم . فقد حدث في مساء ١٣ تموز سنة ١٧٩٣ ان قتلت الفتاة « شارلوت كورديه » سارا ، فتولى الدفاع عنها المحامي الفرنسي الكبير « شافولا جارد » وبحث كثيرا عن اسباب الجريمة حتى بلغ هدفه وظهر له ان القاتلة قد قتلت بعامل «التعصب السياسي » فقال : « المهمة تعترف بفعلتها الشنيعة بغير تردد وبكل إطمئنان . فهي تعترف بتبديرها للجريمة من زمن طويل ، وتعترف بطرقها الفظيعة الى أن قال : وهذا يا حضرات المحلفين هو كل دفاعها ، فهل من طبايع البشر مثل هذا المدوء وهذا الاستهتار الذي لا يترك مجالا للندم حتى يحضره الموت ؟ لا ، لا يمكن تفسير ذلك الا بتأثير التعصب السياسي الذي وضع الخنجر بين يديها ودفعها للجريمة ، فعليكم وحكمكم يقع عبء تقدير ما لهذا الاعتبار الخلفي من وزن في كفة العدالة ، والا امر كله متروك لفضلكم » . وقد حكمت القاتلة بالاعدام .

وبهذه الكلمة ادرك المحامي واجبه كمحام ابي شريف ، فاعترف في الحقيقة ، وبين للفضاء عامل الجريمة ، وسلم الأمر لفطنة القضاة ، (ولا يغيب عن العاقل معنى ومغزى هذا التسليم الذي أملاه على المحامي صدقه وأمانته) . ولم يقل ان تسليه موكلته الجانية ضميئه ولا الشجاعة اللازمة لاداء واجبه ، ولم يبع لسانه منها بشئ من الأثمان .

ولنا من هذه الحادثة اكبر برهان على ان التعصب السياسي يدفع صاحبه الى الاجرام .

شر الجناية . . .
سادق :

من مصلحة الأمة العربية عامة ، والسورية خاصة ، والعمل السامي ان يفقه الناس كنه الجناية التي تترافع من اجلها ، واسرارها وعواملها على ضوء التاريخ والحوادث والعلم والفن والمقل الصحيح ، والمنطق السليم ، ويتحقق ذلك نكون قد قمنا بواجبنا على أكمل وجه ، وأرضينا فئتنا

الدكتور شهبندر ، لأنه يعتقد ان الشهبندر دكتور باستطاعته ان ينفذ حياة ابنه المريض ، وانتم يا اخواني أرجوكم رجاء حاراً تخرج من صميم قواذي ومن أعماق قلبي الى آخر لساني أن لا تدعوا الحزبية تتغلب عليكم ، وتقول دون دعموكم الرجال الصالحين الى التعاون معكم لانقاذ هذا الوطن من

الوهمة الموجد فيها ، الخ

كان رائد الفريد - رحمه الله - من كلامه هذا ان يجمع الرجال المخاضين على صعيد واحد ، وتحت راية واحدة ، ألا وهي راية الوطن ، وان يقضي على الاستنار والانائية والغايات الشخصية ، لتكون البلاد في منجاة من أخطار المسلمين وفي أمان على نزال حريتها الموهوبة لها من الطبيعة ، ولكي يقيم الحجة والبرهان امام العالم ، ان سوريا أهل للاستقلال ، والسيادة والحرية ، ولكن ساء هؤلاء الرجال النفعيين من الكتلة موقف الشهبندر المخلص ، فطاش لهم ، وازداد مقتهم ، ودفعهم الضرور الى انكار جلائل أعمال الشهبندر - ولكن تحت طي الخفاء - الى ان عاد مردم من باريس بأواخر شهر كانون الأول سنة ١٩٣٧ ، وأعلن عداءه الصريح للفقيد بخطاباته النارية التي ألقاها في حلب وحماه وحمص ودمشق بأيام ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ من الشهر نفسه ، بحيث قال شاهدت المصوم في باريس - ويعني بذلك المغفور له الشهبندر - حيث كان وقتئذ في باريس - يعكرون صفو العلائق بين الأمتين ليخلو لهم الجو في المؤامرات ، ومنهم من يستر بالوطنية ولا يعرف ماذا يطلب وماذا يريد الخ

وقال ان هذا الدور « أي دورهم » لم يعد يتحمل دسائس ومؤامرات ، وان الذين يتظاهرون بالوطنية يجب ان ينتهي أمرهم بعد الآن ، وان الكتلة الوطنية التي قادت الأمة الى هذه النتيجة ، ستعرف كيف تحمي هذا الدور ولو أراقت في سبيل حمايته الدماء

وجاء في خطابه من شرفة سراي دمشق المقطع الآتي : « أنا لا أقول لكم باني شهيد حي - وهذا هو اللقب الذي أطلقه المغفور له الشهبندر على نفسه في احدى مواقفه الخطابية الكبرى بدمشق - لأن الشهيد الحي هو الذي كبت له الشهادة واختاره الله اليه ، ولأنني رجل حي بتفكيرتي ، حي برحولي . . . الخ .

الحزبي ، وفي فعلتهم هذه مثلاً دور المستبدن الذين كانوا يقولون في القرون الوسطى : « انكم مغمورون على طاعتنا لان الله ساهطنا عليكم » ، وظنوا أنه ان كتب لهم الفوز في هذا الاغراء أمنوا بجانب القوة ، وضمنوا لانفسهم السلطة والمال والجاه ، ولكنهم نسوا ان الشهبندر الذي رد عليهم باحدى مواقفه الخطابية « الطاعة لله ولصوت الوطن القاهر » كان يعتبر طول حياته ان الوظائف - مهما سمت - انما هي مناصب ذل ، وان المنصب الرفيع الخالد هو الشرف وحده ، ومن كان الشرف رأس ماله ، فلا يعجز الا بفضل . ومن هنا بدأت الكراهية - وهي في مظهرها الجسمي حالة هادئة من حالات الغضب - في نفوس اولئك وخاصة في المتهمين جيل مردم ، وسعد الله الجابري ، ولطفي الحفار ، وأخذت تنمو وتتمركز في نفوسهم ، كلما أحسوا بحرص الشهبندر الشديد على أمان الأمة المقدسة ، وبأنه ليس من الرجال الذين يستهترون منصب او يرتفع رتب .

فدعوه الى مكتب الكتلة - وهي تجربة ثانية من تجارب الاغراء - وبعد أن ألقى عميدهم الاستاذ فارس بك الحوري كلمة خاطب فيها الشهبندر بقوله :

« أنت زعيم سورية الأوحده » ، ونحنا نحوه بعض الخطباء ، رد عليهم المغفور له الشهبندر - رحمه الله - بكلمة بليغة جاء فيها : « فانا أيها الاخوان أعلن على رؤوس الاشهاد بأنني من الكتلة الوطنية » وهنا بدت عاصفة هائلة من التصفيق - فرجا الزعيم الصمت والانباء وقال ان لديه كلمة لا تضفر المستمعين ولا تزعجهم ، ثم تابع قوله : « إنني من الكتلة ، ولكني لست من حزب الكتلة ، فهل تفرقون بين كلمة الكتلة وحزب الكتلة ، إذا أردتم التفريق ، فهذا هو الطريق ، أنا من الكتلة الوطنية المستعدة لبدء المصافحة لكل رجل نافع في البلاد فتجذبه الى ساحة العمل ، والتي لا تبقى رجلاً صالحاً خارج الخطيرة الوطنية ، وأنا عدو حزب الكتلة الوطنية ، عدو شديد الرولة وستعلمون شدة وطائي ، اذا كانت حزبية الكتلة تمنح الأمة من ان تجتمع كلمتها على صعيد واحد ، وان تحول دون دعوة الطبيب لانقاذ المريض ، فذاك الرجل الرجعي الذي دعا خصمه الدكتور شهبندر ، لمعالجة مريضه ، وضع حب ابنه فوق الغايات الشخصية ، فاضطر الى دعوة

اتخاذ تدابير شديدة قضت باعتقال سبعين شابا وطالبا ، وكنح الكثيرين من الوصول الى بلودان والاتصال بالزعيم وبوضع قوى كبيرة من الدرك والشرطة على طول الطريق من دمشق الى بلودان .

وقد ذهب المتهم جيل مردم الى بلودان على رأس زمرة من الرعاخ المأجورين وما ان وصل الى قرب دار الفقيده حتى تعالت أصوات صحبه « تم ارحل عنا يا خاين » وعلى أثر هذا الضغط احتج الناس الى رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسي وإلى السلطات الاخرى ، وقد أظهر رئيس الجمهورية أسفه وأله الشديدين من معاملة مردم والجابري للشهبندر ، حتى ان وفدا مخترا من أبناء بني معروف في الجبل الدرزي قابل برئاسة عبد الغفار باشا الاطرش المتهم سعدالله الجابري - وزير الداخلية في العهد البائد - محتجا على حجز حرية الزعيم ، فأجاب المخاطب بعبارة تتم عن عدائه الصريح ولطقد البارز نحو الفقيده - رحمه الله - وتجلت في حديثه الضمنية الكأمة في نفسه ونفس زميله المتهم مردم ، كما ظهرت عليه عاصفة قوية من الغضب أدت الى اندفاع دمه من جسمه الى رأسه ، فسرى الى وجهه ، فارتجف وصار يتحرق على المحجوم - ولو على النياب - كما نبت لمجلسكم الكريم بشهادة عبد الغفار الاطرش الذي أداها امامكم بجلسته ٢٩ كانون الاول سنة ١٩٤٠ .

وهكذا فشل الوفد الكريم في مراجعته ورأى ان النزاع قد اشتد ، والخصومة قد بلغت صورتها الحادة .

وفي أواخر تشرين الأول سنة ١٩٣٨ أحست حكومة الكتلة التي برأسها المتهم مردم بأن قمة الشعب قد اشتدت عليها بسبب حجزها حرية الزعيم ، وبالنظر لأعمالها الأخرى التي تفرض الوطن وأهله والحرية في الصميم ، فألغت وهي على مضض ، ذلك التدبير الظالم الذي فرضته على الشهبندر فداد الى وطنه ممزرا مكرما وفي صدره وسام آخر من أوسمة الشرف التي نالها خلال الأربعين عاما التي قضاه في الجهاد الوطني .

وإثر عودة المغفور له من بلودان قام ذات يوم في وسط جمهور كبير من مهنتيه ومستقبله ، وارتجل خطبا ممتازا حذر فيه الأهلين من الحكومة القائمة على

لقد عفت الحكومة عن فريق كبير من الرجال الذين كانوا خارج الوطن - يقصد بذلك المفورالعالم الذي صدر في نيسان سنة ١٩٣٧ وفقا لرغبة الأمة بجموعها - فعادوا الى أعضائه ، فريق ظهر كرم نفسه ، وفريق أي إلا أن يظهر بظهوره الحقيقي اللثيم ، أما الكريم فسوف نزيد بإكرامه ، وأما اللثيم فسوف عده حده . . . »

إلى أن قال : « يقولون ان هناك معارضة ، فإين هي هذه المعارضة ليس هناك معارضة ، ولكنها فلول هزيمة ضعيفة ، وأشخاص لا قيمة لهم ولا وزن ، فالمعارضة لا تقوم إلا بأسس واضحة وعزايا الرجال الذين يقدونها ، وإذا وجد هؤلاء الرجال فإنهم في الكتلة الوطنية . . الخ . .

وزاد على ذلك بقوله :

أيها الاخوان ، ماذا رأيت في باريس ؟ رأيت الوطنية المسترة والرجعية المتآمرة ، والحياة الظاهرة ، وقد تألفت جهود الجميع وتأمروا على هدم هذا الدور الوطني ، ولكن أنى لهم ذلك ؟ ان نفوسهم ضعفة ، وليس لهم من الجرأة شيء ليظهروا بظهورهم الحقيقي . . الخ . .

وصدق الامام علي كرم الله وجهه يوم قال « المرء نجوه تحت لسانه » .

ولما عاد الفقيده الغالي الشهبندر الى سوريا بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٣٨ ووصل الى مصيفه في بلودان وأخذت الأمة تستعد لاستقباله استقبالا يليق بإخلاصه ، أصدرت حكومة المتهم جيل مردم امرا استبداديا ، لا يستند الى منطق أو قانون ، بحجز حرية الشهبندر وبقائه محجوزا في بلودان بدون ان يكون هنالك أي قرار له صيغة المرسوم أو الأمر الإداري ، ومنعته من الاختلاط مع زواره الكثيرين ، لا بل مع أي كان ، وسخرت قوى الأمن لمنع الناس من الدخول الى الدار التي كان يقطنها (هذا العمل المخالف لأحكام المواد ٧ و ١١ و ١٢ من الدستور السوري ، والذي هو من الجرائم المنصوص عليها في الفقرة الاولى من المادة ٩٩ وفي المادة ٢٠٣ من قانون الجراء) .

جرى ذلك بينما كانت الأمة تستعد لاستقباله استقبالا يليق بإخلاصه ويتفق مع مقامه العظيم ، ورايت الامر وقف عند هذا الحد ، بل تعداه الى

أن يتوجه النظر الى غير أولئك الرجال المعروفين بعدائهم المبرر الى الشهيد وحريه .

ماذا رأى الشهيد في البلاد

رأى الشهيد خلال مدة حكم الكتلة أمورا تسيء لكرامة البلاد ، وتضرب الوطنية في الصميم : الأموال تسلب ، والأقاليم الحرة مقيدة عن ان تكتب ما تريد ، او ما يريده الشعب، وبنات المدارس يضربن من الاشرار ، والتعذيب الجسدي يقع تحت نظر وسمع الحكومة ، والضرائب يعترضها الشعب من دمه ويقبضها الكسالى العاقرون في الترف والشهوات ، والأقواء مكمومة عن ان تطلق ، والصحف مسط فوقها سيف الرقابة والتعطيل ، والكتب وحتى الرسائل العادية عرضة للمصادرة ، وباستيل دمشق عملاً بالأحرار بدون ما سبب ، والسجون الاخرى غير قليلة وهي مهينة للأبرياء والرعاع المأجورين يسلطون على أشرف انقوم ، والشرائع السماوية تحرف بمشايخ وضعية تحلل ما حرمه الله وتحرم ما حله الله . وعلى الأمة ان لا تنوء بالشكوى إذا جملها أولئك الحاكمون بأمرهم وأهانتها وجسوها وقطعوا الخير عنها سمياً وراء القنص الى غير ذلك من الأعمال التي لم يذكر التاريخ مثلاً حتى في القرون الوسطى .

إن أموراً كهذه لا بد ان تحرك شعور النخبة والاحتجاج في صدور الناس ، وخاصة في صدر قائد الحركة الوطنية في البلاد المغفور له الشهيد الذي يعتز بالعروبة والحرية ، والذي يهتف لا وطن حيث لا حرية . ووجود الظالم وحده عامل كبير من عوامل الاستنزاف لأن الشعب المطحون تحت رجلي الظلم لا يبدأ له بال حتى يقوى على تخليص نفسه من استبداد أعداء الوطن الداخليين ويحطم بقبضة ساعده تلك السجون كما حطمها الشعب الفرنسي في تموز سنة ١٧٨٩ يوم تأخى مع الجنود المرهقين الذين سلبهم لويس السادس عشر ضد الشعب وأمرهم بسفك دمه من أجل حماية سلطانه الاوتوقراطي .

وطبيعي ان يظل السكوت غيباً بعض الوقت في البلاد الى ان يحس الشعب في المطالم ويعي وتتفتح عيونه على حقيقة أمر المستلطن فيلهب من

الأمر إذ ذاك ولقيها ب (حكومة الرعاع) ، لأن الأشخاص الذين يعملون على هدم بيت ليرحوا حجراً من أنقاضه ، والذين لا يسرهم من الدنيا الا الديار ، ومستقره ومعرفة الطريق اليه ، والسبيل الى جسده ، والقصاء على حقوق الغير ، وانتهاك مقدسات البشر لا يستحقون الولاية على الشعب ، ولا الإقامة في صفوف أبنائه .

فعمد المنهم جميل مردم الى الرد على المغفور له الشهيد ، واتخذ بيت الله « الجامع الأموي » مكاناً لفث سمومه ، فقصده حار ٢٣ كانون الاول ١٩٣٨ تحت حراسة قوى الأمن وقال فيه : « ماذا يعيب علينا هؤلاء ، أيها الاخوان ، يعيرون علينا اننا نجتمع اليكم ونحدثكم ونظلمكم على كل شيء ، ونأخذ ثقتكم حتى ان البعض منهم لم يثق بالله وقال ان هذه الحكومة هي حكومة رعاع ، اننا نفخر بنيل الثقة من هذه الفئة التي ليس لها مصلحة أما الذين ابتعدوا عنها فهو لاء هم المنافقون ، لعنة الله عليهم أجمعين » .

أيها القضاة المحترمون :

عقب هذه الحملات النارية الطائشة التي وجهها جميل مردم الى زعيم الوطن الشهيد ارسل جماعة من الرعاع المعروفين بانتمائهم اليه ورفاقه ، بسائق الماددة الخبيثة ، الى طريق دوما بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٣٩ يوم ان كان الفقيه مدعوا لزيارة اهلها ، واثاء مرور السيارة التي كانت تقله ، اطلقوا الرصاص على سيارته ، فاصيب المدعو كامل بن صالح حسين من اهالي قرية العقبة بدمشق برصاصة في جسمه ، حسياً هو ثابت بتقرير الأطباء الشرعيين بدمشق المؤرخ في ١٦ كانون الثاني ١٩٣٩ والمحفوظ في إضبارة الدعوى ، المفصولة من قبل حاكم صلح قضاء دوما بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٩٣٩ تحت رقم أساس ٤٧٧ قرار ٤٢٦ وقد ثبتت هذه الحادثة بشهادة احمد منجد وعلي بايل الورثة باليمين القانونية وقد استحصلنا على صورة مصدقة من ضبط الاستطلاع والمحكمة العائدة للدعوى المذكورة ، وأبرزنا هذه الصورة لهيتكم الكريمة ، لتطلعوا عليها زيادة للقناعة . وجهة الادعاء نتخذ بيان المحضر المبرز ثبت بكون الجماعة الذين ارتكبوا ذلك الفعل هم من مرتزة ذلك الحرب الطائش لأنه ليس في البلاد أحزاب متعددة لم يكن

لا حرافه به وهم يشيرون له بأنهم يرغبون ذبحه .

وقائع الدعوى

كان في نيتي ان أبدأ بتفصيل وقائع الدعوى من مرحلتها الأولى حتى نهاية الدور الذي لعبه بعض الشركاء في الجريفة مثل الحرش وسامي الحفار وخليل الغندور ومحمد الحافي ، وذلك طبقا لا اتفقت عليه مع زملائي جهة الادعاء . إلا أن الاختلاط والارتباط في التهمة بين جميع المتهمين في هذه الجناية ، جعل زملائي الموحي اليهم مضطرين - أثناء تفصيل ما فعله الثامرون والمنفذون - لسرد الحوادث والأداة والبراهين المنصبة على حلقة الوسطاء أيضا ، مما أوجب عليّ الاكتفاء بما أبداه الاساتذة الزملاء بحق الزمرة الوسيطة في الجناية حتى لا يتكرر سرد الوقائع ويعتري السامعين شيء من الملل .

وأكتفي تجاه هذا الاعتبار بإدلاء بعض نقاط رئيسية لها أهميتها بالنسبة لجميع القضية .

جيل مردم

بعد أن فشل التهم جيل مردم بمحاولة اغتيال الدكتور شهيدن بواسطة محمد الدرخباني بشهر نيسان سنة ١٩٣٩ أي بعد سقوطه من الحكم - بشهر ونيف - يوم كان اثر سقوطه أخذاً مفعوله الألم في نفسه ، وثار صدره تشتعل وتزيد اشتعالا في له ، كما عرف عنه من غضبية وجب للانتقام ، وفشل في المرة الثانية قبل وقوع الجريفة بشهر ونصف تقريبا على ما جاء بأفادة الدرخباني (رقم ضبط ١٧٦) بعد ذلك ثار ثأره ولبا مع شركائه الثامرين لتأمين تنفيذ بعيتهم بواسطة عمال آخرين .

وقد دلت الوقائع بأن الثامرين حينما أدركهم المعجز من تنفيذ الاغتيال في التاريخ الذي وقع فيه تكليف الدرخباني للمرة الثانية أي في اول شهر حزيران صحت عزيتهم على تنفيذها بواسطة أعوانهم الوسطاء الموجودين في قفص الاتهام ، بحيث ان التحقيق قد أثبت بأن القتل واستئناف العمل إن لم يكونا قد وقعا بتاريخ واحد فإن الأمر الثاني وهو المباشرة مع الوسطاء كان قريبا جدا من تاريخ الحادثة الفاشلة مع الدرخباني .

تلقاء نفسه ويندفع من شعوره لكافحتهم على نحو ما حصل بأوائل عام ١٩٣٩ .

نحن لا نريد ان نلقي الكلام على عواهنه لأن الكلام العام الذي لا يركز على وقائع مادية لا فائدة منه بل نريد ان نستدل على صحة تلك الأعمال بالحوادث المادية المعلومة لدى جميع طبقات الأمة والسجلات بسجلات الحكومة وإضمارات الدوائر الرسمية وبعضها بسجلات المحاكم ولم نقصد من افصاح ذلك إلا لبيان للقضاء المعادل تمة بحث عوامل الجريفة النكراء وهو بحث له صلته الوثيقة بالجرم والمجرمين مباشرة .

ويسبب هذه الفظائع والظلمات قوام المغفور له الشهيد حكومة الكتلة مقاومة عنيفة لا لمصلحة له او لذويه بل لأمتة وطهارة ذمته وحرصه على شرف البلاد وسمعتها في الداخل والخارج ، فاستبد الحقد والغضب والكراهية في نفوس بعض القائمين على الأمر وهم جيل مردم وطلفي الحفار وسعد الله الجابري وظاهروه العداء بأقصى معانيه في مجالسهم وصحفهم وجميعاتهم حتى أنهم جعلوا معظم أحداثهم على انتقاد العقيد وتسفيه آرائه وخططه والحلمة عليه للدرجة باتوا فيها يفكرون بإزالته من عالم الوجود بأي طريقة كانت لا سيما بعد ان انهار عهدهم وزال سلطان الحكم عنهم وسقطت كل قيمة شعبية كانوا ينعمون بها من قبل .

ومن الثابت علما أن الغضب اذا استول على إنسان يشعر ان قلبه يندق دقات سريعة في شدة وعنف ، ويتنفس تنفسا صعبا سريعا وينطبق فكاه ، وتتلاصق أسنانه بشدة ، وتقبض يده ، ويقطط جبينه ، وتتوتر كل عضلة في جسمه ويشعر بالدم يندفع الى رأسه ثم يسري في وجهه فيحمر ويشعر أن كل جسمه يتصلب ويتوتر ، ويرتجف تحرقا على المعجوم . وهذه الاحاسيس تدفع الغاضب الى الهجوم والانتقام على ما مر معنا أعلاه .

ولما كانت الطبيعة الشريرة تقبل كل جريفة لأي سبب كان وكانت البراءة النفسانية بما أضيف اليها من عوامل العداوة قد جعلت المتهمين لا يفكرون في قتل عدوهم فحسب ، بل يريدون - لو تيسر لهم - ان يفعلوا معه ما كانت تفعله محكمة التفتيش باسبانيا مع المدنين من صف التبن حوله

طريق أسيادهم بدون حساب ، وان زمرة من هذا النوع تلتصق الالتصاق كله من كان سببا لشللها من الجوع والعدم ، ولا تتأخر عن الرضوخ لأمره معها كان هذا الأمر وخطورته ، لأن الانسان الذي اعتاد أن يكون عبد المال طوال حياته يبقى ذليلا حقيرا الى الأبد ولو كان في تلك العبودية عذاب الدنيا والآخرة .

ومن البديهي ان تسلط على زمرة من هذا النوع يستطيع التأثير عليها بسهولة بطرق الاغواء والكذب والحيل والتدليس ، وتكون الرابطة بين الفريقين وثيقة لأيا قائمة على أساس تبادل المنافع بينهما . ولو ان هذه المنافع دينية وخسيسة .

وعلى البند الثالث :

لا مشاحة بأن المجرم يجتهد باختيار الظروف الملائمة لوقوع الجريمة لأن في اختيار الظروف المناسب يأمن من أخطار الجريمة ، ويقدر ما يحكم الظروف المضمون لها بقدر ما يبعد الشبهات عنه . والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ - لو أراد شخص ان يسرق تفود غيره الموجودة في صندوقه الحديدى فلا شك انه يترجم السرقة بوقت لا يكون صاحب المال حتى ولا أحد من أقاربه في الدار الموجود فيها ذلك الصندوق ، لئلا يقبض عليه متلبسا في الجريمة فقع تحت طائلة العقاب ، او يكون عرضة لخطر الموت فيما لو شاهده صاحب المال نفسه .

٢ - كذلك لو صمم احد على قتل غيره يتحين الوقت الذي يساعده على مشاهدة الشخص المصمم على قتله منفردا او في مكان يتعذر فيه اجتماع أناس اثر حصول القتل حتى لا يلقى الغادر نفسه بقبضة قوى الأمن او غيرهم من عابري السبيل . الى غير ذلك من الأمثلة العديدة التي يطول شرحها .

وعلى البند الرابع

جريمة القتل وخاصة اذا كان المجرم يستهدف فيها شخصية عظيمة كشخصية المغفور له الدكتور شهيد فلا شك انها تحتاج لتعاون وثيق متبادل

واتفاق هذين التاريخين في غرض واحد مع ما انقسم اليه من أدلة أخرى ثبت بأن الجريمة هي جريمة مردم ورفاقه ، ومبنية عليهم ، وبأنهم هم المعصب الحساس فيها . وعلى هذا الأساس يتعين علينا بأول الأمر معرفة الأمور الآتية :

١ - هل أن جيل مردم وسعد الله الجباري ولطفي الحفار الذين اختتمت في أذهانهم فكرة قتل الدكتور شهيد وصمموا عليها ، قادرون على إيقاع القتل بأيديهم ؟

٢ - في الحالة السلبية هل يمكن ان يوحى المذكورين بتنفيذ الجريمة لأشخاص لا ثقة لهم أم لا رابطة قوية بينهم ؟

٣ - ألا يدخل ظرف إيقاع الجريمة - ولا سيما جريمة القتل العمد - في حساب المصمين ؟

٤ - أليس من المعقول ان يحىء التآمرون مساعدين للقيام بمراسل الجريمة ، ويعدون العدة لها من جميع النواحي المادية والاجرائية .

فعلى البند الأول نقول :

إن المجرم قد يكون مجرما بالوراثة او بالغريرة او بتأثير العوامل النفسانية - كلها بعضها - عليه ويندفع للجريمة بكمليه ، ولكن ليس كل مجرم يستطيع ان ينفذ جريمته بيده وخاصة جريمة القتل ، فإنها تحتاج الى شخص او عدة أشخاص تساعدهم قواهم على القتل وعلى المعركة التي يؤمل حصولها بينهم وبين الشخص المراد قتله ، كما وأن من الناس من يبري القتل ويريد تنفيذه وهو من وراء حجاب حتى لا يقع بيد العدالة فيدفع غيره لارتكاب الفعل ، وما لا شك فيه ان مردم والجباري والحفار هم من هذه الفئة لا يقدررون على إيقاع القتل بأيديهم .

وعلى البند الثاني :

مع التسليم بهذه النظرية الأولى فان الذين كونوا فكرة الجريمة لا يمكن بأي حال من الأحوال ان يستعينوا بتنفيذها إلا على أنصارهم وأعمالهم الذين ترعروعا في النعم خلال مدة حكمهم ورأوا أن لا حياة لهم إلا بروجع عهد الفوضى الى ما كان عليه بزمهم بحيث كانوا يرتفون من مال الأمة عن

وسلمه المدس « البرابيللو » و « الأفتدي » الذي اجتمع معهم في ساحة الشهداء يوم ذهابهم في ٢٥ حزيران سنة ١٩٤٠ لاعتقال الفقيه في مكتبه ، والذي عرفه عصامه بكونه عفيف الصلح وذلك في المقابلة الجارية بين هذين الآخرين في السجن ، بمعرفة المستطق الأستاذ السبع ، كما وأنه يعرف « الأفتدي » الثالث الذي كان يترصد الدكتور شهنذر - رحمه الله - في مكتبه يوم محاولة اغتياله .

وزاد عصامه على أقواله بأن شريكه في الجريمة سامي الحفار قد قطع عهدا بأن لا يوح بسر من أسرار الجناية لسلطة من السلطات موثقا عهده بإيمان ، وعلى الرغم من أن جهة الادعاء قد لحظت من بين سطور إفاذات المجرم الحفار تكوره للحقيقة ورغبته في الظهور بظهر النقي الورع ، وذلك بقصد تضليل التحقيق ، وإبعاد الشبهات عن الدافعين وشركائهم الآخرين الذين لم يهتموا رسميا بهذه الجناية ، فإننا أردنا ان نفصح هذا التضليل الذي نعدمه الحفار في مواقفه العديدة امام الاستطلاع والمحكمة فاستحصلنا على فتوى شرعية تنص على أنه « لا يجوز حفظ اليمين على ترك طاعة او فعل معصية ويكفي فيها الخلل » الى آخر ما جاء فيها : ورائدنا من ذلك كما هو ظاهر من السؤال الواقع فاما ان يبيح السر ويكشف الغطاء عن بقية خفايا عصامه (امام أمر واقع فاما ان يبيح السر ويكشف الغطاء عن بقية خفايا الجناية بالنسبة للمتآمرين الآخرين الذين فلتوا من يد العدالة ، وتكون العدالة قد تناولت المجرمين الآخرين ، وإما ان يبقى الحفار على تكوره وإيائه عن سرد الحقيقة المتعلقة بغير المتهمين رسميا فسيخ اعتقادنا بأن الحفار لا وازع ديني له وليس له أقل صلة بالدين - لأنه ليس من المقبول - بعد ثبوت فظاعة الأدوار التي مثلها الحفار هذه الجناية في الأداة القاطعة - أن لا يكون للحفار علم بجميع أسرار الجناية من ابتدائها حتى نهايتها ، وهو اليد العاملة فيها .

ولما قرأنا الفتوى على الحفار ضرب بها عرض الحائط وأبى إلا أن يظل بصمته المتيق غير مكترت بما تضمنته من نصوص شرعية صريحة ، وهذا الموقف يدل دلالة واضحة على ان الحفار بعيد عن الدين بعد الارض عن السماء .

بين عدة أشخاص ليقوم كل منهم بتنفيذ فرع من فروع الجناية فبعضهم للتفكير والتدبير وأداء المال ، والبعض لأجل تهية الوسائط اللازمة لحصول الجريمة ، والآخر لأجل إيجاد الطمأنينة والثقة بقلوب المنفذين ، والبعض لأجل ابتكار الاخبار الكاذبة عقب وقوع الجريمة ونشرها بين الناس للتضليل وذر الرماد في العيون . وجميع أعضاء هذه الاصناف يعتبرون مجرمين لأنهم يرمون من عملهم كله غاية واحدة وهي حصول الجريمة .

وعلى ضوء هذه الأسس الأربعة نرى ان المتآمرين أصحاب المكرة الأولى في الجريمة قد اختاروا من أصواتهم والمرتبطين بحزبيتهم أشخاصا يتولون العمل في هذه الجناية على مراحل مختلفة ، فوجبوا البعض للتأثير وإيجاد الثقة في نفوس من اختير لتهية الثقة المنفذة والوسائط اللازمة لأعمال العمل ، وكلوا أشخاصا آخرين للإشراف على تنفيذ الخطة المرسومة .

جرى كل ذلك خلال ظرف دقيق اختاره المتآمرون كي يساعدهم على طمس معالم الجناية ، وإخفاء أثرها أو أن يفلت المجرمون من العقاب بسبب عفو عام يصدر إثر انقلاب دولي أو همرا به الحفلات الأخرى مستفيدين في هذه الأيام من شدة وطأة الحرب القائمة يومئذ بين فرنسا والمانيا والتي انتهت بعقد الهدنة في ٢١ حزيران ١٩٤٠ قبل وقوع الجريمة ببضعة عشر يوما كما وأن المتآمرين انفسهم قطعوا العهود والوعود لأعضاء الحلقة الثانية واستعملوا طرق الخيل والدسيسة وأمنوهم على ما يحتاجونه وعائلاتهم من الأموال ، وقدموهم سلفة من المال ليقوموا بتنفيذ الجناية ، وقد باشروا كل واحد من المتشركين في هذه الجناية عمله على الصورة التي تم عليها الاتفاق وكشفها التحقيق .

قضية الفتوى

لقد اعترف القاتل عصامه منذ استجوابه الأول وبأدوار مختلفة بأنه هو القاتل وسمى أسماء بعض المتآمرين والحرضين على القتل ، وكتب أسماء الآخرين وقال بأن المجرم سامي الحفار يعرف أولئك الأشخاص الذين لم يشملهم قرار لزوم المحاكمة . ووافق على جميع أعمالهم الاجرائية في هذه الجريمة ، وخاصة فأنه يعرف « الأفتدي » الذي أثنأ مساء ذات يوم لمداره

وباليت هؤلاء المجرمين على شيء من الذكاء والمقل لكانوا وقفوا على سر هذه الخبيثة وما جعلوا اقدام أولئك المتآمرين تتراحم على ظهورهم وتدفعهم الى المئات ، وهم فارون من وجه العدالة .

ولكن سوف يعلم عصا صرة ورفاقه أية ضحية كانوا عندما يتمثلون أمام أعزاد المئات بلحظة لا يفيد فيها الندم ولا الاقرار .

مع العلم بان هذا التستر المخجل لن يفيد المتهمين الفارين شيء ، إذ إن مجموع الأدلة القائمة الى اليوم كاف لادانتهم وليس القضاة بحاجة الى تقارير جديدة تدعم الأدلة المذكورة .

ونحن عن البيان تعداد الأدلة من جديد لأن زملائي وكلاء الادعاء قد فندوا الوقائع بصورة مفصلة فلا أرى لزوما للاعادة .

قرار المتهمين

صدر بتاريخ ١٣ تشرين الاول ١٩٤٠ قرار المستنطق الكولونيل كويتو بلزوم محاكمة المتهمين - المذكور أسماؤهم فيه - لدى المجلس العدلي بقضية اغتيال المغفور له الدكتور شهنبر واصرار مذكرات توقيف بحق جميع المتهمين الموقوفين والشاردين ما عدا جميل مردوم بك ، ولطفي الطاهر ، وسعد الله الجابري ، فاستقرت جهة الادعاء هذا الامر واعتزمت عليه في حينه لأنه مخالف لصراحة الفقرة الأخيرة من المادة ٣ من قرار رئيس الدولة السورية ذي الرقم ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول سنة ١٩٢٥ - الخاص بتأليف المجلس العدلي - التي أوجبت ان يكون قرار لزوم المحاكمة محتويا على قرار التوقيف ، وبعد ان فر المتهمون الثلاثة المذكورون الى العراق أصدر حضرة المستنطق بتاريخ ١٦ تشرين الاول سنة ١٩٤٠ قرارا بتوقيفهم ، وطبعي ان مذكرات توقيفهم ظلت محفوظة في إضارة القضية لاستحالة تنفيذها بعد الفرار .

ما كنا نظن ان تقع هذه الخطيئة الكبرى في موضوع قانوني بسيط ، بل كنا ننتظر من العدالة توقيف المتهمين اثر استجوابهم ، وقبل تقرير لزوم محاكمتهم لأن الأدلة التي بني عليها قرار لزوم المحاكمة كانت موجودة بنفسها

وهنا استمر المجرم عصا صرة الموقف وهو في حالة أحسن فيها بنفسه ويتأثر غيره عليه بأن تمسكه بإفكار القتل عقيم لا يجديه نفعاً ويأتى الطرف مؤات لتمثيل دور جديد طالما نقي تمثيله في السابق لتضليل العدالة ولقطع الطريق بين الحلقة المتآمرة والحلقات الأخرى تحت أمل الاستفادة من شفقة أو رحمة ما ، وتحقيقا لرغبة رسل أبطال فكرة الاغتيال الأصلية المتوارين عن أنظار العدالة الذين أغروهم بالخلاص من حكم الاعدام فبالجنيح بطرف من الطروف لاتخاذ مثل هذا الموقف والتظاهر بالتعصب للدين والانتصار له ، وضلوه متوهمين بان هذه الحلقة ستكون وسيلة لتخليص رقبته من الموت ، وبذلك يتم لهم النجاة - على حسب ظنهم .

فحرب عصا صرة تمثيل الدور الموحى به اليه وقام وقال الكلمة الأولى « أنا القاتل » وتظاهر بعدها في الاضطراب النفسي والذهول ، طالبا قسطا من الراحة . . . وأتم تمثيل الدور بشكل مقصوح تبرا به عقول الأطفان إلى أن نفى كل علاقة للمتهمين المتآمرين في هذه الجناية حتى جميل مردوم وعاصم الشاذلي مدعيا انه كان على اتفاق مع شركائه على قتل جميل مردوم أيضا :

على حين ان التحقيق الذي جرى مع رفاقه المجرمين أنفسهم بخباب بعضهم بعضا وشهادات الشهود تثبت بأن جميع ما فاه به المجرم عصا صرة في هذه الناحية كان اختلافا باطلا لا نصيب له من الصحة .

الضحايا

وكما يؤسف له ان المتآمرين الذين قرروا هذه الجريمة الضعفاء ما زالوا حتى اليوم الذي نحن فيه ، يبالغون للمتهمين - كذبا وتضليلا - في الحرص على حياتهم سواء كان عن طريق الدفاع عنهم أمام القضاء بإلقاء الطمأنينة في نفوسهم متظاهرين فلم سلامة العاقبة اذا ما ظلوا متمسكين بمثل هذه الافادات التي قالوها في هذه الدعوى ، زد على ذلك فانهم (أي المتآمرين) قد أقاموا لزملائهم اللجنة رسالة لتبليغهم بראسطةهم لزوم الثبات على موقفهم الحالي بداعي ان ذلك من موجبات نجاتهم وان هنالك أحداثا سياسية مقبلة في البلاد يقلنون تحت ظلها من كل عقاب ، الى غير ذلك من التلقينات المكذوبة التي يوهنون بها الفتنة بأنها أساس لبقائهم في الحياة .

بلودان تلك البرقية السياسية التي يحتج فيها موقعها على البيان الذي أصدره المغفور له الشهيد استنكاراً لأعمال رئيس الوزراء يومئذ جميل مردم بك .

٣ - ثبوت كون سامي الحفار هو الذي تولى توزيع الأسلحة مباشرة على رفاقه المجرمين مع ملاحظة ان صفة هذا الشخص - حفار قبور - وان حالته المادية لا تساعد ان يقوم بنفسه وبدون مساعدة الغير على تهيئة الأسلحة التي أحضرها لرفاقه .

٤ - اشتراك فوزي القباني في الجريمة بدون وساطة عاصم الناطلي ومن المعروف والمشهور أن القباني هو من جماعة جميل مردم بك ومتصل به هو والد له اتصالاً وثيقاً منذ عدة سنوات .

٥ - ثبوت اتصال المجرمين يوم حاولتهم الاغتيال في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ مع السادة بشير القضماني وعفيف الصلح وابن الطبايع وجميع هؤلاء من حزب الكتلة أيضاً .

فمن ذلك يتضح لميتكم الكريمة بأن المتآمرين قد تعاونوا في هذه الجريمة مع عدة أشخاص ، كلا منهم قام بأعمال معينة تتصل بترجيح واحد أعلى هو « الدائرة المتآمرة » .

ولا كان المتآمرون والوسطاء جميعهم من حزب واحد هو حزب الكتلة ، وعلاقة كل واحد بغيره من الأشخاص المذكورين قوية ومتينة على نحو ما جاء في صفحات التحقيق وكان دور الوسيط عاصم الناطلي في الجناية قائماً على أساس تحريض المنفذ عصامه على إيقاع القتل باستعمال عبارات من شأنها الطعن بالفيقد من جهة ، ومن جهة ثانية حصول الطمأنينة في نفوس العنود والخابي وبالمخاصة عصامه بأن الأمرين في الجريمة والذين يستندون الفاعلين عقب وقوعها هم رجال الكتلة المتهمون الفارون ، وهذا ما ثبت بأن الجريمة تكونت من عدة حلقات كان احد العاملين فيها عاصم الناطلي .

وإذا ما رجعنا الى تدقيق هذه الحوادث وأمعنا النظر بدرجة ارتباطها ببعضها ، وأضفنا اليها العداوة الشديدة التي يصرمها المتهمون الفارون للفيقد التي أثبتتها تقارير بعض المتهمين انفسهم وشهادات الشهود المدنية

قبل الاستجواب ، ولأننا جريسون كل الحرص على توقيفهم واستجوابهم من المجلس العدلي وسماع الشهادات بمواجهتهم كي يتألوا عقابهم القانوني ولا يقللوا من يد العدالة .

غير انهم تمكنوا من الفرار من نقطه الحدود السورية حتى بلغوا هدفهم الى المملكة العراقية .

إن عامل الحرب على نحو ما أراد المتهمون هو من العوامل التي توثيد التهمة الموجهة اليهم بقرار المستنطق وورقة الاتهام ، لأن الشخص الذي يعتقد براءته من هذه الجناية ويثق بنفسه انه لا دخل له في تدبير الواقعة لا يفر من وجه العدالة وبالعكس فانه إذا كان بعيداً عن دائرة المحكمة فيأتي بنفسه طائعاً مختاراً ويضع نفسه تحت تصرفها ويدفع التهمة الموجهة اليه بالبراهين القنعة .

ليس عاصم الناطلي أداة الوصل وحده

لقد شرح زميلي الاستاذ فران الدور الذي قام به المتهم عاصم الناطلي في هذه الجناية شرحاً وافياً وأوضح زملائي الآخرون الصلات الوثيقة التي تربط الناطلي بالتهمة جميل مردم . وكيف كان الاول صلة الوصل بين المتآمرين والمنفذين ، فليست بحاجة أن أعيد بحث ذلك ثانية ، إلا أني ألفت نظر مجلسكم العالي الى بعض المواطن التي تدل أيضاً على وجود ارتباط قوي بين المتآمرين والوسطاء والمنفذين مباشرة على الوجه الآتي :

١ - لقد ثبت في التحقيق بأن محمود خدام السروجي ومحمد الحرش وسامي الحفار هم من حزب الكتلة بوجه عام ومن جماعة جميل مردم بك بوجه خاص ، وقد تأيد ذلك بشهادتي الاستاذ الكداني والكولونيل كوتيتو واعتسراف سامي الحفار فيما يعود لارتباط صديقه المحميم محمود خدام السروجي بجميل مردم بك من جهة ، وكبرافته هو نفسه مع خدام السروجي وجميل مردم بك الى حلب أيام حكومة الكتلة .

٢ - وجود اسمي خدام السروجي وسامي الحفار في البرقية المرسلة الى الفيقد الشهيد من قبل أعوان الكتلة يوم كانت حريته محجوزة في

دفاعه فلا نظنوا أنني جئت في هذا المكان لأعيد على مسامعكم ما قاله بنفسه ، إن كان هذا فقد ظننتم سؤاً فمهنتي ، وأراها من أخس المهن إن كانت عبارة عن قتل كل شيء دافع به المتهم عن نفسه خطأ كان أو صواباً .. إلى أن قال : الجرم فظيع ، واخذ على جانبه عظيم ، وأحوال الزمان والمكان غضبي ، وكل من في الوجود وما في الوجود يطلب صراحة القانون .. »

وللإشارة أيضاً على سمو المحاماة عند الرومان فإن الإمبراطور (كركلا) لا قتل أحياه طلب من المحامي الشهير (بابتيان) أن يقوم بجسده أمام الأمة ، فأبى .. فهدهد بالقتل . ففضله على تحجيد ظالم أقيم ، ومات شهيداً طهارة للامة ، وصدق العزبة .
هذه هي المحاماة التي نعتز بمبادئها واستقلالها وشرعها .

الناحية القانونية

لقد أثبتنا لكم أيها السادة أنه توجد بين ظهرانينا جماعة خطيرة ، جماعة ألقت الأجرام والظلم والنش والتدليس ، في سبيل تأمين أغراض وغايات شخصية دينية ، فمثل هؤلاء لا تستقيم العدالة إن لم يذوقوا صرامة في العقاب ما يبعدها صرامة ولا تهبداً النفوس إن لم يحس المجرمون بسيطرة القانون سيطرة كاملة ويلقوا من عدله عذابات ذات أشكال والوان ليرتاح المجتمع الانساني من هؤلاء الطغاة الأشرار ويتعظ البقية الباقية من الناس من قوة الحكم وسلطة القضاء .

ولا مشاحة بأن قوانين الدولة تؤيدنا في هذه الصرامة ، والمجتمع الانساني في حاجة شديدة لمثل هذه القوة فلقد نصت المادة (١٧٠) من قانون الجراء بأن :

« من قتل إنساناً تعمداً أو قتل قصداً عن غير تعمد أحداً بأنه أو أجداده أو أمهاته أو جدهاته يعاقب بالاعدام » .

والقتل عمداً هو السرقة والتصور والتصميم ، أي أن متعمد القتل يتصور الفصل في ذهنه ويصمم عليه قبل إيقاعه ، ثم يعد له عدته ، وهو رابط الجأش ملاحظ ما عساه يتجم عنه من النتائج الخطرة ، مع مرور

والأجوبة الرسمية ومحاولات الاغتيال السابقة التي قام بها الثامرون بواسطة أعضائهم الكثرين ، ودرسنا نفسية المتهمين على ضوء التحليلات التي ذكرناها في معرض البحث عن أفعالهم في الحكم . وغير ذلك من الأعمال التي بحث عنها زملائي في مرافعاتهم ، يتحقق بأن القتل كان لعناية سياسية . وإن الثامرين هم المتهمون الفارون .

واجب المحامي

وأرى أنه لا بد لي قبل أن أنتقل إلى بحث الناحية القانونية من الإشارة إلى خطورة الواجب الملحق على عاتق المحامي بمثل هذه الجناية الفظيعة ، سواء كان في جانب الادعاء أو بجانب الدفاع ، وهو أن المحامي قبل كل شيء ، محام عن الحق ورسول من رسل العدالة ، وعلة وجوده في صف الدفاع هو لأجل مساعدة القضاء على إحقاق الحق وتأمين سير العدالة بصورة يرتاح لها الضمير وتتفق مع الحقيقة الكاملة ، لأن مهمة المحاماة في أصلها منذ وجدت الخطومات بين البشر مركزة على القدسية والشرف ، لا على المادة ، ولا على شيء يتعامل به الناس ، وهذا هو المذهب الثابت في البلاد الغربية وفي بعض بلاد الشرق ، وقد قال بصدد ذلك ، « هنري روبر » النقيب الأسبق للمحامين في فرنسا « ليس من وظيفة - عمداً وظيفة القضاء - أشرف من المحاماة ، وهذا الشرف هو المقابل لجهود من يجارسها والرجب للصفقات التي يجتاز بها عن غيره » .

وعلى ذلك فإن المحامي الشريف الذي يحترم نفسه وعلمه بأى أن يقول - بحضرة العدالة - ما لا يفتح به وجدانه ، أو يردد الكلمات التي يفوه بها موكله وليس لها اتصال بالحقيقة .

وعلمي أن الإساءة الزملاء اللبنانيين قد أتوا للدفاع عن عاصم النابلي بعامل مهنتهم وهو عمل فيه مستهى الشجاعة والجرأة . أرى من الضرورة بكان الإشارة إلى موقف السيوس (لاشو) وهو من أعظم رجال المحاماة في فرنسا بحيث وقف مدافعاً عن الجرم الكبير (ترميان) وقال مخاطباً قضاة محكمة الجنايات ما نصه :

« سادتي ، سأبحث معكم عن الحق كما أرى ولست مقتنيا اثر المتهم في

في الدعاوى التي تراها المحاكم النظامية - من عقوبة الفاعلين الأصليين وشركائهم ، ولكن الجنايات التي أودع أمر النظر بها للمحاكم الاستثنائية المؤلفة لغرضه اقتضاها النظام العام ، فالعقاب المحدد لها هو واحد يطبق بحق الفاعل والمشارك والمداخل الفرعي وفاقا لنص الفقرة الثانية من المادة ٦ من قرار رئيس دولة سوريا ذي الرقم ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول سنة ١٩٢٥ الخاص بإنشاء المجلس العدلي » ونصها :

« إن العقوبات الواجب تطبيقها هي المفروض عنها في قانون الجرائم فاعلو الجرم والمشاركون به والذين لهم تدخل فرعي يعاقبون كالفاعل الأصلي » .

ولما كانت المفوضية الفرنسية في سوريا ولبنان قد أوجبت بقراراتها ذي الرقم ٢٠٦ ل. ر. الصادر في ٧ آب سنة ١٩٤٠ تطبيق قرار رئيس دولة سوريا ذي الرقم ٣٦٤ المبحث عنه أعلاه مجددا بإنشاء مجلس عدلي في دمشق للنظر في بعض الجنايات ، وحتى المرتكبة قبل إداسته قرار المفوضية نفسه ، وثلا هذا القرار المرسوم ذو الرقم ٧٦٧ الصادر عن رئيس مجلس المديرين بتاريخ ٧ آب سنة ١٩٤٠ بتأليف المجلس العدلي المشار اليه من هيئته الكريمة ، والمرسوم ذو الرقم ٧٦٨ الصادر بالتاريخ المذكور بإحالة قضية مقتل المغفور له الدكتور شهبندر الجارية بحق المدعو أحمد عصامه وكافة من لهم علاقة بهذا الجرم على المجلس العدلي وذلك بالاستناد الى قرار مجلس المديرين المأمين ذي الرقم ٦٥٣ المؤرخ في ٦ آب سنة ١٩٤٠ بأن التقضية المذكورة متعلقة بسلامة الدولة ، لذلك فقد تختم العمل بقتضى هذه الصراحة القانونية من وجوب معاقبة المشارك في الجريمة والتدخل فيها بجمل العقاب الذي سيحكم به على الفاعل الأصلي .

وقد أصاب الفتن في هذه الفقرة القانونية - وبألبته جعلها عامة في جميع الجرائم - لأن كلا من الفاعل الأصلي والمشارك والمداخل مجرم - وجميعهم ساعون وراء غاية مشتركة ومن المتعذر تمييز درجة تأثير فصل كل واحد منهم في حصول الجريمة ، ولذلك كان النص المذكور يجعل العقوبة واحدة

الوقت الكافي للتجبر في عاقبة هذا الأمر ثم يقدم على القتل بالفعل .

وقد قال علماء النفس بجرع بحث التصور والتصميم ، بأن هناك قوة تفرير الفعل - وهو التصميم عليه - فقد يريد الإنسان ، ولكنه لا يصمم على التنفيذ ، فلا تتم الإرادة ، لأن التصميم مرتبط بالبرهان المستقبل فإن أراد وفعل ، كان التصميم مقرونا بالإرادة - على نحو ما أراد وفعل المتهمون بهذه القضية - لأن التصميم إرادة نافذة والإرادة ذات طرفين ، النية والتصميم .

والأصرار حسبها فسره (دالوز) في تعليقاته على المادة ٢٩٧ من قانون الجرائم الفرنسي في الصفحة ٤٢٤ من المذكرة التامة « ان سبق الأصرار في الغالب مستفاد من استحضار الأسلحة أو التهديد أو الإغضاء التي أظهرها الجاني للمجنى عليه » .

ولا فرق بين ان يكون القتل بالرصاص أو السيف أو السكنى أو الرمح أو الخنجر أو بآلة حادة أو بخنجر غليظة لا تطبيقها البنية ، لأن كل نوع من هذه الأنواع يفرق الاجراء في جسم الانسان .

وقد شرعت عقوبة الأعدام ، وهي أشد العقوبات القانونية ، بحق القاتل للعمد ، وذلك لوجود النية ، لا لصفة القتل .

الاشترك

أما المشتركون في القتل ، سواء أكان في الجنايات التي يعد أمر الحكم بها للمحاكم العادية أو للمحاكم الاستثنائية ، فهم متساوون مع القاتل في العقوبة حسبما نصت على ذلك الفقرة الأولى من المادة ٤٥ من قانون الجرائم حيث تقول :

« إذا ارتكب عدة أشخاص متحدين جنائية او جنحة او كانت الجنائية او الجنحة تتكون من عدة أفعال ، فأتى كل منهم واحدا أو أكثر من هذه الأفعال بقصد حصول الجريمة ، عُد أولئك الأشخاص شركاء في الجريمة وعوقبوا جميعا كالفاعل المستقل » .

التدخل

أما عقوبة المدخلين تدخلا تبعا في ارتكاب جنائية او جنحة فهي أقل -

الغرض المطلوب كما فعل المتهمون جيل مردم بك وسعد الله الجابري ولطفي الحنظل وعاصم النائي وفوزي القباي في قضيتنا هذه .

(تراجع شرح المادة ٤٥ للاستاذ ابراهيم هاشم) .

والجيلة والدليسة قول عالم يدخل تحته التحريض على أي شكل وقع (تراجع كتاب هوس ص ٣٨٠) يؤيد ذلك قانون الجزء المصري الجديد المستمدة أحكام الاشتراك فيه من القانون الفرنسي بحيث نصت المادة ٤٠ منه على أنه يعتبر شريكا في الجريمة : أولا : كل من حرض على ارتكاب الفعل المكون للجريمة ، إذا كان هذا الفعل قد وقع بناء على هذا التحريض . ثانيا : كل من اتفق مع غيره على ارتكاب الجريمة فوقعت بناء على هذا الاتفاق . ثالثا : من أعطى للفاعل أو الفاعلين سلاحا أو آلات أو أي شيء آخر عما استعمل في ارتكاب الجريمة بها أو ساعدتهم بأي طريقة أخرى في الأعمال المجهزة أو المسهلة لارتكابها .

والارشاد هو عبارة عن هدي المجرم الى الوسائط المسهلة لارتكاب الجريمة ولا فرق بين ان يكون هذا الارشاد شفهايا او تحريريا ، بل يشترط فيه ان يكون مفيدا سهلا لوقوع الجريمة والتهمة تكون بإعطاء الاسلحة او السهم وسائر الآلات والادوات اللازمة لارتكاب الجريمة .

ويدخل قانوننا في نطاق المتدخلين الاشخاص الذين يساعدون الفاعل الاصيل في الأعمال المجهزة لوقوع الجريمة او المسهلة او التهمة لارتكابها ، كعمانية المكان الذي يقطن فيه المجرى عليه تسهيلات لارتكاب فعل القتل والترصد له خارج الدار او إعلام الفاعل بما يقع حوله ، إلى غير ذلك من الافعال والحركات التي تعد جزءا متصفا للفعل مع ثبوت القصد الجرمي أي ثبوت علم المتدخلين بالأمر المقرر .

وبالجمله فان الاشتراك يعتبر تاما إذا كان هناك اتفاق بين الجناة على ارتكاب الجريمة بمعنى ان تكون مظاهر التعاون المختلفة التي يقوم بها كل من الجناة موجهة الى تحقيق غرض متفق عليه بينهم . وهذا هو جوهر الاشتراك بنظر جميع المحققين .

للجميع بلا استثناء عادلا مقبولا .

التدخل او الاشتراك الفعلي

يبد أن التدخل في الجريمة يتم في التحريض والارشاد والمساعدة وتبينة الوسائط الاجرائية واعداها وذلك بإحدى الصور الآتية :

١ - إذا حرض شخص غيره على ارتكاب جريمة او جنحة بإعطائه هدية او نقودا بأعمال التهديد والجيلة والدليسة ، او بصرف النقود ، او بإساءة الاستعمال في حكم الوظيفة .

٢ - أو ساعده على وقوع الفعل بإرشاداته الخادمة لوقوعها مع علمه بما ينشأ عن هذه الارشادات .

٣ - ومن أعطى الفاعل سلاحا أو آلات أو أي شيء آخر مما يساعده على إيقاع جريمة أو جنحة مع علمه بما سيكون من أمرها .

٤ - ومن ساعد الفاعل الاصيل في الأفعال المجهزة او المسهلة او التهمة لارتكابها .

٥ - ومن حفظ أو أخفى عنده جميع او بعض الأشياء الحاصلة بالسرقة او بالنصب أو بإيقاع جريمة او جنحة مع علمه بأمرها .

الى آخر ما نصت المادة ٤٥ من قانون الجزاء .

وعليه لو أعطى شخص غيره دراهم على أن يقتل أحد الناس ففعل ما أمر به ، فبعد القتال فاعلا أصليا ، والحامل عليها يدفع الدراهم مت دخلا فيها تدخلها تبعا وقال بعض العلماء انه إذا لم يكن بين مرتكب الجريمة والمجرى عليه عداوة سابقة ، وكان للأول الثقة التامة بالمحرض بحيث يعتقد فيه الوفاء بوعده فاعتبر المحرض مت دخلا في الجريمة لأنه لو لم يكن تخريظه الدراهم سلفا ولم يعط ما وعد به قبل إيقاع الجريمة لأنه لو لم يكن تخريظه وما أثر به على مرتكب الجريمة من الوعد لا أقدم هذا على إيقاعها .

والتحريض باستعمال الجيلة والدليسة يشترط فيه ان تبلغ الجيلة درجة يكون القائم فيها مقننا على سوق غيره بسببها على إيقاع الجريمة التي يريد بها ، ويراد بالجيلة كل خداع أو غش أو تدليس استعمل للوصول الى

بعقوبة واحدة . (انظر جازو مطول المقوبات ٣ بند ٨٨٤) .

العقوبة في التشريع الاسلامي

هذه هي نصوص القوانين المعمول بها في بلادنا وفي البلاد الأجنبية ، وما أنشأ في بلد اسلامي فاسمحوا لنا أيضا ان نطلب معاقبة المتهمين طبقا للشريعة الاسلامية التي لا تختلف في الحكم من جهة عقوبة القتل مع العقوبة المقررة في القوانين الرضعية ، ولما كانت مصادر القضاء في الاسلام أربعة وهي :

- ١ - الكتاب الكريم ، وهو القرآن ، عماد الاسلام .
- ٢ - السنة الشريفة ، وهي أقوال السيد الرسول وأفعاله .
- ٣ - الاجماع ، وهو اتفاق الفقهاء في أي زمان بعد وفاة النبي على أمر من الأمور .
- ٤ - القياس ، وهو حل معلوم على معلوم ، أي الحاقه به في حكمه ، لمشابهة بينهما وهو إما يستنبط من - الثلاثة الأول .

وبما أن السيد الرسول ﷺ كان يرجع في قضائه بالأمور الدينية والدنيوية الى الكتاب ، وإلى ما تنتجه له فطنته ، ويوجهه إليه إلهي فكل الكتاب والحالة هذه هو المصدر الأول للقضاء وقد ورد في (تبين الحقائق) في شرح (الزيلعي) ان القتل العمد يعاقب عليه بالقتل عملا بنص القرآن الكريم - الشريف «كتب عليكم القصاص بالقتل» ، حتى ولو كان القتل بقصبة .

وقال الرسول الأعظم « من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة : آيس من رحمة الله تعالى ، ومن أشار بحديدة الى أحد يريد قتله وجب دمه » .

وقال صلوات الله عليه « لروال الدنيا وما فيها أمون عند الله من قتل مؤمن ، ولو أن أهل سمواته وأرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله تعالى النار » .

وفي النص الأول اشارة الى عقوبة القتل للقاتل ، وفي النص الثاني تعيين

الفاعل المعنوي

وفي بعض الشرائع ما يعد المحرض على الجريمة فاعلا أصليا ويسمى فاعلا معنويا أو أدبيا .

النية في الاجرام

إن المذهب الذي اتبعه قانون الجزاء الفرنسي القديم الصادر بعام ١٧٩١ وأيده القانون الأخير الصادر عام ١٨١٠ يقضي بالنسبية بين الفاعلين والشركاء باعتبار ان الشريك بقوله الاشتراك في الجريمة يتحمل جميع ما يترتب عليها من النتائج القانونية لأن نية الشريك بارتكاب هذه الاعمال يقصد تحقيق الجريمة هي التي تجعل عمله معاقبا عليه ، وعمله نتيجة الفعل الذي يرتكبه غيره . وعلى هذا الاساس تساوئ مسؤولية الفاعل ومسؤولية الشريك ، ولا تكون هنالك أهمية للفرقة بين من يعد فاعلا ومن يعد شريكا من حيث العقوبة . وهكذا التشريع الكسي والروماني من قبل (نيدال بند ٤٠٦) .

وقد أخذ القانون الايطالي الصادر بعام ١٩٣٠ بهذا البذا بحيث لا يفرق بين الفاعل والشريك (تراجع المواد ١١٠ وما بعدها منه) .

وكذلك فان المادة ٦٦ من قانون العقوبات البلجيكي تعتبر كالفاعلين من ساعدوا بأي عمل كان على ارتكاب الجريمة ولولا مساعدتهم لما أمكن ارتكاب الجريمة او الجنحة . لأن التحريض هو أول وسائل الاشتراك والمحرض هو الذي يدفع فاعل الجريمة الى ارتكابها بإغرائه على إتيان الفعل المكون لها ، فهو الفاعل الأدنى للجريمة ، إذ هو المدبر لها والنسب في وقوعها . ومن أجل ذلك كثيرا ما تكون مسؤوليته الأدبية أشد من مسؤولية من باشر الفعل المكون للجريمة هذا الذي يكون في كثير من الاحوال مجرد آلة في يد من حرصه . وعلى هذا الاعتبار يعد المحرض في بعض الشرائع فاعلا أصليا (تراجع شرح قانون العقوبات المصري تأليف الدكتورين مرسى بك ومصطفى السعيد بك ص ٢٥٥) .

وأخذ شراح القانون الفرنسي عن الرومان مبدأ المساواة في العقوبة بين المشتركين في الجريمة جميعا فالفاعلون للجريمة وشركاؤهم فيها يعاقبون

وكل هذه الأفعال تقع تحت طائلة العقوبات القانونية المشار إليها، ناهيك عن الأسباب المشددة القانونية والتقديرية المتوفرة عوامها بحق القتلة وأصحاب السوابق منهم، فنيا يعود امر البحث فيه بصورة مفصلة لمقام النيابة العامة.

« الحق المدني »

شرعت الدعوى المدنية أمام المحكمة الجنائية اختصاراً للإجراءات وتوفيراً للوقت وفيها يجد المدعي زميلاً (النيابة) يعاونه، ولو من طرف غير مباشر، على الوصول الى حقه وذلك بآليات الجرم التي نشأ عنه الضرر، وعلى ضوء هذه القاعدة القانونية العامة نرى بأن المواد ١ و ٩ و ١٧١ من قانون الجراء ١ و ٦١ و ٦٢ من قانون أصول المحاكمات الجزائية و ٨ من قرار رئيس الدولة السورية ذي الرقم ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول سنة ١٩٢٥ نصّح بأن الحكم في الحقوق الشخصية تقضي بها المحاكم الجزائية مع العقوبات الفنية، ولا يجفى أن الحقوق الشخصية بدعوى القتل تنقسم الى قسمين: شرعية وقانونية. فالشرعية هي القصاص والدية، والقانونية هي التعويض، وبذل العطل والضرر، والضميمات وبذل الكسب والتفقات التي اداها ورثة المجرى عليه.

ولا كانت دعوانا تضمنت طلب الحكم في الدية، وهي مقررة ومعلومة فلا حاجة لزيادة البحث عنها، وطلب الحقوق الشخصية القانونية التي قدرناها مبدئياً باستدعاء الدعوى الأخير المؤرخ في ١٦ كانون الأول سنة ١٩٤٠ بنصف مليون ليرة سورية ورقاً، وكانت محكمكم العليا وإن تكن صاحبة السلطة المطلقة بتقدير بدل هذه الحقوق القانونية، إلا أني أرى من الفائدة بمكان أن أبين ماهية تلك الحقوق لتكون - المحكمة على بينة من الأمر، وهاتني فاعل.

التعويض المادي

لقد خلف المفقور له الدكتور شهيندر زوجة وستة أولاد اربعة منهم ما زالوا قاصرين يتلقون العلوم في المدارس الابتدائية والثانوية، وكان المفقور

قل المحرض على القتل، ولو جاء التعريض في الاشارة.

وبذلك نجد ان كل الشرائع والقوانين تقضي بالعقوبة في الاعدام.

« المحاولة »

ومن الناس من يتصور جنابة القتل، ويصر على ايقاعها، ويتم مرحلة التحضير - للجرية، وبدأ في تنفيذها، ولكنه يجفئ لسبب لا ارادة له فيه، فيعذ عمله « محاولة » أو « شروعا تاما » أو « جريئة خائبة » على حد تعبير بعض القوانين الأجنبية.

وقد صرحت الفقرة الأولى من المادة « ٤٦ » من قانون الجراء بأنه « من صمم على ارتكاب جنابة وبدأ في اجرائها بوسائل مخصوصة ولبيلولة أسباب مانعة، لم يكن هو فيها مختاراً، لم يتمكن من إتمام الأفعال اللازمة لحصول تلك الجنابة عوقب في المواضع التي لم ينص عليها القانون على الوجه الآتي :

وصرحت الفقرة الثالثة من المادة نفسها بأن « من أتم جميع الأفعال الاجرائية اللازمة للجنابة التي صمم عليها ولكن لجيلولة أسباب مانعة لم يكن هو فيها مختاراً لم تظهر تلك الجنابة للوجود عوقب في المواضع التي لم يصرح بها القانون على الوجه الآتي، ان كان الفعل المذكور مستلزماً عقوبة الاعدام أو الأشغال الشاقة - مؤبداً حكماً على المحاول بالاشتغال الشاقة المؤقتة مدة لا تنقص عن عشر سنوات ». الخ.

أفعال المتهمين

فضلا عن أن قرار لزوم المحاكمة وقرار الاتهام قد وصف الأفعال التي ارتكبها - كل واحد من المتهمين، وولت الوقائع المادية والافقرات البرية والشهادات على وقوع تلك الأفعال الجنائية فمن قبل المتهمين أنفسهم ومن شركاء لهم لم يتوصل التحقيق، يزيد الأسف، لمعرفة حتى اليوم، ولنا من العدالة الإيفية وزارة القضاء كل الأمل بتعيين البقية الباقية من المجرمين الشركاء ولو في المستقبل القريب، فان زملائي في جهة الادعاء قد شرحوا الوقائع بالنسبة للمتهمين والمحرضين والمفذين بصورة لا تدع سبيلاً للشك في صحة فعلتهم الشنعاء.

فلسفية، اجتماعية، وحقيقة قضائية ايضا، وإذا كنتم تقاضون الفتاة فلا تهم هدموا بناء الله، واعتدوا على حقوق الله وعلى حقوق مخلوقاته، وعشروا بمصلحة الأمن العام الذي تركها المشرع أمانة بين أيديكم وبرزجوا الحق في الباطل، ونسوا رباط الوطن الطاهر، وحطوه كما شاءوا وشاء لهم المولى والطمع، ولكن الله - سبحانه وتعالى سيرتهم كيف لا ينفعهم رياء أو تحفي .

إن هؤلاء المجرمين قد لوثوا جو هذه القاعة الطاهرة بما ينثره من حياة كلها اجرام، إن عمل هؤلاء يجعلنا نشك في أشخاصهم أنس أم شياطين، انظروا - انشدكم الله - الى النطاء الخارجي الذي ألبسوه وحاولوا أن ينجفوا به ويخفوا حقيقة أمرهم، ولكن الله - جعلت قدرته - أنطقهم بما نكته صدورهم من غدر، وظلم وخيانة، واقتراء.

ما كنت أرى في نفسي وفي عيني أصعب من جلوسنا مع الأعمى في حرم المحكمة لأنني كنت أسمع صراخا من دائرتهم كصراخ الحيوانات المفترسة، ولكنني كنت أتمسك بالصبر الذي هو عماد الشرائع البشرية، وأعداد نفسي لسماع صوت الحق من العدالة، لصوت الانسانية، لبكاء الأبناء، لأين الأم، لصوت الوطن القاهر.

أيها الفتاة الأثوم ومن ورائكم المدير والمحرض والوحي : لقد ارتقم دم الشهيد ونسيتم أن الله سيقضي عليكم في الدنيا والآخرة وتظاهر بضمكم أمام القضاء - كذبا وبيانا - أن الله يقرر له، كان مفتاح الجنة بيده، ولكن هذه المظاهر المصطنعة لن تتجاوز مقاعدكم، لأن الدم المهروق طاهر بريء وخالفه اشفق عليه منكم، فلا يدع قلب الحكام التي بيده - تخضع لتصديق الكاذبين الذين خلت أجسامهم من الشفقة والرحمة، أنتم يا من تأصلت القساوة في نفوسكم، اعلما واعلموا جيدا بأن نجاة الدين الإسلامي، لا بل نجاة الأديان كلها لا تتم الا بفصل رؤوسكم عن أجسامكم.

سادق القضاة

إذا حكمتكم فستحكمون على أشخاص لهم قدرة مدهشة على التفريق، ومهارة فائقة في الشر والإغواء، أشخاص : اعتصموا الكلاب مبدأ لهم،

له عملهم ومصدر رزقهم ومعيشتهم وهاتهم في الحياة بعد الله تعالى بحيث كان طبييا عظيما له من المكانة في فنه قد لا يوجد من يرامله في مقدرة، وبذلك كان رحمه الله يعمل في ميدان الإنسانية ويكسب الرزق الحلال من فنه ليؤ من حياته وعائلته ويجمع لأسرته - الثروة التي بقي باحتياجاتها حيا وميتا، فجاء الغادرون الظالمون وقضوا عليه وحرموا أسرته من جهوده ومن كسبه، أما ما تركه الشهيد من الأموال فشيء لا يذكر ولا يمكن أن يقوم بأروهم. هذا عدا عن المناعب والمصاعب التي حلت بورثته بسبب الجناية، والنقبات الطائلة التي تكبدوها في سبيل ملاحقة دعوامهم.

التعويض المدني

يكفينا أن نشير إلى الصدمة العنيفة التي أصابت زوجة الفقيد وأولاده تلك - الصدمة التي تركت أثرا لا يمحي طول الحياة نظرا لقطاعة الجناية التي روعتهم، وللطريقة الوحشية التي ارتكبت بها، عدا الأضرار المعنوية التي لحقت بالفقيد نفسه وأسرته من بعده بسبب ما نعت به المجرمون السفاكون أمام القضاء وخارج دار القضاء، وفي الصحف التي نقلت تلك النعوت تعرض ذكر وقائع الجناية النكراء.

كل ذلك يجعلنا نعتقد بأن العدالة ستلبي طلبنا بالحكم على المتهمين - بالتعاضد والتكافل - بإداء المدعى به.

الحاجة

سادق القضاة

لقد شرحت لحضراتكم قضية الشهيد بأسهاب وبينت ظروفها وأسبابها وعواملها ونفسية المتهمين، ومناضيتهم، وأفعالهم، ونزواياهم، لأن من واجبات القضاء أن يتعرف المجرم وطبيعته وأمياله وعقله وحالته النفسية كما قال أشهر محامي فرنسا المسبو « لا شو » الذي دافع عن المتهم (تريان) سنة ١٨٦٩.

إن المبدأ المسطر على قضيتنا - كما يتصوره كل من يعرف قيمة الانسان - هو أن الجسم الانساني شيء مقدس لأنه بناء الله - وهذه حقيقة دينية -

اختاروا هؤلاء المنفيين واتخذوا عقولهم متجرا ليقتضوا على أكبر شخصية في الأمة، ولو كان في هذا العمل لمعات الله عليهم وملائكته والناس اجمعين، واذا فكرنا في الظالم والمتاعب التي نالت فقيدنا العالي، والفني، والحس، وأحكام الإعدام التي حكم بها. من أجل إيمانه الوطني، وهو لم يقترف ذنباً، ولم يؤذ أحداً، شعرتنا بديب الشر في نفوس هؤلاء المجرمين.

ان القضاء على المجرمين ليس فقط في مصلحة الروح العالية التي ذهبت، ولا في مصلحة النظام العام وحده، بل في مصلحة السوريين أنفسهم، لا بل في مصلحة العرب وفرنسا معا.

وعليه أوجه انطاري إليكم أيها السادة القضاة وأقول: إن البرية فظيمة، فظيعة لأنها ربتت في الخفاء، ونفذت بشكل تقتصر منه الإنسانية، ويدل على متهى اللذالة والحجارة، فافسحوا الطريق للمجرمين بأيديكم إلى القفلة، فلم تعد الحياة تنفعهم لأن أعين الناس ومن فوقها أعين الخالق لم تعد تنفع عليهم، فاحكموا عليهم بالوت ونفذوا القضاء فيهم قبل الفجر ليذهب الشعب إلى قريعتهم ويضع عليه الأزار.

وقدروا على النش والحداء، وقوة الاغراء، والفساد، والظلم، والإثم والإجرام.

اشخاص: لا يحسون للضمائر حساساً، ولا يتعرفون على قيمة الحياة عندما تقضي لماتهم الدينية أن يفعلوا حراماً، أو عندما يدركون أن أمانتهم الجنسية انهارت أو في طريق الانهيار.

اشخاص: لا يقلقهم ذنب، ولا يجلبهم عفو، لأن ضمائرهم ماتت، فلم يعودوا يهابون بشيء، أو يخجلون من شيء.

اشخاص: ادخل المتآمرون والمحرضون فيهم الطمأنينة في قلوب الوسطاء المنفيين وشجعوهم على الاستماتع بالمحرمات، فويل لهم جميعاً من الله وعبيده وويل لهم من عذاب القبر.

أيها القلة:

قلتم الشهيد رستم إلى هذه القاعة وأنتم ماثلون بين أيدي العدالة تطعنون القاتل الذي ذهبت روحه ضحية غدركم وظلمكم وتندعون «كذبا» القوي - والورع والصالح. فليس لي ما أجيبكم به إلا بما قاله السيد المسيح قبل ١٩٤٠ سنة.

« يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون ان تكلموا بالصالحات »

« وأنته أشرار، فإن من فضلة القلب يتكلم القم، أن »

« كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها »

« حساباً يوم الدين »

وقد دعا السيد المسيح الجميع وقال لهم: « اسمعوا وافهموا: ليس ما يدخل القم يتجلى الانسان، بل ما يخرج من القم هذا يتجس الانسان، لأن من القلب يخرج افكار شريفة، قتل، زنى، فسق، سرقة، شهادة زور، تخلف، هذه هي التي تسجن الانسان ».

سادق القضاء ان الثامرين والمثوقين على ارتكاب هذه الجناية

مرافعة الدكتور سيرة العجلموني

سيدتي الرئيس، سادتي:

يريد القدر أن احدث اليكم، في حديث واحد، عن شخصيتين مختلفتين: شخصية تمت في النفوس شعور الرضى والاكبار، لأنها تتصل بأفق الملائكة: وشخصية تثير في النفس شعور الاستمزاز والاحتقار، لأنها تتصل بأفق الشياطين.

أحب أن اعلنكم، قبل كل شيء، أن زملائي أوكلوا إلي الكلام على شخصية الزعيم السياسية، وعلى شخصية القتلة الخمسة، الذين تتألف منهم حلقة المؤامرة السفل، أما بقية المتهمين، فلا شأن لي معهم، ولن اعرض لهم بشيء، ولكنني استطيع أن أقرر في كثير من الاتساح أن الجانب اللذي لم يكن مسرفاً في اتهاماته ولا مفترياً في ادعاءاته، بل كان منصفاً الى ابعد حدود الانصاف، ومقتصداً الى ابعد حدود الاقتصاد، فهو لم يتهم الا خصوم الشهبندر الذين لهم سابقة في الكيد له، ولعل اعظم دليل على ذلك انه لم يقيم الدعوى على لطفي بك الحفاز، لما عرف من سابق صداقته للزعيم ورغبته في السلم وتوحيد الجهود، ولكن الرأي اذا تغير فيما بعد... فانما تغير بسائق ورقة الاتهام، التي أعدها النيابة.

كل هذا يقيم لكم البرهان على روح العدل التي اتصف بها الادعاء الشخصي وعلى رغبته الصادقة في معرفة المجرمين والمحرضين الحقيقيين، لينزل بهم، وحدهم العقاب الذي يستحقونه.

حياة الشهبندر وجهاده:

اسمحوا لي، قبل أن أقدم اليكم شخصيات القتلة الكيكية أن أبسط

السوريين الذين يرضيهم ان يعرفوا تاريخ بلادهم القومي .
كتاب اللورد اللبني الى جلالة الملك فيصل :

في ٢٧ نيسان من عام ١٩٢٠ بعث اللورد اللبني ، قائد القوات المتحالفة الى الأمير فيصل ، الكتاب الخطير التالي :

دار الاعتماد - القاهرة في ٢٧ ابريل ١٩٢٠

يا صاحب السمو

أمرتني حكومة جلالة الملك أن أقدم لكم الرسالة التالية :

بنتيجة القرارات الحديثة التي قررها الحلفاء في مؤتمر سان ريمو ، قبل مبدأ الاعتراف بسوريا والعراق حكومتين مستقلتين تابعين لمساعدة دولة متتدية ، الى ان يجين الزمن الذي نستطيع فيه هاتان الحكومتان الوقوف وحدهما .

وتعقيا لهذه القرارات قد أودع الانتداب على سوريا الى فرنسا في حين أودع الانتداب على العراق الى انكلترا . وقد سميت بريطانيا العظمى ايضا دولة متتدية على فلسطين .

ان حكومة جلالاته تشعر شعورا قويا بأن الزمن قد حان الان للوصول الى ترتيب تأتلف به مطالب الأمة السورية مسح هذه القرارات .

ذكرتم سموكم في كتابكم رقم ١٠٣ بتاريخ ٢٨ مارس المرسل الى ناظر الخارجية البريطانية رضاءكم بالسفر الى اوربا على شرط الاعتراف باستقلال الشعب السوري .

واذا كانت حكومة جلالاته ، بناء على القرارات التي قررت الان مستعدة للاعتراف بسموكم سيداً رأس حكومة مستقلة ، الا انها تعتقد اعتقادا قويا بأن قضية ملكيتكم يعود تقريرها بصورة رسمية الى مؤتمر الصلح . لذلك ففي تلخ عليكم بأن تحثروا الى اوربا من غير ابطاء وتذكروا قضيتكم .

وسيعقد المؤتمر انعقادا آخر في باريس في آخر مايو والرجو ان تجدوا سموكم السيل لحضور اجتماعه .

أما مسألة فلسطين فقد كنتم عارفين دائما ان حكومة جلالاته تعهدت

بين أيديكم شيئا عن حياة الرجل ، الذي تزوف روحه القدسية في هذا المكان .
ولد الشهيد في دمشق ، وتلقى ثقافته الأولى ، في أحضان الفضيلة ، ثم طلب العلوم العالية في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وكان فيها معتقد أعظم طالب تخرج فيها ، كانت مزاياه البارزة : جزأته في قول الحق ، وجهه لبلاده ، وموهبته الخطابية ، ودكاؤه المعجيب .

بدأ الشهيد حياته العملية في بيروت ، وأصاب ارباحا هائلة ، ولكنه لم يكن يشد الريح المادي ، فاعلق عيادته وودع اصدقاءه اللذين أدهشتهم أن يتخلل عن زبائنه ومكاسبه ، وقال لهم : « أريد أن أمضي الى دمشق عاصمة العرب ، لأخدم القضية المقدسة ، التي أشهد الله على أنني نذرت لها نفسي وما ملكت يداي » .

في دمشق ، كان الشهيد فكرة تفرج بالقلوب ، وحركة تشيع في المزارم ونداء يأنس به أنصار الفكرة العربية في كل مكان .

على أن جمال باشا السفاح قرر أن يعدمه فيمن أعدم ، فاضطر الى الهجرة من البلاد العربية ، وبعد طواف غير قصير في البلاد القريبة والبعيدة ، استطاع الشهيد ان يعود الى بلاده التي أحبته وأحبها ، وأكرته وأكبرها ، فقدم اليها في مركب النصر واختاره المغفور له الملك فيصل وزيرا للخارجية .

أبى الله أن يصانع الشهيد الصهيونيين :

هنا يا سادتي ، أريد أن أبرز لكم وثيقة تاريخية ، على جانب عظيم من الخطورة وعلى حظ كبير من القيمة المنوية ، وثيقة يجيهاها او يتجاهلها فريق من الخوصوم ، ولكنها تثبت لكل صاحب وجدان ، ان صوت الشهيد الذي اهتموه بصناعة الصهيونية ، كان أول صوت ارتفع بالدفاع عن فلسطين ووحدها وسلطانها ، بل كان اسمى صوت ، لأنه امتزج بصوت الملك نفسه .

لا ألخص لكم هذه الوثيقة ، لأننا في حكمة سياسية ، وبين أيدي رأي عام ومن الحق أن تقرأ هذه الوثيقة كلها ، ليدكرها من تناساها وليعرفها من

جوليس الشهبندر باسم الملك فيصل

هذا كتاب اللني باسم الحلفاء، فاستمعوا الى جواب الوزير العربي، عبد الرحمن شهبندر، هذا الجواب الذي خطه بيده ووقع عليه المغفور له الأمير فيصل، وطبع على أوراق وزارة الخارجية العربية:

الملك فيصل العربي السوري

وزارة الخارجية

قاصد السعادة

اني بكل تقدير أسجل اعتراف مؤثر سان ركو بأن سوريا والعراق كل منهما دولة مستقلة وقد توصل هذا المؤتمر الى هذا الاعتراف، كما يعتقد العرب العدالة والانسانية وموافقة رغائب الأمة السورية المستقلة. وكذلك أسجل مع السرور العظيم استعداد حليتنا بريطانيا العظمى للاعتراف برأس الحكومة السورية المستقلة.

أما ما يختص بالانتداب الذي أقرتم اليه سعادتكم فاني أشعر أنني لا أستطيع البحث فيه فالشعب الذي عرف الخطر الذي يجره على سلامته في المستقبل واستقلاله إحتج عليه إحتجاجاً عظيماً وأني أن يقبله. على أن ذلك لا يدل على أننا مكثفون بأنفسنا ولسنا مستعدين لأخذ المساعدة اللازمة بمقدد المقاولات مع حلفائنا نحفظ فيها سلطانتنا القومية حفظاً مطلقاً، وقد كتبت لكم سابقاً كما كتبت حكومتني أيضاً أننا لا نرفض مثل هذه المساعدة.

أما مسألة فلسطين فلم أجد برسالتيكم صراحة كافية تدل على الاعتراف بأن هذه البلاد جزء لا يتجزأ من سورية مع أن فلسطين من حيث

بإحداث وطن قومي لليهود في فلسطين، وهي غاية قد سلمتم بها. ونرى حكومة جلالته نفسها انها ملزمة الزاماً سيئاً في شروط الانتداب بأن تحمي مصالح الوطنيين الأصليين بأتم الأساليب. وبالإلحاح على سموكم باجابة دعوة حكومة جلالته بالسفر الى باريس دون تأخير اود ان أؤكد لكم أن الدفاع الوحيد لحكومة جلالته هي الرغبة في ان تعطي أماني سموكم الاعتبار التام.

تفصل فلسطين عن سوريا . يمثل هذه الوسائط فقط اعتقد اننا يمكننا ان نصل الى حل يحفظ منافع جميع ذوي الشأن وفي هذه الأثناء تروني بأشد الحاجة الى الجواب . وفي الختام تفضلوا بقبول احترامي .

الشهيندر
يريد
الاستقلال
النام

هذه هي الوثيقة، تضعف الباطل في وجهه، وتلقي النور على الأعين التي لا تتبالأ إلا في الظلمات، كالخفايش والحركات المكورات، ولكن لسي شيئاً قد يكون أعظم خطراً وأوفر نفعاً، هو هذه المذكورة، التي كتبها الزعيم بخط يده وقدمت الى الأمير فيصل، ليصطنع على هداها رأياً ويكون فاعلاً، هذه المذكورة توضح لنا في أحسن أسلوب ان الزعيم شهيندر لم يدع الى انتداب انكلترا، وإنما دعا الى شيء آخر، دعا الى استقلال البلاد استقلالا تاماً، وإذا كان لا بد من مساعدة، فليكن هذه المساعدة من فرنسا، بشرط ان تحفظ سلطان البلاد ووحدها القومية.

تلك كانت نظرية الزعيم في المعاهدة عام ١٩٢٠ فالذين لا يسرههم ان يطلب معاهدة أحسن من معاهدة ١٩٣٦ يجهلون أنه كوزير عربي، لكك عربي، أعلن رأيه واتخذ لنفسه موقفاً، ومن الخير ان لا يتراجع، ومن الخير ان يحفظ عهد ملكه.

مضت، بعد فصل، سنوات . كان الشهيندر يعلم فيها الناس الوطنية، ويقدم اليهم المثل الأعلى في الجرأة والضمحية، ويكتمل في سبيل عقيدته الروانا من الأذى والغضب ولقد حوكم وتقي الى أرواد، مدة غير قصيرة، ثم عاد الى دمشق، فأخذ يتابع رسالته الكبرى من غير خوف ولا وهن، حتى نشبت الثورة فكان احد قادتها البارزين وزعمائها المجاهدين، ولما انتهت الثورة الى هزائنها، وكان قد حكم عليه بالإعدام، سافر الى مصر فأقام فيها، وتابع العناية التي نذر لها نفسه أمام الله، وكانت له بين المصريين مكانة جلية دلت عليها كلمات الرثاء التي بعث بها وزراء مصر ونوابها، وكبرأؤها فالتقت في حفلة الأربعين، ولم يلق مثلها في موت رجل سوري قبل الزعيم . لم ينقطع الزعيم في مصر عن العمل الوطني، بل كان يشتر الدعوة لبلاده بين المصريين وبين الأجانب، ويتصل بالسوريين القيمين في الوطن وفي

الاعتبارات الجغرافية والأنتوغرافية والتقليدية والاقتصادية ومن حيث اللغة والرغائب الوطنية لا يمكن فصلها بوجه من الوجوه عن سورية .

وعلاوة على ذلك يوجد من المخابرات التي دارت بين جلالة الملك حسين وسعادة السير هنري مكماهون رسالة باسم الحكومة البريطانية تاريخها ٢٥ اكتوبر سنة ١٩١٥ يعترف فيها بأن فلسطين داخلية في المملكة العربية التي قبلت الحكومة البريطانية حدودها الميية هناك وأريد على ذلك أن هذه الرسائل بحسب ما يدل عليه حديث الاجتماع الذي حصل في رقم ١ من شارع دونغ هي مساوية في القيمة للاتفاق مع رئيس الجمهورية الفرنسية حتى ان معاهدة سايكس بيكو عند بحثها في مسألة فلسطين قد صرحت بحلء في المادة الثالثة بأنه ينشأ في المنطقة الصغراء ادارة دولية وأنه يقتضي لتعين شكل هذه الادارة الاتفاق مع علي الشريف في مكة ولا يوجد شيء في هذه الوثيقة يخض الصهيونيين أو اليهود .

وبالنظر الى احتياجي الى تهدئة الشعب الذي هو في أشد حالات الاضطراب عقلا وروحاً أرجو أن أحصل أيضاً من بريطانيا العظمى على بعض تصريحات مقنعة تستطيع استخدامها لحفظ الثقة في قلوب العرب بحليفة العرب وأن أين لم بأن كل اتفاقية بين البريطانيين والصهيونيين لا تعتبر بوجه من الوجوه آثمن من الاتفاقيات مع الملك حسين أو رئيس الجمهورية الفرنسية .

أما مسألة تسليمي بإحداث وطن قومي لليهود في فلسطين فاني اعتقد ان هناك بعض سوء التفاهم، فكل ما سلمت به ان احافظ على حقوق اليهود في تلك البلاد كما يحافظ على حقوق العرب الوطنيين وان يجوزوا نفس الحقوق والمنافع .

ان العرب في فلسطين نصارى كانوا او مسلمين قد استخدموا مرارا وتكرارا كل فرصة للاحتجاج على اتفاقية او عهد يجعل وطنهم وطناً قويميا لليهود .

أنا مستعد للمجيء الى اوربا لبسط قضية بلادي اذا حصلت على تصريح مثبت لشعبي الخائض يصرح بأن المؤثر لا يسمح بوجه من الوجوه ان

المختلفة الى الاتحاد، ويخيل لي ان هذه السياسة الانسانية ليست مخالفة للدين، ولكنها من الدين، ولا يمكن ان تكون الا من الدين، لقد كان أحد أمراء البيان يدعي ان المسلم وحده يستطيع ان يكون وطنيا، ولكن الزعيم كتب على رايات الثورة هذه الكلمة المباركة: «الدين لله والوطن للجميع» وأرد أن تكون هذه الوطنية مشاعرا بين المسلمين والمسيحيين فأناس يختلفون في عقائدهم الدينية، ولكن حياتهم الاجتماعية تسوقهم الى الاشتراك في مثل أعلى يجتمعون على حبه وأكباره.

عروية الشهندر
كان الشهندر عربيا، يعمل في سبيل الجامعة العربية والوحدة السورية الكبرى قرأت لكم نداه وهو وزير المملكة العربية، وله بعد ذلك ألوف من الخطب والمقالات، ولعلكم لا تزالون على ذكر من خطابه الذي ألقاه في مساء اليوم الثاني من كانون الأول عام ١٩٣٧ في النادي العسكري بلسدن فقد حل على عهد بلفور بحضور سفراء الدول العربية، وأمام زهاء ثمانين من أعيان البريطانيين، وبين شأن الوحدة السورية في الجامعة العربية.

ولقد أرسل الزعيم رحمه الله، قبل موته، بمناسبة ذكرى وعد بلفور، برفقة هذا مظهرها: «عشرون سنة مفعمة بالولايات والألام مرت على وعد بلفور الجائر كافية لافتح بريطانيا ان العرب لن يتنازلوا عن شبر من أرضهم ولن يقبلوا وعدا لا يقره ضمير ولا وجدان».

ذلك هو الرجل الذي لم ينجح جناة آثمون من اتهامه بعد قتله بأنه مأجور للانكليز والصهيونيين.

اما تَسْكُ الزعيم بدينه، فيتناوله غيري، ولكنني أجد دليلا بليغا عليه في عقيدة الزعيم جواب الزعيم على سؤال وجه اليه في مصر صحفي امريكي كبير.

سأله هذا الصحفي: ماهي أعظم مواقفك؟

وكان الصحفي، بالطبع، ينتظر من الزعيم ان يقول له: موقفني في الدفاع عن البلاد مع الملك فيصل، أو موقفني في الثورة، أو موقفني انطباعي أمام جمال باشا السفايح أو نحو ذلك.

ولكن الزعيم رحمه الله وأجزل له الرحمة، أجابه:

المهاجر، يكتب ويخطب ويقابل ويسمى ويستنهض الملم.

أمة من العبقريات
وبعد، لا يستطيع ان الخص لكم مسيرة الشهندر، لأنها سيرة أمة في أجادها وفي اضطهادها، وفي استهادها، ولكنني قد استطع ان استعير من أحد الناقدين الأوروبيين كلمته في (غزوي) فأقول لو وزعت اعمال الزعيم على عشرة رجال، لكان كل واحد منهم خالدا، ولو وزعت مواهب الزعيم بين عشرة رجال، لكان كل واحد منهم عظيما، فنحن لم نفقد عورت الشهندر رجلا واحدا، ولكننا فقدنا أمة من النباه والعطاء، من الميراث والكلمات.

كان الشهندر طيبا من الطراز الأول، والطبيب العظيم في بلد من البلاد ثروة تعتر بها وتحرص عليها، وتجد فيها الوسيلة الى حياتها ورسالتها وصحة تفكيرها، وكان الشهندر خطيبا، لا أقول من الطبقة الأولى... لأنه كان خطيبا سورية، ولم يبق لسورية بعد اليوم خطيب، وكان الشهندر محدثا حلوا الكلام، يعرف كيف يدبر الحديث وكيف يسيطر على القول بكلام ساحر وبيان فاخر، وقد أذكر أن أدبيا فرنسيا قال عنه: (ان الشهندر شرقي -غربي، فهو على جانب عظيم من الكياسة، خلاب، تجد في مجلته الأدب واللمعة الرفيعة، وقليل من الرجال الشرقيين يستطيعون ان يجلسوا الى أكابر الأوروبيين ويروحوا اليهم الشعور بأهم في حضرة رجل عظيم، لا يختلف عنهم في لفحات الفكر المثقف، وحركات النفس المهدبة).

وكان الشهندر عالما، وكان أدبيا، تشهد له بذلك الدراسات والبحوث الكثيرة التي نشرها في المجلات والصحف والكتب، وكان وطنيا، بل كان معلم الوطنية، ولم يخطيء زعملي الشاب، الدكتور المأمون الجالس في الجانب الآخر، يوم ذهب لاستقبال الزعيم مع (القمصان الحديدية) وخطابه بقوله: (سيدني الزعيم، لقد جئنا اليك لنحيك، فقد كان صوتك أول صوت سمعناه مبشرا بالبادء القومية وكان وجهك أول وجه نوراني عرفناه، يوم لم يكن في البلاد معلم للوطنية الا انت).

انسانية الشهندر
كان الشهندر انسانيا، يشتر بالتراحم والتناصف، ويدعو الطوائف

التي زعموها إذ قالوا ان الرسول (ﷺ) تجل لهم في صورة عصاصة، ما ثبت لكم ذلك.

ان الله سبحانه وتعالى خلق عمدا (ﷺ) في أكمل صورة، فكيف يستطيع مسلم ان يدعي انه يشبه عصاصة، هذا المجرم الذي له عين أكبر من عين.

عصاصة يضل القضاء:

انتقل الآن الى اعتراف عصاصة...

لقد كان طبيعيا ان نغير هذا الاعتراف الذي يقع في حضرتنا شانا خطيرا، لأن (لا روشفوكو) يقول:

(مهما كان شكنا في اخلاص الذين يتحدثون الينا كبيرا، فنحن نعتقد دائما انهم يتحدثوننا دون غيرنا بأصدق قولهم)...

وهكذا كدنا نقذف باعترافات عصاصة أمام الشرطة وأمام المستنطق الى البحر، وان نسلم بنظرية معترف الذي يقول في رسالته الى عصاصة:

« جناب حضرة الأخ المجاهد السيد احمد وبعد فاننا أولا ان تحقق ان الافادات الأولى قد ألغيت وليس لها اعتبار ولا بد ان نستند على قول المحامين المخلصين لأنها ليست معتبرة فعندها نتكلم... »

كلا. يا عصاصة كلا. يا معترف.

ان الاعترافات التي ألفت امام الشرطة هي اصدق الاعترافات، وعصاصة الذي اعترف هنا بالقتل، كان قد لقن أشياء ليقورها قضاها، ولقن أشياء ليتعاقل عنها فتعاقل عنها، وإذا اسلمنا جدلا بأنه كان مخلصا في لحظة ما، فهو لم يكن مخلصا الا في اللحظة التي اعترف فيها بأنه قاتل، ثم عاد بعد ذلك الى غريزته في الجداخ والرياء في ذلك كمثّل الرجل الذي خاطبه شكسبير بهذه الكلمات:

(ان حسانك تشبه الشرارة التي تتبعث من العصاصة اذا احتكت بالعصاصة، ولكنها لا تثبت ان تعود الى برودها الطبيعية) .

ليس عصاصة في هذا الباب جديدا ولا فاتحا، ومن الخير ان نعرف بأنه

اعظم موافقي وأحبها إلي وأرضاها عندي، وأبعثها للسكينة في جوانب نفسي، موقفي في الصلاة بين يدي الله.

قال الزعيم هذا وأخذ يحدث الأمريكي عن فراره ذات يوم الى الصحراء التي وصلها خائفا جاثما مبروك القوي، ولكنه ترضاً وصل، ففزع بالأمن، وذهب عنه الجوع واستراح من العناء، وكانه انما استيقظ من نوم هادىء مطمئن.

ذلك هو الايمان الصحيح، ايمان الشهبندر، نجده في عقيدته، وفي طهارة حياته، والشهبندر كان في حياته من طبقة الزاهدين والعصوفين، فلم يعلى قلبه لا بالخمر ولا بالميسر ولا باللهو الاثم ولا بشيء من هذه الأشياء التي تصرف العبد عن خالقه وعن شؤون الحياة الجدية.

فإذا قام رجل يطعن في دين الشهبندر، فهذا الرجل اما ان يكون ضالا، واما ان يكون مضللا، ولكنه - على كل حال - رجل حقير.

الفتنة الجرمون:

حدثكم عن رجل جيب الى الله يتصل باللائكة.

فلا حدثكم الآن عن رجال بغضين الى الله، يتصلون بألق الشيطان، اتخذت اليكم عن عصابة الخمسة:

رئيس العصابة:

رئيس هذه العصابة المجرمة، هو عادل عصاصة، ففي اذا عدت جرائمه كانت أكبر من سته، وإذا عدت فضائله خيل لك أنه لم يولد بعد.

أعجب هذا الاعتراف الذين يعجبهم ان تراق على الجريمة هذه الصبغة الدينية وان تقف عند هذه الحدود، ولكن انكار عصاصة ما قاله من قبل... حلت الرزميل الكريم الذي أوكلت اليه مهمة الدفاع عنه - وهي مهمة اعترف بأنها شاقة مضيئة - حملته على أن يقدر أن عصاصة مصاب في ملكاته العقلية وطلب ان يفحصه الأطباء.

هذا هو الفقي الذي تظاهر امامكم بالنتقى والورع، وادعى الغيرة على الرسول مع السُّخْر، والعبادة بالله، من الرسول ولعل فنيا سمعته عن الرؤيا

ثم هو يطلب ان تتوحد جهود العلماء والجمعيات الخيرية والأقرباء والأصدقاء في سبيل انقاذهم، ولكنه نسي شيئا واحداً، نسي انه بتجلبله القتل خالف الله والرسول، ونسي ان من كان هذا شأنه فمن واجب اقربائه واصدقائه ان يستنكروه ويتجنبوه، حتى لا يشاطروه الاثم والصلابة.

انتهى الى الفتنة الأخيرة، فتنة الشماع والطرابيضي، هؤلاء الذين يقولون انهم لم يسمعوا ولم يفهموا... وانما كانوا غافلين عن كل شيء، جاهلين بكل شيء، هذه الفتنة الكئيبة ليست أقل اجراماً من غيرها، والله سبحانه وتعالى لا يجيبها قال تعالى:

﴿ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والأنس، لم يقرب قلوب لا يفقهون بها ولم أعين لا يصبرون بها ولم أذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

هذه الفتنة ليست أقل خطراً من الجرمين الآخرين، لأنها ترتكب الجرم ثم لا تفعل له، ولا تظهر عليها مظاهر الندم فالقائضها الرصاصة على انسان اسهل من القائها عليه السلام..

كل هؤلاء تجار صفار، ولقد اثار اشتراكهم في الجريمة فزعوا هائلاً في صفوف النسوة، حتى سمعنا احداً من يقول:

(كنا عشي في سوق الحميدية غير حذرات وكنا نفتح ابوابنا للسياح المتجول في طمأنينة وثقة، حتى جاء هذا اليوم فعرفنا ان القتالين والمجرمين لا ينحدرون من الجبال، ولا يتغلغلون في الادغال ولا يختبئون في منعطفات الطرق... ولكنهم يبرزون من المخازن والدكاكين ويطفون في الشوارع بين السكان الاميين).

حالة الخالة... هؤلاء هم المجرمون الخمسة الذين اركل إلى النحدث عنهم:

درستهم واحداً بعد واحد، فاسمحوا لي الآن ان ادرسهم مجتمعين، لقد ارتكب هؤلاء جريمة القتل، مصممون مجتمعين.

وسرى ماذا يعني التصميم. وماذا يعني الاجتماع؟
التصميم والاجتماع

كان مدفوعاً بعامل غير الدين، لأنه ليس متديناً فلا بد من رجل دفعه واغراه ويستغل روحه المجرمة.

المسألة الثالثة جنون عصاصة:

جملة القول في عصاصة انه ليس متديناً في حياته، وليس صادقاً في اعترافاته، وليس مجنوناً في حركاته، ولكنه فني سيء الأخلاق، كثير الرياء، مفطور على الاجرام.

أما معتوق:

اما معتوق، الذي سمعت عن اخلاقه مثل ما سمعت عن اخلاق عصاصة، فهو رجل لا يقل عنه فظاظة ولا خطراً. ذلك لأنه جاهل في ثياب عالم. وذنب في جلد حمل.

معتوق، يا غلظة الدنيا ويا قسوة الشقاء.

لو كنت على شيء من الأخلاق الرياضية، وسمعت عن الشهبندر من أحد خصومه حديثاً، أو سمعت هذا الحديث من العامة، فأنك لم تكن لتستعجل الحكم عليه قبل ان تستجمع أسبابه وتبين حقيقته؛ قال سبحانه وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. [الحجرات: الآية رقم ٢١]

ولكن معتوق، الذي لم يستطع ان يكون عالماً كبيراً، أراد ان يكون على الأقل مجزوماً كبيراً... فراح يشترك في الجريمة ويطمئن زميلاًه بأن (عمليتهم) رابحة في الآخرة، مثلاً هي رابحة في الدنيا.

لقد أخفق معتوق ودخل السجن، ولكنه ثابر على صناعة التعليم الاجرامي، فراح يرسل عصاصة، ويصنع له اعترافاً، ويكمل اليه اخباراً مسروقة، تبشر أنهم لن يلبثوا في السجن الا قليلاً ومن الغريب ان معتوق يطلب منه ارسال برقيات الى هتلر وابن السعود، كأن هتلر وابن السعود ينتظران اوامر عصاصة.

ما عدا القتل (وهنا أفاض المحلل بشرح جرم القتل السياسي، ثم قال) :

إننا نطلب عقوبة الاعدام، لأنها هي عقوبة القانون، لأنها هي عقوبة نطلب عقوبة الدين الاسلامي، الذي يجد فيها حياة للجمعية البشرية، ولأنها هي العقوبة التي نادى بها، مثل هذه الأحوال أكبر علماء الدين المسيحي القديس (توما داكوان) مدرس الديانة المسيحية، في روما وباريس، الذي كان يستوجب اعدام القاتلين، اذا كان الحظر الاجتماعي من بقائهم أشد من ضرر زوالهم، والذي كان يحذر القضاة من رجعة خاطئة، تكون نتيجة حماة مجرم أو جملة مجرمين، هم على كل حال أقلية صغيرة، والتقصية بحقوق مجموع كبير من الناس يعتبر القتل موجهها الى كل واحد من افراده، وهنا يتفق القديس توما داكوان، في نظرة عالية من نظرات الفكر، مع حكمة سامية من حكم الاسلام: وهي ان من يقتل انسانا يغير حق فكأنما يقتل الناس جميعا.

لقد قتل هؤلاء الشهبندر، ولكن ابدىهم الجريمة المظلمة بالدماء، انما ارفعت في الواقع لتعتدي على المجموعة البشرية كلها، لتعتدي على هذه المجموعة فيما تعتقد به من دين يحرم ارامة الدماء، وفيما تواضعت عليه من قانون يحظر الاعتداء، وفيما تصف به من اخلاق تستكر هذه الممجية النكراء التي تبرا منها طبائع الانسان الاجتماعي، الانسان الذي يلحق به ان يعيش مع الناس ويكون موضع ثقته.

ان (بكاريا) الذي كان معين رجعة، كان هو أيضا يستوجب عقوبة القتل في أزمان الاضطراب السياسي، و (لوزنرزو) الذي درس نفسيات المجرمين بالنسبة يستوجب عقوبة اعدام القاتلين منهم لتطهير صفوف البشر من هؤلاء الوحوش في جلود البشر، و (غاروفالو) كان نصيرا لهذه العقوبة على شرط ان تطبق على مقياس واسع، لأنه يعتبر جريمة الاغتيل ونفسية الاغتيل وباء هائلا ولا سبيل الى انقاذ البلاد منها الا بحركة تطهير واسعة.

أيها السادة القضاة:

هؤلاء عضو فاسد يجب بتره لانقاذ الجسم، فكفونا أطباء كاصدف لن نمر الأطباء شفقة وابتروه: أيها أكثر شفقة الطبيب الذي يشفق على الجسم قولوا للاغتيل

٣٩٥

أما التمصيم فهو ان يقتل الانسان بعد تفكير، لا بمجرد الصدفة ولا بفعل الاستارة.

ويحل لي ان هذه الناحية لا تحتاج الى عناء. فقد اتفق هؤلاء الخمسة على قتل الزعيم بالكلام، ثم أيدوا كلامهم بتحديد يوم القتل، ثم تسلحوا والتسلح وحده كاف لإثبات تصميم على القتل، حتى ان معترف نفسه فهم هذا لكتب الى عصامه يقول:

(لا تتعرض لنا بأن معنا سلاحا لأن الأمر ثبت عندها اننا متفقون على قتله).

التصميم ثابت، ولكن هناك شيئا غير التصميم، وهو الاجتماع على فكرة القتل.

وبعد أن أسهب المؤلف في بحث فكرة التصميم على القتل قال:

ان جريمة القتل مع التصميم، سواء أقت بالاشتراك ام بالانفراد، عقوبتها الاعدام، ولكن اشتراك هؤلاء الخمسة في جمعية فسادية أدخلت على نفسها قتل الزعيم يجعل اعدامهم امرا محتما.

الدفاع السياسي سادق: لم يكن الباعث الى هذه الجريمة الدين، فالدين يبرأ عما يرجفون، ولم يكن المحرض على الجريمة العلماء، فالعلماء في سورية، لا يدعون الى القتل ولم يكن بينهم وبين الشهبندر عداوة، ولو كانت هذه العداوة موجودة لبلمنا خبرها في مقالات تنشر في الصحف، او بيانات توزع في نشرات او خطابات تلقى في اجتماعات، او احتجاجات تحملها وفود، ولكن شيئا من هذا كله لم يقع، ولا يتصور العقل ان يقع.

لقد كان الباعث الى الجريمة سياسيا ووجهة الدين انما التمسست في اللحظة الأخيرة لطجة الحقيقة. على أنه قد يحظر بالبال ان الباعث السياسي من شأنه ان يتيح هؤلاء المجرمين بعض الامتيازات لأنه باعث شريف غير وضيع. ولكن الجرم السياسي الذي يعامل صاحبه بالرق، هو كل جرم،

٣٩٤

فاقتلهم للذنب الذي جوهه والفضاء الذي قصوه، ونسار يخ الأمة الذي شهروه، ولستقبل البلاد الذي سودوه. اقتلهم لأنهم تعمدا القتل، اقتلهم لأنهم تعاهدوا على القتل، اقتلهم لنحيا بعدهم البلاد وتنتصر الأخلاق، ويسكن العدل ويطمئن الشهداء.

اقتلهم ليرضى الله.

فيتر العضو الفاسد ويستبقي للمريض حياته ام الطبيب الذي يشفق على العضو الفاسد ويستبقيه فلا تلبث عدواه ان تسري الى سائر الجسد وتقضي عليه.

لا ننظروا ان احدا من اصحاب الوجدان يرضى عن بقاء هؤلاء في الحياة بعد فعلتهم النكراء وفتنتهم العمياء، ولو وجد من يرضى عن حياتهم، لكان معنى ذلك ان روحا خبيثة طلعت على الناس فجعلتهم يتسمون للقتال ويسخرون من القتل ويفرحون بالدم المهرق فرحة الفضياع والذئاب. معنى ذلك انه لم يعد الناس ناسا إلا بالأساء ولكنهم في حقيقتهم قطع من الوحوش المفترسة، يتواثبون على الضحية ويرقصون على القبور ويتخذون من عظام الموت حليا لهم ومصاص. ومعنى ذلك أقسى وأقطع، معنى ذلك انه لم يبق انسانية تلطف الشعور ولم يبق مدنية تهذب الفكر ولم يبق ديانة ترشد الضمير، ولم يبق قانون يردع الغرائز.

ان الذين يبررون قتل الرجال العظام ثم يحاولون تشويه سمعتهم بعد موتهم هؤلاء لا ترضى عنهم الانسانية لأنهم وحوش، ولا يرضى عنهم الوطن لأنهم خونة، ولا ترضى عنهم الديانة لأنهم آثمون، لذلك كله اريد ان اعتقد واعتقد، انه ليس في البلاد رجال من اصحاب الضمير لا يحتنون امام حكمكم على المجرمين، ان الناس ليعرضون عنهم فليس لهم بعد جريمتهم لا أهل ولا أصدقاء ولا أنصار، ولا يجوز ان يكون لهم أهل وأصدقاء وأنصار، لأنهم خالفوا « الله ورسوله » فبما حرام من الدم والفساد.

ان القاضي ليتوزع فكره بين أسباب الشدة والتخفيف، وبين نظريات لا تخصي كل واحدة توجه قلبه الى جهة... ولكنكم هنا في (محكمة عدل) التي انشئت لصيانة المجتمع من خطر داهم، فلا تفكروا الا في صيانة هذا المجتمع كونوا حازمين، لأن الحرم وحده يحمي البلاد من الفتنة، ويقول للاغتتيال السياسي: قف هنا، قف لن نمر.

كان هؤلاء المجرمون، يا سادتي، أظلم قضاة، لأشرف ضحية، فكونوا أعدل قضاة لأسوأ ضحايا، انهم لا يستطيعون ان يطلبوا شفقتكم لأنهم لم يشفقوا، هم، على الشيخ الوقور، لقد قتلوا الشهيد بغير ذنب جناه

اقتلهم ليرضى الله

فاقتلهم للذنب الذي جنوه وللفضاء الذي قضموه، ولتاريخ الأمة الذي شوهوه، ولستقبل البلاد الذي سودوه. اقتلهم لأثم تعمدوا القتل، اقتلهم لأثم تعاهدوا على القتل، اقتلهم لتجبا بدمهم البلاد وتنصر الأخلاق، ويسكن العدل ويطمئن الشهداء.

اقتلهم ليرضى الله.

فيتر العضو الفاسد ويستبقى للمريض حياته أم الطبيب الذي يشفق على العضو الفاسد ويستبقه فلا تلبث عدواه أن تسري إلى سائر الجسد وتقضي عليه.

لا تظنوا أن أحدا من أصحاب الرجدان يرضى عن بقاء هؤلاء في الحياة بعد فعلاتهم الكبراء وفتنتهم العمياء، ولو وجد من يرضى عن حياتهم، لكان معنى ذلك أن روحا خبيثة طفت على الناس فجعلتهم يتسمون للقاتل وسحرون من القتل ويفرحون بالدم المهرق فرحة الضباغ والدعاب. معنى ذلك أنه لم يعد الناس ناسا إلا بالأساء ولكنهم في حقيقتهم قطع من الرحوش المفترسة، يتواثبون على الضحية ويرقصون على القبور ويتخذون من عظام المرق حليا لهم ومعاصم. ومعنى ذلك أنسى وأفطع، معنى ذلك أنه لم يتبق إنسانية تاطف الشعور ولم يتبق مدنية تجذب الفكر ولم يتبق ديانة ترشد الضمير، ولم يتبق قانون يردع الغرائز.

إن الذين يبررون قتل الرجال العظام ثم يحاولون تشويه سمعتهم بعد موتهم هؤلاء لا ترضى عنهم الإنسانية لأنهم وحوش، ولا يرضى عنهم الوطن لأنهم خوة، ولا ترضى عنهم الديانة لأنهم أثمون، لذلك كله أريد أن اعتقد واعتقد، أنه ليس في البلاد رجال من أصحاب الضمير لا ينحنون أمام حكمكم على المجرمين، أن الناس يعرضون عنهم فليس لهم بعد جريمتهم لا أهل ولا أصدقاء ولا أنصار، ولا يجوز أن يكون لهم أهل وأصدقاء وأنصار، لأنهم خالفوا « الله ورسوله » فيما حرم من الدم والفساد.

إن القاضي ليتوزع فكره بين أسباب الشدة واللين، وبين نظريات لا تخصي كل واحدة توجه قلبه إلى جهة... ولكنكم هنا في (حكمة عدل) التي انبثت لعبانة المجتمع من خطر داهم، فلا تفكروا إلا في صيانة هذا المجتمع كونوا حازمين، لأن الحزم وحده يحمي البلاد من الفتنة، ويقول للاغتتيال السياسي: قف هنا، قف لن نمر.

كان هؤلاء المجرمون، يا سادتي، أظلم قضاة، لأشرف ضحية، فكونوا أعداء قضاة لأسرا ضحايا، انهم لا يستطيعون أن يطلقوا شفتيكم لأنهم لم يشفقوا، هم، على الشيخ الوقور، لقد قتلوا الشهبندر بغير ذنب جناه

مقدمة القضية (٧ ملفان للشأن في سنة ١٩٤١)

في يوم الثلاثاء الواقع في السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين اجتمع المجلس العدلي المؤلف بموجب المرسوم السابع رقم ٧٦٧ الصادر في آب ١٩٤٠ من السادة بول بوريقية رئيس محكمة الاستئناف الناظرة في القضايا الأجنبية بحلب « رئيساً » وعضوية غاستون غير مستشار محكمة التمييز الناظرة في القضايا الأجنبية في سورية ، وبوسف روكس عضو محكمة التمييز السورية ، وعبد الحميد الماردني عضو محكمة الاستئناف في حلب ، ووجيه الشرايبي رئيس محكمة بداية حمص . وبحضور الكواميندات مصطفى العدوي مفوض الحكومة لدى محكمة الدرك السوري الذي جلس في مقعد النيابة العامة بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ . يساعده الكاتبان السيدان ادوار اني والباس بانخوس والمترجم المحلف السيد كامل عزيز .

اجتمع هذا المجلس في جلسة علنية بدمشق في قاعة البرلمان السوري لادارة المناقشات والحكم في الدعوى الجنائية التي جرى فيها الاستئناف ضد احد عصاصة وشركائه بحسب قرار الاحالة المؤرخ في ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠ .

وبعد أن أعلن ختام المحاكمة انسحب المجلس الى غرفة المذاكرة للمذاكر سرا بحسب ما تقتضي به المادتان ٧٨٩ و ٧٩٠ من قانون اصول المحاكمات الجزائية . وبعد هذه المذاكرة عاد المجلس الى الجلسة العلنية التي استؤنفت . وبعد أن تأكد الرئيس من حضور المتهمين ووكلائهم والنائب العام تلا نص القرار الآتي :

باسم الشعب السوري :

ثانيا - ان المدعو احمد الطرايشي متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في الجريمة المذكورة بالمساعدة والمعاونة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

ثالثا - ان المدعو صالح معتوق متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك بالمساعدة والمعاونة في الجريمة المذكورة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

رابعا - ان المدعو سعيد الحصري متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك بالمساعدة والمعاونة في الجريمة المذكورة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

خامسا - ان المدعو عرت شماع متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف المكان والزمان اشترك بالمساعدة والمعاونة في الجريمة المذكورة .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

سادسا - ان المدعو سامي سعد الحفار متهم بكونه في دمشق :

أ - في خلال أشهر أيار وحزيران وتوز وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشترك مع عصاصة بتحريضه بواسطة المال والوعود لارتكاب جريمة القتل عمدا وبإعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكاب الجرم وكساعدهته ومعارفته بالتعليمات والخطط .

ان المجلس العدلي ،

بعد ان تذاكر في القضية وفقا للقانون ، علما ووجهها بحق المتهمين المجردين وغياها بحق جيل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار وفوزي القباني ومحمد الحرش .

بناء على المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ الذي تألف بوجبه المجلس العدلي .

وبناء على المرسوم رقم ٧٦٨ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ الذي اجليت بوجبه الى المجلس العدلي قضية مقتل الدكتور عبد الرحمن الشهبندر المكونة ضد المدعو احمد عصاصة والآخرين .

وبناء على القرار ٣٦٤ الصادر في ١ أيلول ١٩٢٥ ،

وبناء على قرار المستطق لدى المجلس العدلي الصادر بتاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠ والذي أجيل بوجبه الى المجلس العدلي مع الأدلة الجرمية الكافية .

أولا - ان المدعو احمد عصاصة متهم بكونه ارتكب في دمشق :

أ - بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمدا على شخص الدكتور شهبندر .

ب - وفي خلال شهر تموز ١٩٤٠ وعلى كل حال في وقت لم يمر عليه الزمن حاول بدون عمد ارتكاب جريمة القتل على أفراد القوة المسلحة أثناء قيامهم بالوثيقة مع الملاحظة بأن هذا الجرم كان يقصد منه تأمين قراره .

ج - وفي حزيران ١٩٤٠ وعلى كل حال في وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع محمد الحرش ومحمد الحافي وخليل النندور وسامي الحفار وبالاتفاق معهم اقتساف جريمة القتل عمدا على شخص المذكور شهبندر .

د - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حل مسدسا بدون رخصة .

تاسعاً - ان المدعو خليل الغندور متهم بكونه في دمشق :

أ - في نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة لتسهيله وتخريفه على ارتكاب الجريمة المذكورة .

ب - وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع احمد عصامة ومحمد الحرش ومحمد الحياقي وسامي الحفار والاتفاق معهم ارتكاب جريمة القتل عمدا على شخص المدكتور شهبندر .

ج - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل سلاحا بدون رخصة .

عاشراً - ان المدعو عاصم النائلي متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة بتخريفه بواسطة المال والوعود والسناس والخليل .

الحادي عشر - ان المدعو فوزي القباي متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف المكان والزمان اشترك في جريمة القتل عمدا المركبة من قبل عصامة لتسهيله وتخريفه على اقرار الجريمة المذكورة .

الثاني عشر - ان المدعو جميل مردم بك متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة بتخريفه بالمال والوعود والسناس والخليل .

الثالث عشر - ان المدعو لطفي الحفار متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة بتخريفه بالمال والوعود والسناس والخليل .

الرابع عشر - ان المدعو سعد الله الجابري متهم بكونه في دمشق وفي نفس ظروف الزمان والمكان اشترك في جريمة القتل عمدا التي ارتكبها عصامة بتخريفه بالمال والوعود والسناس والخليل .

وبناء على مذكرة الاتهام الصادرة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٠ وبناء على القرار الصادر في ٩ كانون الأول ١٩٤٠ المتعلق بصحة المحاكمة بالنسبة للمتهمين العائنين .

ب - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

ج - وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وعلى كل حال وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع رفاقه والاتفاق معهم اقرار جريمة القتل عمدا على شخص الشهبندر .

سابعاً - ان المدعو محمد الحرش الملقب بأبي صباح متهم بكونه في دمشق :
أ - في خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشترك مع عصامة بتخريفه بالمال والوعود لارتكاب جريمة القتل عمدا وباعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكاب الجرم ويساعده ومعاونته بالتعليمات .

ب - وفي خلال شهر تموز وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بدون عمد ارتكاب جريمة القتل على أفراد القوة المسلحة أثناء قيامهم بالوظيفة مع العلم ان هذا الجرم كان يقصد منه تأمين فراه .

ج - وفي ٢٥ تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول بالاشتراك مع رفاقه والاتفاق معهم اقرار جريمة القتل عمدا على شخص المدكتور شهبندر .

د - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

ثامناً - ان المدعو محمد الحياقي متهم بكونه في دمشق :
أ - في نفس ظروف المكان والزمان اشترك في جريمة القتل عمدا التي اقترفها عصامة لتسهيله وتخريفه على اقرار الجريمة المذكورة .

ب - وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاول ارتكاب جريمة القتل عمدا على شخص المدكتور الشهبندر بالاشتراك مع محمد الحرش وتخليل الغندور واحد عصامة وسامي الحفار والاتفاق معهم .

ج - وفي خلال أشهر أيار وحزيران وتوز ١٩٤٠ وعلى كل حال وفي وقت لم يمر عليه الزمن حمل مسدسا بدون رخصة .

عبادة الدكتور شهيندر يوم السبت في ٦ تموز ١٩٤٠ في نحو الظاهر بحجة عرض احد الطراييشي على الفحص الطبي ، وفيما كان الدكتور بعد ان فحص المريض يدون في مفكرته بعض الملاحظات تناول عصاصة البرابلو الذي كان يحمله والذي اودعه اليه الحرش على الأرجح وأطلق رصاصة دخلت جعجمة الفصحية تحت الأذن اليسرى بقليل وأكملت طريقها متجهة من تحت الى فوق ثم خرجت بعد ان أصابت الدماغ في المنطقة الصدغية اليسرى وسيبت نزيها أدى الى الموت الآتي .

وان هذا الجرم ارتكب بعد تصور وتصميم اذ ان تهيئة اقتضت ابحاثا طويلة في اجتماعات عديدة عقدت في الدرجة الأولى في الجامع الأموي وفي جامع النورية وكذلك في منزل عصاصة في شهري حزيران وتموز ١٩٤٠ ، وفوق ذلك قام عصاصة وطراييشي بزيارة عيادة الدكتور شهيندر قبل الجرم بقليل ، أي بتاريخ ٣ حزيران ١٩٤٠ ، كما دلت على مفكرة الدكتور .

ب - عن التهمة الثانية : محاولة قتل رجال القوة المسلحة بدون عمد :

لا كان عصاصة قد اعترف في أثناء الاستجواب أنه كان مسلحاً عندما فاجأه رجال الشرطة في صباح يوم الجمعة في البساتين صحنه الحرش الا انه ادعى ان الحرش هو الذي أطلق النار وحده خلافا لما جاء في أقواله امام المستنطق كويتو (صفحة ٣٣ استنطاق ١٥ آب ١٩٤٠) ، وكان أقرب الى الحقيقة كونه اطلق الرصاص على ملاحقيه كما فعل الحرش ليجنب التوقيف الذي يهدده خطره ، وانه يجب اعتباره مشتركا في محاولة القتل ، وان هذه التهمة يعتبرها المجلس ثابتة وموجبة للعقاب ما دامت المناسبة الفجائية التي هي هنا عدم اصابة الهدف بسبب الاطلاق السريع أثناء الحرب والتي حالت دون التنفيذ التام ودون الغاية التي يطلبها المتهم لا تمنع في حالة عدم اقامتها كون الجريمة ارتكبت بتماها على ارادة المتهم ولا يمكنه الرجوع من ذات نفسه بعد اطلاق الرصاص .

ج - عن التهمة الثالثة : محاولة قتل الدكتور شهيندر في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :
لا كان ثانيا من اعترافات المتهم ومن اصابة التحقيق ان عصاصة قصد في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ برفقة الحرش والعندور والحافي والحفار ، وكانوا

وبناء على القرار الصادر في ١٨ كانون الأول ١٩٤٠ المتعلق بصحة تشكيل المجلس العدلي .

وبناء على المذكرة المقدمة من الادعاء الشخصي في ٦ كانون الثاني ١٩٤١ والفتالة بان جهة الادعاء تريد رغم انسحابها من الجلسة الاحتفاظ بجميع حقوقها ضد المتهمين اسماءهم في استمعاتها .

١ - فيما يتعلق بأحد عصاصة :

بناء على المذكرة المقدمة بتاريخ ٢٨ كانون الأول ١٩٤٠ التي يطلب فيها احالة المتهم عصاصة الى فحص ملاكاته العقلية .

ولا كان المجلس يعتبر انه ، اذا كان صحيحا ان عذر الجنون لا يمكن ان يحكم به الا ذوو الاختصاص ، فان حالة الجنون يجب ان تظهر بأعمال المتهم وأقواله القديمة والحديثة ان لم تكن جليلة كل الجلاء . وانه اذا تأكد ان عصاصة ارتكب الجريمة مدفوعا بعاطفة دينية خرجت عن حدها المقبول ، كما هو شأن شركائه ولا سيما صالح معتوق وفاقا لا ظهر في أثناء المحاكمة ، فان هذه العاطفة الدينية لا يمكن ان تعتبر قرينة تبرر الطلب ما دام الجرم لم يقع بشكل فجائي وبدون تعقل بل ارتكب بعد بحث طويل من خلال الاجتماعات المشتركة التي كانت اعمال الدكتور شهيندر الدينية والسياسية تدرس فيها وتناقش وتتخذ من كل واحد من المستمعين ، وبعد ان اثبت النصوص التي أوردها صالح معتوق وفسرها ان هذه الجريمة يبررها الدين . ولأنه لاجل قبول هذه المدفوع يجب التسليم بأن هناك نوعا من الجنون المشترك ، وهذا النوع من الجنون تناقضه الاحتياطات التي اتخذها كل واحد من المتهمين في سبيل ارتكاب الجرم والخلاص بعد ذلك من الملاحقة التي كانوا عرضة لها . وانه لهذه الأسباب لا يقوم على هذه المدفوع دليل ويجب رفضها .

أ - عن التهمة الأولى : القتل بعد تصور وتصميم :

لا كان ثانيا ، بقطع النظر عن البيانات الكاذبة التي أيدها من هذه الناحية قبل جلسة الاثنين في ١٣ كانون الأول ١٩٤٠ ، ان عصاصة باعتزافه دخل

في يوم السبت ٦ تموز ١٩٤٠ فحسب بل في يوم الجمعة ١٢ تموز ١٩٤٠ أيضا.

ثانيا - فيما يتعلق بأحمد الطرايشي .

أ - عن التهمة الأولى : المساعدة والمعاونة بالقتل :

لا كانت وثائق التحقيق والاستجواب في المجلس ولا سيما الاعترافات التي جرت في جلسة الاثنين ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ تثبت بوضوح اشتراك الطرايشي بالمساعدة والمعاونة، ووجوده الى جانب عصاصة يوم زيارة المكان في ٣ حزيران ١٩٤٠ ويوم القتل في ٦ تموز ١٩٤٠ ساعد على انجاز جريمة القتل التي ارتكبها عصاصة بعد تخفير طويل خلال الاجتماعات التي عقدت في المساجد ولم يقطع طرايشي عن حضورها والتي لم يغفل عن معرفة الغاية منها رغم انكاره من هذه الجهة، على حين دلت الحملة المسلحة يوم ٦ تموز ١٩٤٠ اذا كانت هناك حاجة الى دليل على النيات الظاهرة التي كان يعملها كل واحد من الذين اشتركوا فيها .

ب - عن التهمة الثانية : حمل السلاح بدون رخصة :

لا كان شابا من تحقيق الشرطة (تصريح الحصري) ومن استجواب المستطلق الاهلي والمستطلق كويتو ان الطرايشي كان مسلحا (الاستطلاق الاهلي الاضيارة المترجمة صفحة ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ - واستطلاق كويتو صفحة ٨٧) فضلا عن ذلك فان الطرايشي اعترف بحمله السلاح الممنوع في جلسة الاثنين ٢٣ كانون اول ١٩٤٠ ، وانه اذا كان حل هذا السلاح خصيصا لقتل الدكتور شهنشدر فقد استعمله ايضا لتهديد السائق وعدوش كما يظهر من تصريح الحصري (الاستطلاق الاهلي صفحة ٢) .

عاشرا - فيما يتعلق بعاصم الثاني :

لا كان ، فضلا عما جاء في التحقيق الذي قام به القاضي المحلي والكولونيل كويتو من ان عاصم الثاني قدم باعتباره الافندي الذي حضر الاجتماعات المنعقدة في الجامع الأموي وفي منزل عصاصة ، وفيما عدا الاعترافات والتصرجات التي أدلى بها في جلسة ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ عصاصة والتهمون الآخرون ، يجدر ان يؤخذ بعين الاعتبار ان الحصري

مسلحين جميعا ، الى مكتب الدكتور الشهنشدر السياسي في الصالحية بقصد قتله ، وعند وصولهم اخبروا ان الدكتور غائب وتفرقوا من غير ان يبلغوا نهاية مشرّعهم . وكان يجدر بالجلس ان ينظر ما اذا كانت محاولة القتل هذه تستحق العقاب من الوجهة الجزائية .

ولما كانت آراء العلماء واجتهادات المحاكم متفقة على القول بأنه لكي تكون هناك محاولة جنائية بوجه الاجمال يجب ان يجتمع شرطان اثنان لا وجود للمحاولة اذا قلنا :

١ - ان تراعى هذه المحاولة بعمل يعتبر بدء تنفيذ .

٢ - ان لا تتم المحاولة او ان تخطى هدفها لأسباب خارجة عن ارادة الفاعل اذا اراد القتل .

ولما كان من المسلم به استنادا الى رأي « غارسون » في شرح قانون الجزاء ان تنفيذ جريمة ما يبدأ عندما يقوم الفاعل بأعمال من شأنها في رايه ان تنجز الجرم بصورة مباشرة وسريعة ، وأنه في تلك اللحظة يستين العمل المادي الذي يسبب الضرر الاجتماعي ويدل بوضوح على النية الجرمية من غير ان يترك مجالا للترية والرجوع .

ولا كانت محاولة قتل الدكتور شهنشدر النسوية الى عصاصة والحرش والحاني والغندور والحفار غير ثابتة لأن ذهابهم مسلحين الى مكتب الضحية السياسي بقصد القتل ومعرفتهم قبل ان يدخلوا المكتب ان الغندور غائب عنه يؤلف عملا تحفيرا لا بداية تنفيذ ، ولأن العلاقة المباشرة علاقة السبب والغاية مقفولة بين هذا العمل وبين الجريمة المبحوث عنها ، ثم لأنه ليس لدينا ما يدل على أنه لو كان الغندور في مكتبه في ذلك اليوم لكان المتهمون عدلوا في آخر لحظة عن رأيهم . وهذه الأساليب المتعلقة بتهمة عصاصة من هذه الناحية تسري على الحفار والحاني والغندور والحرش .

د - عن تهمة حمل السلاح بدون رخصة :

لا كان معروفا ومتروفا به ان عصاصة في خلال شهري حزيران وتموز ١٩٤٠ على الأقل حل في مناسبات مختلفة أسلحة متنوعة بدون رخصة ، لا

مزدهم بالمارّة كشّارح رامي على حين كانت الجريّة على وشك ان تتم . ولما كانت افانته في العراق التي لم تثر من حولها الا شائعات لا أساس لها من غير ان يذكر عنها اي إيضاح مفيد ، وعودته الى سورية لأسباب صحيّة ثابتة كل الثبوت ، وكانت اجتماعاته بعد ذلك الى مردم بك ليس من شأنها الشكوك حول صيغة اعماله وحركاته ، وكذلك موقفه في خلال زيارة تعزية ذكر فيها أسماء القتلة ، على حين تخلّق علاقات القرابة أو الصداقة الكائنة بين الشاهد وبين الضحية عند الآخرين الذين يتنمون الى حزب سياسي معاكس نوعا من الارتباك الطبيعي فسر بالنسبة للظروف تفسيراً سلبياً .

ولما كان المجلس لا يستطيع استنادا الى ظنون بسيطة سريعة العطب كهذه الظنون الا ان يحكم بعدم صحة اتهام عاصم الناطلي على حين تؤيد أقوال عصامّة في جلسة ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ وتقري الأقوال الأولى التي قالها جميع المتهمين .

الحادي عشر - فيما يتعلق بفوزي القباني :

لما كان وجود فوزي القباني في الجامع قد أشير اليه مرة في أثناء التحقيق ، وكان منزله قد عين كمأوى بعد الجريّة وعمل اجتماع للفرار الى العراق في وقت واحد ، ولما كانت هذه المعلومات غير ثابتة باعتبارها ان عصامّة وممتوق والطرايشي والحصري والشماخ توجهوا فور انفاذ الجريّة لا الى بيت فوزي القباني بل الى منزل شقيقة عصامّة ثم تفرقوا للفتيش على ملاجئ جديدة كل يوم ولم يجتمعوا كزعمهم الا بعد توقيفهم . ولما كانت مثل هذه الظنون غير كافية ليمكن تجريحه .

الثاني عشر - فيما يتعلق بجميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار :

لما كان غير ممكن ، رغم غياب جميل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار . المؤسف من هذه الجلسة ، والرجوع بعيدا الى الوراء - في سبيل اتهامهم بأنهم الدافعون لهذه الجريّة - للفتيش عن قوانين كافية تترس مثل هذه النظرية في موافق وأحداث تحتمل الأخذ والرد وفي أعمال حكومية وفي دساتر مشبوهة ولا سيما في تصريحات متأخرة عندما يعتذر إيجاد الأدلة

الذي أوقف في ١١ تموز ١٩٤٠ أفشى سر شركائه الذي هم أخلص أصدقائه ، وألصق رفاقه ولم يتكلم في الشرطة عن وجود عاصم الناطلي ، وكذلك ممتوق والطرايشي والشماخ الذين أوقفوا بعد انشاءات المحصري واستجوبوا في ١١ و ١٣ تموز قبل ان يحصل بينهم اي اتفاق سرودا تقريرا الوقائع نفسها التي سردها المحصري عن الأسباب التي دفعتهم للقتل ولم يذكروا شيئا عن وجود عاصم الناطلي ، ولما كان عصامّة للمرة الأولى في ١٥ تموز ١٩٤٠ عندما أوقف ذكر في دائرة الشرطة أولا بحجة أفندي الى داره ولم يكن رآه من قبل (ضبط الشرطة في ١٥ تموز) وأيد أقواله في الضبط الثاني الذي وضع في اليوم ذاته . ولما كان الغندور عندما تكلم في ١٧ تموز عن الاجتماعات التي كانت تثار فيها مسائل ذات صفة دينية محمّدة لم يشر إلى الإشارة الى الأفندي ، وكان الأمر كذلك أيضا في ٢١ تموز عند استجواب الحافي ، وكان المحصري (١٥ تموز صفحة ١٩ وما يليها والاستطلاع المحلي) والشماخ (صفحة ٢٢ وما يليها والاستطلاع المحلي) وممتوق (صفحة ٢٤ وما يليها والاستطلاع المحلي) والطرايشي (صفحة ٢٦ وما يليها والاستطلاع المحلي) وهم يؤيدون تصريحاتهم الأولى لم يشاروا أية إشارة الى وجود الأفندي . ولما كان عصامّة عند عودته الى أقواله السابقة في ١٦ تموز ذكر للمرة الأولى وجود عاصم الناطلي في الجامع الأموي ثم حجّبه في اليوم الثاني الى داره ، وهذا التصريح يناقض تصريحه السابق في الضبط الموه عنه سابقا مناقضة غريبة . ولما كان عصامّة في أثناء المقابلة يوم ٢٣ تموز (الاستطلاع المحلي صفحة ٦٠) دل على عاصم الناطلي اذ كان وحده بين السجناء الذين قدموا اليه يضع النظارتين على عينيه ، ولكن الغندور لم يعرفه (الاستطلاع المحلي ٢٣ تموز صفحة ٦٠ واستطلاع الكولونيل كورتو صفحة ١٢٣) وعصامّة نفسه (صفحة ١٢٢ استطلاع الكولونيل كورتو) لم يصبر على افادته هذه والحافي كان يكتنف قوله الغموض (صفحة ١٢٤) ولما كان يجب ان يذكر الكذّيب العنيف الذي كذب به عصامّة نفسه في جلسة ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ وفي جلسة ٦ كانون الثاني ١٩٤١ هذا التأكيد الذي أيده وقواه جميع المتهمين . ولما كان المجلس لا يسمعه ان يأخذ بعين الاعتبار شهادة الشاهد بدوي عاصم الناطلي لأنه يبعد عن التصديق مثل هذا الاجتماع الطويل في رابعة النهار بين عاصم الناطلي وعصامّة في شارع

يسجل رغبة الادعاء الشخصي بالانسحاب من الجلسات مع الاحتفاظ بحقوقه تجاه جميع المتهمين .

أولا - يحرم المدعو احد عصامة بأنه ارتكب في دمشق يوم ٦ تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمدا على شخص المذكور شهيد.

ثانيا - ويكرم معتوق والطرايشي والحصري والشماع لاشتراكهم في نفس ظروف المقتول والحفار والحرش بأنها في دمشق خلال شهر أيار

ثالثا - ويكرم المدعويين الحفار والحرش بأنها في دمشق خلال شهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشتراكا مع عصامة على ارتكاب القتل عمدا باعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكابها ومعاورته ومساعدته بالتعليمات .

رابعا - ويكرم المدعويين الغندور والحافي بأنها في نفس ظروف الزمان والكان اشتراكا في القتل عمدا الذي اقترفه عصامة بمساعدتها في تهيئة وتسهيل انجاز الجريمة المذكورة .

خامسا - ويكرم المدعويين عصامة والحرش بأنها في دمشق خلال شهر تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حاولا ارتكاب القتل بدون عمد على افراد القوة المسلحة اثناء قيامهم بوظائفهم مع الملاحظة بأن هذا الجرم كان يقصد منه تأمين فرارها .

سادسا - ويكرم المدعويين عصامة ومعتوق والطرايشي والحصري والشماع والحفار والحافي والغندور والحرش بأنهم في خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حملوا مسدسات بدون رخصة .

سابعا - يتنازل عن اتهام عصامة والحافي والغندور والحفار والحرش بشأن التهمة الموجهة اليهم بأنهم حاولوا مجتهدين ومتقنين في دمشق يوم ٢٥ حزيران ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن ارتكاب جريمة القتل عمدا على شخص المذكور الشهيد.

المادية المحسوسة، ولا كانت الافتراضات البسيطة لا يمكن ان توجد لوحدها قناعة القاضي .

ولا كان ممكنا حتى وقريبا من الحقيقة ان الحرش عمد بiraعة - في سبيل افناع بعض منفذيه وحلمهم على الاقدام، وفي سبيل اخفاء دافعية ايضا من الاختصاصيين في التفتيش ومن مشري الاضطرابات الماجورين في سورية وفلسطين - الى اثارة شكوك غير واضحة من شأنها التأثير على ذوي الية الحسنة حول رجالات سياسيين من الرعيل الاول، والحرش الذي اشترك اشتراكا فعليا في الاجتماعات التحضيرية وفي كل ما يتعلق بتنظيم الجريمة وهو الذي كان وحده من بين سائر المتهمين يلتجئ الى الحجاج عند الضرورة .

فما يتعلق بالاسباب المخفية :

لا كان المجلس يعتبر ان هناك اسبابا مخفية تقديرية بحق :

١ - الشماع من حيث انه لم يقم بقسط فعال مثل شركائه في تنفيذ الجريمة، وان حالته الجسمية والعقلية قضت عليه بأن يقفاد الى تأثير عصامة ومعتوق وحله على اتباهاها .

٢ - الغندور من حيث انه قام بقسط فعال في تقرير القتل ولكنه لعب دورا اقل ظهورا من دور شركائه ما دامت محاولة القتل الواقعة في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ قد ابعدت جزئيا من ساحة الاتهام .

٣ - الحافي من حيث انه اذا كان قد اشترك في مختلف الاجتماعات الجنائية، فانه فيما عدا اعطائه مبلغا من المال لعصامة ليدفع اجرة الدكتور لم يشترك الا في الأعمال التحضيرية وكان هو أيضا متقادا لتأثير عصامة ومعتوق وصالح معتوق .

هذه الاسباب

فان المجلس يحكم بقرار واحد علنا ووجهاها بحق عصامة ومعتوق وطرايشي وحصري وشماع وحافي وحفار وغندور وعاصم الناطلي وغياها بحق الحرش وفوزي القباني وجمل مردم وسعد الله الجابري ولطفي الحفار .

قرار المحكم

في يوم الثلاثاء الواقع في السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين اجتمع المجلس العدلي المؤلف بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ من السادة بول بوريفيه رئيس محكمة الاستئناف الناظرة في القضايا الأجنبية بحلب رئيسا، وعضوية غاستون غييير مستشار محكمة التمييز الناظرة في القضايا الأجنبية في سورية، وبورسف روكس عضو محكمة التمييز السورية وعبد الحميد المارديني عضو محكمة الاستئناف في حلب، ووجيه الشرايبي رئيس محكمة بداية حصص، وبحضور الكومندان مصطفى حكمت العدوي مفوض الحكومة لدى محكمة الدرك السوري الذي جلس في مقعد النيابة العامة بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ يساعده الكابitan السيدان ادوار اني والباس باخوس والترجم المحلف السيد كامل عزيز.

اجتمع هذا المجلس في جلسة علنية بدمشق في قاعة البرلمان السوري لاجراء المحاكمة والحكم في الدعوى الجنائية التي جرى فيها الاستئناف ضد احد عصاصة وشركائه بحسب قرار الاحالة المؤرخ في ١٣ تشرين الأول ١٩٤٠.

وبعد ان اعلن ختام المحاكمة انسحب المجلس الى غرفة المذاكرة للذاكرة سرا بحسب ما تقتضي به المادتان ٢٨٩ و ٢٩٠ من قانون أصول المحاكمات الجزائية. وبعد هذه المذاكرة عاد المجلس الى الجلسة العلنية التي استؤنفت، وبعد ان تأكد الرئيس من حضور المتهمين ووكلائهم والنائب العام تلا نص

ثامنا - يتنازل عن اتهام فوزي القباني وعاصم الناطلي وجميل مردم ولطفي الحفار وسعد الله الجابري لأجل التهم التي كانوا ملاحقين بشأنها وضع هذا المحكم وتلي في جلسة علنية بدمشق في اليوم والشهر والسنة المذكورة اعلاه.

ونقله الى اللغة العربية الترجمان المحلف.

- قرار البراءة -

نحن بوريفيه رئيس المجلس العدلي.

بناء على المادة ٢٩٢ من قانون أصول المحاكمات الجزائية.

وبناء على القرار الصادر في هذا اليوم والمتضمن العدول عن تجريم عاصم الناطلي وفوزي القباني وجميل مردم ولطفي الحفار وسعد الله الجابري بسبب الاعمال التي كانوا ملاحقين بشأنها.

نعلن براءتهم من التهمة المنسوبة اليهم.

نقرر اخلاء سبيل عاصم الناطلي فورا ان لم يكن موقوفا لسبب آخر.

ونعلن ان هذا القرار ينفذ بمعززة حضرة النائب العام.

ونعلن رفع الحجز الواقع على أموال المتهمين الغائبين غير المنقولة واعادتها الى اصحابها.

وضع وتلي في جلسة علنية بدمشق في السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين.

وحيث ان النصوص التي تألف المجلس العدلي بوجهها في أول ايلول ١٩٢٥ لم تلغ صراحة وكان من الواجب لهذا السبب اعتبارها نافذة المفعول.

وبعد استماع حضرة النائب العام وكلاء الدفاع والمدعين الذين كانت لهم الكلمة الأخيرة في ملاحظاتهم ووسائل دفاعهم.

وبعد ان تذاكر في القضية وفقا للقانون.

ثالثاً - فيما يتعلق بمصالح معترف:

أ - عن التهمة الأولى: انشراك الجريئة:

لما كان ثابتاً من تحقيق الشرط ومن الاستنتاج المحلي واستنتاج الكولونيل كوتو، وكذلك من سير المحاكمة والرسالة التي كتبها معترف في السجن والرسالة الى عصاصة (صحيفة ٧٦ من تحقيق كوتو) ان صالح معترف بسبب التأثير الذي يحدته بصفته الدينية على سامعيه المداومين على استماع دروسه وتفسيراته يحمل قسطاً كبيراً من التبعة المعنوية في الجريمة، وكانت مساعدته باشتراكه في تهمة أسباب الاغتيال ثابتة باشتراكه الفعلي في القتل بقيامه بالمرابطة في غرفة الانتظار في منزل المذكور في يوم ٦ تموز ١٩٤٠، وكذلك عدى أقواله في الجامع فيما يختص بحق القتل الذي يبرره الذين إزاء الأعجال النسوية للمذكور الشهيد.

ب - التهمة الثانية: حمل سلاح بدون رخصة:

لما كانت هذه التهمة ثابتة من افادات المشتركين بالجناية وكذلك من اعترافات المتهم في جلسة يوم ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠.

رابعاً - فيما يتعلق بسعيد الحصري:

أ - التهمة الأولى: اشتراك في الجريمة بالمعاونة

لما كان الحصري قد اشترك في تنفيذ الجريمة بعد ان تقررت كيفية القتل في الاجتماعات التي عقدت في جامع النورية وبعد الاحاديث التي تبودلت في نزوة الربوة، وكان الحصري قد رافق عصاصة يوم ٦ تموز ١٩٤٠ الى

القرار الآتي:

ان المجلس العدلي

باسم الشعب السوري

بعد ان تذاكر في القضية وفقا للقانون علناً ووجهاها بحق المتهمين الحاضرين وغيباً بحق محمد الحرش:

بناء على القرار الصادر بتاريخ هذا اليوم والنقضين:

أولاً - تجريم عصاصة بأنه ارتكب في دمشق في يوم ٥ تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن جريمة القتل عمداً على شخص المذكور الشهيد.

ثانياً - وتجريم معترف الطرابلسي والحصري والشماع لاشتراكهم في نفس ظروف الزمان والمكان في الجريمة المذكورة بالمساعدة والمعاونة.

ثالثاً - وتجريم الحفار والحرش بأنها في دمشق خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن اشتركا مع عصاصة بخرجه على ارتكاب القتل عمداً باعطائه عن علم أسلحة استعملت لارتكابها ومعاورته ومساعدته بالتعليمات.

رابعاً - وتجريم الغندور والحافي بأنها في نفس ظروف الزمان والمكان اشتركا في القتل عمداً الذي اقترفه عصاصة بمساعدتها في تهمة ونسهيل انجاز الجريمة المذكورة.

خامساً - وتجريم عصاصة والحرش بأنها في دمشق خلال شهر تموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حولا ارتكاب القتل بدون عمد على افراد القوة المسلحة أثناء قيامهم بوطائفهم مع الملاحة بأن هذا الجرم كان يقصد منه تأيين قراهم.

سادساً - تجريم عصاصة ومعترف والطرابلسي والحصري والشماع والحفار والحافي والغندور والحرش بأنهم في خلال أشهر أيار وحزيران وتموز ١٩٤٠ وفي وقت لم يمر عليه الزمن حملوا مسدسات بدون رخصة. وبناء على المرسومين رقم ٧٦٧ و ٧٦٨ الصادرين في ٧ آب ١٩٤٠.

ب - عن التهمة الأولى : الاشتراك في الجريمة بالمساعدة والمعاونة :

لا كان الشماع قد اشترك في الاجتماعات التي تقرر فيها قتل الدكتور شهيندر وفي مساعدته لهيئة هذا الجرم واشترك في تنفيذه بقيامه بالمرافقة بجانب السيارة المرافقة بالقرب من منزل الدكتور شهيندر بينما كان الجرم ينفذ ، تلك السيارة التي استأجرها عصاصة لتأمين فراره وفرار شركائه بعد تنفيذ الجريمة والتي أعطاهما وجهة لتسهيل الفرار .

ج - عن التهمة الثانية : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتاً من التحقيق (اعتراف المحصري استطلاع الكولونيل كورتو صفحة ٧٩ و ٩٠ ، ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ . (ان الشماع كان يحمل مسدساً بدون رخصة على الأقل يوم السبت ٦ تموز ١٩٤٠) .

سادساً - فيما يتعلق بسامي سمعو الحفار :

أ - عن التهمة الأولى : تخريض على القتل بالمال والوعود والمساعدة :

لا كان ثابتاً أنه بالرغم من انكاره الشماخي في أثناء التحقيق وفي المحاكمة وبالرغم من تصريحاته الغامضة في جلسة الاثنين ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ انه إذا لم يثبت ان الحفار أغرى عصاصة وشركائه بالمال والوعود عما لا شك فيه ان الحفار عمل على إيجاد السلاح فلم وهو يعلم حق العلم وجهتهم ، وكان الحفار ليلاً الجريمة هو الذي أعطى عصاصة المسدسات الموضوعة في متبيل وذلك بالاشتراك مع الحرش (صفحة ٢٣ اعتراف عصاصة) وكان اشترك كذلك في الاجتماعات التي عقدت في الجامع الأموي (استطلاع المحي صفحة ٦٢) استطلاع الكولونيل كورتو صفحة ٦٤) وكان قد ساهم بالمساعدة والمعاونة باعتباره مساعد الحرش الأمين والحرص معه على تنظيم مشروع القتل والعمل على إنجاحه (الصفحة ١٠٠ من استطلاع الكولونيل كورتو تصريحات عصاصة) .

ب - التهمة الثانية : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتاً من التحقيق ومن المناقشات في المحكمة ان الحفار إذا لم يقدم الاسلحة مباشرة فانه قام بجمعة الوسيط بين الحرش وبين عصاصة لأجل

سوق التبن لشراء سلّة « تفاح » كما تقرر في سبيل اهدائها الى الدكتور وكان المحصري قد بقي في الشارع يقوم بالحراسة على مقرية من منزل المفدور لابعاد كل خطر بينما كانت الجريمة تقترب .

ب - عن التهمة الثانية : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتاً ان المحصري كان يحمل سلاحاً على الأقل يوم ٦ تموز ١٩٤٠ (الاستطلاع المحي صفحة ١٨ تصريح الحلواني وتصريح المحصري صفحة ٢٠ وحوار المحصري أمام الكولونيل كورتو صفحة ٩٠) .

وان هذا الجرم قد اعترف به المحصري في جلسة الاثنين في ٢٣ كانون الأول ١٩٤٠ .

خامساً - فيما يتعلق بالشماخي :

أ - لا كان الشماخي في أثناء التحقيق وفي خلال مناقشات المجلس (المذكورة المقدمة يوم ٢٨ كانون الأول ١٩٤٠) قد ادعى بأنه لم يبلغ بعد سن الرشد لأن عمره لا يتجاوز ١٧ عاماً ، وكان المجلس يملك حق تقدير صحة مثل هذه الأقوال او عدم صحتها . ولما كانت مصلحة النفوس التي راجعها المستنطق المحلي في ١٥ تموز ١٩٤٠ قد اخبرت هذا القاضي في ١٦ تموز ١٩٤٠ (الاستطلاع المحلي صفحة ٢٨) أن الشماخي مقيد في سجلات النفوس بأنه مولود في سنة ١٩٢٠ ، وكان التصريح عن ولادته قد اعطي في ٣٠ ايلول ١٩٢٦ كما أوضح ذلك بناء على طلب المجلس أثناء الجلسات ، وكان لا يمكن التسليم بأن والد الشماخي قد اعطى عند التصريح عن ولادته تصريحاً مكذوباً أو ارتكب غلطاً فاحشة تشمل ثلاث سنوات في تقدير عمر ابنه الذي كان كل يوم تحت سمعه وبصره ، وكانت هذه الغلطة لم يُدَّع بها قبل الجريمة ، وكان يجدر بسبب ذلك اعتبار مذكرة الشماخي التي يطلب فيها فحصاً طبياً غير صحيحة ولا سيما وان هيئته الخارجية وطريقة الدفاع التي يتبناها سواء في أثناء التحقيق أو في المحاكمة ، فان المجلس يعتبر ان التهم المذكور قد بلغ درجة من النمو الفكري والجسمي تنطبق على السن المعطى له .

المنافسات بتلاوة ضبط المحاكمة.

ب - عن التهمة الأولى : الاشتراك في القتل بالمساعدة والمعاونة . لما كان المندور قد عول بعد المحاولة الفاشلة في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ التي كان مكلفا فيها شخصيا بقتل الدكتور الشهيد قد أثر السفر الى جبل الدروز ثم الى قرية « بلدة » وكان ثابتا مع ذلك انه اشترك في أكثر الاجتماعات التي عقدت في الجوامع حيث اشترك مع عصاصة والحرش وجميع الآخرين في تقرير قتل الدكتور الشهيد (الاستنتاج المحلي صفحة ٤٤ ، واستنتاج الكولونيل كويتو صفحة ١٠٥ ومنافسات المجلس) .

ج - عن التهمة الثانية محاولة القتل في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :
لا كان يجدر فيما يتعلق بهذه التهمة العودة الى الأسباب المذكورة اعلاه والمتعلقة بالتهمة نفسها الموجهة الى عصاصة .

د - عن التهمة الثالثة : حمل سلاح بدون رخصة :
لا كان ثابتا من اعترافات المندور انه أعطى إليه مسدس وأن هذا المسدس قد أعاده إلى الجمار بعد فشل الإغتيال المقرر (الاستنتاج المحلي صفحة ٤١ واستنتاج الكولونيل كويتو صفحة ١٠٨ ومنافسات المجلس) .

تاسعا - فيما يتعلق بمحمد الحرش الملقب بأبي صباح :

لا كانت مسألة المال والوعود التي أعطاها الحرش بحسب ما جاء في أقوال بعض المتهمين قد نفيت على التتابع في الاستنتاج وفي المحاكمة ، وكان مما لا شك فيه مع ذلك ان الحرش كان المحرض الحقيقي على القتل ، واستطاع بهارته ان يحل محل أسباب القتل الحقيقية حججا ذات صفة دينية وسياسة وطنية من شأنها ان تحمل على عدم تردد الرجال المنضدين الذين اختارهم خصيصا للقيام بالمهمة التي تعهد ان يسر بها الى نهايتها الموقفة والتي أعطى شخصيا من أجلها أثناء الاجتماعات التعليمات المفيدة ودبر الأسلحة .

ب - عن التهمة الثانية : محاولة قتل رجال القوة المسلحة بدون عمد :
لا كان ثابتا من اعتراف عصاصة أنه يوم الجمعة في ١٢ توز ١٩٤٠ بعد

تأمين قتل الأسلحة ، وأنه على الأقل في يوم الجمعة ٥ توز ١٩٤٠ نقل مع الحرش الى جامع ذكر عدة مسدسات موضوعة ضمن منديل ، وأنه بالإضافة الى ذلك اعطى المندور في شهر توز ١٩٤٠ مسدسا من جنس « سان اتين » كما اعطى الحاشي مسدسا آخر من جنس « برونغ » (التحقيق المحلي صفحة ٥٥ وتحقيق الكولونيل كويتو صفحة ٣١) وكان بذلك قد حل سلاحا بدون رخصة .

سابعا - فيما يتعلق بمحمد بن خيرو الحاشي :

أ - عن التهمة الأولى : الاشتراك بالمساعدة والمعاونة :

لا كان مما ينتج عن التحقيق وعن منافسات المجلس ان الحاشي جعل نفسه شريكا في جريمة القتل التي وقعت بحضوره الاجتماعات في الجوامع مع القتال وشركائه بالقتل واعطائه مبلغا من المال لعصاصة يدفع به أجرة طبيب عن الزبارة التحضيرية (الاستنتاج المحلي صفحة ٥٥ واستنتاج الكولونيل كويتو ١١٠) وبإيجاره عن عصاصة بعد الجريمة .

ب - عن التهمة الثانية : محاولة القتل في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :
لا كان يجدر ان نعود في هذا الصدد الى الأسباب المذكورة اعلاه والمتعلقة بالتهمة نفسها الموجهة الى عصاصة .

ج - عن التهمة الثالثة : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كان ثابتا في التحقيق ان الجمار اعطى الحاشي مسدسا من نوع « برونغ » عند محاولة القتل المقرة والتي لم تنتج في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ بالنظر لغياب الدكتور الشهيد (الاستنتاج المحلي صفحة ٥٥) وأنه في ذلك اليوم على الأقل حل الحاشي سلاحا بدون رخصة .

ثامنا - فيما يتعلق بتحليل المندور :

أ - لا كان ثابتا خلافا للمذكرة المقدمة من قبل المندور في ٢٨ كانون الأول ١٩٤٠ انه لم تجر المحاكمة بحقه غيابا في وقت من الأوقات ، وكان الاستنتاج الذي جرى على حدة بالنسبة لكل واحد من المتهمين في سبيل معرفة الحقيقة واستنادا الى حق الرئيس قد أبلغ إليه في أثناء

الأصلي، أن أصول المحاكمات الجزائية المتعلقة بالمحاكمات الغيابية يجري تطبيقها لدى هذه المحكمة.

- المادة ١٧٠ : من قتل إنسان عمدا أو قتل أحد آباءه أو أجداده أو أمهاته أو جداته قصدا ولو عن غير عمد يجوز بالإعدام.

- المادة ١٧٤ : من قتل إنسانا قصداً من غير عمد يوضع في الكوروك (السجن) خمس عشرة سنة.

ويجوز الفاعل بالإعدام إذا وقع فعل القتل تبينة أو سهيلا أو إجراء جرم آخر أو تورثا من قرار الفاعل الأصلي أو الفرعي لذلك الجرم أو لبقائه بدون عقوبة القاتل .

- المادة ٤٥ : من قانون الجراء - من أغوى غيره على ارتكاب جنائية أو جنحة باعطائه هدية أو نقودا أو بأعمال التهديد أو الخيلة والديسية أو بصرف النفوذ أو بأساءة الاستعمال في حكم الأمورية، ومن كان وقفا على ما سيقع من جنائية أو جنحة وساعد على حصولها بالرشاوى، ومن أقر بالأسلحة والالات وسائر الوسائط التي تقع بها الجنائية أو الجنحة مع علمه بما سيكون من أمرها، ومن علون الفاعل الأصلي في الأفعال المسبب عنها اعداد جنائية أو جنحة أو تسهلا أو اكملها وهو عالم بأمر الحال يعدون ذوي تدخل فرعي في تلك الجنائية أو الجنحة .

- المادة ٤٦ : من قانون الجراء، إذا أتم جميع الأفعال الإجرائية للجنائية التي صمم عليها، ولكن لجيلة أسباب مانعة لم يكن هو فيها مختارا لم تظهر تلك الجنائية للوجود وكان ذلك في موضع لم يصرح به القانون، فإن كان ذلك الفعل مستوجبا لجزاء الإعدام أو الكوروك أو حبس القلعة المؤبد حكم عليه بالكوروك المؤقت لا أقل من عشر سنوات، وإن كان الفعل مستوجبا لجزاء حبس القلعة مؤبدا حبس فيها لا أقل من عشر سنوات .

- المادة ٤٧ : من قانون الجراء : إذا وجد في جريمة أسباب تقديرية توجب تخفيف العقوبة حول جزاء الاعدام الى الكوروك المؤبد أو الكوروك المؤقت أقل من خمسة عشر سنة .

أن قضى الحرس ليلته في المساتين ودوهم في الصباح من قبل رجال القوة المسلحة اطلق النار على ملاحيه ليحول دون توقيفه، وكانت هذه التهمة يعتبرها المجلس جديرة بالعقاب كما هو الشأن بالنسبة لمصاصه اذا ان المناسية الفجائية التي هي هنا عدم اصابة الهدف بسبب الاطلاق السريع أثناء الحرب والتي حالت دون التنفيذ التام وبلغ الغاية التي يقصدها المتهم لا تمنع في حالة عدم إقامتها كون الجريمة ارتكبت بتمامها على ارادة المتهم الذي لا يمكنه بعد إطلاق الرصاص الرجوع عنها من ذات نفسه.

ج - عن التهمة الثالثة : محاولة القتل في ٢٥ حزيران ١٩٤٠ :

لا كان يجدر فيما يتعلق في هذه التهمة العودة الى الأسباب المذكورة اعلاه والمتعلقة بالتهمة ذاتها الموجهة الى عصاصة .

د - عن التهمة الرابعة : حمل سلاح بدون رخصة :

لا كانت هذه التهمة يبررها كون الحرس نقل مع الطل يوم الجمعة في ٥ تموز ١٩٤٠ عددا من الأسلحة موضوعة ضمن مسدبل وأنه في ١٢ تموز ١٩٤٠ وهو يحمل سلاحا اطلق النار على رجال الشرطة الذين كانوا يلاحقونه لتوقيفه .

ولا كانت الأفعال التي اقترفتها عصاصة، والطرايشي، ومعتوق، والحصري، والشماع، والحافي، والحفار، والفندور، والحرش تقع تحت طائلة المواد ٦ من القرار ٣٦٤ الصادر في أيلول عام ١٩٢٥ و ١٧٠، ١٧٤، ٤٥، ٤٩ من قانون الجراء ٢، ٣ من القرار ٧٦٦ و ٢٩٩ من قانون أصول المحاكمات الجزائية و ١ من القرار ٢٨٥ ل. د. و ٤٦ و ١١ من قانون الجراء وهذه نصوصها :

- المادة ٦ من القرار ٣٦٤ - تجري المحاكمة والحكم لدى المحكمة المشار

اليها وفقا لأصول المنصوص عنها في المواد ٢٦٣ الى ٣١٢ من أصول المحاكمات الجزائية، وعند اللزوم يمكن للمحكمة ان تقرر إجراء المحاكمة سرا . إن المعقوبات الواجب تطبيقها في المنصوص عنها في قانون الجراء، إنما فاعلو الجرم المشتركون به والذين لهم تدخل فرعي يعاقبون كفاعلو

الحاقى وعزت الشماخ وخليل الغندور بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر سنة وتُنح الإقامة مدة عشرين سنة، ويحكم عليهم متكافلين متضامنين بالصلريف.

ولما كان المدعو الحرش قاراً، يقرر بأن تبلغ نسخة من هذا القرار خلال ثمانية أيام الى مدير املاك الدولة في محل اقامة المتهم القار.

ويقرر إذاعة هذا الحكم فيما يتعلق به ضمن الأشكال والمهل المنصوص عليها في المادة ٣٧٨ من قانون أصول المحاكمات الجزائية وتنفيذه بجمرة حضرة النائب العام ويقرر مصادرة السلاح ومصادرة الذخائر المضبوطة كادلة ثبوت، وضح في دمشق وتلي في جلسة علنية في اليوم والشهر والسنة المذكورة أعلاه.

القرار المدني

في يوم الثلاثاء الواقع في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٤١ اجتمع المجلس العدلي المؤلف بموجب المرسوم رقم ٧٦٧ الصادر في ٧ آب ١٩٤٠ من السادة بول بوريفيه رئيس محكمة الاستئناف الناطرة في القضايا الأجنبية رئيس وعضوية غاستون غير مستشار محكمة التمييز الناطرة في القضايا الأجنبية في سوريا ويوسف روكس عضو محكمة التمييز السورية وعبد الحميد المارديني عضو محكمة الاستئناف في حلب ووجيه الشرابي رئيس محكمة بداية حمص وبحضور القومندان مصطفى حكمت العدوي مفوض الحكومة لدى محكمة الدرك السوري الذي جلس في مقعد النيابة العامة بموجب المرسوم ٧٦٧ يساعده الكاتبان باخوس والترجم المكلف السيد كامل عزيز.

اجتمع هذا المجلس بدمشق في جلسة علنية في قاعة البرلمان السوري لاجراء المحاكمة والحكم في القضية الجنائية التي جرى فيها الإستئناف ضد أحمد عصاصة وشركائه بحسب قرار الإحالة المؤرخ في ١٣ تشرين ١٩٤٠. وبعد ان اعلن ختام المحاكمة وتناقش المجلس في القضية على قرار المحكمة وفقاً للقانون أصدر القرار التالي:

- المادة ١١: من قانون الجزاء: ان إيفاء مصاريف المحاكمة عاقدة على المحكوم عليه، ولذا حكم على عدة أشخاص بجرم واحد فكل منهم كفيل عن الآخر برد المال وإعطاء الضمان ومصاريف المحاكمة وله حق الرجوع عليه بهضته.

- المادة ٢: من القرار ٧٣٦ - لا يمكن لأحد ان يتجول او يقيم على هذه الاراضي وهو يحمل السلاح المنزه في القرار ٣١٣ او يحتفظ بالسلاح المذكور اذا لم يكن لديه رخصة من الأتموزج الربوط بهذا التفريع.

- المادة ٨ من القرار ٧٣٦ - كل من يحمل سلاحاً ممنوعاً يعاقب بالسجن من يوم الى ستة أشهر أو بغرامة تتراوح بين قرش سوري ذهب الى ليرتين سورييتين ذهب، وعلى كل حال فان الأسلحة والذخائر والمواد الحربية المضبوطة تصادر.

- المادة ٣ من القرار ٧٨٥ ل. ر. لا يمكن في حال من الأحوال ان يتجاوز منع الإقامة عشرين سنة ولا ان يقل عن سنة واحدة.

إن الجرم الذي يعاقب بعقوبة الأشغال المؤقتة أو السجن يخضعون حكماً بعد انقضاء مدة العقوبة وبلدة عشرين سنة لمنع الإقامة. على انه يمكن ان يخفف قرار الحكم مدة منع الإقامة او ان يصرح بأن المحكومين لا يخضعون لها.

- المادة ٢٩٩ من قانون أصول المحاكمات الجزائية: اذا وجد عدة جنايات معا فتحكم المحكمة بالجزاء المعين للجرم الأشد عقوبة.

لهذه الأسباب

بعد ان تناقش المجلس في القضية وفقاً للقانون تحكم بقرار واحد علناً ووجاهة بحق عصاصة والطرايشي ومعزوق والحصري والحفار والندور وغيابا بحق الحرش.

نرد المذكورة المقدمة من الأستاذ الشحلاوي وكل الحفار لأنها غير صحيحة ويحكم على أحمد عصاصة، أحمد الطرايشي، صالح معزوق، سعيد الحصري، سامي الحفار، ومحمد الحرش بالاعدام ويحكم على كل من محمد

الفصل الثالث

الحركة الشعبية

نسبوا اليه فأنسبهم وأنسبهم
صحة الله والطهارة

باسم الشعب السوري:

بناء على مذكرة الإدعاء الشخصي وبناء على المادة ٨ من القرار ٣٦٤ وعلى القرار الصادر بتاريخ هذا اليوم بحكم احمد عصاصة ورفاقه الآخرين، وحيث ان الضرر المعنوي والمادي الذي وقع على عملي الادعاء الشخصي من جراء قتل الدكتور شهيد ثابت الرضوح.

وحيث انه يجدر بتلبية المطالب الواردة في مذكرة الادعاء الشخصي المطالبة والموضحة في الجلسة، لأن المجلس استجمع من اضرار الدعوى وفي أثناء المحاكمة العناصر الضرورية لتقدير كمية التعويض.

لهذه الأسباب

وبعد ان تناقش المجلس في القضية، بحكم علينا، غاييا بحق الحرش ووجاها بحق الآخرين.

بحكم على احمد عصاصة واحمد الطرايشي وصالح معنوق وسعيد الحصري وعزت الشماخ ومحمد الحايقي وسامي الحفار وخليل العندور ومحمد الحرش بأن يدفعوا للادعاء الشخصي بصفة تعويض مادي ومعنوي أولا: الدية الشرعية. ثانيا مبلغ خمسين ألف ليرة سورية بصفة اضرار وتحكمهم بجميع المصاريف متضامين.

وضع ولي في جلسة علنية بدمشق في اليوم والشهر والسنة المذكورة. ترجم هذا القرار وأوضحه باللغة العربية المترجم المحلف.

بلا قورع

كان خصوم الشهبندر من حاقدين وحاسدين يشعرون في الشعب (قبل يقولون اغتيالاه) بواسطة أذناهم كل ما من شأنه أن يسيء الى سمعته ويحط من صانع الانجليز قدره للقضاء على زعامته بعد أن أفحمهم في حلبة المطلق وسداد الرأي وخابر الفرنسيين وخلفهم وراءه فمن ذلكادعاءؤهم أن الدكتور شهبندر :

- ١ - كان يصانع الانجليز - للتدليل ضمنا على أنه كان عميلا لهم .
- ٢ - وكان يجابر الفرنسيين سرا للتشكيك في وطنيته .
- ٣ - وأنه قابل الشيخ تاج الدين الحسني في باريس عام ١٩٣٧ وعاطف مع السيد صبحي بركات الحالدي وكانوا زرعوا في أفكار الناس قبلا أن هذين الرئيسين كانا منصورين من قبل الفرنسيين وسادام الأمر كذلك فإتباعا جاثان ولا يجوز التعاون معها .

وكل ذلك افتراء منهم على الزعيم الكبير وعلى الرئيسين معا .

فقد صحبت الزعيم الشهبندر عشرين عاما تفذت خلالها الى روحه وعرفت كل ما تنطوي عليه نفسه الكبيرة الأبية من حب لوطنه وتفصحية في سبيله ومن صدق في القول واخلاص في العمل كما عرفت بعده عن الخداع والتضليل والكذب والتدجيل لذلك أستطيع أن أرد هذه التهمة بشدة وعنف وبالدليل القاطع والبرهان الساطع فأقول :

لم يكن الزعيم الكبير ولا يمكن أن يكون في يوم من الأيام عميلا لأية دولة من دول العالم بل كان زعيما وطنيا مخلصا لأمتة وبلاده عمل خيرهها كلما يستطيع وفوق ما يستطيع حاملا يميناه سورية العربية ويسيراه دولة العرب الكبرى ، وكيف يكون عميلا وهو الذي تزعم حادثة المستر (كراين)

دولتكم قد تلقيتم رسالتي المؤرخة في أول حزيران المعبر عن شكر الشعب السوري بتدخل الحكومة البريطانية وقد أكدت أنا وحكومي لوزير صاحب الجلالة البريطانية بدمشق والقائد الأعلى البريطاني أننا نريد التعاون فقط مع السلطات البريطانية في المهمة الرامية إلى إقرار الأمن والنظام في سوريا^(٢).

وتستطيعون أن تتأكدوا يا صاحب الدولة أن تعاوننا مع السلطات البريطانية سيثمر خير الثمار .

وهل كان الاستاذ الكبير السيد فارس الخوري من عملاء الانكليز عندما كان يوضح لمجلس الأمن هذه المناسبة أثناء اجتماعه في ١٤ شباط ١٩٤٦ برئاسة المستر (ماكن) « الأسترالي » موقف سورية من الجيوش البريطانية التي لم تكن محتلة بل كانت موجودة مع الجيوش الفرنسية في البلاد .

(يبدو لي أنني أكون غير منصف إذا لم أذكر اعتراف الحكومة السورية وشعبها بالشكر لبريطانيا العظمى على ما أمدت به بلادنا خلال الحربين اللاتين من المعونة العسكرية والسياسية والاقتصادية وأنقذتها مرات من الدمار) .

وعليّ أن أشرح كلمة (في آن واحد) التي استعملتها في كلامي فلو أننا رغبتنا في جلاء الجيوش الأجنبية منفصلة لكان بإمكاننا ان نحصل على موافقة الحكومة البريطانية بسهولة على سحب جيوشها ولكن نريد أن يتم سحب الجيوش كلها في آن واحد^(٣).

ثم هل كان السيد سعد الله الجابري رئيس مجلس الوزراء السوري عميلاً انكليزياً أيضاً عندما شارك السيد شكري القوتلي في شكره بريطانيا العظمى على تدخلها ساعة المحنة ، وعلى دفعها فوق ذلك شيح الجامعة عن الشام حيث قال في اجتماع مجلس الجامعة العربية العبارة التالية :

(٢) من الجزء الأخير من مذكرات المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية المدرج في العدد ٢٣٢٦ من جريدة الحياة البيروتية الصادر في ٣ كانون الأول ١٩٥٣ .

(٣) عن جريدة مجلس الأمن تاريخ ٢١ شباط ١٩٤٦ الرقم ٢٨٠ .

أو أول صرخة دوت في البلاد ضد المستعمر الفاضل عام ١٩٢٢ وحكم عليه من أجلها بالسجن عشرين عاماً قضى منها في سجون دمشق وبيت الدين وأرواد نحو تسعة عشر شهراً^(١)

وكيف يكون عميلاً وهو الذي أشعل نار الثورة الوطنية السورية عام ١٩٢٥ في جبل الدروز والغوطة وجال في ساحاتها عامين كاملين وكان الزعيم السياسي لها كما كان سلطان باشا الأطرش قائدها العام وقد حكم عليه الفرنسيون من أجلها بالإعدام .

على أنه إذا كان يرى بعد نظره ان كل دولة مثل سوريا لا بد لها في أول حياتها من مؤازرة السياسة الدولية لها عن طريق دولة صديقة من الدول الكبرى تدعمها وتكون عوناً وسنداً لها في قضاياها ريثما تقف على قدميها مقابل المحافظة على مصالح هذه الدولة بما لا يحس الاستقلال لتلك الدولة الناشئة وسيادتها ، وأنه إذا كان يرى أيضاً (اجتهدا منه) أن تكون هذه الدولة الكبيرة بريطانيا العظمى مثلاً ، فهل من الانصاف أن يتهم من أجل رأيه البريء هذا بأنه كان عميلاً ؟ وهنا يحق لي أن أنصاع :

أ - هل هناك زعيم عربي لم يعمل اليوم بمثل رأي الشهيد ويعتمد على دولة صديقة كبرى تدعم بلاده وتؤازرها في المجالات الدولية ؟

ب - هل كان السيد شكري القوتلي عميلاً للانكليز عندما ناشد المستر شون وزير بريطانيا المقروض وضع حد للعدوان الغادر الأتيم الذي قام به الفرنسيون على مدينة دمشق في ٢٩ و ٣٠ أيار ١٩٤٥ بضررها بالمدافع والذبابات والرشاشات ؟

وهل كان عميلاً انكليزياً عندما بعث الى المستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية الرسالة الآتية التي يشكر فيها باسم الشعب السوري الحكومة البريطانية على باهر صنعها وتدخلها السريع الحاسم الذي اضطر معه الفرنسيون لوقف إطلاق النار والانسحاب الى كنانتهم ؟

(لقد بعثت برسالتي المؤرخة في ٣١ أيار الى دولتكم في غمرة من تأثري الناجم عن قصف الفرنسيين مدينة دمشق وعن الآلام التي احتملها الشعب السوري ولم تكن رسالتي تتضمن أية مبالغة . ولا شك أن

(١) حادثة المستر كراين مدرجة بتفاصيلها في الجزء الأول من مذكرات حسن الحكيم .

بعد وفاة سليم باشا الأطرش في سنة ١٩٢٣ عين المندوب السامي الفرنسي الكاتين كارييه حاكما على الجبل خلافا للاتفاق المبرم مع الدروز ، وهذا الموظف الذي اشتهر بسوء السيرة في حياته الخاصة والعامة واعتمد على فريق من المواطنين الذين فسدت أخلاقهم فبيح في الجبل سياسة الارهاب والافساد ، فبدلا من أن يدبر شؤون البلاد عمد الى دسّ الدساتين وهذه مقطعات من وثيقة طويلة لديّ قدمت رسميا الى الجنرال ساراي في ٦ يوليو سنة ١٩٢٥ عن أعمال الكاتين كارييه :

١- كان عدد من رجال الجندرية المسلحين بالعصي مخصصين لإهانة الناس وضربهم تنفيذا لرغائب الكاتين كارييه ورجال حاشيته بدلا من أن يقوموا بالواجبات المفروضة عليهم .

٢- اعتقل حامد كركوت من أعيان قرية زيلان مدة خمسة أشهر من دون سبب ولا محاكمة وكان يهان وضرب في الصباح والمساء لأقل وشاية من أحد الجواسيس .

٣- جلد المدعو حسن كابسول من قرية رمة رمة المصحف حتى مرق لحمه لأنه أهمل أن يحجي الكبورال دسبوتيل في أثناء مروره على الطريق العام .

٤- نصب المدعو ساسي الذي يشغل وظيفتين وظيفية وجاسوس ووظيفة في المستشفى شركا لإغراء بعض النساء الدرزيات . وقد حاول ابن عمه المدعو حسين مورك أن ينصحه بالمدول عن هذا المشروع الذي كان يجتمل أن يؤدي الى نتائج مؤلة . ولكن هذه النصيحة سببت شقاوه لأن ساسي شكاه الى اللبوتينان موريل الذي اعتقله مدة عشرة أيام كان يجلد خلالها في الصباح وعند الظهر وفي المساء ويكره على أن يقضي بهاره مكشوف الرأس حافي القدمين في تكسير الحجارة وينام في مخزن للفحم .

٥- اعتقل المدعو وهبه جاشوش وضرب ضربا مبرحا في السوردياء لأنه رفض أن يؤجر منزله .

٦- أطلق الكبورال دسبوتيل عدة طلقات من مسدسه على ماهر بك الحللاحي مدير العدلية العام ، ولم يزل عقابا على عمله الجنائي هذا .

(وان أنهر هذه الفرصة لأسدي الشكر الى كل من أمد سورية في محتها فأنهصن حكومتهم بريطانيا العظمى منه بالقدر الذي يستحقه تدخلها في ساعات اهل دول تدخل وضع حدا لذلك الشر المستطير الذي أنزل الجنرال ديغول ورجاله بدمشق وبمشق وسائر المدن السورية فحققت الدماء وأوقفت التخريب والتدمير والنهب والسلب ، وأشكرها كذلك على ما وفرتة عن الشام من هول جماعة كادت تقع حتا^(٤) .

إذ أحرق الفرنسيون ما فيها من ذخيرة القمع انتقاما ونشفا وأشكر بريطانيا فوق هذا وذاك لأنها تدخلت تدخل حصرته في ناحية الأمن العسكري فقط ولم تتجاوزة الى ما يمس سيادة البلاد واستقلالها .

ولمّا انتهى من خراب الفرنسيين سراً

وبعث هذه التهمة هو الكتاب الذي أرسله الزعيم الى وزارة الخارجية الفرنسية وهو في ميدان الثورة وهذا كان سراً وكان عملاً وطنياً بعيداً عن كل غاية أخرى ، ففي هذا الكتاب يشرح الزعيم هذه الوزارة أسباب الثورة الوطنية السورية ويطالب فرنسا بانتهاج سياسة مسألة وبالاعتراف بحقوق الشعب السوري المشروعة في الاستقلال والسيادة إن أرادت فرنسا المحافظة على مصالحها في هذه البقعة من بقاع الشرق ، وكان سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة نفسه على علم أساساً بهذا الكتاب ، حتى أن اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني نشرت في كتابها (المفاوضات مع المسو هنري دي جوزف) كوثيقة تاريخية . وهذا هو نص الكتاب الذي يقول الحفصوم بصدده بأن الزعيم كان يجابر الفرنسيين سرا للتشكيك في وطنيته :

أشرف بأن أيسط لسعادتكم الثورة التي نشبت أخيراً في جبل الدروز والنتائج المنتظرة منها والحالة الحاضرة في سائر أنحاء سورية .

(٤) من النص الرسمي للمحاضر الختامية لجلسات دور الاجتماع المعادي الأول لجلسات الجامعة العربية المنعقدة بين ٢٣ جادي الأخرى ١٣١٤ وغرة رجب ١٣١٤ الموافق ١١/٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ . آخر الصفحة ٢٣ من المحاضرة المذكورة وفي مرجعها رقم (٣) .

ولا تزال الثورة التي نشبت في جبل الدروز تتسع نطاقا حتى أوشكت أن نعم سورية كلها . وهذه نتيجة لازمة لسياسة الضغط والرهاق التي وضع أسسها الجنرال غورو وسار عليها حلفاؤه من بعده . أما قواعد هذه السياسة فهي :

- ١ - جمع كل أنواع السلطة في يد المفوض السامي .
- ٢ - خنق كل الأفكار الحرة .
- ٣ - استغلال البلاد وأهلها من غير إبقاء على شيء .

وقد اعتزلت العناصر الوطنية المتورة العمل ودحا من الزمن متوقعة فشل هذه السياسة من جهة واتهاج طريق أخرى تكفل للبلاد حقوقها وتحقق الآمال التي أصرت عليها بلسان الجماعات التي فرضتها .

على أنه لم يطرأ أقل تعديل جوهرى مع أن النتائج جاءت سيئة جدا . وكانت البلاد التي بدأت تنتفش بعد الحرب قد وقعت في أزمة اقتصادية ومالية لا مثيل لها ، فلم تفعل الحكومة شيئا لتخفيف هذه الأزمة بل وجهت كل مساعيها لاستغلال دافعي الضرائب بفرض رسوم وضرائب جديدة وحسب القارىء أن يبقى نظرة إحصائية على أحوال التجارة والصناعة والزراعة ليدرك حقيقة الأزمة الاقتصادية والمالية التي عانتها البلاد بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٥ ، فإن الثروة العامة نقصت نقصاً عظيماً بينما كانت الضرائب تزداد على نسبة أعظم ، وقد اتضحت الغاية المشروعة حينئذ وهي إقناع البرلمان والحكومة في فرنسا واقناع العالم كله بأن سورية أخذت تترى وإن الدليل على ثروتها كثرة الضرائب المفروضة عليها .

وإذا صرفنا النظر عن الحالة الاقتصادية ونظرنا الى الحالة السياسية لم نرها أحسن منها لأن المفوض السامي ظل مصدرا لجميع أنواع السلطة من تشريعية وتنفيذية وقضائية . ولم يكن للمجالس التمثيلية التي منحوها البلاد في سنة ١٩٢٣ أقل سلطة . وقد أصبحت الحكومة المحلية شبحا يمثل المفوض السامي أكثر مما يمثل البلاد .

واشتد الاستياء وأصبح عاما ، فقامت البلاد غير مرة بتحجج على هذه الحالة التي كانت تسير عليها الى المفوض التي هي فيها الآن . وقد أفهم

٧ - اعتقل المدعو حسين حديقة ١٥ يوما لأنه لم يذهب لاستقبال الكاين كاربيه ، وفرضت غرامة على القرية قدرها ٢٥ جنيهها ذهبيا لأنها لم تستقبله استقبالا فخيا . وقد فرضت مثل هذه الغرامة على قرية عرومان للسبب عينه .

٨ - اعتقل فهد بك الأطرش قائمقام صلخد وضرب ضربا مبرحا من دون تحقيق بناء على وشاية بسيطة من أحد الجواسيس .

٩ - فرضت غرامة على سكان السويداء قدرها عشرة جنيهات ذهبية لضيق قطرة اللبنيين مورسل فهذه الحوادث وأمثالها والافتئات على حقوق البلاد كل ذلك حل الأهلين على الثورة . ويخطيء من يعتقد أن الوطنيين وحدهم هم الذين أثاروا حركة الاحتجاج هذه ، فإن المعتدلين انضموا اليهم وقد ألف وفد ذهب لبث شكواه وتقديم عريضة تتضمن رأي الجبل ومطالبه . ورفض الجنرال ساراي قبول هذا الوفد رفضا فيه كل معاني الاحترار والتهديد ، فزاد بعمله هذا غير المنتظر هياج الأفكار الناشئة عن ادارة الكاين كاربيه . لم تقتصر السلطة على الاحتقار والتهديد بل جردت على الجبل الهاديء السلام حتى تلك الساعة قوة قوامها بضع مئات من الجند بقيادة الكومندان توما مارتان الذي أسديت اليه نصائح كثيرة بالعمول عن سياسة الشدة ومعالجة المشكلة باللطف واللين . ولكنه لم يرد أن يستمع شيئا . وقد استهل عمله باعتقال عدد من الزعماء تمكن من اعتقالهم لقرمز منه وأرسلهم الى النفي - ثم وجه قسما من قواته للقبض على زعماء آخرين . وكان ذلك فاتحة الثورة إذ لم يبق أحد آمينا على حياته او على ممتلكاته . ولكن هذه القوة قد أيدت في الكفر يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٥ قبل أن تحقق أميتها . ولم تنشأ السلطة أن تعد هذا العمل انذارا كافيا بل واصلت مغامراتها التي انتهت بنكبة المزرعة في ٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ و٣ منه على الرغم من النصائح التي أسديت الى ولاية الأمور .

وكانت نتيجة هذه السياسة إبادة بضعه آلاف من الجند الفرنسيين الساكنين - ولا تزال القوات الفرنسية تصادف الصعوبات عنها حتى يومنا هذا .

قبض على كثيرين من أعضاء حزب الشعب وأبعدوا بلا سبب الى جزيرة أرواد حيث عوملوا أسوأ معاملة، ويمكن آخرون من الفرار قبل قوات الاوان .

وضاعف هذا العمل الفجائي غير المتوقع للصعوبات القائمة في البلاد وكان إنذارا بالجلاد وكانت السلطة بالتجاهل الى مثل هذه الأعمال القاسية غير المشروعة قد أماجت سخط الأهالي الناقمين وأقنعت أكثرية الوطنيين السوريين بأن الوسائل السلمية المشروعة لا تؤدي في حال ما الى تحقيق آمال شعب من الشعوب، وأن دعاة الرسائل السلمية يكونون دائماً ضحايا القوانين التي يريدون احترامها . وهكذا أخذت بؤرة الاضطراب تسبح بالتدريج ولا يعلم أحد ماذا يحدث في الغد اذا لم تبذل المساعي لمعالجة المشكلة بالحكمة والعمل .

وأرى من واجبي أن أقول قبل أن أختتم هذا الكتاب إن فرنسا لن تحافظ على نفوذها في هذه البقعة من بقاع الشرق بقوة السلاح وإنما تستطيع ان تفعل ذلك بانتهاجها سياسة المسألة واعتراقها بحقوق السوري على استعداد للتفاهم واستطيع أن أؤكد لكم أن أكثرية الشعب السوري على استعداد لمصالح مع فرنسا على قاعدة سيادة سورية القومية مع المحافظة على مصالح الفرنسيين .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي .

فهل يوجد في أية عبارة من عبارات هذا الكتاب ما يبعث على مثل هذا الشك؟ اللهم لا .

ولكن ما العمل وقد أكل الحقد صدور هؤلاء الخصوم وتحكمت في نفوسهم الأهواء والغايات .

والشاعر يقول :

أمل عليه المولى والحمد فاندفعت بدها ترخيلان الماء واللبها إذا رأيت المولى في أمة حكم فاحكم هنالك أن المقل قد ذهب

ولا الامور ان طريق الخلاص الوحيد هو تأمين سيادة سورية بانتخاب مجلس تأسيسي ينظم دستور البلاد ويضع أساس علاقاتها الودية مع المحافظة على حقوق سورية ومصالح فرنسا في وقت واحد على أن يكون هذا الانتخاب حراً . ولكن هذه الرغائب لم ترق للموظفين الذين تعودوا إرضاء شهواتهم من دون مراقبة ولا مسؤلية . فإن بعض كبار الموظفين الفرنسيين وجدوا في البلاد خدماً مخلصين فألقوا معهم شركة لاستغلال السكان على حساب فرنسا وسورية استغلالاً يجنون فائدتها لأنفسهم . وقد صادفت هذه الشركة نجاحاً عظيماً في جميع مشروعاتها الخاصة . وهكذا اذا تحقّقون إن قسم يتحقق دقيق أن كثيرين من هؤلاء الموظفين جمعوا ثروات طائلة وتركوا البلاد أشاراً من مساوئهم وفضائلهم لا يمكن تصديقها . وإن الكابتن كارييه وحدي الجلاد الذي بقي مدبراً للبوليس العام في سورية مدة أربع سنوات ونصف سنة هما في سورية من أكبر الشواهد على ذلك .

ولما تحقّق الوطنيون السوريون ان الحالة تسير من سيء إلى أسوأ قرروا تأليف حزب باسم حزب الشعب، فأقرغت السلطة قضارى جهدها لنهم من ذلك لم يحصلوا الا بعد جهد جهيد على ترخيص الحكومة لهم بالاجتماع في شهر مايو سنة ١٩٢٥ .

والنفت أكثرية سكان البلاد حول هذا الحزب كما ثبت للمسؤولين برونه أثناء قيامه بالمهمة التي نطقت به في سورية في شهر يوليو سنة ١٩٢٥ وقد سار هذا الحزب على الطريق المشروعة لتحقيق الأماني الوطنية وحاول أن يقتنع الجنرال ساراي، وكبار الموظفين الفرنسيين بأن الوطنيين السوريين ليسوا أعداء لفرنسا ولكنهم يريدون خدمة بلادهم بتأمين حريتها وحقوقها المضمونة وإقامة نظام وطيدها فيها على قاعدة الأمان الوطنية لا المنازعات العاطفية التي لا تزال تسير بها حتى الآن الى الحراب والدمار .

وحاولت الحكومة المحلية ، ومن وراءها كبار الموظفين في القضية السامية غير مرة أن يخنقوا معارضة حزب الشعب لأسباب خاصة . ولما نشبت ثورة الدروز للأسباب التي بسطتها آنفاً تمكنت السلطة من انتهاز الفرصة للانتقام من حزب تألف لتحقيق برنامجها بالوسائل المشروعة، وقد

وأيضا يقولون

لقد أذاع الخصوم هذه التهمة بعد أن زرعوا في أفكار الناس من قبل أن قابل الرئيس الرئيسين منصوريان أساسا من قبل الفرنسيين ، وما دام الأمر كذلك فإنها لمسي في خائنان ولا يجوز التعاون معها ، على أنه إذا كان هناك خصوم سياسيون باريس ١٩٣٧ للرئيسين يتصبونها العداء فإن لها بين الوطنيين أنفسهم أنصارا عديدين يعتقدون فيها الوطنية والاختلاص ، وهؤلاء الأنصار يقولون إذا كان الرئيسان يبديان ظاهراً شيئاً من الصداقة نحو الفرنسيين ويعملان بالتعاون معها في ذلك إلا لاستغلال هذه الصداقة لمصلحة البلاد ، وذلك لأن الفرنسيين هم أصحاب السلطة ويبدونهم الأمر والنهي وهم لا يقيمون وزناً لكلام من يجاهرهم العداء حتى ولو كان ذلك لمصلحتهم ، وعليه يقولون لو فرضنا جدلاً بأن الزعيم كان يريد التعاون مع هذين الرئيسين مثلاً فلم لا يجوز له ذلك حتى ولو كانا منصورين من قبل الفرنسيين .

ألم يتعاون الاستاذة الأكام فارس الخوري ولطفي الحفار وحسي البرازي مع الداماد أحمد ناني وهو منصوب رئيساً للدولة والحكومة من قبل القوض السامي الفرنسي ؟

ألم يتعاون قبال السيدان جميل مردم بك ومظهر رسلان مع السيد حقي العظيم وهو منصوب رئيساً للحكومة من قبل القوض السامي الفرنسي أيضاً ؟

فهل كان يعني هذا التعاون أن هؤلاء السادة الوطنيين تخلوا عن وطنيتهم وخدمة بلادهم وسلموا مفاتيح القلعة الى المستعمر الغاصب ؟ كلا وألف كلا . ولكن علموا بالتجارب والاختبار ان الوطنية ليست بالنعالي

يكن في وسع الرئيس الحسيني أن يحول دون إضاعتها بالطلبع ولكنه رأى بأن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

٣- بعد أن قدم السيد صبحي بركات في ٢١ كانون الأول ١٩٢٥ استقالته من رئاسة الحكومة دعا المندوب الفرنسي الشيخ تاج الدين الحسيني في ٢٤ منه لتأليف حكومة جديدة ، فقبل السيد الحسيني المهمة مبدئياً ولكنه أي أن يتسلم الحكم إلا على أساس برنامج وطني يحقق للبلاد ما تصبو إليه من استقلال وسيادة ، وقد وضع لذلك برنامجاً واسع النطاق مشتركاً على الفرنسيين قبوله وقد دارت بينه وبين المندوب الفرنسي مفاوضات هذا الشأن استمرت خمسة عشر يوماً وانتهت بالفشل بعد أن رفض المندوب قبول برنامج الوطني وبعد أن أصر الشيخ على عدم الانضلاع بالحكم إلا إذا قبل البرنامج المذكور وهذا نصه :

(أقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد أمور البلاد وهي عائلة بتقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الأزمة الشديدة التي تختم على كل وطني ان يبدل قصارى جهوده لتحقيق رغائب الأمة وإفادتها من الأخطار التي تحيق بها من كل جانب وستعمل على إيجاد طريقة حل يكون فيها مقبعا ومرغباً للسوريين من غير ان تناقض المصالح الفرنسية الحقيقية . وستضع نصب عينيتها تشييد أركان سلام دائم يرضى عنه جميع أبناء الوطن سواء القيمين والنازحون حتى يتعاونوا على إنهاء البلاد من عثارها وإزالتها من كبرتها وتخليصها من الكوارث التي كادت تقوض أركانها وتهدد بنائها وأنها تتحمل أعباء هذه الحالة برباطة جأش وبخاطر بأنفسها في سبيل الأمة وسلامة الوطن . ولكننا جبا في بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقاً لرغائب الأمة التي تسعى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد التالية :

- ١- تحقيق الاستقلال بوضع قانون البلاد الأساسي على قاعدة السلطان القومي ودعوة مجلس تأسيس عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل .
- ٢- تأليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على أن تدار على قاعدة اللامركزية بحسب ما يقرره المجلس التأسيسي

والاستبكار والغرور والاستهتار ، وأن الورقوف موقفاً سلبياً والقول دائماً (لا) ليس محمود المواقف ومثل هذه السياسة ليست بالسياسة الناجحة في كل الظروف وإذا أفادت أحيانا فليس معنى ذلك أنها تفيد دائماً ، ومع علمنا ان السياسة أساساً هي مداراة ومداورة لاستخلاص حق أو إقامة عدل أو جلب منفعة أو درء ضرر، وأن القوي بالغ فيها مبتغاه دون أي جهد وأن الضعيف الذي يلاقي في ذلك أشد العنت يحتاج بسبب ضعفه الى الصيانة والمساعدة وإلى القول اللين وأن ما لا يدرك بالالطف من الصعب ان يدرك بالعمق تبين لنا ان الطريق الذي سلكه الرئيسان من أجل خدمة البلاد هو الطريق الذي يجب ان يسلك ، لذلك يقول الأنصار بالنسبة للاستاذ الحسيني لولا هذه السياسة الحكيمة في مصانعة الفرنسيين لما استطاع عندما كان على رأس الحكم ان يقوم بتلك الإصلاحات العديدة والأعمال النافعة من إنشاء المدارس والبنات والمستوصفات ودور الكتيب ودور الحكومة والمتاحف والفنادق وإقامة الجسور والمعابر وتعبيد الطرق وفتح الشوارع وما مائل ذلك من الإصلاحات التي لا تزال قائمة تشهد على وطنيته مع ضيق الموازنة ووجود الانتداب .

ثم يقولون إذا صرفنا النظر عن كل ما قام به الاستاذ الحسيني كرجل مصلح وانفتنا الى أعماله في الحقل الوطني نجده :

- ١- سعى مع الفرنسيين وأقنعهم بضرورة انتخاب جمعية تأسيسية تفتح للبلاد دستوراً وعندها جرت الانتخابات في ٢٨ نيسان ١٩٢٨ من أجلها لم يقصر في السعي وراء إنجاح الوطنيين الذين سيطروا على الجمعية وإن كانت حلت أخيراً لأسباب معلومة .

- ٢- سعى مع الفرنسيين مرة أخرى ونصحهم بنشر الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية فوافقوا عليه ونشروه في ١٤ أيار ١٩٣١ ولكنهم أضافوا اليه المادة ١١٦ كما أدخلوا عليه بعض التعديلات البسيطة ، وعلى كل حال فإن هذا الدستور كان في مجمله نسخة عن النص الذي وضعته الجمعية التأسيسية وإذا كانت المادة ١١٦ التي أضافوها لتعبر عن تحفظات الانتداب قد عطلت الدستور المذكور في معناه وبنائه فإنه لم

الأخصار يقولون :

حسبنا ان نذكر له بعض المواقف المشرفة التي كان يشجيب فيها سوء إدارة الفرنسيين بكل جرأة وشجاعة ويطالبهم بمتيح الشعب السوري حقوقه المشروعة في حياة حرة كريمة ، الأمر الذي إن دل على شيء فإنما يدل على وطنية صادقة ورجولة كاملة من ذلك :

١ - أنه قدم في ٢١ كانون الأول ١٩٢٥ الى المفروض السامي الفرنسي استقالته من منصبه إرضاء لضميره بعد أن تلقا من الثورة السورية الوطنية في جبل الدروز والغوطة وقام الفرنسيون خلالها بأعمال وحشية تقشعر لها الأبدان كدميرهم مدينة دمشق عاصمة الأمويين وأقدم مدينة تاريخية في العالم ، وبعد أن أمعنوا في نهب وسلب القرى وإحراقها وهناك الأعراض فيها وما الى ذلك من ضروب الظلم والاضطهاد. وهذا هو نص كتاب الاستقالة :

يا صاحب الفخامة :

إن المشاكل الحاضرة التي استعصى حلها تدعوني لأن أقدم لكم استقالتي . واني كرجل وطني يشاطر هذه الأمة شعورها ويعاني أمورها منذ عهد طويل لا بد لي وأنا في الساعة الأخيرة من الحكم من أن ألفت نظركم الى أن هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها أمانيتها وطمأنيتها إلا إذا أُجيت الى مطالبها المعادلة مثل تأليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الأساسي على أساس السيادة القومية ، وإنشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وإدارتها ، وأن يعلن فيها عفو عام بدون استثناء إلا فيما يتعلق بالحق الخاص . وأن تؤيدوا سورية في قبولها عضوا في عصبة الأمم .

وقد بقيت مسألة ذات عقد كبيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تولف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي أضيفت الى لبنان من جانب آخر فان حل هذه المسألة يحتاج الى إقدام وبعد نظر لأن الوطنيين السوريين يعتبرون أن في بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والأمال والألام والمعصر واللغة وهناك

العام واسترداد الافضية الأربعة وهي البقاع وبعليك وحاصبيا وراشيا التي كانت سلخت عن سورية سنة ١٩٢٠ بقرار عر في على غير رغبة أهلها وبالرغم من مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءا لا يتفك عن سورية . أما سائر الأقاليم التي أضيفت الى لبنان فانه ينبغي أن تولف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يمكن الاتفاق في شأنها مع حكومة لبنان .

٣ - معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تكون نافذة إلا إذا أبرمها البرلمان السوري على شرط أن تكون مؤسسة على قاعدة السلطان القومي للسوريين مع حفظها لفرنسا في النفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي بما لا يتعارض مع ذلك السلطان القومي .

٤ - دخول سورية في جمعية الأمم .

٥ - الجلاء التدريجي متى تألفت في البلاد السورية قوى أمن كافية .

٦ - التعويض على منكوبي الثورة .

٧ - إصلاح النظام الاجتماعي والنظام النقدي .

٨ - توحيد القضاء بحيث يكون مؤسسا على قاعدة السياسة القومية مع حفظ حقوق الأجانب والسوريين معا .

٩ - تحقيق العفو العام عن جميع الذين اشتركوا في الثورة في أنحاء سورية المختلفة مع حفظ الحق الشخصي لأربابه .

١٠ - إطلاق يد الحكومة في إدارة البلاد .

١١ - لا كانت البلاد السورية من البحر المتوسط حتى حدود العراق مؤهلة كأمة واحدة تولف وحدة اللغة والمعصر والتقاليد والأمال ولا كان جبل لبنان قد خضع بإدارة ممتازة بسبب ضرورة عملية فان الواجب يقضي بأن تقدر هذه الضرورة بقدرها وبأن لا تتجاوز مكانها .

وختم البيان بكلمة عامة جاء فيها أن الوزارة تولف لادراك السلام وتأسيس قواعد صداقة بين الفرنسيين والسوريين على أن تقوم على أسس الثقة المتبادلة واللمعة المتعاقبة وقالت (إنها تعتمد على تأييد الشعب ومؤازرة عقلاء الأمة) .

هذا بالنسبة للرئيس الحسيني وأما بالنسبة للرئيس بركات فبان هؤلاء

الفضيلة الشيخ

حول المؤتمر

والعقود العامة على المركز العربي للتبسيط والبيان
بين مندوبي الشؤون السياسية ورئيس المجلس الثاني

كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية على جانب عظيم من الأهمية والتي لا أرتاب أنكم في بعد نظركم وصحة رأيكم وما جيتكم عليه من الكرم وحس الجبر تستطيعون ان تذللوا المضاعب كلها وتسلطوا في هذه البلاد سياسة جديدة لا علاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤسس بين بلادكم وبين سورية صلات ودية ثابتة تسي النفوس ما فيها من أحزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورضاء شاملا .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي وأخلص أسامي بتوفيقكم ونجاحكم في المهمة الكبرى التي قدمتم هذه البلاد من أجلها .

٢ - عندما رفض المجلس النيابي في جلسته المنعقدة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٣٩ ويتأثر من الوطنيين مشروع المعاهدة السورية - الفرنسية التي وقعتها حكومة السيد حقي العظم في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ باعتبارها مناقضة لرغبات الشعب وغير ضامنة لمصالح البلاد وما ترمي اليه من استقلال وسيادة ووحدة وحاول مندوب المفوض السامي الفرنسي إبلاغ السيد صبحي بركات قرار المفوض السامي بتأجيل اجتماع المجلس الى ٢٥ من الشهر فرفض وعطل الجلسة بعد أن تلي معظم أسماء الموقعين على عريضة الرفض ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه على أثر رد النواب مشروع المعاهدة طلب المندوب ان يترع من ضبط الجلسة الجزء الخاص بردها فلي أيضا ، وعندما وبعد أن قامت في المدينة مظاهرات صاخبة لم يجد المفوض السامي بدا من أن يطلب من رئيس الجمهورية استرداد نص المعاهدة المودعة الى المجلس ومن ان يعطل المجلس ، وفي كلا الحالتين كان موقف السيد بركات موقفا نبیلا وطنيا جديرا بالشكر والتقدير والثناء الجميل .

محول المسألة

ومن المفيد ان نثبت هنا نص الكتابين اللذين تساهلما رئيس المجلس النيابي ومندوب المفوض السامي لدى حكومة دمشق في صدد المعاهدة وتأجيل البرلمان لما لها من الشأن الخطير .

فقد أرسل مندوب المفوض يوم ٢٤ نوفمبر الى صبحي بركات رئيس المجلس النيابي الكتاب الآتي :

في أثناء جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء الأخير ٢١ الجاري اضطرت ان أنلو قرار المفوض السامي بتاريخ ٢١ نوفمبر القاضي بتعليق مناقشات المجلس النيابي حتى السبت في ٢٥ منه .

إن نص هذا القرار أسلمه اليك في صباح اليوم نفسه حضرة ميسر لافاستر المندوب المعاون في حلب . وفي ظني أنني أذكر الظروف التي فيها جرى تدخلي .

لقد سألك أحد النواب عما إذا كان نص المعاهدة قد طبع ، فوزعته وللحال قامت مناقشة عامة في المعاهدة دون ان يبدو أي تدخل من مكتب المجلس من شأنه ان يحول دون هذه المناقشات التي كان يجب ألا تجري : أولا - لأن مشروع المعاهدة الذي عرضته الحكومة لم يكن قد أرسل الى اللجنة .

ثانيا - لأن اللجنة المكلفة بدرس الموازنة لم تكن ألقت .

ثالثا - لأن المعاهدة لم ترسل الى اللجنة وفي هذه الظروف قام النائب جميل مردم بك الى المنبر ليبلو وثيقة أخرجه من جيبه .

يظهر ان خطورة القضية التي كانت موضوع كتابك معدة لان تكون ذات أهمية كبرى في تاريخ سورية وربما للاعتداء على الحياة البرلمانية في البلاد ولذلك أرى من واجبي ان أجيب. على كتابك مع الرجاء ان تضيف نسخة من جرائي هذا الى نسخة من كتابك وتبعث بها الى المراجع العليا لكي تسمح لها بذلك ان تطلع على رأي الفريقين في هذه القضية الخطيرة .

في الفقرة الأولى من كتابك تقول انك في أثناء جلسة الثلاثاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٣٣ دفعت الى تلاوة قرار المفوض السامي المؤرخ في ٢١ منه القاضي بتعليق مناقشات المجلس النيابي الى ٢٥ من هذا الشهر وان نص هذا القرار ابلغ إلى في صباح ذلك اليوم بعناية المسير لافاستر المنسوب الممارن في حلب ثم تقص ما جرى في تلك الجلسة كما استطعت ان تحفظه .

قلت انك دفعت الى تلاوة قرار العميد السامي عما يبرهن على انك كنت تخمله في جيبك من قبل الجلسة وانك كنت تحزن الدقيقة الملائمة لتلاوته ، ولكك لم ترد ان تعرفنا بهذه الدقيقة ، فاذا كان قرار التعليق قد أعد للحالة التي فيها يتناش المجلس في أي موضوع غير موضوع الموازنة كما تلمح الى ذلك في الفقرة الرابعة من كتابك ، فوجب ان تقع هذه التلاوة تحاماً في الدقيقة التي بدأ فيها وزير المالية المناقشة باسم الحكومة ، فالسؤولية الناتجة عن تأخير هذه التلاوة الى ما بعد القرار الذي اتخذته المجلس بشأن المناقشة في الماهدة انما تقع عليك وعليه ، وليس من العدل ان تلقى عليها على الآخرين .

أما فيما يتعلق بتسليمي نص قرار المفوض السامي في صباح يوم الجلسة نفسه فاني اعترف بأنني لم أتسلمه إلا بعد الجلسة ، وعلى ذلك حفظته في أوراق البرلمان بصفة وثيقة ، ولم يكن عليّ إلا تقييد واحد إزاء المفوض السامي وهو أن أمنع في قلب المجلس كل غوغاء يمكن ان تسبب إهانة للوزراء او بعض الكلمات الموجهة اليهم وهذا ما صار بإبلاغه الى المفوض السامي ولاني أعلن أنه ليس في تاريخ البرلانات جلسة اكثر هدوءاً وأكثر سكينة من جلسة الثلاثاء في ٢١ منه - هذه الجلسة التي طرحت فيها على المناقشة مقدرات البلاد فقد قمت بتعهدي ولم يرفع الى المفوض السامي اي

ومنذ ما بدأت تلاوة هذه الوثيقة تلوت قرار المفوض السامي القاضي بتعليق مناقشات البرلمان .

أي أن تلاوة مردم بك (للمضبطة) لا يمكن ان تتابع إلا بعد الابتداء من تدخلني القاضي بوقف المناقشات .

وعدا ذلك فان مردم بك مد يده بالوثيقة الى احد السكرتيرين البرلمانيين ولكنه أعادها حالاً الى جيبه . وعليه فان الوثيقة لم توضع بين أيدي مكتب المجلس لكي تقسم إلى أوراق البرلمان .

وفي أثناء حديث جرى لك يوم ١٢ الجاري مع المفوض السامي بحضور مسير لافاستر وحضورني أنا اعترفت : أولاً - ان المكتب لم يتدخل لإيقاف المناقشة التي بدأت متجاوزة على القواعد الدستورية والتقاليد البرلمانية . ثانياً - أنه عندما وقع تدخلي لم يكن جميل مردم بك قد أنهى تلاوة المضبطة . ثالثاً - ان تلاوة الموقعين على هذه الوثيقة لم تكن قد بدأت .

واني أذكر هذه الايضاحات التي صدرت منك لأثبت ان تلاوة المضبطة لم تكن انتهت عندما وقع تدخلي وبناء على ذلك فان نص هذه الوثيقة لا يصح ان يظهر في محضر الجلسة .

على أنه غي إلي أن شيئاً من هذا لم يكن وأناك قررت ان تذكر في محضر الجلسة نص المضبطة الحرفي بما فيه الأساء التي تحملها وإتباعه بنص قرار المفوض السامي الذي تلوته دون أي شيء آخر .

واني منذ الآن أبدي أشد التحفظات على قيمة هذا المحضر الذي وضع على هذه الصورة لأنه يشوه حقيقة الوقائع .

وتراني مضطراً أن أزيد أنه لا يمكن الثقة بجل هذا المحضر ولو أنه فاز بتصديق المجلس في جلسته المقبلة .

فرد عليه يوم ٢٧ منه بالكتاب الآتي :

من رئيس المجلس النيابي في الجمهورية السورية الى مندوب المفوض السامي في دمشق :

أشرف بأن أعلمك بوصول كتابك رقم ١٣١٤ بتاريخ ٢٤ الجاري .

أخرى ثم لم تختَر الوقت المناسب لتلاوة القرار الذي تلوته بالفرنسية ومن ذلك نتيج الموقف المصيب لمعادتك والقلق والاضطراب للبلاد .

وأرى من الضروري أن أعيد عليك بإجمال أميزنا الحوادث التي جرت في هذه الجلسة فأفصح لك المجال لتنتقيح بعض أخطاءه قد تكون حفظتها في ذاكرتك سواء من جراء ترجمة سيئة أو من جراء عدم الانتباه .

لقد طلب النواب أن يبرز عليهم مشروع المعاهدة فلم يسع الرئاسة منه أو إنكار وجوده لا سيما بعد إبلاغ المفوض السامي للمصحف المعلن بأن المعاهدة تحت تصرف المجلس فوزعته وقام أحد النواب فألقى خطابا طويلا حول المشروع وفتح المناقشة فطلب وزير المالية الكلام باسم الحكومة وصعد إلى المنبر ودخل في صميم المعاهدة وبحثها طويلا وعند ذلك طلب نائب تلاوة النص فكان ماطلبه وحينئذ وقف جميل مردم بك وطلب من الرئيس الكلام وتلا مضبطة النواب وعندما أوشك الانتهاء منها ولم يبق له غير سطر أو بعض الأسطر وقتت سعادتك وبدأت بتلاوة قرار المفوض السامي . وهذه هي حقيقة ما جرى في جلسة ٢١ نوفمبر وهي الحقيقة التي سجلت في محضر الجلسة المذكورة وتقول سعادتك في كتابك إن جميل مردم بك بعد أن مد يده بالمعاهدة إلى أحد السكرتيرين البرلانيين سحبتها ورفضها في جيبه وهكذا لا تكون قدمت إلى قلم المجلس أنني لا أستطيع أن أئين السبب الذي حدا بجميل مردم بك إلى استرجاع هذه الوثيقة ولربما كان بسبب الضجة التي أحدثتها تلاوة قرار المفوض السامي في وقت لم يكن مناسباً ومن المؤكد أنه ليس من الصعب أخذ هذه الوثيقة عند افتتاح المجلس وضمها إلى أوراق البرلمان وليس هذا بالأمر المهم وتسمح لي سعادتك أن أذكرك بأنك نفسك فعلت مثل ذلك .

وشت أن تدون إيضاحات فُهِت بها عند المفوض السامي بحضور مسيو لافاستر وحضور سعادتك، وبالحقيقة أنني لا أستطيع أن أفهم كيف اتخذت منها هذه الخرج التي عليها تنني كل هذه الاستنتاجات الخطيرة المدونة في ختام كتابك .

إن مكتب المجلس لم ير من واجبه إيقاف المناقشة في المعاهدة لأنه :

حدث من النوع الذي كان مقدرا .

وعند سركه وقائع الجلسة تقول في كتابك أن ناديا سألني عما إذا كان نص المعاهدة قد طبع فأسرعت بتوزيعه وقامت على الأثر مناقشة ، ولم يقع أي تدخل من مكتب المجلس من شأنه أن يحول دون هذه المناقشة التي لم يكن يجب أن تقع ، ولكك لاحظت ولا شك أن وزير المالية كان إذ ذاك على المنبر أخذاً بتلاوة خطابه الطويل الذي يدافع به عن المعاهدة ، وأسمح لي بأن أذكرك أن القرار الذي كنت تحمله كان يجب أن يلى تماماً في الدقيقة التي دخل فيها المناقشة الوزير الذي سمح لنفسه بأن يجالط منطوق القرار الذي له اطلاع تام عليه والذي وضع طبعاً بالاتفاق مع الحكومة ، وإذا كان قطع المناقشة ضرورياً فواجب التدخل يقع عليك أولاً ثم على الحكومة لأن المعاهدة أُحيلت إلى المجلس وبالتالي كانت تحت تصرفه وفقاً لرسوم رئيس الجمهورية رقم ٢٠٥٤ - ١٦٩٩٦ - ٥٦٧٧ لتاريخ ٢٠ نوفمبر كما يؤيد ذلك تحويل الحكومة بتاريخ ٢٠ منه وتأكد إضاح بإبلاغ المفوض السامي إلى الصحافة بتاريخ ١٩ منه الذي يعلن فيه (أن المعاهدة طرحت على مجلس النواب ومن البعث التبدل على أهمية المناقشات القادمة وأن المجلس مدعو اليوم ليقول كلمته في نص المعاهدة التي طرحت عليه) (وفقاً للنص العربي الذي حل النواب على طلب المناقشة وإثارة أفكار الأمة) .

ولا يخفى عليك أنه متى طرح مشروع على المجلس وتقررت المناقشة فيه فإن المناقشة تتناول أولاً مجموع المشروع حتى إذا قبل أحيل إلى اللجنة ولكن في حالة رفضه لا يبقى لزوم لإحائه وعليه فإن المناقشة في المشروع التي أثرت مراراً من قبل الحكومة وتلاوة السكرتير البرلاني نصه كل ذلك جرى على مسمع ومرأى منك ومن بعد ذلك قام النائب جميل مردم بك إلى المنبر وتلا مضبطة النواب ومن المدهش حقاً أن تنتظر سعادتك نهاية هذا الحادث حتى تتلو قرار المفوض السامي .

وإذا كنت سعادتك على عكس ذلك ذلك تحزين الفرصة المرافقة لتلاوة القرار ، أو لو كنت اعطيتني نسخة عنه لكنت كلفت أحد السكرتيرين تلاوته بالعبية حتى يفهم المجلس ما تريد أن تعلمه ولكنا عملت بطريقة

٤- إن سعادتك لم تحسن اختيار الوقت المناسب لتتلو قرار المفوض السامي وهو ما عرض موقفك الى هذه النتائج .

٥- إن التحفظات التي أردت إيادها على محضر الجلسة لا يمكنها ان تقلل من قيمته المشروعة التي تبقى برهانا قاطعا لبيان الحقيقة ولتبقى أساسا لتقرير الموقف .

٦- إن أدهش عبارة لاحظتها في كتابك وهي عبارة التحفظ الأخير وفيها تعلن عدم الثقة بأمثال هذه المحاضر حتى ولو صدق عليها المجلس في جلسته القادمة عما يجعلنا نفهم أنك تريد إبطال أعمال المجلس قبل أن يلتزم وعلن رأيه .
وتفضل يا حضرة المندوب بقبول فائق اعتياري

كتاب الى فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية الكونت دي مارتل في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٦ عناسية الحوادث الدامية التي عمت البلاد احتجاجا على السياسة المتبعة في سورية وهذا هو نص الكتاب المذكور الذي ندد فيه بسوء الادارة الفرنسية بعبارات قاسية وجارحة لم يجزؤ أي وطني على استعمالها في مه اجته السياسة المنكرة التي تسير عليها السلطة الفرنسية .

يا صاحب الفخامة

جناسية هذه الحوادث الدامية المؤلة التي عمت البلاد والتي تنبأت بها قبل أي شخص آخر وأعلمت فخامتكم بمواقفها ولم أؤخر وسعا في اطلاق الراجع المسؤولة في وزارة الخارجية الافرنسية وفي لجنة الشؤون الخارجية للمجلس النيابي الافرنسي ايضا على ما ستؤدي اليه مثل هذه السياسة المتبعة في هذه البلاد والتي لم تحيدوا عنها فخامتكم قيد شبر منذ أن وطأتها أقدامكم حتى هذه الساعة رغم الفشل التوالي الذي منيت به ورغم إساءتها لسمعة فرنسا في هذه البلاد وما جاورها من البلدان العربية وكبدت هذا الشعب المسلم كل هذه المتاعب والالام التي كان بإمكان فخامتكم اجتنابها لو أمكنتم الى نصائح المخلصين للبلدين .

فبصفتي رئيسا للمجلس النيابي الحالي ورئيسا شرعيا لدول الاتحاد

أولا - كان من واجب سعادتك وأنت تحمل قرار العميد وأنت مكلف بتلاوته ان تتلوه ولم تفعل .

ثانيا - لم يكن على الحكومة ان تدخل في المناقشة وان تسمح لأحد أعضائها أن يبتدح معاهدتها ويطلب درسها .

بناء عليه أكون لك مدينا جدا اذا لم تكن كثيرا بالدفاع عن القواعد الدستورية والتقاليد البرلانية فسعادتك تعرف جيدا من يتجاوز عليها ومن لا يحترمها .

أما القسم الثاني من التصريحات التي عزوتها إلي والتي تتعلق بأن جميل مردم بك لم يكن أيى تلاوة المضبطة عندما بدأت تلاوة القرار فقد قلت وأعيد القول إن لم يكن باقيا سوى سطر أو بعض السطر عندما وقعت وبدأت بتلاوة قرار المفوض السامي الذي كان يجب ان يلى قبل دخول وزير المالية في المناقشة وأخيرا ان جميل مردم بك لم يقرأ ترواقع النواب لأن العادة جرت أن لا تقرر التواقيع في الجلسة وإنما تؤخذ في آخرها للسبب البسيط وهو اذا وجب كل مرة أن تلى التواقيع في الوثائق الواردة الى الرئاسة والقرارير والشروعات والاستعدادات الى آخره فلا يبقى وقت للعمل .

هذه إيضاحات قد أردت أن تعلق عليها أهمية كبرى وما هي في الحقيقة سوى مسائل بسيطة لا يمكن استخدامها أساسا لنتائج خطيرة كالتي أردت استنتاجها في سبيل تبرير الخطر .

ولا أخفي عليك يا حضرة المندوب دهشتي من كتابك وضجيجي من التحفظات التي بييتها في آخر هذا الكتاب فاسمح لي على كل حال ان اختصر لك جوابي فيما يلي :

١- إن جلسة مجلس النواب يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر كانت هادئة جدا ولا يمكن أن تكون جلسة برلانية في العالم تبحث فيها مقدرات الأمة أكثر هدوءا منها

٢- إن الرئاسة قامت برأبها وطبقت النظام الداخلي واحترمت القواعد الدستورية ولا يطلب منها ولا يمكن ان يطلب منها أكثر من ذلك .

٣- إن الحكومة التي ألغتها تعليماتك برفض كل مناقشة في المعاهدة ارتكبت خطأ يسمحها لأحد أعضائها بالدخول باسمها في المناقشة .

البلاد وعرضتم مشروعا كمشروع المعاهدة للشغل ثم ألبستم غيركم لباس الفيل هربا من المؤولية وحلتموني أنا شخصيا تبعيتها رغم أنني صارحتكم بفشل هذه السياسة من قبل وأبنت لفخامتكم مضار اتباعها وما تجره وراءها من ويلات ونحن ها نحن وإياكم نعاني الآن مصائبها .

وقد دام سوء التفاهم والتمهيد للتباعد بين وجهتي النظر سلسلة متصلة الحلقات أخذ بعضها برقاب البعض الآخر ، إذ دعوتكم الحكومة السورية إذ ذاك لقبول معاهدة ، كنتم تحملونها ، هي في الحقيقة طعنة في وحدة البلاد وسيادتها فخفضتم تلك الحكومة لشبهة فخامتكم رغم أنها لم تكن تحقق شيئا من الوحدة والاستقلال مع أن تلك الحكومة لم تسل ثقة المجلس إلا على أساس عقد معاهدة تضمن الوحدة والاستقلال هذا وقد أرسلتم صورة تلك المعاهدة الى الصحفي قبل ان ترسل الى المجلس النيابي ليدرسها وأرقتموها ببياناتكم المشهور الذي جاء فيه (انه لقاء التصريحات والحمالات الموجهة الى المعاهدة من قبل أن يذاع أمر توقيعها او يعرف نضها ، رؤي من اللازم نشر هذه الوثائق لا ليتسنى لنواب الأمة فقط بل للشعب السوري ان يرى رأيه في قيمة ومدى هذه الوثائق المحالة على البرلمان السوري) وجاء أيضا في فقرة أخرى (لذلك فان المجلس النيابي مدعو اليوم ليقول كلمته في الصكوك المعروضة عليه مجردا عن كل نزعة حزبية) وقد عرضت فعلا هذه المعاهدة على المجلس ونظر فيها بناء على أمركم الصريح وكان نصيبها الرد باقتراح وقعه خمسة وأربعون ناظرا من تسع وستين وعلى أثر هذا الرفض عطلم الحياة النيابية واتهمتم فخامتكم المجلس بتهم هو بريء منها ولكي تبرروا أعمالكم هذا اتخذتم له حجة اضطراب حبل الأمن العام .

أوليس من المستغرب ان تدعو فخامتكم الأمة إذ ذاك ببلاغ لعرب عن رأيها في هذه الصكوك فتقوم بظاهرة سلمية تظهر فيها عدم ارتياحها اليها ثم تقومون بانهم الأمة بالشغب والاحلال بالأمن ؟ فهل كان باستطاعة الأمة ان تعرب لكم عن رأيها الذي طلبتموه وهي في عقر دارها ؟ وهل ترى لو أظهرت لكم ارتياحها لهذه الصكوك بنفس الظاهرة وعين الوضع كنتم تعتبرون عملها إخلالا بالأمن ؟ أو لو صدق المجلس النيابي ايضا هذه

السوري سابقا ورئيسا للدولة سورية وممثلا للشعب السوري كافة تمثيلا شرعيا أرى أن إخلالهم لوطني العزيز وحرصي على سمعة فرنسا بدعواني بهذه المناسبة أن أصارح فخامتكم بما لا يصلححكم به غيري .

قدستم سورية واحتلار الشعب السوري ديدانكم والتككيل به خطنتكم فسرت هذه العدوى بسرعة الى معاوينكم وموظفيكم من رجال الانتداب وعاملهم هذا الشعب المسكين معاملة السيد للرفيق معتبرين هذه البلاد كاحط المستعمرات دون ان يحيطر بال فخامتكم ان هذا الشعب له من الككانة العالية ومناضيه المجيد ما يجعله بأبي القسم ويجتمل هذا الدال والاحتلار ويسكت عن إجراءات وتدابير كيفية لم يعد عليها فضلا عن أنه ساهم في النصر الذي أحرزته الجمهورية الفرنسية مع بقية الحلفاء في الحرب العالمية .

ودستمتم عهد قدومكم باعتقال رجالات البلاد دون مسوغ قانوني أو إداري او سياسي يوم أرادت سورية في خريف عام ١٩٣٣ مشاركة فلسطين في عواطفها وقامت بقطعة سلمية بحتة سفك فيها رجالكم دما بريشا لتحويلها من شكلها الحقيقي الى شكل آخر تربونه في الوقت الذي كان فخامتكم بأشد الحاجة الى اكتساب القلوب من تنفريها سيما وأن فخامتكم كنتم قادمين على عقد معاهدة مع هذه البلاد وكانت السياسة الرشيدة تتطلب أعمالا من شأنها زيادة تبادل الثقة بين الطرفين لا توسيع شقة الخلاف .

فهل هذه الأعمال والتمهيدات هي السياسة التي كان يجب ان يسلكها من كان يود الوصول الى الغاية التي من شأنها أن هذه البلاد ألا وهي عقد معاهدة ولاء وصداقة تساعد على توثيق أواصر المحبة والأخاء بين الطرفين والوصول الى استقرار ترى فرنسا وسورية في أشد الحاجة اليه ؟

ولا يغرب عن بال فخامتكم أن أسلافكم سموا بدة زائدة لتمهيد السبل بلوغ هذه النتيجة كي لا يصطدموا بما اصطدمتم به فخامتكم غير ان هذه الصدمة وما تبعها من صدمات أخرى لم تحولوا للاسف فخامتكم عن نهجها ولم تالطف شيئا من حدة خطتها التي إختطموها لانفسكم في هذه

الشعبيين السوري والافرنسي ونهت فخامتكم ايضا الى سوء العاقبة التي نجر اليها خطة كهذه لا أدري ما هو الداعي للمتمادي فيها فلقد قسمت ويا للأسف جلء جيوريم على حساب فرنسا وبلادهم .

إني لم أرع يا صاحب الفخامة فرصة تمر إلا واحتججت على هذه الأساليب، نحاولون تلافي الأخطاء التي كنتم تقومون فيها بأخطاء أبعد عمقا وأوسع مدى، عملا بمشورة نصحاء السوء الذين أحاطوا بفخامتكم عن لا جهمهم في هذه البلاد سوى إشباع بطونهم.

أعانت الحرب على كل من لم يمشيكم في هذه السياسة التي قدرت لها الفشل منذ اليوم الأول الذي قلت لكم فيه بأن معاهدة كهذه سيكون نصيبها الخيبة وإن كل من يقول لفخامتكم خلاف ذلك فهو كاذب . فكان جواب فخامتكم إذ ذاك (كلنت بتصديق هذه المعاهدة فإن رفضت فسأضعها في جاورر طاولتي) وباشترتم بي شخصيا واتخذوني عدوا وهاجتم النواب واحتقرتموهم وأسأتم معاملتهم مع أنهم لو تجردوا عن صفة النيابة لا يمكن لأحد أن يجردهم عن صفة الرجاحة في هذه البلاد ثم أقسمت حكومتكم تعلم الأمة مدى نفوذها وقيمتها كما أنه لا أعلن فخامتكم أو من يلزكم بكم تجهلون ذلك .

لم يتعهد لكم الشيخ تاج الدين عام ١٩٧٨ بأنه سيتوقف لحمل المجلس التأسيسي على قول الدستور بخدوفا من صلبه مواده الست واصطدم في أول جلسة طرح فيها الدستور برفض المجلس لها وولى هاربا من القاعة ؟ ثم ألم يبق مدة أربع سنووات بذر خلالها أمولا طائلة في تهيئة جويساعده على البقاء في الحكم للقيام بانتخابات تؤمن تنفيذ خطة تعهد أمر تنفيذها لسلفكم ؟ فمادام كانت النتيجة يا ترى ؟ ألم يقتل فشلا مريعا في الانتخابات رغم إراقة الدماء وجعل البلاد في حالة تقاسي اليوم مضضها ؟

ثم ألم يضطر للتواري عن دمشق وتركها خوفا من تقمة الشعب عليه ولم يظهر للوجود فيها إلا محميا بحراب جيشكم يوم أسندتم اليه الحكم في أدق الأوقات وأخرج الظروف منعدمين مرة ثانية بإكاذيبه وأضاليه وما زال يتصاى في خداعه وأكاذيبه حتى أوقعكم هذه المرة في نفس الحفرة التي

الصرك وارتكب جميع الخطيئات التي اهتمتموه فخامتكم بها فهل كان يجظر ببال فخامتكم ان تغلقوه وتسرحوا أعضاؤه ثم تنعتوا الأمة السورية بعلمه الانفروج السياسي ؟

قائم فخامتكم اننا لم نخترم مائة من مواد الدستور وأردتم بذلك إظهارنا أمام جمعية الأمم وأمام الوزارة الافرنسية بغير مظهرنا الحقيقي وألستمونا غير لباسنا الأصلي وقتلتم اننا لم نعتد على احترام الأساليب الدستورية ولسنا بأهل للحياة النبائية . ولو سلمنا مع فخامتكم جدلا بأننا سهونا عن احترام مادة من مواد الدستور ونحن أمة حديثة العهد بالسياسة - على رأي فخامتكم - فبالكم بن يجترق أحكام الدستور بكاملها ويضرب بها عرض الحائط وهو عالم بما يعمل ؟ لا سيما وهو يمثل أمة ديمقراطية حية لم تأت الى هذه البلاد إلا لتعلمنا كيف نخترم النصوص الدستورية والقوانين . فهل هذا يا فخامة العميد مثال حسن يعطى لأمة تعهدتم أمام العالم أنكم ستقومون بإرشادها ؟

منذ قدمتم يا صاحب الفخامة هذه البلاد حتى هذا التاريخ لم يحض يوم إلا وفاجئتم الأمة السورية بقرارات وتدابير وإجراءات كيفية لا تستند الى سياسة رشيدة ولا إلى قانون عادل ولا إلى منطق معقول ولم تنقيد فخامتكم في يوم من الأيام بعك الانتداب الذي تفردت حكومة فخامتكم بورضه وأمتتم بوجهه كل ما هو من شأنه ان يضمن مصالح بلادكم حتى ولا التفتيم أيضا قط الى نصائح وإرشادات ورغبات لجنة الانتدابات في جمعية الأمم ولا الى مصالح فرنسا الأساسية وسمعتها الادبية في الشرق الأدنى ولم تحترموا دستوراً أنتم وضعتموه وصددتموه من جمعية الأمم وفاخرتم أمام الرأي العام الدولي بأنكم عملا عبداً فرنسا في صيانة الشعوب الضعيفة منحتهم سورية حياة حرة ويعتصموها بدستور أساسي وانها بعد اليوم ستسير بخطى واسعة نحو الاستقلال والازدهار الذي أخذتم على عاتقكم ايصالها اليه بعد ان تم استقرارها السياسي . فهل هذه الأعمال وهذه السياسة أمنت لفخامتكم نجاح خططكم في هذه البلاد ؟ وهل استطعتم بذلك صيانة سمعة فرنسا ومصالحها في هذه البلاد خاصة والبلاد العربية عامة ؟ الضارة بمصالح

ولكن وبا للأسف ضربتم بكل ذلك عرض الحائط ومضيتم في سياسة تقاسي البلاد الآخرين من عواقبها فمنحتهم الامتيازات جزافا لشركات أجنبية وكلمتم مرافق البلاد تكييلا اقتصاديا بامتيازات مجحفة بحقوق البلاد مثل (امتياز حصر النخ - توسيع المرفأ - تمديد خط تل كوجاك وتل زبران - وسد بحيرة حمص - وحصر طريق الحج في البحر وغير ذلك) بالرغم من احتياجات البلاد المتتالية واستنكارها المتكرر .

وكما قامت البلاد تدافع عن حقوقها بالطرق السلمية واحتجت وأظهرت استيائها من هذه الأعمال غير المشروعة تتخذ فخامتكم عملها حجة لنعوتها بعدم التفويض السياسي بينما كان سلفكم المسيو برونسو اعترف لها لدى لجنة الانتداب في جنيف بنفوذها السياسي وقال انها أهل للحكم الذاتي وصرح أنها أصبحت بحالة تمككها من التعاقد مع الحكومة الفرنسية وإن حكومة فخامتكم قادمة على عقد معاهدة مع سورية تحدد فيها حقوق وواجبات الطرفين كمعاهدة العراق ولكنه وبا للأسف لم تقض إلا مدة قصيرة على هذا التصريح والاعتراف بالفضيحة حتى أتيتم فخامتكم وأكرتتم علينا ذلك بعد أن مكثتم في سورية عدة أسابيع فقط رغم ان تصريح سلف فخامتكم كان مبنيا على دراسة سنوات طويلة ، فأي الرأيين أحق بالأخذ به والاعتماد عليه ؟

حادثة بسيطة نشأت من اختلاف وقع بين شركة الجبر والتوزيع وبين الأهليين على تعرفه النور فبدلا من ان تقوم السلطة بصفحة الوسيط العادل التزبه بين الطرفين إذا بنا نراها تتخذ لنفسها صفه الوكيل المدافع عن مصالح الشركة للكيد للأهليين ويقوم رجال السلطة بأعمال الارهاب والاعتقال الذي لا يبرر له ظنا منهم أنهم بعملهم هذا يؤدون خدمة عظيمة لفرنسا . فهل فخامتكم راض عن هذا العمل ؟ وهل جعل الانتداب لحماية الشركات الأجنبية والكيد لأهل البلاد ؟

أفلا يحق لأصدقاء فرنسا بالشرق الأدنى ان ينظروا بعين القلق والاملح الى مصير سورية المشؤوم وإلى ضياع سمعة فرنسا في هذه البلاد من جراء معاملتها هذه في الوقت العصيب الذي اضطربت فيه الحالة الدولية

أوقعكم فيها عام ١٩٣١ ؟ ثم لم تبلغ الشكايات مسامع فخامتكم من سوء تصرفاته وان هناك تلاعبا في أمور البلاد فهل أرسلتم من يحقق في هذه الشكاوى صحيحة كانت أم كاذبة ؟ أفلا يحمل هذا التعاضي والسكوت الرأي العام على الشك بأمر لا أريد الإفصاح عنها ولكنها ظاهرة جلية ؟

نعم يقول هؤلاء ومن على شكاياتهم انهم لم يقوموا بهذه الأعمال إلا خدمة لفرنسا أليست الأعمال بخواتمها ؟ أفلا يجدر عن فشل سياسة تعهد القيام بها أن يضرب ضربة قاضية على رأسه لتفليله ويعمل مسئؤ وليه أعماله كي لا يتماذى في غيه ويخلفه من بعده خلف مثله يخل نفس الدور الذي مثله سلفه ويستفيد في إبان حكمه من الفرص السانحة للء جيويه وإشباع ثبمه ؟

لقد عمدتم يا فخامة العميد الى تنفيذ برنامج اقتصادي لتخفيف وطأة الأزمة الخائفة التي طلقت بالبلاد والعباد وجعلتموه بعيدا عن أشراف عملي الأمة واكتفيتم في أمر تنفيذه بأشراك حكومة كانت سببا لهذا التفقه المادي والافلاس الاقتصادي الذي تئن منه البلاد وتتشكو .

فهل من الحكمة القضاء على الاستقرار السياسي لأجل القيام بمشاريع اقتصادية ؟ أولم ينص صك الانتداب على إعطاء البلاد الواقعة تحت الانتداب الافرنسي نظاما سياسيا قبل كل شيء ؟

لا بد وأن فخامتكم تذكرون ما جاء في كتابي الذي قدمته اليكم في ٧ تشرين الثاني ١٩٣٤ أن الأصلح في إنفاذ البلاد من الوجهة الاقتصادية هو السير ضمن نطاق الدستور الذي كفل لسوريا في مولد (١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦) بيان الطريق الواجب اتباعها . وأعربت إذ ذاك عن رأيي ورأي زملائي النواب بكل صراحة بأنه لا يمكن لحية من الهيئات مهما عظم شأنها ان تنفرد بالاتفاق على هذه المشاريع دون موافقة الأمة التي تتمثل في مجلسها النيابي، وان عملكم هذا مخالف ليس لأحكام الدستور فقط ، بل لصك الانتداب نفسه وتحمت كتابي قائلا بأن البلاد لا تتعرف على أي امتياز يتنجح فيها او عقد يبرم باسمها من غير رضاه عملها الشرعيين .

كاذبة من شأنها ان تحول العناية الأساسية التي ثارت من أجلها نفوس هذا الشعب الذي لم يعد يجتمل أكثر عما احتمل ويوهمون فرنسا والعالم المتمدين أن حياة الجيش وحياة الأجانب أجمع ونساءهم وأطفالهم في خطر كيان يروا موقفهم هذا الذي وقفه في وجه الشعب السوري المسلم . ولكن ثقتوا يا فخرمة العميد بأن في سورية رجالا من الأجانب يحملون في صدورهم إخلاصا وفي نفوسهم شرفا ووجدانا طاهرا سيشاركونا في إظهار الحقائق أمام رجال فرنسا الأحرار وأمام العالم المتمدين .

أوليس من المؤسف بعد كل هذه التجارب التي منيت بالفشل وفي هذا الموقف الخرج أن نرى الحكومة تلجأ الى سياسة الارهاب والارهاق والابعاد والتكايات والتنكيل ؟ أليست المادة الجديدة التي سنتموها وأعطيتكم بموجبها السلطات الادارية حتى الابعاد من غير محاكمة أو استجواب هي خرق لحزمة الدستور وتعدي على الحرية الشخصية التي يقدها حتى سكان القفار والصحارى ، تلك المادة التي كان أول ضحاياها نائب دمشق فخري بك البارودي وغيره من الشبان وكان ذلك مبدأ هياج تثار فيه النفوس وتترك في هذا البلد وفي هذه الساعة التي أكتب لفخامتكم فيه كتابي هذا ، دماء عشرات القتلى ومئات الجرحى في جميع البلاد السورية بين رجال وأطفال ، ظلم وعدوانا ويعتقل مئات من الناس بلا سبب ولا جرم ولا تروال الحلالة مستمرة على هذا الاضطراب في جميع الأنحاء والاضراب عام شامل والمظاهرات قائمة على قدم وساق منذ أيام وحتى الساعة وذلك كله احتجاجا على سياسة لم يكتب لها منذ يومها الأول إلا الفشل .

سمعتكم ومن حولكم ولا شك باتهامي واتهام كل من قدم تضامنه الخالصة اليكم بمداورة فرنسا . فإن وجدتم ما يبرر ويدعم اتهامكم في ، فما قول فخامتكم بمداورة كلي الاحترام البطريرك الماروني لفرنسا تلك الصداقة التقليدية التي لا يمكن إنكارها أبدا ومع ذلك قام يعلن للمسلأ فساد هذه الخطة التي سرتكم فخامتكم عليها ومشى الشعب الماروني النبيل من ورائه يشد أزره باحتجاجه واستنكاره هذه السياسة التي اختطتموها . فهل دفعه الى عمله هذا كرهه لفرنسا؟ أم حب المصلحة؟ وهل يمكن

وأصبحت أوروبا تحشى وقوع كارثة عالية تأكل الأخضر واليابس ، لا بل وفي هذا الوقت الذي تقوم فيه بريطانيا فتسرع لحل مشاكلها الشرقية ولإرضاء الشعوب التي تحكمها ومنحها حكمها الذاتي ويقوم أيضا العالم بأسره للدفاع عن استقلال الجبهة .

ألم تكن الحكمة تقضي على الحكومة الافرنسية أن تفتتم هذه الفرصة للتقرب بخطى واسعة نحو الشعب السوري وتكنحه حقه وتنبئه أميته وياه على اجتياز هذا المازق الخرج بدلا من أن تفجعه بحريته ودستوره وعشرات أرواح أبنائه ودماء أطفاله البررة التي تسفك في الأرضة والشوارع .

إن الأعمال التي قامت فخامتكم بها تثقل لنا صورة أعمال يقوم بها قائد عسكري يحتل جديد لا هم له إلا التنكيل بالثوار والمعصاة ومن قارومه أو قاروم جيشه . وقد فات فخامتكم ان الحرب قد انتهت منذ مدة طويلة وأنكم لم تدخلوا هذه البلاد فاتحين حتى تستيحوا حماها وقتلوا نساءها وأطفالها ورجالها لا للذنب اقروفه بل لأنهم يطالبون بحقوقهم التي اعترف بها أسلاف فخامتكم ورجال الحكومة الافرنسية والعالم كله ، وأعزب ما شهدت هذه البلاد أن يقوم رجال القوى المسلحة بأمر عن منحتهم فقتلكم بالاعتداء اللطيف على حرية الشخصيات وضرب نواب هذه البلاد ضربا مؤلما وقد كانوا وزراء يتعاونون مع حكومة فخامتكم ويساعدونها وكذبوا بنصائحهم الخالصة وآرائهم الصائبة كي يجندوا هذه البلاد استقرارا وفرنسا راحة واطمئنا .

فالا اعتداء على النساء وقتل البعض منهن وجنس قسم آخر وزج الأطفال في أعماق السجون عمل لم تره سورية إلا في عهد فخامتكم . فإني لا أرى مبررا لهذا الخطد والضعف التي تدفع فخامتكم ورجال الحكومة لا ارتكاب أعمال كهذه ، لا لشيء آخر إلا الانتقام من شعب أتم ورجالكم دفعتوه لهذا القيام ، فأنتم وحدكم مسؤولون عن كل ذلك وبوجه خاص عن سبعة فرنسا في الشرق الأدنى .

واني لأعلم علم اليقين بأن رجال السلطين تبريرا لخطتهم التي قادت وتقرود البلاد الى الخراب وإلى هذه الفتنة المدمرة يلجأون الى تلتيق تقارير

بأمرها في صلب المادة ١١٦ المؤقتة التي احتفظت فيها فرنسا ببعض أمور رأتها ضرورية لها لتقوم بتعهداتها المنصوص عليها في صك الانتداب .

أفلا نعد انتهازا لحزمة الدستور هذه القرارات التي أصدرتها وهذا الحق الذي منحتموه حكومات غير مشروعة خلال تعطيل المجلس النيابي بصورة غير مشروعة بسن قوانين كيفية يعمل بها في بلاد دستورية .

وصفوة القول إن جميع هذه الأعمال وتلك القرارات التي صدرت عن المفوضية والقوانين الاشتراعية التي صدرت عن حكومة غير مشروعة منذ تعطيل الحياة النيابية ليست بشرعية أبدا ولا تستند الى أساس حقوقي . فإذا كان الغرض التصرف بمقدرات البلاد كما تريدون ، كان الأحرى بفخامتكم ان تفلنوا الدستور بكامله وتعلنوا الأحكام العرفية كي لا تفسحوا مجالا لهذا التناقض الذي وقعتم فيه .

وأما إذا كنتم فخامتكم تعترون الدستور موجودا ، فالواجب احترامه وإذا كنتم تعترونه غير موجود فلماذا لم تعلنوا ذلك ؟

وقد رأيت من الضروري أن أعيد على مسامعكم كامل نص المادة ١١٦ المؤقتة لتراجعها بفخامتكم مرة ثانية ويطلع عليها رجال فرنسا وجمعية الأمم ليروا فيما إذا كان ما جاء فيها يسوغ هذه الأعمال والتدابير التي اتخذتموها .

المادة ١١٦ :

« ما من حكم من أحكام الدستور يعارض ولا يجوز أن يعارض التعهدات التي قطعها فرنسا على نفسها فيما يختص بسورية لا سيما ما كان منها متعلقا بجمعية الأمم .

يطبق هذا التحفظ بسوغ خاص على المواد التي تتعلق بالمحافظة على النظام وعلى الأمن والدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شأن بالعلاقات الخارجية .

لا تطبق أحكام هذا الدستور التي من شأنها ان تحس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسورية أثناء مدة هذه التعهدات إلا ضمن الشروط التي تحدد في اتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسية والسورية .

أن يقال ان عمله هذا كان لخبايات شخصية قضيتم عليها أو أنكم لم تساعدوه على قضائتها ؟ حتى وقف هذا الموقف المناوئ للذي قدرته له البلاد من أقصاها الى أقصاها .

ولا نذكر ان أنه هو الشيخ الجليل الذي لا هم له ولا غاية إلا أن يرى بعينه شعبه يتمتع بحياة حرة مشرفا على جميع مراقبه السياسية والإدارية والعلمية والاقتصادية . يستند في سيره هذا الى صداقة فرنسا وإرشاد رجالها الزنبيين .

إن الاعتداء على مكتب الكتلة الوطنية وإغلاقه والاعتداء على أعضائه أيضا بعد أن اعترفتم بوجوده بصورة جلية لا تقبل الشك وبعد أن مددتم أيديكم اليهم للقيام معهم ، عمل لا مبرر له وتعد صريح للرجال العاملين وتناقض بين الأمس واليوم .

وانه ليؤلفي كما يؤلم كل وجدان أن أرى بلادي تتخط في عهد مظلم لا أثر فيه لمراقبة شرعية ولا لكرامة شخصية حتى أصبحت تنكر البلاد عهد الاستبداد الحميدي وتستعطر عليه الرجعات .

وانه لمن المستغرب أنكم لم تتركوا يا فخامة العميد ناجية من النواحي قضائية كانت أم إدارية إلا وقضيتم على حسن سيرها بمداخلاتكم ومداخلات رجالكم الكثيرة تنفيذا لحظكم التي رستموها في هذه البلاد فأي قاض يجسر على مخالفتكم أو مخالفة من يلوذ بفخامتكم في إصدار حكمه على من تريدون، وإن فعل عكس ما يوعز به اليه وكان من أهل البلاد كان نصيبه التنسيق وإن كان إفريقيا كان نصيبه العودة الى بلاده في أول باخرة . هذا ما تفعلونه في الوقت الذي كان الأجدد بفخامتكم ان تصونوا على الأقل سمعة القضاء والمعدل الافرنسي الذي يترنم به كل منصف في العالم بأسره وأن لا تشوهوا شكله الاصيل في الشرق الأدنى .

وهنا لا بد لي قبل أن أختتم كتابي هذا أن أصرحكم بأن القرارات التي صدرت والقوانين التي سستها حكومة لم تعرف البلاد بمشروعيتها ولا بحسن نيتها هي مخالفة لصك الانتداب والدستور معا وأنه منذ التاريخ الذي وضع فيه الدستور موضع الاجراء لم يعد لفخامتكم الحق بإصدار قرارات لم يحتفظ

هو معصوم عن الخطأ مهما بلغ من الحكمة والدهاء .

أليس القادة والزعماء في شقي أنحاء العالم يخطئون أيضا ؟

ولكن ماذا تقول اذا كان الدافع الحقيقي لهذه المضمومة وهذه الاتهامات

هي الانانية وحُب الذات .

أو أنا ومن بعدي الطوفان .

ورحم الله من وصف أمثال هؤلاء بقوله :

إنما دنيائي نفسي فإذا هلك نفسي فلا عاش أحد

وعليه ان القوانين المنصوص عليها في مواد هذا الدستور والتي قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يناقش فيها ولا تنشر وفقا لهذا الدستور إلا تنفيذها لهذا الاتفاق .

إن القرارات ذات الصفة التشريعية او التنظيمية التي اتخذها مجلسو حكومة فرنسا لا يجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الحكومتين .

فأصبح بشدة على هذه السياسة التي فُخِمتكم مسؤولون عنها والتي أوصلت البلاد الى هذه الحالة المضطربة المؤلمة وأصبح أيضا بصورة خاصة على إبعاد نائب دمشق فخري بك البارودي دون محاكمة، وعلى ضرب نواب الأمة الوزراء السابقين، كما أنني أحتج على هذه الشدة والتماذي في سفك الدماء في الشوارع والأزقة وقتل المشرات واعتقال المثات وسياسة الارهاب والارهاق وعلى إبعاد الدكتور سيف الدين المأمون واعتقال طلاب المدارس والشبان وضربهم وارهاقهم ليجرد إظهار شعورهم بمظاهرات سلمية، وأطلب بإصرار والحاح إرجاع المبعدين وإطلاق صراح المسجونين ووضع حد لهذه المعاملة المشاة التي يعامل بها الطلاب وهم نخبة البلاد ووزائه أربابا لا سيما وأنهم ليسوا بمسؤولين عن هذه الحالة بل المسؤول عنها هم هؤلاء الذين يرتفعون على كراسي الحكم ويستمدون سلطانهم من فخامتكم، ولو أنصف الدهر لكان يجب ان يحاكموا ويعاقبوا أشد العقاب على ما اقترفوه من ويلات كان ضحاياها هؤلاء المظلومين .

وختاما أرجو إبلاغ صورة عن احتجاجي هذا الى وزارة الخارجية وإلى جمعية الأمم وتفضلوا يا صاحب الفخامة بقبول تحياتي .

رئيس المجلس النيابي السوري

صبيح بركات الخالدي

ويتم أنصار الرئيسين دفاعهم عنها بقولهم : هل من غضاضة على الرجلين إذا سارا في سياستها على طريقة «إدالم تكن أقرباء فلا أقل من ان نكون حكاما» ، وإذا كان لها بعض الأخطاء غير المعتمدة مثلا فهل فيها من

الفصل في الحادوي عشر

حسن الظن

ظن على الهدى الرشيد والمرساة في وقت
والزحيم وقت في مسيرت في البركة وحسن

المشاعر لله والى في

الذكرى السنانية

صادفت أمس - الأحد - الذكرى الاليمة الثانية عشرة لمصرع الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، وقد قام إخوانه والأوفياء لعهدده والحافظون لجهاده وفضحيته في سبيل أمته ووطنه ، بوضع الأزهار والرياحين على ضريحه الطاهر المجاور لضمريح السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وقروا المناحة على عادتهم كل عام ، وذكروا في إطرانهم الخاشع مناقب الزعيم الخالد ، الذي غزا المنابر حتى أسكرها ، وقارع الاستعمار حتى أذله وخدم العلم والثقافة والفن خدمات ستبقى على مدى الأزمان ضياء مشعا عن عبقرية الزعيم العربي الكبير ومواهب هذه البلاد العزيزة .

وقد تلقينا أمس من دولة السيد حسن الحكيم الكلمة التالية التي حالت المواد دون نشرها أمس فنتشرها اليوم فيما يلي :

في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٠ اغتالت يد أئمة الزعيم الخالد المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، فبكت الأمة العربية فيه رجلا كامل الرجولة في حياته الشخصية القوية ، وخسرت بفقده ، زعيما مجاهدا راسخا المعيدة صادق القومية .

ومع أن الفقيه الكبير نشأ طبيبا بارعا وأديبا ألما وخطيبا مفوها فقد أبد عليه اعتزازه بقيوميته وهو المؤمن بها والمخلص لها ان يقوم بخدماته الانسانية والأديبة دون أن يقوم الى جانبها بواجبه نحو وطنه ، فراح طيب الله ثراه يؤدي هذه الرسالة ايضا بكثير من التضحية والاخلاص ، ويرفع صوت العروبة عاليا مدويا دون ان يتراجع طوال حياته عن أهدافه القومية العليا أو

الفتاوى المشائية في الذكرى المئوية لرحمة

صادف يوم أمس الأول ٦ تموز - الذكرى السادسة عشرة لصرع الزعيم العربي عبد الرحمن الشهبندر وقد قصد في نفس اليوم الكثيرون الى ضريحه في مقام السلطان العادل صلاح الدين الأيوبي فوضعوا الأكاليل والورود على ضريح الفقيد واستمعوا الى أي الذكر الحكيم ثم تلا الفاتحة عن روجه في موقف يسوده الجلال والخشوع . . وانفضوا من حول القبر سائلين للفقيد الكبير الرحمة الواسعة . وإن يعوض الله على الوطن العربي بأمثاله من الزعماء المجاهدين الصادقين .

وقد كتب الينا دولة السيد حسن الحكيم بهذه المناسبة المقال الآتي :

في الذكرى الثانية عشرة لصرع الزعيم الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن الشهبندر تحدثت في جريدة الأيام الغراء عن براعته كطبيب ، وقدرته كخطيب ، وألمعيه كأديب وجهاده كزعيم خلق لخدمة الوطن وقيادة الجماهير . أما في ذكراه السادسة عشرة اليوم فقد رأيت أن أقصر كلمتي على ما كان يتحلى به الفقيد العظيم من صفات نبيلة في شخصيته وبيته وسياسته ، بعد أن صحبته في نضاله عشرين عاما تقذت خلالها الى روحه ، ووقفت على دجيله نفسه .

كان تغمده الله براسع رحمته مثلاً أعلى في مثانة الخلق ، يأبى الكذب والمخادعة ، والسدجيل والمداينة ، ويكره ما يخرج عن قواعد البذل والشرف ، وكان متوقد الذهن طلق الملاحظة طلق اللسان عذب الحديث ذا قدرة تنهم كل ما يحيط به ، يتفوس في النفوس فيعرف مكان الضعف من

يقف في منتصف الطريق بالرغم من كل ما أصابه من سجن وتشريد واضطهاد وتغليب ؛ وكان رحمه الله يعلم حب الحرية كيف يغنيها فليهب المشاعر ، ويكتب ويخطب فيهر قصور الظلم ويستبسل في ساحات الجهاد لكي تتساقط عن وطنه لياالي الاستعمار ولكي يرى علم العروبة الخلفاء يرفرف فوق دار العز واسعة النطاق .

ومن بواعث الاكبار لشخصيته الفذة حرصه الشديد على أداء رسالته القومية والفنية والأدبية أكمل أداء . فإناك إذا رأيت أعماله الخالدة في سبيل أمته وبلاذه حسبت انه تعهد هذه الرسالة وحده دون مشاركة أحد لـ فيها ، وإذا ردد من كتب لم الشفاء على يديه من مرضاه معجزاته في فنه خلت انه لم ينصرف في هذه الحياة إلا الى إتقان مهنته دون أي شيء آخر . وإذا طالعت ما دبرج براعه من مقالات علمية وأدبية وسمعت ما فاه به من خطب كلها بلاغة وفصاحة ظنت أنه لم يكن في دنياه غير العلم والأدب ، وقلت سبحان الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

فيا أيها الزعيم الخالد :

إن هذه الأمة التي جاهدت في سبيل حريتها بكبرياء وضحت من أجل ذلك بجائها ورجائها بسخاء الى أن من الله عليها - بعد جهاد شاق وطويل - بنعمة الاستقلال لو أقامت لك اليوم تمثالا من الذهب وكتبت مدحك على أديم الأرض من أقصى شمال البلاد الى أقصى جنوبها لكان ذلك دون قدرك .

طيب الله مضجعك وسقى الغيث ثراك فقد أدبت الأماسة وبلغت الرسالة وأرضيت الله وأرضيت الوطن .

(دمشق الاثنين ١٤ شوال ١٣٧١ موافق ٦ تموز ١٩٥٢)

فخري واعتزازي شخصيا أنني كنت أجد فيه الأخ الأكبر الذي اقتبس من مواهبه ، ولزعميم القلدي الذي أسير تحت لوائه واهتدي بهديه ، فإذا يكنه الأمة فأثما تبكي فيه زعيماً كبيراً ترواً بعمله وسمو مبدئه مركزه بين عظماء الرجال ، ومحامداً كريماً خدم بلاده بكثير من التضحية والتجرد والاخلاص .

أغلق الله عليه شآبيب رحته وأسكنه فسيح جناته وأحسن إليه بقدر ما أحسن لوطه وأمنه .

دمشق الجمعة ٢٧ ذي القعدة ١٣٧٥ الموافق ٦ تموز ١٩٥٦

حسن الحكيم

(نشرت في جريدة الأيام)

هذا ومكان القوة من ذاك ، وبالرغم من منزلته العلمية العالية ومركزه الوطني الكبير كان يفضل البساطة في كل شيء ، لا تهمه الشهرة ولا تجارمه الغرور ، ولا يعرف الاعلان عن نفسه .

صفاته في بيته :

وكان في بيته خير نموذج لأرباب الأسر ، يحترم زوجته احتراماً كلياً ويقدر مشاركتها له في جهاده ، وتعملها الاضطهاد في سبيله والعذاب في إدارة صفاره ، يجب أولاده حبا حبا يعمرهم بعطفه وحسانه ، ويحورهم بعنايته ورعايته ، يجلس ولداهم دائماً على مائدة واحدة ، يلاطفهم وينشطهم بما يجب السرور الى نفوسهم ، ويزيد في حبهم لوطنهم واحترامهم لوالدتهم . وبذلك كانت المساعدة العائلية ترفوف على منزله ، والثناء على أسرته كلما تسر له ان يلتقي بأفلاذ كبده .

صفاته السياسية :

أما في سياسته فكان طيب الله ثراه شديد التعصب لقوميته راسخاً في عقيدته ، مؤمناً أئند الايمان بقضية بلاده ، مخلصاً لها الى أقصى حدود الاخلاص ضليماً في دخالها وأسرارها مثابراً على أداء رسالته فيها ، لا تنتبه العقبات ولا يجامر نفسه بأس أو قنوط ، ولا يضعف من عزيمته فشل أو خيبة أمل ، يرسل صيحات العروبة ، في ما يكتب ويخطب ، ملوينة دون ان تهدف من وراءها الى غرض أو مطمع ، والغرض الوحيد الذي كان يسعى اليه بكل جوانحه هو خدمة وطنه وإعلاء شأن أمته هو رؤية علم العروبة الحقائق يترفوف فوق دار عز واسعة النطاق .

كان رحمه الله حر النزعة يجهر بما يعتقد حقا وصوابا ولو عصفت في وجهه الانتقادات وثارت زواجع المقامات . وكان أيضاً واقعياً بعيداً عن الأفكار الخيالية والأحلام المبخنة ، لا يتم إلا بالواقع للموس ، والحقائق المجردة ، وإن كان لا يقل صلابة عن سعد العظيم وضائدي الكبير في عصيان سلطة المستعمر وعدم الخضوع لها إلا قهراً ، وما دام يعتبرها غير شرعية .

هذا غيض من فيض من صفات فريد الأمة والعروبة العظيم ومن بواعث

المحاضرة الست عشرة في الزكري السابعة عشرة

إذا كنا نحمد الآباء والجدود ، ونبني على حامدهم الصحيحة ما ننشد من ارتقاء ونهوض فما أجدرنا بتمجيد من ناضل منا في سبيل حرية البلاد واستقلالها بكبرياء ، وضحي من أجل سمادتها وهنائها وسخائها ، وهذا ما يدعوني لأن أجد دائماً وأبداً ذكرى الزعيم الخالد المغفور له الدكتور الشهبندر ، وهو الذي وقف حياته وجهوده على خدمة أمته وبلاده وتحمل ما تحمل من الأذى والاضطهاد في أداء رسالته ، وإذا كنت تحدثت في ذكريات مضت عن عبقرية الفذة في علمه وفنه وأدبه ، وصادق وطنيته وتضحيته ، وعن صفاته النبيلة في شخصه وبيته وسياسته فمن الوفاء أن أنوه في ذكراه السابعة عشرة اليوم بزياره الكبيرة في زعامته .

كان طيب الله ثراه زعيماً يعمل للأجيال القادمة ، لا سياسياً يعمل للانتخابات القادمة وكان كبير الثقة بأمنه ، كبير الايمان بآضيها اللامع الذي لا يتطلع الدهر الى محوه لذلك كان على تمام اليقين بأنها على موعد مع المستقبل ، وأنها مصممة على انجاز هذا الوعد رغم طول المشقة ووعورة الطريق ، فصمم على القيام بواجبه نحوها ، وعلى التجرد للالتزامات التي فرضتها عليه عقيدته فيها ، فنبذ كل زعيم مخلص أطماعه ونذر هذه انعقيد نفسه ، ولم يتخذ العمل في سبيلها تجارة او لموا ، وقد أوجح اليه ثقل الرسالة بأن المعركة مع المستعمر الغاصب لا يمكن أن تدار من وراء المكاتب او بين جدران المنازل بل في ساحات الجهاد وميدانها الفسيح ، فتقدم الصقوف وصاح بأعلى صوته :

بني وطني : ان البلاد اصبحت هدفا يرمى وظيفته تقسم ، وما لم نهب

الدينية وذلك لأن الخروج على العقائد هو مثل امتحان حرمة التقاليد المقدسة يدعو إلى النفرة في سواد الشعب .

وإذا عدنا قليلا إلى الراء تبين لنا أن المغفور له كان أيضا من أصحاب الصرخة الأولى الذين هالهم أن تطوف الحرية بلاد العالم وتعتقل في (بلدز) وأنه كان يؤلف مع المغفور لم شكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وسليم الجزائري وغيرهم من الشهداء الأبرار أول كتيبة للأحرار وهي الكتيبة التي صارعت الاستبداد في حصنه المنيع وعلى رأس طاغيته تاج الخلافة وبين شفثيه شقاء العباد وسعادتهم ، وهذا ما بين لنا عظم المصاب الذي حل بالبلاد بفقدها هذا الزعيم الكبير .

وختاما إذا كانت كلمات الفقيد العالي تتم في جميع ما كتب وخطب - وما أكثر ما كتب وخطب - عما تفيض به جوارحه من حب لوطنه وإخلاص لأمة فان كلماته الماثورة تدلنا على ما كان يتمر نفسه في ذات الوقت من اعتزاز بقيوميته وعرويته ، وإيمان بوطنه ووحدة ، وتمسك بدينه وعقيدته وبعد عن اليأس والفتور في كفاحه وجهاده .

- الإسلام رجاء والفتور ليس من ديننا .

- من يوجه نفسه إلى الله ويصلي بقلب ملؤه الإيمان لا يجوز له أن يقنط .

- إن العقيدة لا تكون عقيدة إلا إذا كانت مخلصه لله

- من لا يحب وطنه لا إيمان له .

- البيت الذي ياتهم في سبيل الوطن هو شمعة نور وقجيد في السماء .

- الأمة التي لا تنفك دمهيا في سبيل الوطن لا تستحق تقدير الوطن .

- نحن عرب قبل أن نكون سوريين .

- ليس لسوريا جدد أكيد وتاريخ حافل بالمآثر إلا من بعد الفتح العربي .

- مصر عربية كما هي سورية عربية ومن شرب ماء النيل كمن شرب من مياه بردى .

- الروح لا تقوم على اللباس إنما تقوم على وحدة القلوب .

- رابطة العروبة أقوى من أن تصاب في قوتها وروحها ما دام القرآن يحمها .

جميعا للدفاع عنها كما فعل إبراهيم هنانو والشيخ صالح العلي ويوسف العظمة، قبلا وكما يفعل سلطان الأطرش الآن ، كانت النتيجة كفرا بنعمة الوطن وخلودا في جحيم الاستعمار ، والربيل لن يحمده في مكانه فلا يتحرك ، والحزبي والعار لن يخطو إلى الراء ويقف في منتصف الطريق ، ارفضوا كل خضوع وانقياد لأي شعب لا يشارككم في روابطكم القومية ، وكوّنوا صفّا واحدا ولا تفرقوا فتصابوا بالضميم .

هذا وكان رحمه الله يرى الصلابة في الحق لا تعني العناد العقيم والاكسار على الصخر وأن التشدد الأعمى شيء والكياسة شيء آخر وأن المظالم والغلاظة في الطابع تدعو إلى الانقضاء من حول الزعماء ولو كانوا في مقام الأنبياء .

وكان يرى أن الزعيم الذي يستحق الناس كثيرا ، أو يقصر عنهم كثيرا ، يقطع أواصر الاتصال بهم ، وأن لا يخطر على الزعيم مثل أن ينتزل في أفكاره تنزلا مفرطا لاسترضاء الغوغاء واستجلاب الدهماء ، لأنه يعرض بذلك نفسه لاستخفاف أهل الحل والعقد ، على أن هذا لا يمنع الزعيم في نظره من أن يكبح جراح تطرفه تجنبا لإحداث هوة بينه وبين سواد الشعب ، وإذا كان الزعماء السابقون لأوانهم ارتضوا أن يخفوا من غلوائهم قليلا ويقصروا من خطاهم ليسيروا أمام الشعب وعلى اتصال به ففتان بين من يخفف خطاهم لتستطيع العامة أن تلحق به فتشفي وراعه ، وبين من يتقهقر فيمضي وراء العامة .

وكان يقول : على الزعيم أن يتمسك بعقيدته الوطنية تمسكه بعقيدته الدينية المقدسة وأن لا يضمّر في معالجة قضية بلاده شيئا ويظهر شيئا آخر ، إذ يحل هذه الصراحة وحدها يثبت إخلاصه لبلده ، وثقانيه في حسن أداء رسالته ، ويضمن ثقة الناس به وثأبيدهم له ، كما عليه أن يستعد لبلال العالي والرخيص في سبيل تلك القضية وإلا حرم من الثابتين على ولائه الثقلين بقوله ، ومن خصومه تدبير الحملات عليه .

وكان يقول فرق هذا وذاك أن الوطنية الصادقة توجب على من يقودون الشعب - لا سيما التي فيها نزعة روحية ظاهرة - العناية بالمحافظة على العقائد

السلامة والرفاهية في الأمم المتحدة

ننشر فيما يلي الكلمة التي أرسلها اليها صاحب الدولة السيد حسن الحكيم
وقد وعدنا بنشرها أمس وهي تتصل بذكرى الزعيم الخالد المغفور له
الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بمناسبة مرور ثمانية عشر عاماً على
مصرعه . . نغمده الله برحمته ، وأجزل ثوابه :

كلما مرت الأيام وتعاقت السنين على مصر ع فقيده العروبة المغفور له
الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ازدادت في أعين العاملين المخلصين عظمتة في
عقريته وزعامته ، وعظمته في الذب عن حقوق وطنه وإذا كنت أُنشد في
ذكراه كل سنة بناحية من نواحي هذه العظمة فقد رأيت ان أنشر في ذكراه
الخطبة اليوم تلك القصيدة المصماء التي تلاها السيد عبد الحسين الأزري في
الخطبة التي أقامها لنا أهالي الكاظمية الكرام في الرابع والعشرين من شهر
كانون الأول عام ١٩٢٦ وحضرها لثيف كبير من عليّة القوم وأعيان البلاد
وعلى رأسهم المغفور له جعفر باشا العسكري رئيس الوزارة العراقية إذ كنا
آنذاك وفداً يطوف أرجاء العراق ، ويدعو لتأليف لجان تقوم لتكوي الثورة
السورية بجمع التبرعات .

وهي القصيدة التي تفيض بأنبل العواطف والترحيب بالزعيم الخالد ،
وتنضح بأسمى آيات الإعجاب والتمجيد . يأتيه القوي بقضية بلاده
واخلاصه الأكيد لها ، وبجهاده الصادق وكفاحه المرير في سبيلها .

وإذا كان ناظم هذه الخريدة صممها في نفس الوقت وصفاً لما يعتب
المستعمر الغاصب على الشعب السوري الأمن من وبيلات وشتات فقد

- خير لنا ان نغرق متحدين من أن نعوم متفرقين .
ليغفر الله للذين لم يقدروا هذا الشهيد المجاهد والزعيم الخالد والمبغري
الفد حق قدره وليسامح الذين كلما قام فينا زعيم خلاص سعوا لتتكس
علمه .

دمشق السبت ٨ ذي الحجة ١٣٧٦ الموافق ٦ تموز (يولي) ١٩٥٧ .

حسن الحكيم

نشرت في جريدة الأيام

واللود من عاداته والطلم من أدايه والعدل من أحسابه
فلانا بهضت وكنت ألتجع ناهض يلقى على الأسماح فصل خطابه
لرد مفتسا وتصلح فاسدا غرا وزشد عفتا لصوابه
حق وثبت هم ومالك حيلة فالليث راح مزجرا في غابه
من مبلغ نبزون جلق انه قد جاز بالارهاق حد نصابه
الجيش كل من اقتراف ذنوبه والسيف مل من اعتناق رقايه
والسجن غص من ازدحام برانه وتنفس الصمء وسع رحابه
واكتظ سطح الأرض من أثلاله وقول السراق من أسلابه
ما كل شعب هن إلاله تبقى سياسته على إرهابه
لا يستب الأمن في سقاك الدماء ما لم يقم عدل على استيابه
وحيقة هي يا ترى أم أن من تكفي نماج الشرق شر ذبايه
أين الكفاء وقد غرق قبل الرصاة هو الذي أوصى به
جدع جا نال اللثيم مرابه دا في عقاله وذاك يتابه
من أخذ بيد الضعيف وضمفه والجدع يأتي البيت من أبوابه
وإذا رأيت مدينا بجائه ذنب به مستوجب لعقابه
ليلاه ل يترق بشوة حلمه فاعلم بأن الجهل أصل عذابه
والغرب ما وسع البسطة رجه يوما ولم يجده لم سرايه
عبد الحسين الأري والشرق لم يملك سوى ألقابه

كان كبير الثقة بأن الأمة العربية التي امتازت بحيويتها وخصائصها لا يمكن
ان تنام على ضميم ، وإن لم يخف ما في نفسه من ألم من داء الشرق الذي هو
سبب بآله وشقائه في كل قطر من أقطاره .
أكرم الله مشرى الفقيد الكبير وأغداق عليه شآبيب رحمة .

بيع الضمائر فيه رأس خرابه

حياك وادي الرافدين ما به من سهله وحزونه وشمايه
ومعاهد الآثار فوق تلاله ومشاهد الماضين تحت قبايه
والساكنون على ضفاف ميميه من شبيه وكهوله وشبايه
والعابرون على كمر ضيوفه تلك القباب السود من أروابه
وجلال عاصمة الخلافة والذي سجدت ملوك الأرض في أعضابه
وذود النوى والرؤي من أشياخه وذود البلاغة فيه من كتابه
كل تراه مرجا بك منهم يستعرض الألام في ترحابه
فحباك في اكرامه وراك من احراره ودعالك من أقطابه
يا قادما والمزم ملء فؤاده لا عين والخرم ملء أعبابه
ومجاهدا في الذب عن أوطانه ما حالت النكبات دون وطابه
البيد ل يتبعه قطع وهادها والبحر لم يزعجه خوض عابه
طورا تساوره الموم فيثني لللافق يسأل ما وراء حجابه
وترده الأمال عبا تارة في قومه فيبحث سير ركايه
إني أقول اليك غير مهون خطبا تجرعتم مرارة صابه
لكن عراني بعض ما بك والضى يدعو المصاب به الى استطابه
ل يتفرد في الشرق ففرك وحده بجميع ما شخصت من أوصابه
فالداء حيث تزلت داء واحد إذ أنت أدري الناس في أسابه
وانشد فتكا ما تراه نوحون وبلون الحرباء فيه رأس خرابه
حب المظاهر في تنوس رجاله لم يمتد غير امتلاء وطابه
ما بين مشون وآخر طامع عيني خيبة الأمال في أفعابه
عقلي تتأنج ما جنى من سعيه يا خيبة الأمال وراء ثبايه
كم محرم في النجوم ظاهره النقى والجرم مستر دواء ثبايه
ان البلاد وإن أضاع شقايقها مجد طواه الدهر في أحقابه
سيمود رغم الطامعون وانني منه على ثقة بقرب آبابه
جسم المروية لا ينال على قدى ما دام روح النار في جلابه

٤- وإذا عدنا قليلا الى الوراق تبين لنا فوق هذا وذاك انه كان واثقواؤه المغفور لهم شكري المسلي وعبد الودهاب الانكليزي وسليم الجزائري وغيرهم من الشهداء الأبرار أول كتيبة للأحرار وقد هالهم ان تطوف الحرة بلاد العالم وتعتقل في (بلذر) فصارعوا الاستبداد بحصنه النجى وعلى رأس طاقته تاج الخلافة وبين شفثيه شقاء العباد .

نعم هذا بعض ما قدم الزعيم الخالد لأمتة وبلاده من خدمة ، واني على مثل اليقين بأن فضاة الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية المعظم الذي يكن له بالبح التقدير وعظيم الاحترام والذي لم يالك جهدا في تكريم المجاهدين ، لا بد وان يأمر بتلافي ما وقع بحق فقيد البلاد الكبير من تقصير ، والله من وراء القصد .

(دمشق الخميس ٨ شعبان ١٣٧٢ / ٣ كانون الثاني ١٩٥٣) .

(حسن الحكيم)
نشرت في جريدة الأيام

مركزه اللاق بين عطاء الرجال ، وحسب الشهبندر :

١- أنه كان من أصحاب الصرخة الأولى في حادث المسر كراين ولا يقص على احتلال الفرنسيين البلاد أكثر من عشرين شهرا وأنه حكم عليه بالسجن ٢٠ عاما قضى منها في سجون دمشق وبيت الدين وراود تسعة عشر شهرا .

٢- انه نبذ ككل زعيم يخلص أطماعه ونذر لمقيدته الوطنية نفسه فلم يتخذ العمل في سبيلها تجارة أو هوا وقد أوحى اليه سمو البدأ ونقل الرسالة بأن المعركة مع المستعمر الفاضب لا يمكن ان تدار من وراء المكاتب وبين جذران المنازل ، بل في ساحات الجهاد وميدانها المسيح ، فما ان نادى منادي الثورة حتى كان أول من لبى هذا النداء وأول من تقدم الصفوف وهو يصبح بأعلى صوته :

بني وطني ... ان البلاد أصبحت هدفا برمي وغنيمة تقسم ، وما لم نهب جميعا للدفاع عنها كما فعل الشيخ صالح العلي وبرايمهم هنانو ويوسف العظمة من قبل وكما يفعل سلطان باشا الاطرش الآن ، كانت النتيجة كفرا بنعمة الوطن ، والويل لمن يحمى في مكانه والخرى والمادر لن يخطوا الى الوراق او يقف في منتصف الطريق ، ارفضوا كل خضوع وانقياد لأي شعب لا يشاركم في روايتكم القومية كونوا صفا واحدا ولا تفرقوا فعضابوا بالضم .

٣- انه كان الزعيم السياسي للثورة ، كما كان البطل الكبير سلطان باشا الاطرش القائد الأعلى لها وانه كان يقضي بعقريته وما يلهب في صدور رجالها من روح الحماسة وما يقوم به من خدمة انسانية في مداواة الجرحى ومواساة المكوبين وغير ذلك ، وانه لم يغادر ميدان الجهاد إلا بعد ان احل العدو بقواته الكبيرة السويداء وتغلغل في مفارق الجبل ومعاقل الغرطة وبعد ان بدأت قوات المجاهدين تتضيق .

وانه بقي وطنه مدة اثني عشر عاما نتيجة الحكم عليه بالاعدام .

المفهرس

٥	الإهداء
٧	توطئة
١٣	أقوال في الزعيم شهيد
١٧	الفصل الأول: نبذة عن حياة الزعيم
٢٧	الفصل الثاني: من آثار الشهيد الفكرية
٢٩	صفحات مطوية من الثورة العربية
٤١	فيصل بن الحسين
٥٥	الوحدة والتجربة
٦٣	هل يتاح للشرق أن يستعيد مجده؟
٧٣	في مضارب العرب
٨٥	الفضحك والبكاء، تعليلها ومزاها
٩٥	الرأي العام الناضج
١٠٣	لو استقل العالم العربي
١٠٩	الفصل الثالث: من خطب الشهيد
١١٧	أهل بدر في إيران
١٢٣	تتويج الأمير فيصل ملكاً
١٣١	الخربة في تاريخ البشرية هي المثل الأعلى، نحن
١٣٧	عرب قبل أن نكون سوريين
١٤٣	إني أتيت لتأليف امبراطورية التاريخ والخصارة
١٤٥	الوحدة لا تقوم على اللباس بل على الإيمان
١٤٥	حرام على الأمة أن تخضع للجزيرة

٢٨٨	قصيدة فؤاد باشا الخطيب
٢٩١	كلمة محمد كرد علي
٢٩٥	كلمة حليمي عيسى باشا
٢٩٧	كلمة محمود البسبرني
٢٩٧	كلمة عباس محمود العقاد
٣٠٣	الجمعية ترددها الاداعات والصحف
٣١١	الفصل الثامن: الفتاة أمام العدالة
٣٢٥	الزواجر
٣٣٧	الدفاع
٣٣٩	مراقبة الاستاذ القضائي
٣٨١	مرافعة الدكتور منير المجلاي
٣٩٩	كلمة القضاء
٤١٣	قرار الحكم
٤٢٧	الفصل التاسع: أعداء الشهيد بلا تورع
٤٣٧	وأيضاً يقولون
٤٤٥	الفصل العاشر: حول المعاهدة
٤٦٧	الفصل الحادي عشر: المقالة الأولى في الذكرى الثانية عشرة
٤٦٩	المقالة الثانية في الذكرى السادسة عشرة
٤٧٣	المقالة الثالثة في الذكرى السابعة عشرة
٤٧٧	المقالة الرابعة في الذكرى الثامنة عشرة
٤٨١	المقالة الخامسة في الذكرى الثالثة عشرة
٤٨٥	الفهرس

١٥١	لقد ذهبنا الى المشائق مسلمين ونصارى في سبيل العروبة
١٥٩	إنني من الكتلة ولست من حزب الكتلة
١٦٣	من أقوال الزعيم الماثورة
١٦٩	الفصل الرابع: العودة من المنفى عودة إلى الجهاد
١٧١	بحر آخر من الخلائق يستقبل الزعيم شهيدنا وأخوانه
١٨٢	خطاب لطفلي الحفار
١٨٣	خطاب الزعيم
١٨٧	طاقات الزهور تقدم للزعيم
١٩٣	الفصل الخامس: الجهاد والثورة ١٩٢٥
١٩٥	مشروع معاهدة ١٩٣٦
١٩٧	كيف قبلت معارضتها في سورية
١٩٩	عرب المعاهدة المشتركة
٢٣١	الفصل السادس: اغتيال الزعيم
٢٣٣	الوطن النديم
٢٣٧	موجة من الحزن تغمر دمشق لقتل زعيم البلاد
٢٤٥	مات عبد الرحمن شهيدنا
٢٤٧	موكب تشييع جثمان فقيد العرب
٢٤٩	كلمة الشعب
٢٥١	تشيع الراحل الكبير
٢٦٥	الفصل السابع: ثاين الشهيد، وصف شامل
٢٦٥	لهرجان الأربعين الكبير
٢٦٧	رثاء الزعيم من زعماء الأمة وقادتها، كلمة
٢٧٧	سمو الأمير عبدالله بن الحسين
٢٧٨	كلمة الرئيس هاشم الأتاسي
٢٧٨	كلمة سلطان باشا الأطرش
٢٧٩	كلمة البطريق طحان
٢٨٠	كلمة زكي الخطيب
٢٨١	كلمة البطريق عريضة
٢٨١	كلمة النقي المحاري
٢٨٥	رأية عمر أبو ريشة